الكاتب الأكثر مبيعاً بحسب تقييم صحيفة *The New York Times*

نيكولاس سباركس
NICHOLAS SPARKS

انظري إليّ
SEE ME

رواية

الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.

انظري إليّ

SEE ME

انظري إليّ

SEE ME

نيكولاس سباركس

NICOLAS SPARKS

ترجمة

أفنان سعدالدين

مراجعة وتحرير

مركز التعريب والبرمجة

الدار العربية للعلوم ناشرون ش.م.ل
Arab Scientific Publishers, Inc. S.A.L

بسم الله الرحمن الرحيم

يتضمن هذا الكتاب ترجمة الأصل الإنكليزي SEE ME حقوق الترجمة العربية مرخّص بها قانونياً من الناشر GRAND CENTRAL PUBLISHING بمقتضى الاتفاق الخطي الموقّع بينه وبين الدار العربية للعلوم ناشرون ، ش.م.ل. Copyright © 2015 by Willow Holdings, Inc. .
All rights reserved Arabic Copyright © 2017 by Arab Scientific Publishers, Inc. S.A.L

الطبعة الأولى :تموز /يوليو 2017 م 1438 - هـ.

ردمك 978-614-02-3294-5

جميع الحقوق محفوظة للناشر

توزيع

facebook.com/ASPArabic
twitter.com/ASPArabic
www.aspbooks.com
asparabic

الدار العربية للعلوم ناشرون ش.م.ل
Arab Scientific Publishers, Inc. S.A.L

عين التينة، شارع المفتي توفيق خالد، بناية الريم
هاتف: 786233 – 785108 – 785107 (1-961+)
ص.ب: 13-5574 شوران – بيروت 2050-1102 – لبنان
فاكس: 786230 (1-961+) – البريد الإلكتروني: asp@asp.com.lb
الموقع على شبكة الإنترنت: http://www.asp.com.lb

تصميم الغلاف :علي القهوجي

مقدمة

لم يكن قد مضى على وجوده في مدينة ويلمنغتون أكثر من يوم واحد حين بات على قناعة تامة بأنها ليست المدينة التي تستهويه ليستقر فيها في ما تبقى له من عمر .فقد كانت المدينة تعج بالكثير من السياح ، وبدت برمتها كما لو أنها مبنية بشكل عشوائي ، ومن دون أي تخطيط مسبق .ورغم أن المنطقة التاريخية تميزت بوجود تلك البيوت ذات الشرفات والأعمدة فيها ، والمزيّنة بكسوة خشبية مزخرفة ونباتات المغنوليا المتسلقة في باحاتها الخلفية ، إلا أن تلك الأحياء الجميلة سرعان ما أفسحت المجال أمام المنطقة التجارية الزاخرة بالأسواق والمحلات وسلاسل المطاعم وشركات تجارة السيارات ، والتي يملأ شوارعها سيل هائل من السيارات التي تزداد عدداً في فصول الصيف لدرجة لا تطاق.

لكنّ حرم جامعة نورث كارولاينا في ويلمنغتون شكّل له مفاجأة سارة .فقد تخيّل قبل وصوله إلى هناك مكاناً يُهيمن عليه فن العمارة القبيح الذي يعود إلى فترة الستينيات والسبعينيات .ورغم وجود عدد من تلك المباني هناك ، ولا سيما عند أطراف الجامعة ، إلا أن الساحات الرئيسة بدت أشبه بواحة غنّاء بما فيها من ممرات ظليلة ومروج مشذبة وأعمدة جورجية وواجهات قرميدية تعكس أشعة شمس العصر الذهبية.

لقد أثارت الأشياء العادية إعجابه أيضاً .فهناك برج ساعة اعتاد في بادئ الأمر على أن يحدق إلى صورته المنعكسة على صفحة البحيرة خلفه متأملاً؛ فيُخيّل إليه كما لو أن الوقت بحد ذاته منعكس وعصيّ على القراءة من النظرة

الأولى .كان بوسعه الجلوس واضعاً كتاباً مفتوحاً في حضنه ، ومتأمّلاً نشاطات الناس ، ورغم ذلك يظل شبه خفي في نظر الطلبة الذين يتجولون حوله ، وكل منهم شارد ومستغرق في أفكاره.

وفيما كان يرى الطلاب مسترخين في الأنحاء بتكاسل ، ومرتدين السراويل القصيرة والقمصان القطنية الخفيفة ، شعر أن الطقس دافئ بالنسبة إلى أواخر شهر أيلول .فتساءل عمّا إذا كانوا يرتدون الملابس نفسها لحضور المحاضرات .كان مثلهم تماماً ؛ يأتي إلى حرم الجامعة ليتعلم .فقد زار الحرم الجامعي ثلاث مرات خلال ثلاثة أيام ، ولكنه وجد المكان يعج بعدد كبير من الناس ، ويعِد بالكثير من الذكريات .وهو لم يكن راغباً في أن يتذكره أحد .فكّر في سره إن كان يجدر به الانتقال إلى مكان آخر ، غير أنه قرر أخيراً أنه لا داعي لذلك .فمن وجهة نظره ، لم يكن أحد يأبه لوجوده أو يكترث له.

لقد بات شديد القرب من هدفه .ولكن في الوقت الحاضر ، كان من المهم بالنسبة إليه أن يظل متحلياً بالصبر .لذا ، أخذ نفساً طويلاً ، وحبسه قليلاً في صدره قبل أن يخرجه بهدوء .شاهد في الممرات بضعة طلاب يتوجهون إلى صفوفهم ، فيما حقائب الظهر الخاصة بهم متدلية من أكتافهم .ولكن في مثل هذا الوقت من اليوم ، كان عدد الطلبة الآخرين الذين يستعدون لبداية مبكرة للعطلة الأسبوعية هو الغالب .فقد كان هؤلاء الطلبة محتشدين هنا وهناك في مجموعات مؤلفة من ثلاثة أشخاص أو أربعة ، وهم يتمشون أو يرتشفون الماء من زجاجاتهم التي ظنّ أنها ممتلئة بشراب كحولي وليس بالماء ، بينما راح بضعة شبان يشبهون عارضي الأزياء يقذفون قرصاً بلاستيكياً فيما بينهم ، فيما وقفت صديقاتهم جانباً وهن يثرثرن .لاحظ شاباً وشابة يتجادلان ، وبدا وجه

الفتاة محمراً من شدة الانفعال .شاهدها وهي تدفع صديقها لتبعده عنها ، فابتسم لدى رؤيته تصرفها ذاك ، واحترم غضبها وحقيقة أنها -على عكسه -لم تكن مجبرة على كبت شعورها الحقيقي .وخلف الشابين ، شاهد مجموعة أخرى من الطلاب الذين يلعبون كرة القدم بطريقة عفوية لا تدل على أي إحساس حقيقي بالمسؤولية.

اكتشف أن العديد من الطلاب الذين شاهدهم حوله يخططون للخروج تلك الليلة ، وفي الليلة التي تليها إلى أماكن التسلية والترفيه والنوادي. فبالنسبة إلى عدد كبير منهم ، كانت العطلة الأسبوعية تبدأ اعتباراً من هذه الليلة ؛ بما أنه ليس هناك الكثير من المحاضرات أيام الجمعة .عندما عرف ذلك للمرة الأولى شعر بالدّهشة ؛ ولا سيما بسبب كلفة الدراسة الجامعية المرتفعة. فقد تخيّل أن الطلاب سيطالبون بالاستحواذ على معظم وقت أساتذتهم ، ولم يتوقّع أن يقضوا عطلة أسبوعية من ثلاثة أيام .ومع ذلك ، فكّر في الأمر ملياً ، وخطر بباله أن الجدول الدراسي يناسب ربما كلاً من الطلاب والأساتذة في آن معاً .أفلا يريد جميع الناس في هذه الأيام أن يكون كل شيء سهلاً؟ وأن يبذلوا أقل جهد ممكن ؟ وأن يسلكوا طرقاً مختصرة للوصول إلى أهدافهم ؟

نعم .فهذا هو بالضبط ما يتعلمه الطلاب هنا في هذه الجامعة .فهم يتعلمون أن اتخاذ القرارات الصعبة ليس ضرورياً ، وأن اتخاذ الخيار الصحيح ليس مهماً ؛ ولا سيما إن كان يتطلب المزيد من الجد والعمل .لماذا ندرس أو نحاول تغيير العالم في أمسية الجمعة في الوقت الذي يمكننا فيه أن نمضي وقتنا بالمرح والاستمتاع بأشعة الشمس ؟!

راح ينقل بصره هنا وهناك ، متسائلاً عن عدد الطلاب الذين يفكرون حتى

في الحياة التي سيعيشونها في المستقبل .وتذكر أن كاسي كانت تفعل ذلك .فقد اعتادت أن تفكر في المستقبل ، وتُعدَّ الخطط له طوال الوقت ؛ وقد وضعت خريطة لمستقبلها منذ سن السابعة عشرة .ولكنه تذكّر كم بدت مترددة حيال الطريقة التي تتحدث بها عنه ، فتولد لديه شعور بأنها لم تكن تثق بنفسها حقاً أو بالطريقة التي ستواجه بها العالم .إذاً ، لماذا اتخذت القرارات التي اتخذتها ؟!

لقد حاول مساعدتها ؛ ففعل الشيء الصواب ، واحترم القانون ، وقدّم القارير إلى الشرطة .حتى إنه تحدث إلى مساعدة محامي المقاطعة .وحتى تلك اللحظة ، كان لا يزال يصدّق قواعد المجتمع ، ويلتزم بها .إذ كان متمسّكاً بتلك الفكرة الساذجة التي تقول إن الخير سينتصر على الشر ، وإن الخطر سيصبح تحت السيطرة ، وإن الأحداث ستسير في مسارها الطبيعي .فالقواعد تحمي الإنسان وتبقيه بأمان من الأذى .وقد كانت كاسي تفكّر بالطريقة ذاتها .فأياً يكن الأمر ، أليس هذا ما يتعلمه الأطفال في حداثتهم؟ إذاً ، لماذا يقول لهم الآباء تلك الأشياء التي يقولونها؟ انظر إلى كلا الاتجاهين قبل أن تعبر الشارع .لا تركب سيارة شخص غريب .نظّف أسنانك .تناول خضرواتك .ضع حزام الأمان. وتطول اللائحة إلى ما لا نهاية ...وتسرد قواعد لا حصر لها لتحمينا وتنقذنا من الخطر والمهالك والضياع.

ولكنه تعلّم أيضاً أن القواعد قد تكون خطيرة .فالقواعد تتعلق بالأشياء العامة وليس تلك المحددة .وبما أنه يجب على الناس اتباع القواعد منذ الطفولة ، فمن السهل بالنسبة إليهم اتباعها بشكل أعمى ، ووضع كل ثقتهم بالنظام .وهكذا ، يصبح من الأسهل حتى عدم القلق حيال الاحتمالات العشوائية .وهذا يعني أنه لا يتوجّب على الناس أن يفكروا في العواقب المحتملة

لسلوكهم .وعندما تكون الشمس مشرقة في عصر يوم الجمعة ، فبإمكانهم اللعب بالقرص الطائر من دون أن يأبهوا بأي شيء ممّا يدور حولهم في العالم.

إن التجربة هي أكثر أنواع المعلمين ألماً وقسوة .وطوال سنتين من الزمن ، كانت الدروس التي تعلّمها هي كل ما استطاع التفكير فيه ؛ فقد كادت تستهلكه ، ولكنّ الحقيقة بدأت تتضح له ببطء .ورغم أن كاسي أدركت معنى الخطر المحدق بها ، ورغم أنه حذّرها مما قد يحدث ، إلا أن كل ما كان يهمها هو اتباع القواعد ؛ لأنها وجدت أن ذلك هو الطريق الأسهل.

بعد أن تفقّد ساعته ، أدرك أن الوقت قد حان للمغادرة ، فأغلق كتابه ، ونهض من مكانه ، ولكنه تلكأ قليلاً ليرى إن لاحظ أحد ما حركته .غير أن أحداً لم يفعل ذلك .وعندئذ ، انطلق عبر المروج والكتاب تحت ذراعه .وفي جيبه ، كانت هناك رسالة مكتوبة .اتجه نحو صندوق البريد خارج مبنى العلوم مباشرة ، وأسقط المغلف عبر الفتحة ، ثم انتظر بضع دقائق ، وعندئذ لمح سيرينا خارجة من الباب في الموعد المحدد تماماً.

لقد بات يعرف الكثير عنها .ففي هذه الأيام ، يبدو أن جميع الشباب والفتيات لديهم حساب على كل مواقع التواصل الاجتماعي ؛ مثل فيسبوك وتويتر وإنستغرام وسناب شات ، كما صارت حياتهم معروضة لكل من يهتم لأمرهم ، ويرغب في تركيب قطع الأحجية ووصل الأمور ببعضها لمعرفة ما يحبونه ، ومن هم أصدقاؤهم ، وأين يقضون أوقاتهم .وقد عرف مُسبقاً من أحد منشوراتها على فيسبوك أنها هذا الأحد ستتناول فطوراً متأخراً في منزل والديها مع شقيقتها .تأمّلها وهي تسبقه ، وشعرها البني الداكن يتطاير حول كتفيها. ولاحظ مرة أخرى مدى جمالها .فقد كان هناك تألق طبيعي يحيط بها جذب

ابتسامات الإعجاب من الشبان الذين مرت بهم ؛ رغم أنها بدت غافلة عن ذلك فيما كانت مستغرقة في محادثة مع صديقة شقراء قصيرة القامة من صديقاتها في الجامعة تحضر معها حلقة بحث .كان يدرك أنها تريد أن تصبح معلمة مدرسة ابتدائية .أي تعدُّ الخطط لحياتها ؛ بالضبط كما فعلت كاسي في الماضي.

ظل يراقبها من مكانه والنشاط يدبّ في جسده بسبب القوة التي شعر بها بفضل حضورها ؛ القوة التي أمضى العامين المنصرمين وهو يقتصد في استهلاكها .لم تكن لديها أي فكرة عن مدى قربه منها ، أو ما يمكنه أن يفعله لها. فهي لم تفكر حتى بأن تلقي نظرة خاطفة من فوق كتفها .ولكن ، لمَ ينبغي لها أن تفعل ذلك؟ فهو نكرة بالنسبة إليها ، بل مجرد وجه عادي من بين العشرات والمئات من الوجوه التي تملأ الحشد.

تساءل إن كانت تُحدِّث الفتاة الشقراء عن خططها لقضاء عطلة نهاية الأسبوع ، وتثرثر عن أماكن تريد الذهاب إليها أو أشخاص تعتزم مقابلتهم .أما هو ، فقد كان يعتزم الانضمام إلى العائلة لتناول فطور متأخر يوم الأحد ، ولكن ليس كضيف .فبدلاً من ذلك ، قرّر أن يراقبهم من بيت قريب يقع في حي ينتمي إلى الطبقة الوسطى .وكان ذلك البيت فارغاً منذ شهر بعد أن خسره أصحابه بسبب الديون ، ولكنه لم يعرض للبيع بعد .ورغم أن الأقفال على الأبواب كانت متينة ، إلا أنه تمكن من الدخول عبر نافذة جانبية من دون أي مشقة أو عناء. وكان يعرف مسبقاً أنه يستطيع أن يرى من خلال نافذة غرفة النوم الرئيسة شرفتهم الخلفية ومطبخهم .وفي يوم الأحد ، كانت نيته أن يراقب عن كثب أفراد العائلة المجتمعين وهم يضحكون ويتسامرون حول مائدة الطعام على الشرفة.

لقد استطاع أن يعرف معلومات عن كل منهم :فالأب فيلكس سانشيز

يشكل مثالاً لقصة الهجرة الناجحة .ومقال الصحيفة المعروض في مطعمهم يتحدث عن قصة وصوله إلى البلاد بصورة غير شرعية أثناء مراهقته .في ذلك الحين ، لم يكن يعرف التفوه بكلمة إنكليزية واحدة ، ثم بدأ يعمل في غسل الصحون في أحد المطاعم المحلية .وبعد خمسة عشر عاماً أصبح مواطناً أمريكياً ، وكان قد ادخر ما يكفي من المال ليفتتح مطعمه الخاص في السوق التجارية ، واسمه" لا كوكينا دو لا فاميليا ،"وتعني بالإسبانية" :مطبخ العائلة" ؛ حيث يُقدِّم أطباقاً من وصفات زوجته كارمن .ففيما كانت تطبخ كان يؤدي كل الأعمال الأخرى ، ولا سيما في السنوات الأولى من العمل .وشيئاً فشيئاً توسع مطعمهما ، وبات الآن يُعتبَر أحد أفضل المطاعم المكسيكية في المدينة .ورغم أنه وظّف خمسة عشر موظفاً ، إلا أن العديد منهم كانوا من الأقارب ؛ وذلك ليحافظ على هوية المطعم العائلية .كان الوالدان لا يزالان يعملان هناك. واعتادت سيرينا أن تخدم الطاولات ثلاث مرات في الأسبوع ، كما كانت شقيقتها الكبرى ماريا تفعل في الماضي .وتمكن فيلكس من الحصول على عضوية في كل من غرفة التجارة ، ونادي الروتاري الخيري .وكان يذهب بصحبة زوجته إلى دار عبادة سانت ماري كل أحد عند الساعة السابعة صباحاً ويساعد رجل الدين. أما كارمن ، فقد ظلت تشكل له لغزاً محيراً .ولكنّ ما عرفه عنها هو أنها ما زالت تشعر بالراحة أكثر عند التحدث باللغة الإسبانية بدلاً من الإنكليزية ، وأنها تماماً مثل زوجها فخورة بابنتهما ماريا ؛ فهي أول خريجة جامعية في عائلتهما.

أما بالنسبة إلى ماريا...

فهو لم يرَها في ويلمنغتون بعد .إذ خرجت من المدينة لعدة أيام للمشاركة في مؤتمر قانوني ، ولكنه كان يعرفها أكثر من غيرها من أفراد عائلتها .ففي

الماضي ، عندما كانت تعيش في تشارلوت ، قابلها عدة مرات وتحدث إليها .وفي ذلك الحين ، حاول أن يقنعها بأنها مخطئة .وفي النهاية ، جعلته يعاني كما لا ينبغي لأحد أن يعاني ، فأصبح يكن لها كل الكره لما فعلته به.

عندما لوّحت سيرينا لصديقتها مودعة إيّاها وتوجهت نحو موقف السيارات ، تابع سيره .إذ لم يكن هناك أي سبب يدعوه للحاق بها .وشعر بالرضى لأنه سيرى العائلة الصغيرة السعيدة يوم الأحد ، وخاصة ماريا .كانت ماريا أجمل من أختها بشكل لا يدع مجالاً للجدال ؛ رغم تمتّع الأختين بجمال الخلقة بفضل عيونهما الداكنة وبنيتهما العظمية المثالية .حاول أن يتخيّلهما جالستين إلى الطاولة معاً .فرغم فارق السنوات السبع بينهما ، اعتاد الناس على الظن أنهما توأمان .ومع ذلك ، كانتا مختلفتين كل الاختلاف .فبينما كانت سيرينا منفتحة واجتماعية إلى حد كبير ، لطالما كانت ماريا أكثر هدوءاً وتحفظاً وأشد جدية واجتهاداً .وبالرغم من ذلك ، جمعت بينهما صداقة متينة ، بالإضافة إلى الأخوة .وخطر بباله أن سيرينا ربما لاحظت صفات في أختها أرادت أن تقلدها ، والعكس صحيح .فجأة ، شعر برعشة بسبب انفعاله عندما فكر في عطلة نهاية الأسبوع التالية ؛ لأنه كان يعلم أنها ستكون من بين المرات الأخيرة التي ستجتمع فيها العائلة في ما يشبه الحياة الطبيعية .وأراد أن يرى كيف سيتصرفون قبل أن يبدأ التوتر بالتأثير في حياتهم السعيدة ، وقبل أن يستولي الخوف عليهم ، وقبل أن تنساق حياتهم نحو الدمار الحتمي الذي لا مفر منه.

فقد أتى إلى هنا لغرض معين ، وذلك الغرض له اسم واحد.

وهو الانتقام.

الفصل الأول

كولين

وقف كولين هانكوك قرب المغسلة في حمام أحد المطاعم الصغيرة ، ورفع قميصه ليتمكن من تفحّص الكدمة على بطنه .وعندما شاهدها عن كثب ، توقّع أن تصبح داكنة قبل أن تتحول إلى لون أرجواني داكن بحلول الوقت الذي يستيقظ فيه في اليوم التالي .وجعله مجرد لمس الكدمة يجفل من شدة الألم. ورغم معرفته بحكم الخبرة أن الألم يمكن السيطرة عليه لبعض الوقت ، إلا أنه تساءل إن كان سيتألم في الصباح بمجرد أن يتنفس.

ومع ذلك ، وجهه مسألة أخرى...

فكّر في أنه قد يُسبّب مشكلة في نهاية المطاف ؛ ربما ليس له ولكن للآخرين .فمن المؤكد أن زملاءه في الكلية سيحدقون إليه بعيون مرعوبة ومفتوحة على اتساعها ، وسيتهامسون من خلف ظهره ؛ رغم أنه شك في أن أحداً منهم قد يجرؤ على سؤاله عما أصابه .فخلال الأسابيع القليلة الأولى في الجامعة ، بدا معظم زملائه في الصف لطفاء بما يكفي ، ولكن من الواضح أن أياً منهم لم يستطع فهم أي شيء عنه ، أو حاول أن يتحدث إليه .ولم يزعجه ذلك على الإطلاق .فقد كان معظم الطلبة أصغر منه بست سنوات أو سبع ، ومعظمهم من الفتيات .وبمرور الوقت ، أدرك أنهم كغيرهم ؛ سيتوصّلون إلى استنتاجاتهم الخاصة حوله عاجلاً أم آجلاً .وبصراحة ، لم يجد أن ذلك يستحق أن يشعر بأدنى قلق من أجله.

ومع ذلك ، توجّب عليه أن يعترف بأن مظهره بدا مرعباً في تلك اللحظة. فعينه اليسرى متورمة ، وبياضها استحال إلى لون أحمر .وكان هناك جرح ملتئم في وسط جبهته .وبدت الكدمة رصاصية اللون على خده الأيمن شبيهة بوحمة منذ ولادته .أما شفتاه المشققتان والمتورمتان ، فقد أكملتا الصورة الفظيعة .وما كان يحتاج إليه بالفعل هو أن يضع بعض قطع الثلج على وجهه في أسرع وقت ممكن ؛ إن أراد للفتيات في صفه التركيز على المحاضرة .ولكنّ الأولويات تأتي أولاً .فالآن ، شعر أنه يتضوّر جوعاً ، وأدرك أنه يحتاج إلى بعض الوقود .فهو لم يتناول إلا لقيمات قليلة خلال اليومين الماضيين .وأراد الآن الحصول على وجبة سريعة ومريحة .وإن كان ذلك ممكناً ، من دون أن تكون ضارة بالصحة. ولكن لسوء الحظ ، في هذا الوقت من اليوم ، كل الأماكن مغلقة .لذا ، انتهى به المطاف في مطعم صغير ورخيص بمحاذاة الطريق السريع ، فيه قضبان حديدية على النوافذ ، وبقع مياه على الجدران ، ومشمع متقشر على الأرض. ولكن ، إن كانت للمكان ميزة واحدة فقط ، فهي أن الزبائن الآخرين لم يهتمّوا بشكله عندما شق طريقه نحو الطاولة .فالناس الذين يأتون إلى مطاعم رخيصة كهذا في وقت متأخر من الليل بارعون في الاهتمام بشؤونهم الخاصة .وبالنسبة إليه ، بدا معظم الجالسين ثملين ، ويحاولون الصحو بعد ليلة طويلة من معاقرة الشراب ، بينما الآخرون بلا شك سائقون يحاولون الصحو من نعاسهم على حدّ سواء.

كان المطعم من نوع الأماكن التي يمكن للمرء فيها أن يتورط في المتاعب بسهولة .وبعد أن دخل طريقاً مكسوة بالحصى ، وصديقه إيفان يتبعه بسيارته من طراز تويوتا بروس ، توقّع من إيفان أن يمضي في طريقه قدماً.

ولكن، لا بد أن إيفان قد توقّع الشيء نفسه حول إمكانية تعرض صديقه للمتاعب، وكان ذلك هو السبب الوحيد الذي جعله يطأ مكاناً كهذا، ولا سيما في هذا الوقت من الليل .فمظهر إيفان لم يكن بالفعل ينتمي إلى حشد الليل المتأخر في مثل هذا المكان؛ بقميصه الزهري، وجوربيه اللذين طبعت عليهما أشكال مُعيّنات، وحذائه الجلدي، وشعره الأشقر المرتب .في الحقيقة، بدت سيارته التويوتا أشبه بلافتة مضيئة تعلن أن هدفه هو التعرض للضرب على أيدي الشبان الذين يقودون الشاحنات، والذين أمضوا ليلتهم برمتها في تناول الشرب.

فتح كولين الصنبور، وبلل يديه قبل أن يقرّبهما من وجهه، فوجد المياه باردة؛ بالضبط كما يريد .وشعر بجلده يتوهج كالنيران .فقد سدّد جندي البحرية إليه لكمات أقوى بكثير مما توقّع .ولكن، من كان سيتوقع ذلك من مجرد النظر إليه بمظهره الطويل والنحيل، وشعره الحليق من الطرفين مثل المارينز، وحاجبيه المشعثين...؟ !ما كان ينبغي له أن يستخف بقدرات ذلك الشاب .ووعد نفسه بأنه لن يدع ذلك يتكرر مرة أخرى .فإن لم يفعل ذلك، فسيرعب زملاءه في الجامعة طوال السنة الدراسية، وقد يُدمّر تجربتهم الجامعية برمتها .وتخيّل أحدهم يُحدّث أمه عبر الهاتف قائلاً :أمي !يوجد في صفي شاب مخيف للغاية .وجهه مليء بالكدمات، وجسده مغطى بالوشوم المجنونة، ويجب علي أن أجلس بجانبه!

نفض الماء عن يديه ثم غادر الحمام، فلاحظ وجود إيفان في زاوية الحجرة .على عكسه، كان إيفان ينسجم بشكل جيد في مجتمع الكلية .فهو لم يزل يتمتع بملامح طفولية بريئة .وبينما كان يقترب منه، تساءل كولين عن عدد

المرات في الأسبوع التي يتوجّب عليه فيها أن يحلق لحيته لتبدو بشرته ناعمة هكذا.

وعندما اقترب كولين من الطاولة ، علّق إيفان قائلاً" :لقد استغرقت وقتاً طويلاً ، فبدأت أتساءل إن كنت قد ضللت الطريق."

جلس كولين على الكرسي بترهل وقال" :آمل أنك لم تشعر بتوتر كبير هنا."

"كم هذا مضحك."!

"أود أن أطرح عليك سؤالاً."

"تفضّل."

"كم مرة في الأسبوع تحلق لحيتك ؟."

فجحظت عينا إيفان وقال" :لقد أمضيتَ في الحمام عشر دقائق ، وهذا كل ما استطعتَ التفكير فيه."!!

"لقد تساءلت عن الأمر بينما كنت أتّجه إلى الطاولة."

فحدّق إليه إيفان وقال" :إنّني أحلق صباح كل يوم."

"لماذا ؟."

"ما الذي تقصده من سؤالك ؟ أنا أحلق للسبب نفسه الذي تحلق أنت من أجله."

"ولكنني لا أحلق كل صباح."

"لماذا نتحدث عن هذا الأمر ؟."

فأجاب كولين" :لأنني شعرت بالفضول .لهذا السبب سألتك ، ثم أجبتَ عن سؤالي ."وتجاهل التعبير المرتسم على وجه إيفان ، ثم أومأ باتجاه لائحة الطعام وقال" :هل غيّرت رأيك وقررت أن تطلب شيئاً ما ؟."

فهز إيفان رأسه وقال" :هذا محال."

"ألن تأكل شيئاً ؟."

"كلا."

"هل تعاني من الارتجاع المريئي ؟."

"في الواقع ، لا .ولكن ، للأمر علاقة بأنني أظن أن آخر مرة خضع فيها هذا المطعم لفحص نظافة تعود إلى عهد الرئيس ريغن."

"إنه ليس سيئاً إلى هذا الحد."

"هل شاهدت الطاهي ؟."

ألقى كولين نظرة خاطفة على المشواة خلف الطاولة ، فوجد الطاهي يبدو بحالة مزرية وهو يرتدي مئزراً مبقعاً بالزيت لا يكاد يغطي بطنه الضخم ، وهناك وشوم ذيل حصان وغيرها تغطي معظم ذراعيه.

"تعجبني وشومه."

"يا لها من مفاجأة."!

"إنها الحقيقة."

"أعرف ذلك .فأنت دائماً تقول الحقيقة ، وهذا جزء من مشكلتك."

"ولماذا تعتبر قول الحقيقة مشكلة ؟."

"لأن الناس لا يريدون سماع الحقيقة دائماً .مثلاً ، عندما تسألك صديقتك إن كانت الملابس التي ترتديها تجعلها تبدو سمينة ، ينبغي لك أن تقول إنها تبدو جميلة."

"ليست لدي صديقة."

"وسبب هذا على الأرجح أنك أخبرت آخر صديقة لك بأنها تبدو سمينة من دون أن تضيف أنها جميلة."

"ليس هذا ما حدث."

"ومع ذلك ، أنت تفهم ما أقصده .ففي بعض الأحيان ، يجب عليك أن تعدّل الحقيقة قليلاً لتتماشى مع ما يريده الناس."

"لماذا ؟."

"لأن هذا ما يفعله الناس الطبيعيون .وهذه هي الطريقة التي يسير بها المجتمع .إذ لا يمكنك أن تخبر الناس بكل ما يخطر ببالك ؛ لأن هذا سيشعرهم بعدم الارتياح ، أو ربما سيجرح مشاعرهم .وكما تعرف حق المعرفة ، إن مديري الأعمال يكرهون هذا الأسلوب."

"حسناً."

"ألا تصدقني ؟."

"بل أصدقك."

"ولكنك لا تأبه لذلك."

"هذا صحيح."

"لأنك تفضِّل أن تقول الحقيقة."

"نعم."

"لماذا؟."

"لأن هذه هي الطريقة التي وجدت أنها تنجح معي."

التزم إيفان بالصمت للحظات ، ثم قال" :في بعض الأحيان ، أتمنى لو كنت أكثر شبهاً بك ؛ أي أن أخبر رئيسي في العمل برأيي الفعلي فيه من دون أن أهتم بعواقب ذلك."

"أنت تستطيع فعل ذلك ، ولكنك تختار ألا تفعله بملء إرادتك."

"لأنني أريد الحصول على راتبي."

"هذا مجرد عذر."

فهز إيفان كتفيه وقال" :ربما .ولكن ، هذه هي الطريقة التي وجدت أنها تنجح معي .ففي بعض الأحيان ، القليل من الكذب ضروري .على سبيل المثال ، لو قلت لك إنني رأيت مجموعة من الصراصير تحت الطاولة أثناء وجودك في الحمام ، فقد يراودك الشعور نفسه الذي أشعر به حيال تناول الطعام هنا."

"أنت تدرك أنه لا يجب عليك البقاء هنا ، أليس كذلك؟ سأكون على ما

يرام."

"هذا ما تقوله."

"يجب أن تقلق على نفسك وليس عليّ أنا .وبالإضافة إلى ذلك ، إن الوقت يتأخر .ألن تتوجّه إلى ريلييه مع ليلي غداً ؟."

"بلى ، سننطلق في وقت مبكر من الصباح .وسنحضر الاحتفال الديني مع والديَّ ، ثم سنتناول فطوراً متأخراً .ولكن على عكسك ، لن أعانيَ من أي صعوبات في النهوض من السرير في الصباح الباكر .بالمناسبة ، إنك تبدو بحال مريعة."

"هذا لطف منك."

"وخاصة عينك."

"لن تظل متورمة حتى الغد."

"بل عينك الأخرى .فأنا أظن أنك تسبّبت بانفجار بعض الأوعية الدموية فيها .إما هذا الاحتمال أو أنك تحوّلت إلى مصاص دماء حقيقي."

"لاحظت ذلك."

أسند إيفان ظهره على كرسيه ومدّ ذراعيه ثم قال" :أسدِ لي صنيعاً .هل أنت موافق؟ الزم البيت ، وابق مختبئاً من الجيران يوم غد .فأنا لا أحب أن يظنوا أنني أعاملك بقسوة لأنك تأخرت في دفع الإيجار أو ما شابه .ولا أريد أن تسوء سمعتي بين الجيران."

عندها ، ابتسم كولين .فقد كان وزنه يفوق وزن إيفان بثلاثين رطلاً تقريباً.

وكان يحبّ أن يمازحه بأنه إن خطا داخل الصالة الرياضية ولو لمرة واحدة فذلك على الأرجح لكي يُجري تدقيقاً للحسابات.

ثم قال كولين" :أعدك بأن أبقى بعيداً عن الأنظار."

"إن هذا مهم من أجل سمعتي وما شابه ذلك."

في تلك اللحظة فقط ، اقتربت النادلة ، ووضعت طبقاً مليئاً بالبيض المخفوق مع اللحم ، بالإضافة إلى زبدية كبيرة من الشوفان .وبينما راح كولين يقرّب الزبدية منه ، ألقى نظرة خاطفة نحو الفنجان الذي يضعه إيفان أمامه.

"ما الذي تشربه ؟."

"ماء حار مع عصير الليمون."

"هل أنت جاد ؟."!

"إن الوقت يتجاوز منتصف الليل .وإن تناولتُ القهوة فسيجافيني الكرى."

غرف كولين القليل من الشوفان ، ووضعه في فمه ، ثم ابتلعه وقال: "حسناً."

"ماذا ؟ !ألن تدلي بأية ملاحظة ساخرة ؟."

"إنني متفاجئ وحسب من أن لديهم ليموناً هنا."

"وأنا متفاجئ لأن لديهم بيضاً مخفوقاً .إنك على الأرجح الشخص الأول في التاريخ على الإطلاق الذي حاول أن يتناول وجبة صحية في هذا المكان ."ومد

يده إلى الماء وقال" :بالمناسبة ، ما الذي تنوي فعله غداً ؟."

"سيتوجب عليّ تغيير مفتاح الإشعال في سيارتي لأنه لا يعمل كما يجب. وبعد ذلك ، سأعمل على جز المرج ، ثم سأذهب إلى النادي الصحي."

"هل تريد أن ترافقنا ؟."

"تناول الفطور في وقت متأخر ليس من عاداتي."

"أنا لا أدعوك لتناول الفطور .فأنا أشك حتى في أنهم سيسمحون لك بالدخول إلى النادي الريفي وأنت على هذه الهيئة .ولكن ، يمكنك أن تقابل والديك أو أختيك في ريلييه .فهي تقع في الطريق إلى تشابل هيل."

"كلا."

"أردت أن أسألك وحسب."

غرف كولين ملء معلقة من الشوفان وقال" :لا تفعل."

استند إيفان على كرسيه وقال" :بالمناسبة ، لقد نشبت مباريات مصارعة رائعة الليلة .ولكن المباراة التي تلت مباراتك أنت كانت رائعة."

"حقاً."!

"ذلك الشاب المدعو جوني ريس صرع الشاب الآخر في الجولة الأولى ؛ كما لو أنه جذع خشب ، وناوره حتى قضى عليه .إنه يتحرك بخفة قط."

"وما الغرض من هذا الكلام ؟."

"إنه أفضل منك بكثير."

"حسناً."

راح إيفان ينقر بأصابعه على الطاولة ثم قال" :إذاً ...هل أنت موافق على نهاية المباراة هذه الليلة ؟."

"لقد انتهت."

انتظر إيفان قليلاً ثم قال" :وماذا بعد ؟."

"هذا كل ما في الأمر."

"ألا تزال تظنّ أن ما تقوم به فكرة جيدة ؟ أنت تعرف ما أعنيه"...

غير أنّ كولين تناول قطعة من البيض المقلي بشوكته وقال" :ما زلت معك هنا ، أليس كذلك ؟."

* * *

بعد نصف ساعة ، عاد كولين إلى الطريق الخارجي ، فوجد أن الغيوم التي ظلّت تُهدد بهبوب عاصفة قبل بضع ساعات قد استسلمت لتيار من الهواء والمطر يتخلله قصف الرعد ولمعان البرق .كان إيفان قد غادر المطعم قبل كولين ببضع دقائق .وعندما جلس كولين خلف مقود سيارته القديمة من طراز كامارو ، والتي أعاد صيانتها مراراً في السنوات القليلة الماضية ، وجد أفكاره تعود إلى صديقه.

كان قد تعرّف إلى صديقه منذ وقت طويل لا يستطيع أن يتذكر بدايته. فعندما كان كولين صغيراً ، اعتادت عائلته أن تقضي عطلة الصيف في كوخ على الشاطئ في منطقة رايتسفيل بيتش .وكانت عائلة إيفان تعيش في البيت

المجاور .وهكذا ، اعتادا أن يمضيا أياماً صيفية طويلة وهما يتنزهان على الشاطئ ، ويلعبان الغميضة ، ويصطادان السمك ، أو يركبان الأمواج ويتزلجان. وفي أغلب الأحيان ، اعتادا أن يُمضيا الليالي في بيت أحدهما ؛ إلى أن انتقلت عائلة إيفان إلى تشابل هيل ، بينما تدهورت أحوال كولين إلى درجة مأساوية.

لقد كانت حقائق حياته واضحة وبسيطة .فقد كان الطفل الثالث والابن الذكر الوحيد لوالدين ثريين لديهما ولع بتوظيف المربيات ، ولكن من دون الرغبة في إنجاب طفل ثالث .وقد اتّصف بكونه طفلاً يصاب بالمغص غالباً ، ويتمتع بطاقة جسدية عالية ، ويعاني من حالة مستعصية من مرض نقص الانتباه وفرط الحركة ؛ أي من نوع الأطفال الذين يعانون من نوبات غضب متكررة ، ويعجزون عن التركيز ، ويجدون صعوبة كبيرة في الجلوس بهدوء. وهكذا ، أثار جنون والديه في البيت ، وتسبّب في هرب المربيات الواحدة تلو أخرى ، وظل يعاني من أوقات عصيبة لا نهاية لها في المدرسة .وفي الصف الثالث ، كان معلمه رائعاً ، وقد جعل أوضاعه تتحسن لدرجة كبيرة .ولكن في الصف الرابع ، بدأ مستواه يتدهور مجدداً ، وراح يتورّط بعراك تلو آخر في ملعب المدرسة ، وكاد ذلك يتسبب بمنعه من الدخول إليها .وفي أثناء تلك الفترة ، صار يُعتبَر طفلاً يعاني من مشاكل نفسية خطيرة .وفي نهاية المطاف ، عجز والداه عن إيجاد أي حل يمكنهما اللجوء إليه ، فأرسلاه إلى مدرسة داخلية على أمل أن يُفيده نظامها الصارم .وكانت تجربته في السنة الأولى رهيبة ، فقد طُرِد من المدرسة في منتصف فصل الربيع.

ومن هناك ، تم إرساله إلى مدرسة عسكرية مختلفة في ولاية أخرى .وعلى مدى السنوات القليلة التالية ، عمد إلى التخلّص من طاقته في الرياضات القتالية

مثل المصارعة والملاكمة والجودو .وكان في أغلب الأحيان يصبّ مشاعره العدائية على الآخرين بحماسة كبيرة ؛ لمجرد رغبته بفعل ذلك .ولم يكن يأبه البتة حيال الدرجات العلمية أو الانضباط .وبعد تنقّله بين خمس مدارس داخلية مختلفة في وقت لاحق ، تخرّج من المدرسة شاباً عنيفاً ومتفجراً بالغضب ، ليست لديه أي خطط لحياته ، وليس مهتماً بالعثور على أي خطط. وعاد للإقامة في منزل والديه .تلت ذلك سبع سنوات سيئة ، شاهد فيها أمه وهي تبكي ، وأباه يتوسل إليه ليتغير ، ولكنه قابل كل ذلك بأذنين صماوين .وبعد إلحاح من والديه ، بدأ يتردد على معالج نفسي .ولكن حالته استمرت بالتدهور ، وعلق في دوامة لا نهاية لها ، هدفها الرئيس تدمير الذات ؛ وذلك بحسب قول المعالج ، وليس قوله ، رغم أنه الآن بات يتفق معه .وكلما طرده أبواه من المنزل الرئيس في ريلييه ، اقتحم بيت الشاطئ المخصص للعائلة ، وأمضى وقته فيه قبل أن يعود إلى البيت ، لتتكرر القصة مجدداً .وعندما بلغ كولين الخامسة والعشرين من عمره ، مُنِحَ فرصة أخيرة لإحداث تغيير في حياته .وبشكل غير متوقع ، فعل ما طُلب منه .والآن ، ها قد التحق بالجامعة ، ووضع لنفسه مخططاً يقضي بأن يُمضي العقود القليلة التالية في غرفة الصف ؛ على أمل أن يصبح معلماً للأطفال ، وهذا ما لم يكن يبدو منطقياً بالنسبة إلى معظم الناس.

أدرك كولين أن هناك تناقضاً يكمن في رغبته بإمضاء ما تبقى من حياته في المدرسة ؛ وهي المكان الذي لطالما كرهه ، ولكنّ هذا ما حدث .فهو لم يفكر في التناقض ، ولم يعد يفكر في الماضي بطبيعة الحال .وما كان ليفكر في أي من هذه الأمور لولا تعليق إيفان حول زيارته لعائلته في اليوم التالي .ما لم يستطع إيفان استيعابه هو ببساطة أن تواجده مع والديه في الغرفة نفسها مثير

للأعصاب بالنسبة إلى كولين وإليهما في آن معاً ؛ ولاسيما إن لم يتم التخطيط للزيارة مسبقاً بشكل مدروس .فلو دقّ على بابهما بشكل غير متوقع ، لجلسوا في غرفة المعيشة بعدم ارتياح ، محاولين العثور على أحاديث يتبادلونها ، بينما ذكريات الماضي تخنق الجو كما لو أنها غاز سام .ولشعر حينها بموجات من خيبة الأمل وإطلاق الأحكام تشعّ منهما ، وتَظهر في الكلمات التي يقولانها وتلك التي لا يقولانها .ومن يحتاج إلى ذلك؟ !لم يكن هو بحاجة إلى ذلك ولا هما أيضاً .وفي السنوات الثلاث الماضية ، حاول أن يجعل زياراته غير المتكررة مقتصرة على حوالي ساعة من الزمن ، وفي العطلات فقط .وبدا أن هذا الترتيب يناسب الجميع.

حاولت شقيقتاه الكبيرتان ريبيكا وآندريا أن تقنعاه بالتعويض على والديه عمّا فات ، ولكنه أنهى تلك المحادثات بالطريقة نفسها التي اعتمدها مع إيفان. فحياتهما مع والديهما كانت مختلفة عن حياته هو معهما .فقد كانتا مرغوبتين ، بينما شكّل هو خيبة أمل كبيرة لوالديه بعد سبع سنوات .لقد أدرك حسن نية أختيه ، ولكن لم يكن هناك شيء مشترك بينهم .فكلتاهما خريجتان جامعيتان ، وهما متزوجتان ولديهما أطفال ، وتعيشان في الحي الراقي الذي يعيش فيه والداهما ، وتلعبان كرة المضرب في عطلات نهاية الأسبوع .ورغم ذلك ، كلما كبر في السن أكثر توجّب عليه أن يعترف بأن الخيارات التي اتخذتاها في حياتيهما أكثر ذكاء من خياراته بكثير .ولكن ، لا يمكن إغفال حقيقة أنهما لم تعانيا في طفولتهما من مشاكل خطيرة كمشاكله.

أدرك أن والديه وأختيه أناس طيبون في الصميم .واستغرق الأمر منه سنوات من العلاج ليتقبل حقيقة أنه هو من يعاني من المشاكل وليس هم.

وهكذا ، لم يعد يلوم والده ووالدته على الأشياء التي حدثت له أو على ما فعلاه ، حتى إنه بدأ يعتبر نفسه ابناً محظوظاً لأنه يحظى بوالدين مثلهما صبورين بشكل مدهش .وما الخطأ إن تربى على أيدي المربيات ؟ !وما الخطأ إن استسلم والداه أخيراً وأرسلاه إلى مدارس داخلية ؟ فحين كان فعلاً بحاجة ماسّة إليهما لم يتخلّيا عنه .ففي حين أن الكثير من الأهالي الآخرين كانوا سيستسلمون للأمر الواقع ، لم يفقد والداه الأمل قط في أنه قادر على تغيير حياته.

لقد تحمّلا تصرفاته المشينة لسنوات طويلة .وقد كانت بالفعل تصرفات مشينة !فقد تحملا معاقرته الشراب ، وتدخينه الممنوعات ، والموسيقى الصاخبة التي كانت تصدح في أرجاء البيت في كل ساعات اليوم .كما تحمّلا أيضاً الحفلات التي اعتاد أن يقيمها كلما غادرا البيت ، والتي تترك البيت في حالة يرثى لها .وغضّا الطرف عن الشجارات التي كان يفتعلها ، والمرات العديدة التي تعرض فيها للاعتقال .ولم يُبلغا السلطات عندما اقتحم بيت الشاطئ ؛ رغم أنه ألحق ضرراً كبيراً بالمكان .وأخرجاه من السجن بكفالة مرات لا حصر لها ، ودفعا فواتيره .وقبل ثلاث سنوات ، عندما واجه كولين حكماً بالسجن لفترة طويلة بعد مشاجرة كبيرة تورط فيها ، تحرك والده ، وعقد صفقة لينظف له سجله الجنائي بالكامل ؛ هذا إن لم يفسد كولين الأمر برمته بكل تأكيد .وكجزء من عقوبته ، فُرض عليه أن يقضي أربعة أشهر في مركز في ولاية أريزونا يعمل على مساعدة المرضى على التخلص من الغضب الذي يشعرون به .وعندما عاد ، ولأن والديه ما كانا ليسمحا له بالمكوث في بيتهما ، اقتحم بيت الشاطئ الذي كان معروضاً للبيع في ذلك الوقت ، غير أن والديه لم يبلغا عنه .فبعد أن ضرب كولين رجلاً في أحد المقاهي ، طُلِب منه حينها أن يلتقي المحقق بِيْتْ مارغوليس من قسم

شرطة ويلمنغتون .إذ كان ذلك الرجل تحرياً سرياً لدى مارغوليس .ونتيجة لذلك ، أصبح مارغوليس يكره كولين كرهاً شديداً .وبعد أن جادل التحرّي كثيراً ضد الصفقة التي عقدها والد كولين مع الشرطة ، وافق أخيراً على القرار الذي اتُخذ ، غير أنه أصر على مراقبة كولين بشكل منتظم ؛ وكأنه ضابط قيد التجربة. وفي النهاية ، نص الاتفاق على أنه إن تم اعتقال كولين مجدداً لأي سبب كان ، فكل سجله الأساسي سيفتح مرة أخرى ، وسيُحكم عليه بشكل تلقائي بالسجن لمدة قد تصل إلى عقد من الزمن.

وعلى الرغم من تلك المتطلبات ، وعلى الرغم من اضطراره إلى التعامل مع مارغوليس الذي كان يتوق إلى وضع الأصفاد حول يديه ، وجد كولين هذه الصفقة رائعة ؛ حتى إنه لم يسعه تصديقها ، وكل ذلك بفضل أبيه ...حتى لو امتنع والده عن التحدث إليه في تلك الأيام ، وحتى لو منعه من أن يطأ البيت بقدمه مرة أخرى ؛ رغم أنه بدأ يلين مؤخراً في ما يتعلّق بهذا الأمر بالذات .وبعد أن تم طرده من البيت بشكل نهائي لدى عودته من أريزونا ، ومشاهدته المالكين الجدد وهم يحتلون بيت الشاطئ ، أُجبِر على إعادة تقييم حياته .فقد انتهى به المطاف بالمبيت في بيوت أصدقائه في ريلييه ؛ متنقلاً من كنبة إلى أخرى .وشيئاً فشيئاً ، استنتج أنه إن لم يغير حياته ، فسوف يقوده هذا الأمر إلى الدمار الذاتي لا محالة .فهذه البيئة لم تكن جيدة بالنسبة إليه ، ودائرة أصدقائه كانت خارجة عن السيطرة ؛ مثله تماماً .وعندما لم يستطع أن يفكر في أي مكان يذهب إليه ، قاد سيارته عائداً إلى ويلمنغتون ، وفاجأ نفسه بالظهور أمام باب بيت إيفان الذي كان يعيش هناك منذ تخرجه من جامعة نورث كارولاينا .فوجئ إيفان لدى رؤيته صديقه القديم .ورغم أنه بدا حذراً ومتوتراً أيضاً بعض الشيء ،

إلا أن إيفان ظل إيفان .ولم تكن لديه أية مشكلة في مكوث كولين في بيته لبعض الوقت.

استغرق الأمر منه بعض الوقت ليستعيد ثقة إيفان به مرة أخرى .فبحلول ذلك الوقت ، بات أسلوبا حياتيهما مختلفين تماماً .فقد كان إيفان مثل ريبيكا وآندريا ؛ فهو مواطن مسؤول ، وتجربته الوحيدة عن السجن هي ما يشاهده على شاشة التلفزيون .كما كان يعمل محاسباً ومخطّطاً مالياً ، وقد ساعده أسلوبه الحريص في شراء منزل يحتوي على شقة منفصلة في الطابق الأول ، ولها مدخل مستقل للمساعدة في تخفيض المدفوعات ؛ وهي شقة صادف أنها كانت فارغة عندما وصل كولين .لم يكن كولين ينوي البقاء لوقت طويل ، ولكن الظروف جرّت بعضها بعضاً .فعندما حصل على عمل كنادل في أحد المقاهي ، انتقل إلى الطابق السفلي بشكل نهائي .وبعد مضي ثلاث سنوات ، لا يزال يدفع الإيجار لأفضل صديق حصل عليه في هذا العالم.

حتى تلك اللحظة ، بقيت أموره تسير على ما يرام .فقد كان يجز العشب ، ويشذب الشجيرات ، ويدفع إيجاراً معقولاً مقابل ذلك .وهكذا ، بات يحظى بمنزله ومدخله الخاصين .ولكنّ وجود إيفان قربه كان له دور إيجابي .إذ كان ذلك بالضبط ما يحتاج إليه كولين في حياته في ذلك الوقت .فقد كان إيفان يرتدي بذلة ، ويضع ربطة عنق للذهاب إلى عمله ، ويحافظ على شقته المفروشة بكل ذوق وجمال شديدة النظافة .ولم يكن يشرب أكثر من كأسين في الليلة الواحدة .وكان ألطف شاب في العالم ؛ إذ تقبّل كولين بكل عيوبه وأخطائه. ولسبب ما لا يعلمه إلا الله وحده ، كان يثق بقدرات صديقه ، في الوقت الذي كان فيه كولين نفسه يدرك أنه لا يستحق ذلك.

وكانت ليلي خطيبة إيفان من الطينة ذاتها .ورغم عملها بالدعاية والإعلان وامتلاكها شقتها الخاصة التي تقع على الشاطئ ، والتي اشتراها لها والداها ، فقد اعتادت أن تمضي معظم وقتها في شقة إيفان ؛ بما يكفي لكي تصبح جزءاً مهماً من حياة كولين .استغرق الأمر من ليلي فترة من الزمن حتى ترتاح إليه .فعندما التقيا للمرة الأولى ، وجدت كولين يضع أقراطاً في كلتا أذنيه .وفي أول حديث تبادلاه ، حدّثها عن الشجار الذي وقع بينه وبين ذلك الشاب في ريلييه ، وكيف أن الشاب الآخر انتهى به الأمر في المستشفى .ظلت ليلي لبعض الوقت غير قادرة على فهم كيفية مصادقة إيفان لكولين .فقد كانت ليلي فتاة مؤدبة وأنيقة ، وكانت تستخدم في كلامها عبارات تعود إلى حقبة من الزمن الماضي ؛ كل ذلك بالإضافة إلى كونها أكثر فتاة مذهلة شاهدتها عينا كولين طوال حياته .ولا عجب في أن إيفان أصبح طوع بنانها في كل ما تريده .حينها ، فكر كولين في أن تلك الفتاة ذات الشعر الأشقر ، والعينين الزرقاوين ، واللهجة العذبة مثل العسل- حتى عندما تستشيط غضباً -هي آخر شخص قد يمنحه فرصة .ومع ذلك ، فقد فعلت .ومثل إيفان ، باتت في نهاية المطاف تثق بقدرات كولين .وكانت ليلي هي التي اقترحت عليه أن يبدأ بحضور محاضرات في الجامعة قبل سنتين ، وهي التي أعطته دروساً خصوصية في الأمسيات .وفي مناسبتين منفصلتين ، كان كل من ليلي وإيفان من منع كولين من التورط في خطأ فادح ربما كان سيودي به إلى السجن .وهكذا ، أحبها كولين لتلك الصفات ، بالضبط كما أحب العلاقة التي ربطت بينها وبين إيفان .وقرّر منذ وقت طويل أنه إن هدد أحد ما هذين الشخصين فسوف يتولى أمره بنفسه ؛ أياً تكن النتائج ، حتى لو كان ذلك يعني أنه سيتوجّب عليه أن يمضي بقية حياته خلف قضبان السجن.

ولكنّ كل الأمور الجيدة لا بد أن تصل إلى نهايتها .أليس هذا ما يقوله الناس؟ فالحياة التي عاشها طوال ثلاث سنوات أوشكت أن تتغير ، وذلك لأن إيفان وليلي أعلنا خطوبتهما وبدآ يخططان للزواج في فصل الربيع .وبينما أصر الاثنان على أن يستمرّ كولين بالعيش في الشقة في الطابق السفلي حتى بعد أن يتزوجا ، فقد أدرك أنهما أمضيا العطلة الأسبوعية الماضية وهما يبحثان عن شقق قريبة من شاطئ رايتسفيل فيها بيوت تتميز بالشرفات المزدوجة الشائعة في مدينة تشارلستون .وكانا كلاهما يريدان إنجاب الأطفال .ولم يعد لدى كولين شكّ في أنه خلال عام سيصبح بيت إيفان الحالي برسم البيع .وفي حال تم بيعه ، سيصبح كولين بمفرده مجدداً .ورغم أنه أدرك أنه ليس من الإنصاف أن يتوقع من إيفان وليلي أن يتحملا مسؤوليته ، إلا أنّه تساءل في بعض الأحيان عمّا إذا كانا يدركان أهمّيّتهما في حياته خلال السنوات القليلة الفائتة.

ففي هذه الليلة على سبيل المثال ، لم يطلب من إيفان أن يأتي لحضور مباراة المصارعة .فقد كانت تلك فكرة إيفان نفسه ، ولم يطلب من إيفان أن يجلس معه وهو يتناول طعامه ، ولكنّ إيفان فكر على الأرجح في أنه لو لم يفعل ذلك لانتهى المطاف بكولين متّجهاً إلى أحد المقاهي حيث سيتناول الشراب ثم سيتلقى الضربات لا محالة بدلاً من تناول فطوره عند منتصف الليل .ورغم أن كولين عمل نادلاً في أحد المقاهي ، إلا أن تواجده هناك كزبون لم يكن ناجحاً تماماً بالنسبة إليه في تلك الأيام.

وبعد أن ترك الطريق الخارجي أخيراً ، حوّل كولين مساره إلى طريق ريفي متعرّج تتشابك من فوقه أشجار البلوط الأحمر والصنوبر من كلا الجانبين .وقد أراد بذلك أن يختصر الطريق ، ليتجنّب سلسلة لا نهاية لها من إشارات المرور.

وكان البرق لا يزال يلمع ، محولاً الغيوم إلى لون فضي ، ومضيئاً المكان المحيط به بومضات بدت كما لو أنها قادمة من عالم آخر .واشتدّت الرياح والأمطار ، وباتت مسّاحتا السيارة بالكاد قادرتين على مسح الزجاج الأمامي للسيارة ، ولكنه كان يعرف هذا الطريق حق المعرفة .لذا ، انعطف بحرص عند أحد المنعطفات المظلمة ، قبل أن يدوس على المكابح تلقائياً بسرعة شديدة.

ففجأة ، شاهد أمامه سيارة متوقفة على الطريق في زاوية منحرفة ، فيما أضواء الخطر تومض فيها .وبدا صندوق السيارة مفتوحاً أمام عوامل الطبيعة. وبينما أبطأت سيارة الكامارو من سرعتها ، شعر كولين بمؤخر السيارة يتأرجح قليلاً، قبل أن تعاود الإطارات استعادة التوازن مجدداً .انحرف كولين إلى المسار المجاور ليمنح السيارة مساحة كافية ، وهو يفكر في أن ذلك الشخص قد اختار أسوأ يوم لتتعطل فيه سيارته .ولم تكن المشكلة تكمن في العاصفة التي تعيق الرؤية وحسب ، بل في الأشخاص الثمالى وزبائن المطعم الذين قد يبدأون بالانطلاق إلى بيوتهم في هذا الوقت .وراح يتخيل أحدهم وهو ينحرف عند هذا المنعطف بسرعة ويصطدم بمؤخر السيارة المعطلة.

وفكّر في أن هذا شيء لا يبشر بالخير ، بل تنبأ بحادث على وشك الوقوع ، ولكنه في الوقت نفسه فكر في أن الأمر ليس من شأنه .إذ لم يكن من واجبه أن ينقذ الغرباء .وعلى الأرجح ، ما كان بإمكانه أن يقدّم أية مساعدة في كل الأحوال حتى لو أراد ذلك .فقد كان يفهم في محرك سيارته فقط ؛ ولكنّ سبب ذلك فقط هو أن الكامارو أكبر سناً منه .أما المحركات الحديثة ، فهي بالنسبة إليه أشبه بأجهزة كمبيوتر منها بمحركات سيارات .وبالإضافة إلى ذلك ، لا بد أن السائق قد طلب المساعدة.

مضى بسيارته على مهل ، ومرّ بجانب السيارة المتوقفة ، فلاحظ أن الإطار الخلفي مثقوب .وخلف الصندوق ، شاهد امرأة مبللة ترتدي بنطال جينز وكنزة قصيرة الكمين .وشاهدها وهي تكابد لتنزع الإطار الاحتياطي من مكانه .فجأة ، لمع البرق بوميض بدا كفلاش الكاميرا ؛ مُظهِراً له لقطات أظهرت مدى سوء محنتها ، ووجهها الملطخ بمستحضرات التجميل .ومن بعيد ، أدرك أن شعرها الداكن وعينيها الواسعتين تذكره بإحدى الفتيات اللواتي يدرسن في صفه في الكلية.

فتاة !ما الذي يجعل أية فتاة تقع في ورطة في مكان ناءٍ كهذا!؟ لقد أدرك أنها زميلة له في صفه ، وأنه لا يمكنه أن يتظاهر بأنه لم يلاحظ ذلك .ورغم أنه لم يكن لديه وقت لها في الوقت الحاضر ، إلا أن لا خيار أمامه.

تنهّد وركن سيارته على جانب الطريق على بعد مسافة من سيارتها .وشغّل أضواء الطوارئ في سيارته ، ثم أخذ سترته الموضوعة على المقعد الخلفي ، فيما المطر لا يزال ينهمر بغزارة .وسرعان ما تبلل بعد أن ترجّل من السيارة كما لو أنه واقف تحت" دوش "الحمام .مرّر يده عبر شعره ، وأخذ نفساً عميقاً ، ثم مضى متوجهاً إلى سيارتها وهو يحسب السرعة التي يستطيع بها أن يغيّر إطار السيارة المثقوب ليعود إلى سيارته مجدداً ويتابع طريقه.

صاح قائلاً لها" :هل أنت بحاجة إلى مساعدة ؟."

ما أدهشه هو أنها لم تتفوه بكلمة ، بل بدلاً من ذلك ، راحت تحدق إليه بنظرات ملؤها الرهبة ، ثم تركت الإطار وبدأت تتراجع إلى الوراء ببطء.

الفصل الثاني

ماريا

في الماضي ، عندما كانت تعمل في مكتب محامي مقاطعة مكلينبرغ كاونتي ، اجتمعت ماريا سانشيز في غرفة المحكمة مع عدد لا حصر له من المجرمين .وقد وجّهت إلى عدد منهم تُهماً بارتكاب جرائم عنف قد يجعل مجرد التفكير فيها النوم يجافيها طوال الليل .وراودتها كوابيس عديدة عن تهديدات يوجّهها إليها أحد المختلين عقلياً .ولكنّ الحقيقة البسيطة هي أنها لم تشعر طيلة حياتها بخوف مماثل للخوف الذي شعرت به في تلك اللحظة ، وهي في ذلك المكان المنعزل المهجور ، عندما أتت السيارة التي يقودها ذلك الشاب ومرت بها على جانب الطريق.

لم يعد من المهم أنّها في الثامنة والعشرين من عمرها ، وأنّها تخرّجت من جامعة يو إن سي تشابل هيل بتفوق ، وأنّها التحقت بكلية الحقوق في جامعة ديوك ، وأنها باتت نجمة ساطعة في مكتب محامي المقاطعة قبل أن تعثر على وظيفة أخرى في إحدى أفضل شركات القانون في ويلمنغتون ، أو أنها لطالما نجحت في التحكم بمشاعرها .فحالما ترجل ذلك الشاب من السيارة ، ذهبت كل تلك الحقائق أدراج الرياح ، وباتت الحقيقة الوحيدة التي تستطيع التفكير فيها هي أنها شابة تائهة بمفردها في وسط المجهول .وفجأة ، أدركت أنها على وشك أن تموت هناك وحدها ، من دون أن يتمكن أحد من العثور على جثتها.

قبل لحظات ، عندما مرت سيارته ببطء قرب سيارتها ، شاهدته وهو يحدق إليها كما لو أنه يحاول تقييم وضعها .وكانت الفكرة الأولى التي خطرت ببالها عنه

هي أنه يضع قناعاً ما ؛ وهو ما كان أمراً مرعباً بما فيه الكفاية بالنسبة إليها ، ولكن أقل رعباً بكثير من إدراكها المفاجئ أن ما شاهدته في الحقيقة هو ملامح وجهه الفعلية .فقد بدا وجهه مليئاً بالكدمات على كلا الجانبين ، فيما إحدى عينيه متورمة ومغلقة والأخرى حمراء كالدم .وكانت متأكدة من أن هناك المزيد من الدماء تتقاطر من جبينه ، فلم يعد بوسعها أن تفعل أي شيء سوى كبح صراخها .ولكن لسبب ما ، لم يصدر عنها أي صوت .وتذكّرت أنها فكرت حالما مر بها :من فضلك ، امضِ قدماً في طريقك .أرجوك لا تتوقف.

ولكن ، من الواضح أن أمنيتها لم تتحقق .ما الذي سيمنع الآن من أن يكون مصيرها الموت في حفرة ما في وسط المجهول؟ لا شيء .وبدلاً من أن يحدث مرادها ، توقّف الشاب وركن سيارته .والآن ، رأت رجلاً ذا وجه مشوه يتوجه نحوها ببطء وكأنه بطل فيلم رخيص من أفلام الرعب ، أو كما لو أنه هارب للتو من السجن ؛ لأنه بدا مفتول العضلات بشكل واضح .أليس ذلك ما يفعله السجناء؟ ألا يرفعون الأثقال طوال الوقت؟ وبدت قصة شعره شبيهة بقصات الشعر العسكرية ؛ كما لو أنها علامة مميزة لإحدى عصابات السجن التي سمعت عنها .ولم يساعد قميصه القطني الأسود المتسخ ، ولا بنطال الجينز الممزق الذي يرتديه على تغيير الصورة .فالطريقة التي حمل بها سترته بحد ذاتها بثت الرعب في نفسها .لمَ لا يرتديها في هذه العاصفة!؟ ربما أراد أن يستخدمها ليخفي شيئاً ما.

هل يخفي سكيناً!؟

أو مسدساً؟ لا سمح الله!

أفلتت صرخة من حنجرتها ، وبدأت الخيارات تتسارع في عقلها وهي تحاول أن تكتشف ما يجب عليها فعله .أتلقي الإطار في وجهه؟ ولكنها لم تكن قادرة حتى على إخراج ذلك الشيء من الصندوق .أتصرخ طلباً للمساعدة؟ ولكن ، لا يوجد أحد بالقرب منها ؛ إذ لم تمر سيارة واحدة خلال الدقائق العشر الماضية .وقد وضعت هاتفها المحمول في مكان لا يعلمه إلا الله .ألم يكن ينبغي لها أن تحاول تغيير الإطار في المقام الأول؟ أتهرب؟ ربما ، ولكن الطريقة المتمهلة التي راح يتجه بها نحوها أوحت لها بأنه يستطيع الإمساك بها في لمح البصر .الشيء الوحيد الذي بقي بوسعها فعله هو أن تدخل السيارة وتقفل الباب ، ولكنه كاد يصل إليها ...ولم يعد هناك أي مجال لتجاهل الخطر المحدق بها.

"هل أنت بحاجة إلى المساعدة؟."

كان صوته هو ما جعلها تخرج من شرودها ، فتركت الإطار من يدها ، وبدأت تتراجع إلى الخلف محاولة التركيز على ترك مسافة بينها وبينه .لمع البرق مجدداً ، فلاحظت أن وجهه لا يحمل أي تعبير ، ما يوحي بأن هناك شيئاً جوهرياً ناقصاً في شخصيته ؛ أي ذلك الضمير الحيّ الذي يردع الإنسان عن قتل النساء واغتصابهن.

سألته بصوت مختنق" :ماذا تريد مني؟."

فأجابها قائلاً" :لا أريد منك شيئاً."

"إذاً ، ما الذي تفعله هنا؟."

"ظننت أنك ربما كنت بحاجة إلى مساعدة في تغيير الإطار."

فقالت" :إنني بخير .وأستطيع أن أتولى الأمر بنفسي."

عندها ، نقل بصره منها إلى الإطار المثقوب ، ثم عاود النظر إليها مجدداً وقال" :حسناً ، ليلة سعيدة ."!وبعد ذلك ، استدار إلى الخلف ، ومضى متوجهاً نحو سيارته .أتى رد فعله مفاجئاً وغير متوقع بشكل كبير ، لدرجة جعلتها للوهلة الأولى تشعر أنها مصعوقة .هل سيغادر فعلاً؟ لماذا سيغادر؟ شعرت أنها مسرورة لذلك ...في الواقع ، ابتهجت كل البهجة لمغادرته ...ومع ذلك....

قالت وهي تسمع نبرة الخوف الواضحة في صوتها" :إنني أعاني من مشكلة في إخراج الإطار من الصندوق."

عندها ، ارتد على عقبيه قبل أن يصل إلى سيارته وقال" :هذا ما يبدو لي." ثم مد يده إلى باب السيارة وشدّه ليفتحه وهم بالركوب فيها.

فصاحت فجأة" :انتظر."!

نظر إليها بعينين نصف مطبقتين فيما المطر ينهمر ، وقال" :لماذا؟."

هل قال لماذا؟ !لم تكن واثقة من أنها سمعته بشكل صحيح .فرغم أنها قالت له قبل قليل إنها ليست بحاجة إلى المساعدة ، إلا أنها كانت بحاجة إلى المساعدة فعلاً .وأدركت أنها لا تستطيع الاتصال بأحد .وبينما راحت أفكارها تتسارع وتضطرب في رأسها ، خرجت الكلمات من فمها بشكل لا إرادي.

فصاحت قائلة" :هل لديك هاتف؟."

عندها ، بدأ يقترب منها مجدداً ، ثم توقف عندما بات من الممكن سماع صوته من دون أن يصيح ، ولكنه لم يقترب أكثر من اللازم ، والحمد لله .وأجاب

قائلاً" :نعم."

نقلت وزنها من قدم إلى أخرى وهي تفكر :والآن ماذا؟ ثم قالت له" :لقد أضعت هاتفي .ربما لم أفقده حقاً ."وأدركت أنها تتلعثم، ولكن الطريقة التي ظل يحدق بها إليها جعلت توقّف الكلمات التي راحت تتدفق من فمها أمراً مستحيلاً، فاستدركت قائلة" :إنه ربّما في المكتب، أو ربّما تركته في بيت والدي .ولكنني لن أكون واثقة من مكانه إلى أن أتمكن من تعقبه بجهاز الكمبيوتر المحمول."

فقال لها" :حسناً ."ولم يضف أي شيء .وبدلاً من ذلك، وقف بلا حراك، وعيناه تنظران إليها بثبات.

"إنني أستخدم برنامجاً وتطبيقاً لتعقب الهاتف الضائع .وأستطيع تعقب هاتفي لأنه متزامن مع الكمبيوتر."

"حسناً."

"حسناً."!

"حسناً ماذا؟."

"هل يمكنني أن أستعير هاتفك لدقيقة؟ فأنا أريد أن أتصل بأختي."

فأجاب قائلاً" :بالتأكيد ."ودس الهاتف داخل جيب سترته وهو يقترب منها .وعلى الفور، اتخذت خطوة مرتدة إلى الخلف .وضع السترة على غطاء السيارة وأشار إليها.

تردّدت قليلاً، فهي لا تنكر أنها وجدته غريب الأطوار، ولكنها قدّرت له

صنيعه عندما تراجع إلى الخلف .أسرعت إلى السترة ، وعثرت على هاتفه داخلها ، ووجدت أنه مماثل لهاتفها .وعندما ضغطت على الزر ، أضيئت الشاشة. ولاحظت أن هاتفه يتلقى إشارة الاستقبال ، ولكنّ ذلك لن يخدمها ما لم...

غير أنه قال لها فجأة" :خمسة ، ستة ، ثمانية ، واحد."

"هل تعطيني رمزك السري ؟."

فعلّق قائلاً" :لا يمكنك الولوج إلى الهاتف من دونه."

"ألست قلقاً من إعطائه لامرأة غريبة عنك ؟."

"هل ستسرقين هاتفي ؟."

فحدقت إليه بذهول وقالت" :كلا ، بالطبع لا."

"إذاً ، أنا لست قلقاً."

لم تكن واثقة مما يجب عليها قوله .أدخلت الرمز بأصابع مرتجفة ، وطلبت رقم أختها .وعندما وصلت إلى الرنة الثالثة ، أدركت أنه سيتم تحويل مكالمتها إلى البريد الصوتي الخاص بأختها سيرينا .بذلت ماريا ما بوسعها لتخفي شعورها بالإحباط وهي تترك لها رسالة صوتية شارحة لها فيها ما حدث للسيارة ، وطالبة منها أن تأتي لتقلها بسيارتها .وبعد أن أنهت كلامها ، أعادت الهاتف إلى مكانه داخل السترة التي وضعها على السيارة ، ثم تراجعت خطوة إلى الوراء وهي تراقبه.

فسألها" :ألم تحصلي على رد ؟."

"إنها قادمة."

"حسناً ."وعندما لمع البرق مجدداً ، أشار إلى مؤخر سيارتها قائلاً" :بينما تنتظرينها ، هل تريدين مني أن أغير لك الإطار ؟."

فتحت فمها لتجدد رفضها مساعدته ، غير أنها بدأت تتساءل عن الوقت الذي ستتلقى فيه سيرينا الرسالة ؛ هذا إن تلقّتها فعلاً .وتذكرت أنها لم تُقدِم في حياتها قطّ على تغيير إطار سيارة .وبدلاً من أن تجيب عن سؤاله ، أطلقت نفساً محاولة أن تخفف من حدة الارتجاف في صوتها ، ثم سألته" :هل يمكنني أن أطرح عليك سؤالاً ؟."

"نعم."

"ماذا ...ماذا حدث لوجهك ؟."

"كنت أخوض مباراة مصارعة."

انتظرت بضع ثوانٍ قبل أن تدرك أنه لن يضيف أي معلومات أخرى .أهذا كل ما في الأمر ؟ !ألن يقدّم معلومات إضافية ؟ بدا أسلوبه غاية في الغرابة ، ولم تستطع أن تحدد ما يمكنها فهمه منه .وبينما هو واقف في مكانه بانتظار جواب واضح منها على سؤاله السابق ، ألقت نظرة خاطفة على صندوق السيارة وهي تتمنى لو أنها بالفعل تستطيع أن تغير الإطار بنفسها.

وأخيراً أجابت" :نعم .إن لم تكن تمانع ، فأنا أود أن أحصل على بعض المساعدة في تغيير الإطار."

عندها ، أومأ برأسه وقال" :حسناً ."ثم شاهدته وهو يمد يده إلى السترة الموضوعة على السيارة ، ويأخذ منها الهاتف ويضعه في جيبه مجدداً ، قبل أن يرتدي السترة ويقول" :إنك خائفة مني."

"ماذا ؟."

"إنّك خائفة من أن أُلحِق بك الأذى ."وعندما لم تتفوه بكلمة ، تابع كلامه قائلاً" :لن أفعل .ولكن ، إن أردت أن تُصدّقي ذلك أم لا ، فهذا الأمر عائد لك."

"لماذا تقول لي هذا ؟."

"لأنني حين سأغيّر إطار سيارتك سأقترب من صندوق السيارة ، وهذا يعني أنني سأقترب منك أيضاً."

فكذبت قائلة" :لست خائفة منك."

"حسناً."

"لست كذلك."

فكرّر كلامه قائلاً" :حسناً ،"ثم توجّه نحوها .شعرت بشيء يعتصر قلبها وهي تراه يمرّ على بعد ذراع منها .وشعرت بالحماقة عندما مضى بجانبها من دون أن يبطئ من سرعته .عمل على فكّ بعض البراغي ، ثم رفع الإطار الاحتياطي من مكانه ووضعه جانباً ، وأخيراً توارى خلف الصندوق مجدداً ليُحضر الرافعة.

قال" :يجب على أحدنا أن ينقل سيارتك إلى الطريق .إذ يجب تعديل وقفتها قبل أن أضع الرافعة ، وإلا فقد تنزلق."

"ولكنّ هناك عجلة مثقوبة."

ألقى نظرة خاطفة من الجانب فيما الرافعة بيده ثم قال" :لن يضرّ هذا السيارة .لذا ، افعلي هذا ببطء وحسب."

"ولكنها ستسد معظم الطريق."

"إنها تسد نصف الطريق منذ الآن."

كانت لديه وجهة نظر منطقية هنا ، ولكن...

ولكن ، ماذا إن كان هذا جزءاً من مخططه ؟ أي أن يشتّت انتباهها نوعاً ما ؟ وأن يجبرها على إدارة ظهرها له ؟

أيعقل أن يضع خطة تتضمن سماحه لي باستخدام هاتفه ؟ ثم رفعه الإطار الاحتياطي من الصندوق ؟ !وأدركت تفاهة الفكرة.

صعدت إلى السيارة وهي تشعر بالانزعاج والخجل من نفسها ، وشغّلت المحرك ، ثم بدأت تحرك السيارة ببطء وثبات لتعيدها إلى الطريق بعد أن رفعت مكابح الطوارئ .وبحلول الوقت الذي فتحت فيه الباب ، شاهدته وهو يدحرج الإطار الاحتياطي نحو الإطار الخلفي ومفتاح الربط بيده.

وقال" :يمكنك البقاء في السيارة إن أردت ذلك ؛ إذ لن يستغرق هذا وقتاً طويلاً."

راحت تقلّب الأمر في ذهنها قبل أن تُغلِق الباب .ثم أمضت الدقائق القليلة التالية وهي تشاهده عبر مرآة الرؤية الجانبية وهو مستمر في فكّ البراغي قبل أن يضع الرافعة في مكانها .وبعد لحظة ، استطاعت أن تشعر بالسيارة وهي ترتفع عن الأرض قليلاً .راقبته فيما كان ينزع براغي الإطار ثم يخرجه من مكانه ، فيما العاصفة تزداد شدة ، والمطر ينهمر بغزارة كالسيل .وضع الإطار الاحتياطي في مكانه بسرعة ، ثم عاود تثبيت البراغي .وما هي إلا لحظات حتى انخفضت السيارة مجدداً .وضع الإطار المثقوب مكان الإطار الاحتياطي في صندوق

السيارة ، إلى جانب الرافعة ومفتاح الربط ، وتأمّلته فيما كان يُغلق الغطاء بهدوء .وهكذا ببساطة انتهى كل شيء .ومع ذلك ، أجفلت بعض الشيء عندما نقر على النافذة ، فأنزلت الزجاج بينما بدأ المطر يتسرب إلى الداخل عبر النافذة المفتوحة .نظرت إلى وجهه الذي يخيم عليه الظلام ، ووجدت أنه من المستحيل بالنسبة إليها تقريباً رؤية أي شيء بخلاف الكدمات والتورم والعين الحمراء كالدم.

صاح ليطغى صوته على صوت الرياح وقال لها" :بإمكانك الذهاب الآن. ولكن ، ينبغي لك على الأرجح أن تعملي على إصلاح الإطار أو تبديله في أسرع وقت .إذ لا ينبغي استخدام الإطار الاحتياطي بشكل دائم."

أومأت برأسها ، ولكن قبل أن تتمكن من شكره ، أدار لها ظهره ، وبدأ يهرول متّجهاً إلى سيارته .ثم فتح باب سيارته بعنف وجلس خلف المقود .وما هي إلا لحظات حتى سمعت صوت هدير المحرك .وبعد ذلك ، وقبل أن تدرك ما جرى ، وجدت نفسها بمفردها على الطريق مجدداً ؛ غير أنها الآن جالسة في سيارتها التي صار بإمكانها أن توصلها إلى البيت.

* * *

قالت سيرينا وهي ترتشف عصير البرتقال" :سمعت رنين الهاتف ، ولكنني لم أميّز الرقم ، لذا تركته يحوِّل المكالمة إلى البريد الصوتي ."في تلك الأثناء ، كانت ماريا جالسة إلى جانب أختها على الشرفة الخلفية وهي تمسك فنجان قهوة بين يديها ، فيما شمس الصباح تبعث الدفء في الجو .وتابعت سيرينا كلامها قائلة" :آسفة بشأن ذلك."

"حسناً ، في المرة القادمة ، أرجو أن تقومي بمجرد الرد على المكالمة ، هل اتفقنا ؟."

فابتسمت سيرينا وقالت" :لا أستطيع أن أفعل هذا .فربما كان المتصل شخصاً مهووساً يحاول الوصول إليّ."!

"تلك هي المشكلة !فقد كنتُ مع ذلك الرجل المهووس ، وكنتُ بحاجة إليك لكي تنقذيني."

"لا يبدو لي الأمر كذلك ، بل أعتقد أنه رجل لطيف."

فما كان من ماريا إلا أن حدّجتها بنظرة غضب من فوق فنجان قهوتها وقالت" :أنت تقولين هذا لأنك لم تريه بعينيك ، صدقيني .فقد شاهدتُ العديد من الرجال المرعبين في حياتي ، ومظهر ذلك الرجل يتجاوز حدود الرعب."

"لقد أخبرك أنه كان يخوض مباراة مصارعة"...

"وهذا هو بيت القصيد .فمن الواضح أنه رجل عنيف."

"ولكنه لم يُظهر أي درجة من درجات العنف معك أنت .فقد قلت بنفسك إنه لم يقترب منك في البداية .وبعد ذلك ، سمح لك باستعارة هاتفه المحمول ، ثم غيّر إطار سيارتك ، وأخيراً عاد إلى سيارته وانطلق بها مبتعداً."

"إنّك تفوّتين المقصد المهم في ما قلته."

"أي مقصد؟ أتعنين أنه لا ينبغي لك أن تحكمي على الكتاب بمجرد النظر إلى غلافه ؟."

"إنني جادة في ما أقوله."!

عندها ، ضحكت سيرينا وقالت" :يا للروعة !هناك شخص متأثر !أنت تدركين أنني أحاول المزاح معك وحسب .فلو أنني وقعت في ورطتك نفسها ، لبلّلت ملابسي من شدة الرعب .سيارة معطلة ، وطريق مهجور !ولا يوجد هاتف معي ، وهناك دماء على وجه أحد الغرباء !إنها أحداث لا تتواجد حتى في أسوأ كوابيس أي فتاة."

"بالضبط."!

"هل عثرت على هاتفك ؟."

"إنه في المكتب .وعلى الأرجح ، لا يزال على طاولتي."

"أتعنين أنه لا يزال هناك منذ يوم الجمعة ؟ !ألم تنتبهي إلى أنه ليس معك إلى أن حلت ليلة السبت ؟."

"وماذا في ذلك ؟."

"أظن أنك لا تتلقين الكثير من الاتصالات ، أليس كذلك ؟."

"كم هذا مضحك."!

فهزّت سيرينا رأسها ، ثم مدت يدها إلى هاتفها وقالت" :أما أنا فلا أستطيع العيش من دون هاتفي كما تعرفين تماماً ."والتقطت بسرعة صورة لماريا.

"لماذا التقطت هذه الصورة ؟."

"لأنشرها على موقع إنستغرام."

"هل أنت جادة ؟."!

ولكنّ سيرينا انهمكت بالنقر على شاشة هاتفها ثم قالت" :لا تقلقي، سيكون الأمر مسلياً ."وبعد ذلك، أرتها الصورة والتعليق تحتها الذي يقول: ماريا بعد نجاتها من كابوس في الشارع المظلم.

"لن تنشري هذا الكلام، أليس كذلك؟."

فغمزتها سيرينا وقالت" :بل نشرته وانتهى الأمر."

"ينبغي أن تكفّي عن نشر معلومات عني .إنني جادة !ماذا إن رآها أحد زبائني؟."

فهزت سيرينا كتفيها وقالت" :إذاً، يمكنك أن تلقي باللوم علي. بالمناسبة، أين بابا؟."

أجابت ماريا" :لا يزال ينزِّه كوبو ."وكوبو كلبة صغيرة يغلب عليها اللون الأبيض .فبعد أن انتقلت سيرينا إلى مهاجع الطلاب، عادت مع ماريا إلى البيت في إحدى المناسبات، واكتشفتا أن والديهما قد اشتريا كلبة .والآن، باتت كوبو ترافق والديهما إلى كل مكان يقصدانه؛ إلى المطعم، والمكتب حيث تحظى بسريرها الخاص، حتى إنها كانت ترافقهما إلى المتجر، وإلى المحاسب .وهكذا، باتت كوبو تحظى بكمّ من التدليل لم تحظَ به أيٌّ من الفتاتين يوماً.

تمتمت سيرينا قائلة" :ما زلت لا أستطيع أن أتخيل ذلك .إنهما يعشقان تلك الكلبة."!

"أتظنين ذلك؟."

"هل لاحظت ذلك الطوق المصنوع من الألماس المزيف الذي اشترته لها

ماما ؟ كدت أفغر فمي حين رأيته."

"كوني لطيفة."

فقالت سيرينا" :إنني لطيفة فعلاً !ولكنني لم أتخيل وحسب أنهما قد يقتنيان كلبة في المقام الأول .فنحن لم نشترِ أي كلب في طفولتنا ، ولطالما توسلت إليهما لسنوات للسماح لي بالحصول على واحد .حتى إنني وعدتهما بأن أتولى العناية به."

"ربما امتنعا عن الاستجابة لتوسّلاتك لأنهما أدركا أنك لن تقومي بذلك."

"ربما لم أحصل على أعلى الدرجات في دراستي وألتحق بالكلية مثلك عندما كنت في السابعة عشرة من عمري ، ولكنني واثقة تماماً من أنني أستطيع العناية بكلب .وأعلمُكِ أنني أسعى إلى الحصول على منحة تشارلز ألكسندر الدراسية للسنة المقبلة."

عندها ، رفعت ماريا حاجبها بريبة وقالت" :حقاً."!

"إنني جادة .هذه منحة للدراسة ثنائية اللغة .لقد ملأت الطلب ، وكتبت مقالاً ، وحصلت على توصيات من اثنين من الأساتذة ...إنها مموّلة من قبل مؤسسة خاصة .ولديّ مقابلة مع رئيس المجلس يوم السبت القادم ."ثم شبكت ذراعيها أمام صدرها بفخر.

"يا للروعة."!

"ولكن ، لا تخبري بابا .فأنا أريد أن أفاجئه."

"سيبتهج كثيراً إن فزتِ بالمنحة."

"أعرف هذا .فكّري وحسب بعدد الأطواق التي سيصبح بوسعهما شراؤها لكوبو إن لم يعد والدي مضطراً إلى دفع أقساط جامعتي."

فضحكت ماريا .سمعتا صوت أمهما وهي تدندن لنفسها في المطبخ، وشمّتا رائحة الطعام الشهية التي تسللت عبر النافذة المفتوحة.

تابعت سيرينا قائلة" :ولكن على أية حال، لنعد إلى موضوع الليلة الماضية .أين كنت حتى ذلك الوقت المتأخر؟ إنه يتجاوز وقت نومك المعتاد."

فما كان من ماريا إلا أن عبست في وجه أختها وقالت" :في الواقع، كنت في موعد خاص."

"هذا محال."!

"ما الأمر المهم في الموضوع؟."

"لا شيء .فقد بدأت أظن أنك اتخذت قرارك بالبقاء عزباء."

"ما الذي يجعلك تقولين هذا؟."

"حسناً، هل نسيت مع من أتكلم؟."

"إنني أخرج."

"ربما تخرجين لركوب لوح التزلج، ولكنك لا تخرجين ليلاً .وبدلاً من ذلك، أنت تعملين وتقرئين وتشاهدين برامج التلفزيون الرديئة .حتى إنك ما عدت تخرجين للرقص بعد الآن؛ رغم أنك كنت تحبين ذلك كثيراً .وقد حاولت كثيراً أن أقنعك بمرافقتي إلى المستودع حيث تقام سهرات رقص السالسا، ولكن من دون جدوى .أتتذكرين؟."

"حسبما أتذكر ، قلت لي إن هناك الكثير من الشبان الغريبين في ذلك المكان."

"ولكنني أمضيت وقتاً ممتعاً جداً هناك .رغم أنني على عكسك ، سيئة جداً في الرقص."

"ليس جميع الناس طلبة في الكلية ولديهم دروس تبدأ عند الظهر وإجازات يوم الجمعة .فبعضنا لديهم مسؤوليات."

قالت سيرينا" :نعم ، نعم ، لقد سمعت هذا من قبل ."ولوّحت بيدها وقالت" :أظن أن الحظ لم يحالفك في موعدك ، أليس كذلك ؟."

عندها ، ألقت ماريا نظرة خاطفة من فوق كتفها نحو النافذة شبه المفتوحة لتتأكد من أن أمها لا تصغي إليهما.

فأشاحت سيرينا بوجهها وقالت" :إنك امرأة راشدة ، وليس عليك أن تخفي حياتك الاجتماعية عن أمك وأبيك بعد الآن."

"حسناً ، نعم .لطالما كنا مختلفتين عن بعضنا من هذه الناحية."

"ماذا ؟ هل تظنين أنني أخبرهما كل شيء ؟."!

"آمل أنك لا تفعلين."

فكتمت سيرينا ضحكتها وقالت" :آسفة لأن موعدك لم يسر على ما يرام."

"كيف تعرفين ؟ ربما نجح."

فأجابت سيرينا وهي تهز رأسها" :لا أظن ذلك .وإلا لما عدت إلى البيت

بمفردك."

فكرت ماريا في سرّها في أن سيرينا لطالما كانت سريعة البديهة ، والأكثر من ذلك أنها كانت موهوبة بفطنة حيرت ماريا في بعض الأحيان.

أضافت سيرينا قائلة" :مرحباً ، نحن هنا !كنت أسألك عن موعدك."

"لا أظن أنه سيتصل ب.ي مجدداً."

تظاهرت سيرينا بالتعاطف مع أختها رغم أن شعورها بالنقد بدا واضحاً ، ثم سألتها" :لماذا ؟ هل أخذت كمبيوترك وانهمكت بالعمل طوال الوقت ؟."

"كلا .لست أنا السبب .فقد كان الوضع وحسب ...سيئاً."

"تحدّثي إليّ يا أختي الكبرى .أخبريني بكلّ ما جرى."

تفحّصت ماريا الباحة الخلفية ، مدركةً أن سيرينا هي الشخص الوحيد في العالم الذي تستطيع فعلاً التحدث إليه ، ثم قالت" :ليس هناك بالفعل الكثير مما يمكن التحدث عنه .في البداية ، لم أكن أخطط للخروج في موعد في المقام الأول"...

فقاطعتها سيرينا قائلة" :حقاً !أنت."!

"هل تريدين أن تسمعي بما جرى أم لا ؟."

فابتسمت سيرينا ابتسامة عريضة وقالت" :إنني مخطئة .أكملي حديثك."

"إنك تتذكرين جيل ، أليس كذلك ؟ صديقتي من العمل ؟."

"أتعنين تلك المرأة المرحة وشديدة الذكاء التي تكاد تبلغ الأربعين وتبدو

متلهفة للزواج؟ تلك التي أتت لتناول الفطور، والتقطت كوبو عن الأرض، وكادت تسبب لوالدي نوبة قلبية؟."

"نعم."

"كلا، لا أتذكرها."

فقالت ماريا" :على أية حال، كنا نتناول الغداء معاً قبل بضعة أيام، وأقنعتني بأن أنضم إليها وإلى صديقها بول لتناول العشاء بعد أن أعود من المؤتمر .ولكن، اتضح لي أنهما قاما بدعوة أحد أصدقاء بول من العمل لينضم إلينا و"...

"انتظري قليلاً .هل كان الشاب وسيماً؟."

"من المؤكد أنه وسيم، ولكن المشكلة تكمن في شدة إحساسه بوسامته. فقد كان فظاً ومغروراً، وراح يغازل النادلة طوال تلك الليلة .وأظن أنه أخذ رقم هاتفها أثناء فترة جلوسي معه."

"يا له من سلوك راقٍ."!

"تأذّت مشاعر جيل بقدر مشاعري أنا .ولكن الغريب في الأمر هو أنني لست واثقة حتى من أن بول قد لاحظ أي شيء .ربما كان الشراب هو السبب، أو أياً يكن، ولكنه ظل يقول إننا نحن الأربعة ينبغي أن نتوجه للسهر في أحد النوادي، وإنه مسرور لأننا اتفقنا معاً، وإنه توقع أن نكون مثاليين لبعضنا بعضاً .وهذا غريب؛ لأنه عادة ليس كذلك .فعادة، كان يلتزم الصمت بينما أتبادل الحديث مع جيل."

"ربما كان معجباً بصديقه وحسب ، أو ربما ظنّ أنك وصديقه ستنجبان أطفالاً جميلين ، وقد تسميان أحدهم على اسمه."

فضحكت ماريا رغماً عنها وقالت" :ربما .ولكن على أية حال ، لا أظن أنني من النوع المناسب له .فأنا واثقة من أنه سيشعر براحة أكبر مع فتاة أكثر"...

وعندما سكتت ماريا ، أنهت سيرينا جملتها قائلة" :غباء ؟."

"بل أظن أنها يجب أن تكون شقراء أكثر ؛ تماماً مثل تلك النادلة."

"نعم ، حسناً .لا بد أنك تعرفين حق المعرفة أن هذا لطالما شكّل جزءاً من مشكلتك في ما يتعلق بالشبان .فأنت متقدة الذكاء ، وهذا يخيفهم بعض الشيء."

"ليس كل الشبان .فقد ظللت ولويس مع بعضنا بعضاً لسنتين."

عندها قالت سيرينا" :كنتما معاً ، وهذا يدل على الماضي .ورغم شدة وسامته ، إلا أن هذا لا يمنع أنه كان فاشلاً كبيراً."

"لم يكن سيئاً إلى هذه الدرجة."

"لا تبدئي الآن بالحنين إلى كل تلك الأشياء الجيدة فيه .فأنت ما كنت ستحظين بمستقبل واعد بصحبته ، وأنت تدركين ذلك جيداً."

عندها ، أومأت ماريا برأسها مدركة أنّ سيرينا محقة .ورغم أنها شعرت للحظات بالقليل من الحنين إلى تلك الأيام ، إلا أنها أغلقت الموضوع فوراً قائلة: "حسناً ، نحن نعيش ونتعلم."

"إنني مسرورة لأنك قررت أن تواعدي الشبان مجدداً."

"لستُ أنا التي قررتُ ذلك ، بل جيل وبول هما اللذان اتخذا القرار بالنيابة عني."

"أياً يكن ، يجب عليك أن تكوني"...

وبينما راحت سيرينا تبحث عن الكلمات المناسبة ، اقترحت ماريا" :أكثر شبهاً بك ؟."

"ولمَ لا؟ يجب أن تخرجي وتستمتعي بالحياة وتتعرفي على أصدقاء جدد. فهذا أفضل من العمل طوال الوقت."

"وما أدراك ؟ فأنت لا تعملين سوى بضع مناوبات في الأسبوع فقط."

"هذا هو ما أقصده .فأنا أقوم بمجرد الافتراض بناء على افتقار حياتك إلى الحياة الاجتماعية."

"صدّقي أو لا تصدقي ، فأنا حقاً أحب العمل."

عندها قالت سيرينا" :سأحرص على كتابة هذا الكلام على شاهدة قبرك. على أية حال ، كيف تسير أمور العمل ؟."

فتحرّكت ماريا على مقعدها وهي تتساءل عمّا يجب عليها قوله ، وأخيراً قالت" :إنه على ما يرام."

"لقد قلت للتوّ إنك تحبينه."

"أحبه ، ولكن"...

"دعيني أخمّن ...المؤتمر ، أليس كذلك؟ ذلك الذي خرجت إليه مع

مديرك ؟ ."فأومأت ماريا برأسها ، فيما تابعت سيرينا كلامها قائلة" :هل كان مريعاً كما ظننت ؟."

"ليس مريعاً تماماً ، ولكن"...

"هل ضايقك ذلك الرجل بشيء ما ؟."

فاعترفت ماريا قائلة" :نوعاً ما .ولكنه ليس شيئاً لا أستطيع تولي أمره."

"أليس ذلك الرجل متزوجاً وأباً لثلاثة أطفال ؟."

"إنه كذلك."

"إذاً ، ينبغي لك أن تأمريه بالابتعاد عنك .هدّديه بأنك ستتهمينه بالتحرش بك أو ما شابه."

"إن الأمر أكثر تعقيداً من ذلك .وبالنسبة إلى الوقت الحاضر ، على الأرجح من الأفضل أن أحاول تجاهل الأمر ليس إلا ."وعندما بدأت ابتسامة ساخرة ترتسم على شفتي سيرينا ، تابعت ماريا قائلة" :ماذا ؟."

"يُخيّل إليّ أن لديك طريقة غريبة مع الرجال .فصديقك السابق خانك مع امرأة أخرى .والشخص الذي خرجت في موعد معه مؤخراً راح يغازل الفتيات الأخريات .وفي هذه الأثناء ، لا يكفّ مديرك في العمل عن ملاحقتك."

"أهلاً بك في عالمي."

"بالطبع ، هذا ليس كله سيئاً .فقد التقيت بالأمس رجلاً لطيفاً ؛ من نوع الرجال الذين يساعدون المرأة في وقت محنتها رغم العاصفة الهوجاء"...

وعندما وبختها ماريا ، ضحكت سيرينا وتابعت قائلة" :إنني أتمنى من كل قلبي لو تسنى لي أن أرى وجهك."

"لم يكن جميلاً."

فذكّرتها سيرينا قائلة" :ومع ذلك ، ها أنت الآن هنا بأمان وسلام ، وهذا يسرني .على الأقل ، كي لا تحرمي نفسك من سماع حكمي ومواعظي."

عندها قالت ماريا بمرارة" :يجب عليك أن تعملي على حل مشكلات تقديرك لذاتك."

"أعرف هذا .ولكن ، لأقول لك الحقيقة ، إنني مسرورة جداً لأنك عاودت الانتقال إلى المدينة .فوجبات الفطور العائلية تلك تصبح مميتة لولاك ؛ إذ إن وجودك يتيح لأبي وأمي القلق بشأن شخص آخر."

"يسرّني أن أؤدي لك خدمة."

"أقدر لك صنيعك .وبالإضافة إلى ذلك ، ستتسنى لنا الفرصة لنتعرف على بعضنا أكثر."

"لطالما كنا نعرف بعضنا بعضاً."

"ولكنك انتقلت للدارسة في الجامعة عندما كنت أنا في العاشرة."

"ومع ذلك ، كنت أعود إلى البيت في كل عطلة أسبوعية تقريباً ، وأمضي فيه كل الإجازات."

"هذا صحيح .فطوال السنوات الأولى من دراستك ، كنت شديدة الشوق للعودة إلى البيت ؛ لدرجة أنك اعتدت على البكاء طوال العطلة الأسبوعية."

"من الصعب أن تعيشي في مكان بعيد عن البيت."

"ولماذا تظنين أنني أرتاد كلية هنا؟ فأنا ذكية بقدرك أنت."

"إنك ذكية .وقد تحصلين على منحة دراسية .هل تتذكرين هذا؟."

"أنا لا أضاهيك ذكاء، ولكن لا بأس في ذلك .فقد يُسهِّل عليّ هذا الأمر التعرف على شاب مناسب في نهاية المطاف .ولا أقصد بذلك القول أنني مهتمة بالخوض في علاقة جادة في الوقت الحاضر .ولكن، أصغي إلي، يسرني أن أبحث لك عن شاب مناسب إن أردت ذلك .فأنا أقابل الشبان طوال الوقت."

"أتقصدين طلاب الكلية؟."

"بعض الشبان قد يفضلون امرأة تكبرهم سناً."

"أنت مجنونة بلا شك."

"لست أدري، ولكنني أميل إلى التمتع بذوق رفيع."

"هل تلمحين إلى ستيف؟."

"إننا نخرج معاً منذ فترة قصيرة .لم تصبح علاقتنا جادة بعد، ولكنه يبدو لي شاباً لطيفاً .حتى إنه يتطوع في الجمعيات الإنسانية .كما أنه يعمل أيام الأحد في مركز لتبنّي الحيوانات الأليفة."

"هل أنت معجبة به؟."

"هل تسألينني إن كان ما أشعر به إعجاباً أم مجرد استلطاف؟."

"ماذا؟ هل نحن في المدرسة الإعدادية؟."

فضحكت سيرينا وقالت" :لست واثقة من شعوري حياله بعد .ولكنه شاب لطيف ، وهذا سيمنحني المزيد من الوقت لأكتشف ذلك."

"متى سألتقيه ؟."

"حسناً ...دعينا نرى إلى أين ستمضي الأمور .فإن كنت ستلتقينه ، فسوف يرغب أبي وأمي بلقائه أيضاً .وعندئذ ، سأفقد السيطرة على الوضع برمته .فمهما حدث بعد ذلك ، سيظن أنني أعتبر العلاقة جادة .وأنا على عكسك ، ما زلت صغيرة السن على الاستقرار في الوقت الحالي."

"وأنا أيضاً لا أريد أن أستقر في الوقت الحاضر."

"ربما .ولكن من المؤكد أنك بحاجة إلى التعرّف إلى الشبان ومواعدتهم."

"هلاّ تكفين عن هذا."

"حسناً ، جيد .لست بحاجة إلى موعد ، ولكنّ ما تحتاجين إليه هو أن يحالفك الحظ."

وعندما لم تزعج ماريا نفسها بالرد على كلام أختها هذه المرة ، ضحكت سيرينا وقالت" :لقد لمست وتراً حساساً لديك ، أليس كذلك ؟ حسناً ، لا تهتمي. ماذا لديك على لائحة مواعيدك لهذا اليوم بعد أن نخرج من هنا ؟ هل ستخرجين لركوب لوح التزلج على الأمواج مجدداً ؟."

"كنت أفكر في الأمر."

"أستذهبين بمفردك ؟."

"طبعاً ، ما لم تودّي أن تخوضي التجربة مرة أخرى."

"هذا مستحيل .ما زلت لا أفهم سبب محبّتك هذه الرياضة إلى هذه الدرجة .فهي ليست كالرقص ، بل إنها مملة."

"إنها تمرين جيد .كما أنها تضفي على النفس السكينة والسلام."

فقالت سيرينا" :ألم أقل ذلك للتو ؟."

عندها ، ابتسمت ماريا وقالت" :ماذا عنك ؟ ما هي خططك ؟."

"سآخذ قيلولة طويلة .وبعد ذلك ، سأقرر ما سأفعله وفقاً لمزاجي."

"آمل أن تعثري على شيء ما مفيد لتفعليه .فأنا أكره أن تفوّتي ليلة أحد رائعة كهذه."

قالت سيرينا" :آه ...إن الغيرة شيء بشع ."ثم مدت إصبعها باتجاه النوافذ وقالت" :لقد عاد بابا أخيراً .إنني أتضور جوعاً .هيّا فلنذهب لنأكل."

* * *

في وقت لاحق من عصر ذلك اليوم ، وبينما استغرقت سيرينا في نوم عميق ، كانت ماريا تتزلج على لوح التزلج في موسونبورو ساوند ؛ وهو مكان أصبح منذ وقت طويل مكانها المفضل لقضاء فترة العصر .وكانت جزيرة موسونبورو أكبر جزيرة شاطئية على طول الساحل الجنوبي للولاية .ورغم أنها اعتادت في بعض الأحيان على التوجّه إلى الجانب الأطلسي من الجزيرة ، إلا أنها في معظم الوقت ظلت تفضل مياه السبخة الساكنة التي تبدو كلوح من الزجاج. وكانت المناظر الطبيعية هناك خلابة وتأخذ بالألباب .وخلال الساعة الأولى التي قضتها في الماء ، شاهدت ماريا طيور بجع وطائر بلشون أبيض وعقبان ،

والتقطت عدداً لا بأس به من الصور الفوتوغرافية .ففي شهر حزيران ، وبمناسبة ذكرى ميلادها ، كافأت نفسها بشراء كاميرا تصوير عالية الجودة ومضادة للماء. ورغم أنها أدركت حينها أن ذلك تبذير ، وما زالت تدفع ديون فاتورته على البطاقة الائتمانية حتى الآن ، إلا أنها لم تندم على ذلك .ورغم أن صورها لن تنشر على صفحات مجلة ناشيونال جيوغرافيك ، إلا أنها وجدت أن عدداً من صورها جيد بما يكفي لكي تعلّقها على جدران شقتها المشتركة ، واعتبرت ذلك خياراً حكيماً للزينة ؛ بما أنها كانت بالكاد تستطيع دفع إيجار الشقة بحد ذاتها.

ولكنها في هذا المكان وجدت أنه من السهل التفكير في تلك الأشياء من دون القلق حيالها .فقد اتخذت من ركوب لوح التزلج هواية لها منذ أن انتقلت إلى ويلمنغتون ، وقد بات تأثيره فيها هو نفسه التأثير الذي اعتاد الرقص إحداثه. إذ وصلت إلى مرحلة أصبح فيها الحفاظ على توازنها عملاً لا يتطلب جهداً .وكان الإيقاع الثابت لركوب لوح التزلج يخلصها من كل توترها .فبعد مرور دقائق معدودة على وجودها في الماء ، كانت تشعر بأن كل شيء صحيح في العالم ، وتسترخي أعصابها ؛ بدءاً من عنقها وكتفيها ووصولاً إلى بقية جسدها .وبحلول الوقت الذي تستلقي فيه في حوض الاستحمام لدى عودتها إلى البيت ، كانت تشعر بأنها مستعدة لمواجهة أسبوع آخر في المكتب .فكرت في أن سيرينا مخطئة حيال ركوب الأمواج ؛ لأنها لا تجده مملاً على الإطلاق ، بل إنه ضروري في هذه الأيام لصحتها النفسية .ويتوجّب عليها أيضاً الاعتراف بأنه شكّل فائدة لجسدها على حد سواء .ففي السنة الماضية ، بات جسدها مشدوداً في مناطق لم يخطر ببالها حتى أنه من الممكن شدها .وهكذا ، اضطرت إلى تعديل قياس بذلاتها لأنها أصبحت واسعة عند خصرها.

ولم يكن ذلك ليهمها على أية حال .فربما أخطأت سيرينا في رأيها المتعلق بركوب لوح التزلج ، إلا أنها كانت محقة حيال سوء حظ ماريا في حياتها العاطفية ؛ ولا سيما علاقتها بلويس .فقد كان أول شاب أصبحت جادة معه ، وأول رجل أحبته من كل قلبها .ظلاّ صديقين لحوالي سنة تقريباً قبل أن يبدآ بالخروج معاً .ومن ناحية ما ، كانت لديهما الكثير من القواسم المشتركة فيما بينهما .فقد كان ابناً لأبوين مهاجرين من المكسيك ، وكان يتدرّب ليصبح محامياً مثلها ويستمتع بالرقص .وبعد أن ظلاّ يتواعدان لمدّة سنتين ، بات من السهل بالنسبة إليها أن تتخيل مستقبلها معه .ومن ناحية أخرى ، أوضح لها لويس بأنه راضٍ بالاستمرار بالخروج معها وقضاء أوقات حميمة معها طالما أنها لا تتوقع منه أكثر من ذلك .وحتى إن مجرد ذكر موضوع الزواج أمامه أثار فزعه. وبينما حاولت في البداية أن تقنع نفسها بأن ذلك لا يهم فعلاً ، إلا أنها أدركت في قرارة نفسها أنها مهتمة.

ومع ذلك ، في النهاية ، أتى قرار الانفصال مفاجئاً لها .فقد اتصل بها مساء أحد الأيام وأخبرها أن كل شيء بينهما قد انتهى .حاولت أن تعزّي نفسها بالتفكير في أنهما يريدان أشياء مختلفة من الحياة ، وأن لويس ببساطة لم يكن مستعداً لذلك النوع من الالتزام الذي تدرك أنها تريده .ومع ذلك ، بعد سنة أو نحو ذلك ، وبعد أن انتهت من أداء امتحانات مهنة المحاماة ، علمت أنه أعلن خطوبته .عندها ، أمضت الأسابيع الستة التالية وهي في حالة ذهول تام ، محاولةً أن تكتشف ما جعله يعتبر الفتاة الأخرى جيدة بالنسبة إليه ليتزوّجها ، بينما رفض حتى أن يناقش موضوع الزواج معها رفضاً قاطعاً .ترى ، ما الخطأ الذي ارتكبته ؟ هل كانت شديدة الإلحاح ؟ أم كانت مثيرة للملل كثيراً ؟ أم هل

ارتكبت خطأ آخر؟ وبعد التفكير في الماضي ملياً، لم تتوصل إلى أية إجابة. كانت تلك التجربة برمتها ستصبح أسهل بكثير لو أنها التقت شخصاً آخر بعد لويس .ولكنها ظلت عاماً بعد عام تتساءل في قرارة نفسها عن سبب اختفاء كل الشبان الصالحين، أو حتى إن بقي شبان صالحون بعد الآن .أين أولئك الشبان الذين لا يتوقعون من الفتاة أن تذهب معهم إلى البيت بعد موعد أو اثنين؟ أو الشبان الذين يعتقدون أن دفعهم الفاتورة في الموعد الأول تصرف راقٍ ومهذب؟ بل أين الشبان الذين لديهم عمل محترم وخطط للمستقبل؟ الله وحده يعلم .وعلى الرغم من الساعات الطويلة التي أمضتها وهي تدرس في كلية الحقوق ثم تعمل في شركة في تشارلوت، إلا أنها بدأت تخرج بشكل منتظم مع أصدقائها في عطلات نهاية الأسبوع .ولكن، هل طلب منها أي شخص شبه محترم الخروج معه؟

توقّفت للحظات عن تحريك لوح التزلج، وسمحت له بأن ينزلق فيما كانت تعدّل وضعية ظهرها وتمد عنقها .حسناً، في الواقع، لقد حدث ذلك بالفعل .ولكنها في ذلك الوقت، كانت تميل إلى التركيز على مظهرهم الخارجي فقط .وتذكّرت أنها رفضت عدة شبان لا يبدون وسماء بما فيه الكفاية .وربما تلك هي المشكلة .فربما رفضت الشخص المناسب لأنه لم يكن بالطول الكافي من وجهة نظرها .أما الآن، فقد نفد من الأسواق لأنه كان شخصاً مناسباً .ففي هذه الأيام، يبدو على الشبان المناسبين أنهم ينفدون من الأسواق بسرعة؛ ربما لأنهم نادرو الوجود كندرة نسور الكوندور في كاليفورنيا.

في معظم الوقت، لم يكن ذلك يزعجها .فقد كانت مختلفة عن أمها التي تعتقد أن الحالة الاجتماعية للمرأة هي ما يحدد كيانها وشخصيتها .كما كانت

تتمتع بحياتها الخاصة التي تتيح لها الخروج والدخول كما يحلو لها .ورغم أنه ليس لديها أي شخص ليعتني بها ، إلا أنه لا يتوجّب عليها أيضاً العناية بشخص آخر .ومع ذلك ، في الأعوام القليلة الماضية ، وبينما كان العمر يجري بها مسرعاً نحو الثلاثين ، مرت بلحظات خطر فيها ببالها أنه من اللطيف أن يكون لديها شخص تذهب للرقص معه ، أو ينضم إليها وهي تركب الأمواج ، أو شخص يرغب في الإصغاء إلى تذمرها بعد يوم عصيب من أيام العمل .فرغم أن لديها حلقة كبيرة من الأصدقاء -تماماً مثل سيرينا -وبإمكانهم ملء هذا الفراغ ، إلا أن معظمهم يعيشون في محيط ريلييه أو تشارلوت .وكان اللقاء بهم يتطلب منها في معظم الأحيان القيام برحلة بالسيارة ، والنوم على الكنبة في بيت أحدهم .وإلى جانب عائلتها المقربة وأقاربها وجيل وبعض الزملاء الآخرين مثل بول -رغم ما حدث تلك الليلة -فالأشخاص الوحيدون الذين تعرفهم هنا هم زملاؤها من أيام المدرسة الثانوية .ولأنها ظلت بعيدة لعدة سنوات ، فقد وجدت أنهم تفرقوا جميعاً .خطر ببالها أنها قد تستطيع إعادة التواصل بينها وبينهم .ولكن ، بحلول الوقت الذي كانت تنهي فيه العمل ، لم تكن ترغب بأكثر من فتح صنبور المياه والإمساك بكأس من شرابها المفضل وكتاب جيد .وإن شعرت يوماً أنها متمتعة بالنشاط والحيوية ، كانت تذهب لركوب الأمواج .فحتى الصداقات تتطلب وجود طاقة ، ومؤخراً لم يكن لديها الكثير منها .ورغم أن حياتها لم تكن مثيرة إلى هذا الحد ، إلا أنها كانت من نوع الحياة الروتينية المتوقعة التي تحتاج إليها .فالعام الأخير الذي قضته في تشارلوت ترك لها ذكرى مؤلمة لم تستطع أن تنساها حتى الآن ، و...

هزت رأسها لتجبر نفسها على إبعاد ذكرى تلك السنة الأخيرة عن مخيلتها ،

وأخذت نفساً عميقاً ، وأمرت نفسها بحزم أن تركز على الأمور الإيجابية كما درّبت نفسها أن تفعل دائماً .فقد كانت هناك الكثير من الأمور الإيجابية في حياتها ، مثل عائلتها ومنزلها وعملها الذي تستمتع به...

فجأة ، همس صوت خافت في داخلها قائلاً :هل أنت واثقة من هذا؟ لأنك تعرفين أن هذا ليس صحيحاً تماماً.

فقد بدأ كل شيء بداية جيدة تماماً ، ولكن أليس ذلك هو الحال دائماً؟ كانت شركة مارتنسون وهيرتسبرغ شركة متوسطة الحجم .وكانت ماريا تعمل بشكل رئيس لصالح مقيم الدعاوى القضائية الابتدائية بارني هولدمان في دفاع التأمين .أما بارني الذي كان في العقد السادس من عمره ، فقد قام بدور جالب الحظ الكبير للشركة ، كما كان عبقرياً قانونياً يرتدي بذلات مخططة ويتحدث ببطء وبلكنة قادمة مباشرة من جبال كارولاينا الشمالية .وكل من الزبائن والمحلفين اعتبروه رجلاً أشبه بالجد الودود ، ولكنه في دخيلته كان رجلاً جسوراً مستعداً لكل شيء ، ومتطلباً من شركائه .وقد جعلها العمل لديه تتمتع بامتياز الوقت والخبرة والمال للتحضير لقضاياها .وكل ذلك بعيد كل البعد عن عملها السابق كمدعية عامة.

أما جيل فقد وجدتها هبة من السماء .فنظراً لكونها المرأة الوحيدة في المكتب إلى جانب السكرتيرات والمساعدات اللواتي يحظين بمجموعاتهن الخاصة ، أصبحت ماريا وجيل على علاقة صداقة حميمة في الحال ؛ رغم أنهما تعملان في قسمين مختلفين .وأصبحتا تتناولان الغداء معاً ثلاث مرات في الأسبوع أو أربعاً .وقد اعتادت جيل على المرور بمكتب ماريا غالباً لمجرد الزيارة لبضع دقائق .وكانت تتصف بفطنة عالية ، وحس فكاهة لم يخفق قط في رسم

البسمة على وجه ماريا .ولكنها في الوقت ذاته كانت مميزة بتوقّد ذهنها في ما يتعلق بالقانون ، لذا اعتُبِرت أحد أركان المكتب الأساسية .ومع ذلك ، كان اللغز الذي حيّر ماريا هو السبب الذي حال دون أن تصبح جيل شريكة بعد. وتساءلت ماريا في بعض الأحيان إن كانت جيل لن تبقى في الشركة ؛ رغم أنها لم تقل لها هذا الكلام بشكل مباشر.

وكانت المشكلة الفعلية تكمن في كين مارتينسون ؛ الشريك الإداري ، الذي بدأت تشك في أنه يوظف الفتيات المتدربات بناء على جاذبيتهن وليس على مؤهلاتهن ، ثم يُمضي الكثير من الوقت وهو يحوم حول مكاتبهن .ولم يكن ذلك الجزء يزعج ماريا ؛ إذ لم يزعجها حتى أن ترى كين وهو يتعامل مع إحدى المتدربات أو غيرها بطريقة لا تبدو لائقة أو مهنية تماماً .وخلال الأسبوع الأول من عمل ماريا في الوظيفة ، حدثتها جيل عن سمعة كين ؛ ولا سيما عن اهتمامه بالمتدربات الجذابات ، ولكن ماريا لم تكترث للأمر إلاّ بعد أن حوّل كين اهتمامه إليها هي بالذات .ولم يكن ذلك تطوراً جيداً .ولكن مؤخراً ، بدأ الوضع يزداد تعقيداً .وكان من السهل تجنب كين في المكتب حيث يوجد دائماً أناس آخرون حولهما ، ولكنّ المؤتمر الذي حضرته في وينستون سايلم في الأسبوع الماضي عظّم من حدة مخاوفها من تدهور الأمور .فرغم أن كين لم يصل به الأمر إلى درجة إيصالها إلى باب غرفتها في الفندق ، إلا أنه ألح عليها للانضمام إليه لتناول العشاء في كلتا الليلتين .وماذا بعد؟ لقد ألقى على مسمعيها ذلك الحديث المعهود عن زوجته التي لا تقدر قيمته ، فيما كان يسألها مراراً إن كانت تريد احتساء كأس شراب أخرى ؛ رغم أنها بالكاد لمست كأسها الأولى .كما تحدّث عن الشقة التي يملكها على الشاطئ ، واصفاً إياها بأنها مريحة

وهادئة .ولمّح أكثر من مرة إلى أنها فارغة عادة ، وأنّها إن أرادت استخدامها ، فكل ما عليها فعله هو أن تطلب منه ذلك .ألم يذكر لها أيضاً كم هو نادر أن يعمل المرء مع شخص يتمتع بكل من الجمال والذكاء في آن معاً ؟

أيمكن للرجل أن يكون أكثر وضوحاً ؟ !ومع ذلك ، عندما لمّح إلى ما يريده تظاهرت بالغباء ، ثم حوّلت مسار الحديث إلى المسائل التي تمت مناقشتها في المؤتمر .ونجحت الخطة معها في معظم الوقت ، ولكنها لم تكن تكذب عندما قالت لسيرينا إن الأمر معقد .تمنت لو أن هناك من أخبرها قبل أن تقدم أوراقها لدخول كلية الحقوق أن عملها كمحامية ليس العمل المضمون الذي لطالما تخيلته .فعلى مدى السنوات القليلة الماضية ، بدأت الشركات من كل الأحجام تقلّص أحجامها ، وتُخفض رواتب موظفيها .وفي الوقت الحاضر ، بات هناك عدد كبير من المحامين وعدد قليل من الوظائف .فبعد أن تركت مكتب محامي المقاطعة ، استغرق الأمر منها خمسة أشهر للعثور على هذا العمل .وعلى حد علمها ، لم تعد أي من الشركات في المدينة توظف أحداً .ولو أتى على لسانها مجرد ذكر لكلمة تحرش جنسي أو لمحّت إلى رفع دعوى قضائية ، فلن تستطيع على الأرجح العثور على عمل آخر في الولاية بأكملها. فالمحامون لا يكرهون أحداً بقدر المحامين الآخرين الذين قد يرفعون دعاوى قضائية ضدهم.

في الوقت الحاضر ، شعرت أنها عالقة في وضع صعب .فقد تمكنت من إنقاذ نفسها في المؤتمر ، ولكنها عاهدت نفسها على عدم وضع نفسها في موقف كهذا مجدداً ؛ لذا باتت تتجنب غرفة الاستراحة ، وتتوخى المزيد من الحذر بالنسبة إلى العمل حتى وقت متأخر ، ولا سيما عندما تعرف أن كين سيكون

موجوداً .ذلك كل ما بوسعها فعله في الوقت الحالي ؛ باستثناء الدعاء لكي يبعد أنظاره عنها ويحوّلها إلى إحدى المحاميات المتدربات مجدداً.

وكان ذلك مجرد مثال عن الطرائق التي جعلتها تدرك أن الحياة أكثر صعوبة مما كانت تتوقع .فعندما بدأت وظيفتها الحقيقية الأولى ، كانت فتاة مثالية ، والحياة في نظرها أشبه بالمغامرة .وكانت تثق بقوة بأن لها دوراً ذا مغزى في الحفاظ على أمن الشوارع ، ومنح الضحايا طريقة للحصول على العدالة والتعويض .ولكن بمرور الوقت ، بدأت تصبح منهكة من العملية برمتها ، وبات من الواضح لها أن المجرمين الخطيرين هم الذين يُنقَذون في أغلب الأحيان. وكانت عجلات النظام غير المجدية بطيئة لدرجة قاتلة .وشيئاً فشيئاً ، أصبحت تتحمل عبئاً لا ينتهي من القضايا .والآن ، باتت تعيش مجدداً في المدينة التي نشأت فيها ، وهي تمارس نوعاً من القانون مختلفاً اختلافاً شاسعاً عمّا عرفته كمحامية مقاطعة .وفيما كانت واثقة في ما مضى من أن الأمور ستصبح أفضل حالما تستقر ، بدأت تدرك ببطء أن ضغط العمل يأتي ببساطة بنكهات مختلفة. ولم تكن نكهة هذا العمل أفضل بكثير من العمل السابق.

لقد فوجئت بهذا الأمر ، ولكنها في الحقيقة فوجئت بكل شيء صادفها في حياتها على مدى السنوات السبع الماضية .قد ينظر إليها العالم برمته على أنها شابة محترفة وناجحة في عملها ، ولكن هناك لحظات شعرت فيها بأن كل هذا مجرد تمثيلية .فبعد دفعها فواتيرها في آخر الشهر ، لم يكن يبقى معها من مال لمصروفها أكثر مما كان يبقى معها وهي مراهقة .ومن ناحية أخرى ، معظم صديقاتها من أيام الكلية تزوجن ، حتى إن بعضهن أنجبن أطفالاً .وعندما تحدثت إليهن ، بدت معظمهن راضيات تمام الرضى عن حياتهن ؛ كما لو أنها

تسير بالضبط كما خطّطن لها .وفي المقابل ، رماها حظها بين يدَي رئيس عمل مهووس بالنساء ، وشقة بالكاد تستطيع تحمل كلفتها ، وأخت صغرى يبدو عليها أنها أكثر حكمة وحرية منها .فإن كان هذا هو سن النضج ، فقد تساءلت عن سبب استعجالها لبلوغه في المقام الأول.

طوال الساعة التالية ، ظلت تحرّك المجذاف بثبات ، فانزلق لوح التزلج إلى الأمام .وقد بذلت ما بوسعها لتستمتع بتأمل المنظر المحيط بها ؛ فلاحظت الغيوم التي تتحرك ببطء في السماء ، والأشجار التي تنعكس صورتها على صفحة الماء .وركّزت على رائحة النسيم المنعشة ، واستمتعت بدفء أشعة الشمس على ذراعيها وكتفيها .وبين الحين والآخر ، راحت تلتقط الصور ، كصورة أحد الطيور لدى التقاطه سمكة تقفز من الماء .بدت الصور معتمة للغاية في معرض الصور ، وبعيدة قليلاً ، ولكن مع بعض التعديل باستعمال برنامج الفوتوشوب قد ينتج عنها شيء يستحق الاحتفاظ به.

وعندما عادت إلى البيت أخيراً ، استحمّت ، ثم صبت لنفسها كأساً من شرابها المفضل ، وجلست على كرسيها الهزاز الذي وضعته في شرفتها الخلفية الضيقة ، وراحت تراقب الناس بتكاسل وهم يتمشون على طول شارع ماركت ، متسائلة عن حياة كل منهم .أعجبتها فكرة أن تخترع قصصاً حولهم :ذلك الرجل على الأرجح قادم من نيويورك بهدف الزيارة ، أما تلك الأم فتصطحب أطفالها لتناول المثلجات .كانت هذه التسلية تساعدها على الاسترخاء وتهدئة أعصابها ، كما أنها عديمة الأذى بالنسبة إلى عطلة أسبوعية لها حصتها العادلة من الصعود والهبوط ؛ مثل إطار السيارة المثقوب .وعندها ، تذكّرت أنه يجب عليها أن تذهب غداً لاستبدال الإطار .ولكن متى؟ فلا بد أن بارني قد ملأ مكتبها بالعمل أثناء

وجودها في المؤتمر .ولديهم أيضاً اجتماعان مهمان في فترة العصر ؛ وهذا لن يجعل مهمتها سهلة أبداً .وبالإضافة إلى كل ما سبق ، لم تكن لديها فكرة عن الخطوة التالية التي قد يقوم بها كين.

تفاقم شعورها بالخوف في صباح اليوم التالي عندما لمحت كين يتحدث إلى بارني في مكتبه ، بينما كانت تثرثر مع لين ؛ المتدربة ذات الجسد الممشوق التي تم تعيينها في فريق بارني رغم قلة كفاءتها في العمل .فرغم أنه غالباً ما كان كين وبارني يلتقيان قبل اجتماع صباح الاثنين ، إلا أن ما لم يكن اعتيادياً هو أن بارني بعد أن غادر كين مكتبه أومأ لها برأسه من دون أن يبتسم وهو يجتاز الممر .عندها ، شعرت بشيء من الراحة لاختصار اللقاء بينهما ، ولكنها في الوقت نفسه شعرت بالقلق ؛ فسلوك بارني المهني البارد والمفاجئ ولّد لديها شعوراً سيئاً بأنه غاضب منها بلا شك.

وبعد بضع دقائق ، مدت جيل رأسها من الباب لتعتذر عن الموعد ، والشعور بالذنب يبدو عليها بشكل واضح .تجاذبتا أطراف الحديث لبضع دقائق ، إذ كانت جيل ستغادر المدينة لأسبوع من أجل تدوين الشهادات. عندها ، كررت ماريا على مسمَعَي جيل القصة التي روتها لسيرينا عن الإطار المثقوب والغريب الذي أنقذ حياتها ؛ وهذا ما جعل جيل تشعر بتأنيب الضمير أكثر مما كانت عليه من قبل.

وحالما غادرت جيل ، بدأت ماريا تتصل بمرائب السيارات ، محاولة العثور على مكان قريب يمكنها الذهاب إليه لتغيير إطار سيارتها بعد العمل ، ولكنها سرعان ما اكتشفت أنها جميعاً تغلق أبوابها بحلول الوقت الذي تصل فيه إليها .وهكذا ، بقي لديها خيار واحد ؛ وهو أن تنجز هذا العمل أثناء استراحة

الغداء .وتطلّب الأمر منها ست محاولات قبل أن تتمكن أخيراً من الحصول على موعد عند الساعة الثانية عشرة والنصف ظهراً ، حيث بالكاد يتبقى لديها وقت كافٍ للعودة لحضور أول لقاء مع الزبون عند الساعة الواحدة والنصف .وحين حذّرت بارني بأنها قد تتأخر في العودة بضع دقائق قطّب جبينه .ولكنه طلب منها أن تبذل ما بوسعها ؛ مؤكداً على أهمية حضورها .وهكذا ، غادرت المكتب حوالي الساعة الثانية عشرة إلا ربعاً على أمل أن يتمكن الميكانيكيون من البدء في وقت مبكر.

ولكنهم لم يبدأوا بالعمل مُبكّرين ، ولا حتى في الموعد المحدد .وفي نهاية المطاف ، أمضت الساعة التالية في الانتظار ، ومشاعرها تتراوح ما بين الخوف والغضب المتصاعد ، فيما هي تُجري المكالمات مع سكرتيرة بارني ومساعدته ، بالإضافة إلى اتصالها به على هاتفه المحمول .ولم تتمكن من استعادة سيارتها إلا بعد الساعة الثانية ، فعادت إلى المكتب مسرعة .وبحلول الوقت الذي وصلت فيه إلى غرفة المؤتمر ، وجدت أن الاجتماع قد مضت على بدايته خمس وأربعون دقيقة .وأوحت لها نظرة بارني الباردة وهو يرحّب بوصولها إلى المؤتمر بعدم سروره من تصرفها.

بعد الاجتماع ، اعتذرت من بارني أشد الاعتذار ، ولكنه بدا منزعجاً بشكل واضح ، وتلاشى كل السلوك الأبوي اللطيف الذي اعتاد عليه الزبائن ، وظل الجو متوتراً بينهما طيلة فترة العصر .ولم يتحسن الوضع خلال اليوم التالي. لذا ، حاولت ماريا وهي منهمكة بالعمل على المهمات العديدة المطلوبة منها بكل طاقتها أن تحل المسائل التي تجاهلتها خلال المؤتمر ، بالإضافة إلى تحضيرها وثائق كانت تدرك أن بارني يحتاج إليها من أجل إحدى المحاكمات في

الأسبوع التالي .وهكذا ، أجهدت نفسها بالعمل بجدٍّ إلى ما بعد منتصف الليل في كل من يومَي الاثنين والثلاثاء .وبوجود جيل خارج المدينة ، قررت أن تعمل خلال ساعة الغداء طوال الأسبوع ، وأن تكتفي بتناول وجبات خفيفة في مكتبها وهي تعمل على عدة ملفات .ومع ذلك ، لم يبدُ على بارني أنه كان يلاحظ ما تفعله أو يأبه لذلك .ولم يلن في موقفه بعض الشيء إلا يوم الخميس.

وفي وقت لاحق من عصر ذلك اليوم ، وبينما كانت مع بارني في مكتبه يتحدثان عن دعوى تأمين كانا كلاهما يشكّان بأنها احتيالية ، سمعت صوتاً خلفها .وعندما رفعت نظرها ، رأت كين يقف عند مدخل الباب.

قال مخاطباً كليهما ، وموجِّهاً كلامه إلى بارني بشكل رئيس" :أرجو المعذرة ، هل تمانع إن تحدثت إلى ماريا للحظة ؟."

فأجاب بارني بهدوء" :كلا ، على الإطلاق ."ثم أومأ لماريا وقال لها: "اتصلي بهم وأعلميهم بأنه يجب علينا أن نجري مكالمة جماعية يوم غد."

فقالت ماريا" :بكل تأكيد ، وسأعلمك بما يقولونه ."أدركت أن كين يحدّق إليها من دون أن تنظر إليه ، وشعرت بضيق في صدرها وهي تستدير نحوه. وبحلول ذلك الوقت ، استدار ليغادر من دون أن يتفوه بكلمة واحدة ، فتبعته على طول الممر ، ثم إلى منطقة الاستقبال .وبدأت تجر قدميها بتردد عندما أدركت أنه متوجّه إلى مكتبه .وبينما كانا يقتربان من غرفة المكتب ، أشاحت سكرتيرته بنظرها بعيداً عنها.

أمسك كين الباب ليفتحه لها ، ثم أغلقه خلفهما .وبعد ذلك ، اكتسب سلوكه أسلوباً عملياً ، فتحرك إلى خلف طاولة مكتبه ، وأشار إليها لأكي تجلس

على الكرسي مقابله ، وراح يحدق من النافذة قبل أن يستدير إليها أخيراً.

وقال" :ذكر لي بارني أنك فوّت اجتماعاً مهماً مع الزبون يوم الاثنين."

"لم أفوّته بل تأخرت في الحضور."

فقاطع كلامها قائلاً" :لم أستدعِك إلى هنا لنثرثر حول التفاصيل ، لذا هلاّ تتكرمين وتشرحين لي ما حدث."

أجفلت ماريا من كلامه ، فتلعثمت فيما كانت تشرح له روايتها المثيرة للشفقة عن محاولاتها العثور على مرأب سيارات مناسب ، وعن الأحداث التي تلت ذلك.

وعندما أنهت كلامها ، ظل صامتاً لبعض الوقت ثم قال" :إنك تفهمين سبب وجودك هنا وسبب توظيفك ، أليس كذلك ؟ إن زبائننا يتوقعون الحصول على مستوى معين من الحرفية."

"نعم ، بالطبع أفهم ذلك .وأدرك أن زبائننا مهمون."

"هل تدركين أن بارني كان يفكر في منحك فرصة العمل بوظيفة مستشارة رائدة في هذا المجال؟ وأنك تخليت عن هذه الفرصة لأنك شعرت بحاجة مفاجئة وملحة إلى تغيير إطار سيارتك خلال ساعات الدوام؟."

عندها ، احمر وجه ماريا ، وتسارعت أفكارها بعد سماعها هذا البوح الجديد ، ثم تلعثمت قائلة" :كلا ، لم يذكر ذلك .وكما قلت لك ، أردت أن أنجز ذلك بعد دوام العمل ، ولكنني وجدت أن كل المرائب تكون مغلقة بحلول ذلك الوقت .إنني بكل صدق أقول لك إنني كنت أظن أنني أستطيع العودة في

الوقت المحدد .لقد أدركت أن هناك خطورة ، ولكن"...

غير أنه قاطعها قائلاً" :أدركت أنّ هناك خطورة ، ولكنك كنت مستعدة للمخاطرة رغم ذلك."

فتحت فمها لترد عليه ، ولكنها بحلول ذلك الوقت أدركت أنه ليس هناك أي شيء يمكنها قوله لترضيه .وعندما ساد الصمت ، شعرت ماريا بانقباض في قلبها بينما جلس كين على كرسيه خلف مكتبه.

وأخيراً ، قال بلهجة تدلّ على السيطرة" :يجب عليّ القول إنني أشعر بخيبة أمل كبيرة من قرارك ؛ لأنّني ممن يدعمونك في هذه الشركة .فقد غامرنا حين وظّفناك لدينا ؛ إذ إن عملك في مكتب محامي المقاطعة بالكاد مناسب لكي تعملي هنا كما تعرفين ، ولكنني ظننت أنك تتمتعين بالكفاءة الكافية .أما الآن فلم أعد واثقاً مما أفكر فيه .ولا أعرف إن كنت قد اتخذت الخيار الصحيح أم الخطأ."

"إنني آسفة للغاية .ولن يتكرر ما حدث."

"آمل ذلك ؛ من أجل مصلحتك أنت وليس مصلحتي."

ازداد شعورها بالضيق وقالت" :ما الذي يمكنني فعله لتصحيح الأمور ؟."

"لا شيء في الوقت الحاضر .ولكنني سأتحدث إلى بارني لأعرف ما يفكر فيه .وبعد ذلك ، سأعلمك بقرارنا."

"هل أتصل بالزبائن لأعتذر منهم ؟."

"أعتقد أنه لا يجب عليك أن تفعلي أي شيء الآن .قلت لك إنني سأناقش

الأمر مع بارني .ولكن ، إن حدث شيء من هذا القبيل مجدداً "...واقترب إلى الأمام وهو ينير مصباح المكتب.

فهمست وهي لا تزال تحاول استعادة رباطة جأشها" :لن يحدث ."هل فكّر بارني فعلاً في أن يعيّنها مستشارة رائدة ؟ !ولماذا لم يذكر لها هذا ؟ وفي تلك اللحظة ، رن الهاتف على المكتب ، فرفع كين السماعة .وبعد أن أعلن عن اسمه ، أومأ لها برأسه قبل أن يغطي السماعة بيده ويقول" :يجب عليّ الإجابة على هذه المكالمة .سننهي كلامنا في وقت آخر."

والطريقة التي قال بها هذا الكلام لم تترك لديها أي مجال للشك في أنهما سيتحدثان فعلاً مرة أخرى .لذا ، نهضت ماريا عن كرسيها وهي تشعر بالذل والفزع .وكانت أفكارها في حالة فوضى عارمة وهي تخرج من مكتب كين متعثرة. وفيما كانت تمرّ من أمام السكرتيرة ، شعرت بالامتنان لأن المرأة تجاهلتها. وعندما وصلت إلى مكتبها ، أغلقت الباب ، وأعادت التفكير في المحادثة .ورغماً عنها ، بدأت تتساءل عن مقدار الوقت الذي ستتمكن فيه من الاستمرار بالعمل هنا ، أو إن كانت حتى ستُعطى أي خيار.

الفصل الثالث

كولين

يوم الاثنين الذي تلا مباراة المصارعة التي خاضها ، خرج كولين من شقته ، وهمّ بالتوجه إلى سيارته القديمة من طراز كامارو عندما لمح فجأة التحري بيت مارغوليس .وكان الشرطي قد ركن سيارته في الشارع المقابل .فرآه متكئاً على سيارته ، وحاملاً فنجاناً من القهوة ، وهناك عود أسنان في فمه .وعلى عكس معظم رجال الشرطة الذين تعامل كولين معهم في الماضي ، كان مارغوليس يُمضي وقتاً طويلاً في الصالة الرياضية ؛ بقدر الوقت الذي يُمضيه كولين فيها. وبدا ذلك ملحوظاً من كمّي قميصه المرفوعين ، والقماش المشدود عند عضلات ذراعيه .كان في أواخر العقد الثالث من عمره ، وشعره الداكن مسرح إلى الخلف ومثبّت في مكانه بشيء لا يعلمه إلا الله .وكان يظهر بشكل مفاجئ مرة أو مرتين في الشهر أحياناً ليتفقد حال كولين ؛ كجزء من الصفقة الخاصة به .وبدا مارغوليس بشكل واضح مستمتعاً بالسلطة التي يتمتع بها عليه.

قال التحريّ لكولين عندما اقترب منه هذا الأخير" :تبدو في مظهر فظيع يا هانكوك !هل تفعل أي شيء يجب علي معرفته ؟."

فأجاب كولين" :كلا."

"هل أنت واثق من هذا ؟."

عندها ، اكتفى كولين بالنظر إلى مارغوليس بدلاً من أن يرد عليه .وأدرك أن الرجل سيتوصل في نهاية المطاف إلى كلّ ما يريد معرفته.

نقل مارغوليس عود الأسنان من أحد جانبي فمه إلى الآخر وقال: "حصل شجار في موقف السيارات في نادي كريزي هورس بعد منتصف الليل بقليل؛ إذ قامت مجموعة من الشبان بالتراشق بالزجاج .وقد تعرّضت بضع سيارات للانبعاج، وسقط أحد الرجال فاقداً وعيه .وقال بعض الشهود إنه تعرض للركل على رأسه وهو مستلقٍ على الأرض .وهو حالياً موجود في المستشفى بجمجمة مهشمة، وهذا يعتبر اعتداء بسلاح قاتل كما تعرف .وحالما عرفت ذلك، فكرت في سري كم يبدو هذا مألوفاً .ألم أعتقلك بسبب تهمة كتلك في ويلمنغتون قبل بضع سنوات فقط؟ ألم تتورط بعدد من المشاكل المشابهة منذ ذلك الحين؟."

كان مارغوليس يعرف الإجابتين مسبقاً، ولكن كولين رد عليه في كل الأحوال، فقال" :نعم للسؤال الأول، ولا للثاني."

"آه، هذا صحيح .لأنّ صديقيك تدخلا لحل الموقف، وأقصد الشاب الأخرق والفتاة الشقراء الجذابة، أليس كذلك؟."

لم يتفوّه كولين بحرف، فحدّق إليه مارغوليس قبل أن يتابع كلامه قائلاً: "بالمناسبة، أنا هنا لهذا السبب."

"حسناً."

"حسناً فقط."!

فآثر كولين التزام الصمت مجدداً؛ إذ تعلم من قبل أن يتفوّه بالقليل من الكلام في حضور رجال الشرطة.

عندها، تابع مارغوليس كلامه قائلاً" :ضع نفسك مكاني .ما حدث هو أن

الجميع تفرقوا حالما سمعوا صوت اقتراب صفارات سيارات الشرطة ، فيما بقي بعض الشهود في مكان الحادث .وقد تحدثت إليهم ، ولكنني أدركت أنني أضيع وقتي ليس إلا .فمن الأسهل بكثير التحدث إلى المصدر مباشرة ، ألا تظن ذلك ؟."

شدّ كولين حقيبة ظهره على كتفه وقال" :هل انتهينا ؟."

"ليس بالضبط .لا أظن أنك تدرك ما يجري هنا."

"بل أدرك ، ولكنه لا يهمني البتة .فأنا لم أكن هناك."

"هل تستطيع أن تثبت ذلك ؟."

"هل تستطيع أن تثبت عكس ذلك ؟."

أخذ مارغوليس رشفة من قهوته ، ثم أخرج عود أسنان جديداً من جيبه ، وأخذ وقته في وضعه في فمه ، ثم قال" :يبدو لي تقريباً كما لو أنك تحاول أن تخفي شيئاً ما."

فقال كولين" :إنه مجرد سؤال."

"حسناً .إذاً ، لنعد إلى الأسئلة .أين كنت ليلة السبت ؟."

"في جاكسونفيل."

فقال" :آه ، نعم .مباراة الفنون القتالية !أليس كذلك ؟ لقد أخبرتني بشأن ذلك .هل فزت ؟."

لم يكن مارغوليس يأبه لذلك ، وهذا ما أدركه كولين بطبيعة الحال ،

فنظر إلى مارغوليس وهو يتناول رشفة أخرى من قهوته من دون أن يجيب.

"بيت القصيد هو أننا تمكّنا من الحصول على بعض الأوصاف من الشهود .واتضح لنا أن الشاب الذي قام بالركل في منتصف العقد الثاني من عمره ، ومفتول العضلات ، وله وشوم على ذراعيه ، وشعره بني قصير .ولا بد لي أن أعلمك بأنه اتضح أن وجه الشاب كان مليئاً بالكدمات حتى قبل أن يبدأ الشجار .فقد شاهده الناس في الداخل ، ولاحظوا ذلك .ولأنني أعرف أنك كنت تصارع في جاكسونفيل ...حسناً ...لا يتطلب الأمر الكثير من العبقرية لأكتشف ما جرى."

عندها ، تساءل كولين عن مقدار الصدق في قصة مارغوليس ؛ إن كانت صحيحة فعلاً ، ثم قال" :هل لديك أي أسئلة أخرى لي ؟."

فحرّك مارغوليس عود الأسنان في فمه مجدداً قبل أن يضع قهوته على غطاء المحرك ويقول" :هل تواجدت في نادي كريزي هورس ليلة السبت ؟."

"كلا."

"ألم تتوقف هناك حتى ولو لبضع دقائق ؟."

"كلا."

"وإن أخبرتك أنّ لدي شاهداً يقول إنه شاهدك هناك ؟."

"إذاً ، إنه كاذب."

"ولكنك لا تكذب ، أليس كذلك ؟."

مجدداً ، لم يجب كولين عن السؤال ؛ إذ لم يكن هناك أي سبب يدعوه

لذلك .وخامره الشك في أن مارغوليس يعرف ذلك .إذ بعد مرور وقت طويل ، شبك ذراعيه ، فبرزت عضلاته بشكل لا إرادي .وأدرك كولين أنه لو كان لدى التحري أي دليل ضده فعلاً ، لاعتقله في الحال.

وقال مارغوليس" :حسناً ، أجب عن هذا السؤال :أين كنت بين منتصف الليل والساعة الواحدة من بعد منتصف الليل يوم الأحد ؟."

راح كولين يسترجع في ذهنه ما فعله حينها ، ثم قال" :لم أنظر إلى الساعة ، ولكنني إما كنت على وشك مغادرة مطعم تراي في الطريق السريع رقم 17، أو كنت أقود سيارتي عائداً إلى البيت ، أو أغير إطار سيارة إحدى السيدات أثناء العاصفة .فقد وصلت إلى البيت حوالي الساعة الواحدة والنصف من بعد منتصف الليل."

"مطعم تري !ما الذي جعلك تتناول طعامك هناك!؟."

"كنت جائعاً."

"متى غادرت جاكسونفيل ؟."

"حدث ذلك عند منتصف الليل ، أو ربما بعد ذلك بخمس دقائق أو عشر ، لست واثقاً بالضبط."

"ومن شهودك ؟."

"العشرات."

"وأفترض أنك تناولت طعامك في مطعم تري وحدك ، أليس كذلك ؟."

"بل كنت مع صاحب المنزل الذي أستأجره."

فضحك مارغوليس بسخرية وقال" :إيفان ...!كم هذا مناسب."!

غير أنّ كولين تجاهل سخريته وقال" :إنني واثق من أن النادلة ستتذكرنا كلينا."

"لأن وجهك كان يبدو كما لو أنه مرّ في آلة فرم اللحم ، أليس كذلك ؟."

"كلا ، بل لأن إيفان بدا غير مناسب لمكان كذلك."

عندها ابتسم مارغوليس ابتسامة سخرية ، ولكن العمل هو العمل ، ثم قال" :إذاً ، غادرت المطعم."

"نعم."

"هل غادرته بمفردك ؟."

"نعم .فقد غادر إيفان قبلي ببضع دقائق بسيارته الخاصة."

"إذاً ، ليس هناك من يمكنه أن يحدّد المكان الذي ذهبت إليه بعد ذلك ؟."

"لقد أخبرتك بما حدث بعد ذلك."

"آه ، هذا صحيح .لقد غيّرت إطار سيارة إحدى السيدات."

"نعم."

"هل فعلت ذلك أثناء العاصفة ؟."

"نعم."

"هل تعرفها ؟."

"كلا."

"إذاً ، لماذا توقفت ؟."

"لأنني ظننت أنها قد تحتاج إلى مساعدتي."

فكر مارغوليس في جواب كولين ، ولا شك في أنه فكر بأن كولين قد ارتكب خطأ ثم قال" :كيف عرفت أنها قد تحتاج إلى مساعدتك ما لم تتوقف ؟."

"لاحظت أنها تبدو بحاجة إلى المساعدة في إخراج الإطار الاحتياطي من مكانه .لذا ، توقفت وترجلت من السيارة ، وعرضت عليها مساعدتي .رفضت عرضي في البداية ، ثم سألتني إن كان بوسعها أن تستعير هاتفي لتتصل بأختها ، فسمحت لها باستخدام هاتفي ، واتصلت بأختها .وبعد ذلك ، طلبت مساعدتي في تغيير الإطار فغيرته .وبعد ذلك ، ركبت سيارتي وتوجهت عائداً إلى البيت."

"متى حدث ذلك ؟."

"لا أعرف .ولكن ، هناك مكالمة صادرة من هاتفي من تلك المرأة إلى أختها .وإن أردت ، سأريك سجل المكالمات على هاتفي."

"بكل تأكيد."

عندها ، مدّ كولين يده إلى جيبه الخلفي وأخرج هاتفه .وبعد بضع نقرات على شاشته ، ظهر سجل المكالمات مثبتاً ادعاءه ، فأراه لمارغوليس.

فما كان من مارغوليس إلا أن أخرج جهازه اللوحي ، وتعمّد أن يدوّن الرقم ببطء ، ثم قال" :من أين لي أن أعرف أن هذا هو رقم أخت السيدة ؟."

"لن تعرف."

"ولكنك لن تمانع إن اتصلت بها وتأكدت."

"افعل ما يحلو لك .فالوقت وقتك وأنت تضيعه."

عندها ، قطّب مارغوليس حاجبيه قليلاً ثم قال" :إنك تعتبر نفسك ذكياً ، أليس كذلك ؟."

"كلا."

"بل تفعل .ولكن ، أتعرف ماذا ؟ أنت لست كذلك."

لم يجبه كولين .ومرت لحظة طويلة راحا فيها يحدّقان إلى بعضهما بعضاً بصمت .وبعد ذلك ، حمل مارغوليس فنجان قهوته مجدداً ، ثم التف حول السيارة متّجهاً إلى مقعد السائق وقال" :سأتفقّد هذا الرقم ، أؤكد لك ذلك ؛ لأننا كلينا نعرف أنك لا تنتمي إلى الشوارع .رجل مثلك ...كم شخصاً أرسلت إلى المستشفى على مر السنوات ؟ !إنك رجل عنيف .ورغم أنك تظنّ أنه بوسعك أن تسيطر على نفسك إلى الأبد ، إلا أنك لن تنجح .وعندما يحدث ذلك ، سأكون موجوداً .وسأكون أول من يقول لك :لقد سبق لي أن حذرتك."

وبعد لحظات ، انطلق مارغوليس بسيارته مبتعداً ، فراح كولين يراقبها إلى أن اختفت عن ناظريه حول المنعطف.

* * *

"عمّ كنتما تتحدثان كل ذلك الوقت ؟."

فالتفت كولين إلى الوراء ، ورأى إيفان واقفاً على الشرفة مرتدياً ملابس العمل .نزل إيفان وبدأ يمشي متجهاً نحو صديقه.

"المعتاد."

"عمّ كان الحديث هذه المرة ؟."

"عن شجار حصل في كريزي هورس."

"متى ؟."

"عندما كنت معك أو أقود سيارتي أو أغير إطار سيارة."

"هل سأكون أنا حجة غيابك هذه المرة ؟."

"أشك في ذلك .فهو يُدرك أنني لست متورطاً في المشكلة ، وإلا كان سيستدعيني للاستجواب في المخفر."

"إذاً ، لماذا قام بهذا العرض الكبير كله ؟."

فهزّ كولين كتفيه ؛ إذ كانا كلاهما يعرفان جواب هذا سؤالاً .وأشار كولين نحو صديقه قائلاً:

"أهذه هي ربطة العنق التي أحضرتها لك ليلي بمناسبة ذكرى ميلادك ؟."

عندها ، أخفض إيفان نظره ليتفحصها -وكانت مصنوعة من نسيج صوفي متعدد الألوان -ثم قال" :نعم .في الواقع ، هذا صحيح .ذاكرتك جيدة .ما رأيك ؟ أهي مبالغ بها ؟."

"رأيي ليس مهماً."

"ولكن ، هل تعجبك ؟."

"أظنّ أنك إن أردت وضعها ، فينبغي لك فعل ذلك."

للحظات ، بدا إيفان محتاراً وقال" :لماذا تفعل ذلك ؟."

"ماذا تقصد ؟."

"أنت ترفض الرد على سؤال بسيط."

"لأنّ رأيي لا علاقة له بالموضوع .إذ يجب أن ترتدي ما تريده ، وتضع ربطة العنق التي تعجبك."

"قل لي وحسب ، أتعجبك ؟."

"لا تعجبني ربطة عنقك."

"حقاً !لم لا ؟."

"لأنها قبيحة."

"إنها ليست قبيحة."

فأومأ كولين برأسه وقال" :حسناً."

"إنك لا تدري ما تتحدث عنه."

"على الأرجح."

"حتى إنك لا تضع ربطات عنق."

"أنت محق."

"إذاً ، ما الذي يجعلني أهتم برأيك ؟."

"لست أدري."

عندها ، تجهّم إيفان وقال" :إن التحدث إليك مثير للغيظ ، أؤكد لك ذلك."

"أعرف ذلك .فقد أخبرتني هذا من قبل."

"بالطبع .قلت ذلك من قبل لأنه صحيح !ألم نتحدث عن هذا الأمر في تلك الليلة ؟ لا يجب عليك أن تقول كل ما يخطر ببالك."

"ولكنك سألتني."

"حسناً ...انسَ الأمر ."ثم استدار وهمّ بالعودة إلى داخل البيت وقال: "سأتحدث إليك لاحقاً ، هل اتفقنا ؟."

"إلى أين أنت ذاهب ؟."

مشى إيفان بضع خطوات قبل أن يجيب ، ثم من دون أن يلتفت إليه مجدداً قال" :لأغيّر ربطة عنقي اللعينة .وبالمناسبة ، إن مارغوليس محقّ .إذ لا يزال وجهك يبدو كما لو أنه دخل في آلة فرم اللحم."

عندها ، ابتسم كولين وقال" :إيفان."!

فتوقف إيفان في مكانه ، واستدار نحوه وسأله" :ماذا ؟."

"شكراً."

"علامَ ؟."

"على كل شيء."

"نعم ، نعم .إنك محظوظ وحسب لأنني لن أخبر ليلي بما قلته للتو."

"يمكنك إخبارها بذلك إن أردت .فقد أخبرتها مسبقاً."

عندها ، حدّق إليه إيفان وقال" :بالطبع ، لقد فعلت."!

* * *

في قاعة المحاضرات في الجامعة ، جلس كولين في الصف الثالث ، وعكف على تدوين الملاحظات وهو يحاول أن يركّز على كل كلمة تقولها الأستاذة .وكانت المحاضرة تركز على اللغة والتطور الكتابي .في الأسابيع القليلة الأولى من بداية السنة الدراسية ، تولّد لديه رأيان حيال الأمر :الأول هو التفكير في أن معظم ما تقوله الأستاذة يأتيه كما لو أنه أمر فطري ؛ ما جعله يتساءل عن الفائدة التي يجنيها من حضوره .والثاني هو أنه قد تكون هناك فائدة مجهولة تتمثل في اكتسابه بعض الخطط الدراسية المتماسكة التي يمكنه الاستفادة منها في حياته العملية .والمشكلة الوحيدة هي أن الأستاذة -وهي أستاذة عصبية في منتصف العمر وحادة الصوت -كانت تميل إلى الانتقال من موضوع إلى آخر بشكل مفاجئ ؛ ما صعّب عليه الانتباه إلى الدرس نوعاً ما.

كان في السنة الثالثة ، ولكنّ هذا الفصل كان فصله الدراسي الأول في جامعة يو إن سي ويلمنغتون .فالسنتان الأوليان قضاهما في جامعة كيب فير كوميونيتي ، وختمهما بدرجات دراسية مثالية .وحتى الآن ، لم يستطع أن يقرر بعد ما إذا كانت الدروس هنا أصعب أم هناك .وفي النهاية ، قرر أن ذلك يعود إلى صعوبة الامتحانات ، والمستوى المتوقع منه في أبحاثه ، ولكنه لم يكترث لذلك كثيراً .فقد كان يلجأ إلى القراءة كلما استطاع إلى ذلك سبيلاً ، كما كان يدرك أن ليلي تستطيع أن تساعده في دراسته وفي اختباراته كلما احتاج إلى

ذلك ، بالإضافة إلى مساعدته في تحرير أبحاثه .وكقاعدة عامة ، توجّب عليه أن يُنجز مقدار أربع وعشرين ساعة من العمل قبل وقت المحاضرة .وأثناء فترة الاستراحة في حرم الجامعة ، اعتاد أن يدخل المكتبة ليطالع .وحتى الآن ، وجد أن ذلك يؤتي ثماره المرجوة .وعلى عكس العديد من الطلاب الذين يترددون إلى الجامعة ليحظوا بكلّ من التعليم والحياة الاجتماعية ، كان يتردد إليها فقط ليكتسب أكبر قدر ممكن من العلم ، ولينال أفضل درجات ممكنة .فقد سبق له أن انتهى من مرحلة المرح والتفاهة .وفي الحقيقة ، أصبح يبذل كل ما بوسعه ليتجنبها ويتخلص منها.

ومع ذلك ، تملّكته بهجة عارمة لأنه تمكن من الوصول إلى هذه المرحلة. فقد أصبح لديه إيفان وليلي ، وتدريب على الفنون القتالية المختلطة ، ومكان يمكنه أن يعتبره بيته .غير أنّه لم يكن مسروراً جداً من عمله ، فالمطعم الذي يعمل فيه نادلاً بدا سياحياً بالنسبة إلى ذوقه ، ولكنه لم يكن من نوع الأماكن التي قد تؤدي به إلى الوقوع في أية مشكلة .فمعظم الناس يأتون إليه لتناول الطعام ؛ بمن فيهم عائلات كثيرة معها أطفال .أما أولئك الذين يجلسون إلى المقصف ، فهم عادة ينتظرون أن تفرغ طاولة أو أن يحل موعد العشاء .لذا ، كان بكل تأكيد مختلفاً تمام الاختلاف عن نوعية المطاعم التي اعتاد أن يتردد عليها في ما مضى .فخلال سنوات طيشه ، كان يفضّل تلك المقاهي المشبوهة التي تكون مظلمة وقذرة ، والتي تصدح فيها أنواع الموسيقى الغريبة .كان يتوقّع وقوع المشاكل حالما يدخل من الباب ، ولكنه صار يدرك محفزاته وحدوده. ورغم أنه قطع شوطاً طويلاً في السيطرة على غضبه ، ولكن هناك دائماً إمكانية أن يجد نفسه في موقف يجعله يخرج عن السيطرة .ولم يكن لديه أي شكّ في

أنه حتى لو تورط في حادثة في ولاية أخرى ، فإن مارغوليس سيكتشف الحقيقة ، وسيجعله يقضي العقد التالي من حياته خلف القضبان ؛ محاطاً بأناس يعانون من مشاكل الغضب التي يعاني منها نفسها.

وعندما أفاق من شرود ذهنه ، أجبر نفسه على التركيز على المحاضرة مرة أخرى .وكانت الأستاذة تخبرهم أن بعض الأساتذة يجدون أنه من المفيد قراءة مقاطع من كتب ملائمة للسن ، ومن كتب توجّه إلى الطلاب الأكبر أو الأصغر سناً أيضاً .عندها ، تساءل إن كان يجب عليه أن يدوّن هذا الكلام على دفتر ملاحظاته .ترى ، هل يجب عليه فعلاً أن يُذكِّر نفسه بذلك في المستقبل ؟ وقبل أن يتّخذ قراره ، فكّر في سرّه :آه ، ما المشكلة !فإن كانت تعتقد أن هذا مهم ولذلك تقوله ، فلا بد أن أدوّن ملاحظة حوله.

وفي تلك اللحظة ، لاحظ فتاة ذات شعر داكن تسترق النظر إليه من فوق كتفها .وكان قد توقّع أن يجذب إليه الأنظار عندما يدخل القاعة ، حتى إن الأستاذة حدقت إليه حين دخل وقطعت الجملة من منتصفها .ولكن ، بحلول هذا الوقت ، باتت النظرات المحدقة موجّهة مجدداً إلى مقدمة الغرفة.

باستثناء هذه الفتاة .فمن المؤكد أنها راحت تراقبه أو بالأحرى تتفحصه .لم يشعر بأنها تغازله ، بل بالأحرى شعر كما لو أنها تحاول اكتشاف هويته .ولم يكن ذلك يهمه على أية حال .فلتحدق أم لا .فذلك قرارها الشخصي.

وعندما انتهت المحاضرة بعد بضع دقائق ، أغلق كولين دفتر ملاحظاته ، ودسه في حقيبة ظهره .وعندما ألقى حقيبة الظهر على كتفه ، أجفل حين ارتطمت بأضلاعه المصابة بكدمات .كان يعتزم بعد الانتهاء من دروسه التوجه

إلى الصالة الرياضية ليمارس التمارين ، فهو لم يصبح مستعداً بعد لكي يلمسه أحد ، لذا لن يتمرن على المصارعة ، بل كل ما سيقوم به هو مجرد رفع للأثقال وتمارين لوسط الجسم ونصف ساعة من القفز فوق الحبل .وكان سيأخذ استراحة لبعض الوقت ، ثم سيضع سمّاعتَي أذنيه وسيركض لخمسة أميال فيما هو يستمع إلى الموسيقى التي لطالما كرهها والداه ، وبعد ذلك سيستحم ويستعد للعمل .تساءل عن رد فعل رئيسته حالما تراه بهذه الهيئة .وفكر في أنها لن تكون مسرورة لرؤيته ؛ إذ لم يكن وجهه ملائماً لجو المطعم السياحي ، ولكن ما الذي يستطيع فعله ؟

بوجود ساعة من الزمن تفصله عن موعد محاضرته التالية ، بدأ يحث خطاه متّجهاً نحو المكتبة ؛ إذ يتوجب عليه كتابة بحث مطلوب منه .ورغم أنه بدأ به خلال الأسبوع الماضي ، إلا أنه أراد أن ينهي المسودة الأولى خلال الأيام القليلة التالية ؛ وهذا ما لم يكن سهلاً .فبين التدريب والعمل ، توجّب عليه استغلال وقت فراغه المحدود بشكل فعال.

مشى ببطء وهو لا يزال متألماً ، وراح يراقب ردود أفعال الفتيات اللواتي مرّ بهن ، فأتت ردود الأفعال موحدة تقريباً .إذ لاحظنه ، وحدقن إليه ، وكشفن عن تعبير يدل على الصدمة والخوف .وبعد ذلك ، تظاهرن بأنهن لم يلاحظن وجوده في المقام الأول .جعلته تلك الفكرة يشعر بالتسلية ؛ إذ إن مجرد نفخة واحدة منه في وجوههن كانت كفيلة بجعلهن يركضن بأقصى سرعتهن في الاتجاه المعاكس.

وبينما كان ينعطف إلى مسار آخر ، سمع صوتاً من خلفه يقول" :انتظر قليلاً يا هذا !أنت ، هناك ."!من المؤكد أن النداء لم يكن موجهاً إليه ، لذا

تجاهله.

"يا صاحب الوجه المصاب !قلت لك انتظر."!

استغرق الأمر من كولين هنيهة حتى تأكد من أنه سمع الكلام بشكل صحيح ، ولكنه عندما توقف والتفت إلى الوراء ، لمح تلك الفتاة ذات الشعر الداكن التي شاهدها في الصف تلوّح له .عندها ، ألقى نظرة خاطفة من فوق كتفه ، غير أنه لم يكن هناك أحد آخر ينتبه إليها .وعندما اقتربت منه أخيراً ، تأكّد من أنها الفتاة نفسها التي رآها تراقبه في الصف.

"هل تتحدثين إلي ؟."

فقالت وهي تتوقف على بعد بضع أقدام منه" :ألا تظن ذلك؟ من وجهه مصاب هنا غيرك ؟."

لم يكن واثقاً مما إذا كان يجب عليه أن يشعر بالإهانة أم يضحك ، ولكنها قالت ذلك بطريقة جعلت شعوره بالاستياء منها أمراً مستحيلاً.

"هل أعرفك ؟."

"نحن معاً في الصف نفسه."

"أعرف ذلك .فقد رأيتك تحدقين إليّ ، ولكنني ما زلت لا أعرفك."

فقالت" :إنك محق ، فنحن غريبان .ولكن ، هل تسمح لي بأن أطرح عليك سؤالاً؟."

عرف بالضبط ما ستسأله عنه ؛ أي أن موضوع الوجه المصاب مجرد بداية. لذا ، رفع حقيبة ظهره وقال مستبقاً سؤالها" :كنت في مباراة مصارعة."

فقالت" :هذا واضح .لكن ، ليس هذا ما أردت أن أسألك عنه .فقد أردت أن أعرف كم عمرك."

عندها ، فتح عينيه على اتساعهما مندهشاً وقال" :إنني في الثامنة والعشرين .لماذا ؟."

فقالت من دون أن ترد على سؤاله" :هذا مثالي .إلى أين أنت ذاهب ؟."

"إلى المكتبة."

"جيد ، وأنا أيضاً .هل تسمح لي بالانضمام إليك ؟ أظن أنه ينبغي لنا أن نتحدث."

"لماذا ؟."

فابتسمت ، وعندها شعر أن وجهها يذكره بوجه فتاة أخرى .ثم قالت له: "إن تحدثنا فستعرف السبب."

الفصل الرابع

ماريا

قالت ماريا وهي جالسة على مقعد السائق" :هلا تقولين لي مجدداً إلى أين نذهب ."فقبل نصف ساعة ، أقلّت ماريا سيرينا من شارع ساوث فرونت ؛ وهو شارع موازٍ لشارع نهر كيب فير .وكانت سيرينا واقفة عند تقاطع في منطقة تملأها مباني المكاتب القديمة ، وتجمعات من الأكواخ وبيوت القوارب عند ضفة النهر ؛ غافلة عن عمال البناء الذين راحوا ينظرون إليها بإعجاب وهم يعملون في الجانب الآخر من الشارع .كان العمل جارياً على إعادة ترميم تلك المنطقة ببطء ربما ، ولكن بثبات كبقية الواجهة المائية على طول النهر .أضافت ماريا قائلة: "ولماذا يتوجب عليّ أن أقلك ؟."

فأجابت سيرينا قائلة" :لقد أخبرتك من قبل أننا ذاهبتان إلى أحد المطاعم .وطلبت منك أن تقليني لأنني لا أريد أن أقود السيارة الليلة .فقد أتناول القليل من الشراب ."وألقت خصلة شعر على كتفها وقالت" :بالمناسبة ، لقد جرت المقابلة على خير ما يرام .فقد وجد تشارلز أن إجاباتي تدل على عمق التفكير .وشكراً لسؤالك."

عندها ، أشاحت ماريا بوجهها وقالت" :وكيف وصلت إلى هناك ؟."

"لقد أوصلني ستيف .أظن أنه معجب ب.ي ، وسيُلاقيني في وقت لاحق."

"لا بد أنه معجب بك إن رضي أن يتحمل كل هذا الازدحام ."فرغم أن النصف الأول من شهر أيلول قد انقضى ، إلا أن الحر بدا موحياً بمطلع شهر آب ،

لذا كان الشاطئ مزدحماً بالناس .اضطرت ماريا إلى الدوران حول المجمّع مرتين بحثاً عن مكان لركن سيارتها.

"من يأبه لذلك؟ فنحن عند الشاطئ."

"هناك أماكن أفضل لتناول الطعام في وسط المدينة."

"وكيف تعرفين؟ !هل ذهبت إلى شاطئ رايتسفيل منذ أن انتقلت إلى المدينة مجدداً؟."

"كلا."

"إذاً ، هذا هو بيت القصيد .فأنت تعيشين في ويلمنغتون ، لذا ينبغي لك أن تذهب.ي إلى الشاطئ بين الحين والآخر."

"إنني أمارس رياضة ركوب لوح التزلج ، أتتذكرين هذا؟ وأرى الشاطئ أكثر مما ترينه أنت بكثير."

"ولكنني أعني مكاناً يوجد فيه أناس حقيقيون ، وليس مجرد طيور وسلاحف وسمكة تقفز بين الحين والآخر .ينبغي لك الذهاب إلى مكان ممتع يُطِل على منظر طبيعي رائع وفيه الكثير من وسائل التسلية."

"أتعنين كراب.ي بيتس؟."

"إنها مؤسسة محلية."

"بل فخ للسياح."

"وماذا في ذلك؟ فأنا لم أذهب إلى هناك من قبل ، وأريد أن أكتشف ما

وجه الروعة فيه."

عندها ، زمّت ماريا شفتيها وقالت" :لماذا ينتابني إحساس بأن الأمر ينطوي على أكثر مما تقولينه ؟."

"لأنك محامية ، ويخامرك الشك حيال كل شيء."

"ربما ، أو لأنك ببساطة تخططين لشيء ما."

"ما الذي يجعلك تقولين هذا ؟."

"لأنها ليلة السبت ، ونحن لا نخرج أبداً ليلة السبت .وأنت طيلة حياتك لم ترغبي بأن تخرجي معي ليلة السبت."

فأجابت سيرينا" :لهذا السبب سنتناول عشاء مبكراً .فهناك بضع فرق موسيقية تعزف في المقاهي أثناء هذه العطلة الأسبوعية ، لذا سأذهب مع ستيف وبعض الأصدقاء الآخرين للاستماع إلى الموسيقى قبل أن نخرج إلى الاحتفال. لن نجتمع قبل الساعة العاشرة أو الحادية عشرة على أية حال ، لذا لدينا متسع من الوقت."

أدركت ماريا أن سيرينا لديها سر تخفيه عنها ، ولكنها لم تستطع اكتشافه فقالت" :آمل أنك لا تتوقعين مني أن أرافقك."

عندها زفرت سيرينا وقالت" :لا أمل لدي في ذلك ، فأنت كبيرة السن على السهر .وسيصبح الأمر أشبه بالخروج مع والدينا."

"شكراً لك."

"لا تلوميني .فأنت التي قلت إنك كبيرة في السن على الشبان الذين من

مثل سني .لماذا ؟ هل تغيرين رأيك ؟."

"كلا."

"لهذا السبب سنتناول العشاء وحسب."

فجأة ، لمحت ماريا سيارة تخلي مكاناً في موقف السيارات ، فاستدارت لتركن مكانها .وكان لا يزال أمامها شارعان قبل الوصول إلى المطعم ، ولكنها شكت في أن تتمكن من الاقتراب أكثر من ذلك .وفيما هي تركن السيارة ، لم تستطع أن تتخلى عن الشعور بأن سيرينا تتصرف بخجل شديد .وبدا على سيرينا أنها تدرك ذلك.

"كفّي عن القلق إلى هذا الحد ، فأنت تقضين على متعتنا .ما المشكلة في قضائك بعض الوقت مع أختك ؟."

عندها ، ترددت ماريا وقالت" :حسناً ، لنكن واضحتين وحسب ...إن كنت تخططين لاستدعاء أحد الشبان لينضم إلينا إلى الطاولة أو لتصرف مجنون من هذا القبيل ، فأنا لن أكون مسرورة من هذا."

"أنا لست مثل جيل وبول ، هل هذا واضح ؟ لذا ، لن أنصب لك فخاً مريعاً لموعد مع شخص مجهول من دون حتى أن أسألك .ولكن ، إن كان هذا سيشعرك بالتحسن ، فإنني أؤكد لك أن أي شاب لن يجلس معنا .وفي الحقيقة ، سنتناول طعامنا عند المقصف .إذ يفترض أن يكون المنظر هناك أفضل على أية حال .هل اتفقنا ؟."

فكّرت ماريا في ما قالته أختها ملياً قبل أن تطفئ المحرك أخيراً وتقول: "اتفقنا."

* * *

كان كراب‌ي بيتس الذي يقع على أحد الأرصفة على شاطئ رايتسفيل موجوداً منذ أكثر من أربعين عاماً .وبعد أن توالى عليه إعصار تلو الآخر ، بُذلت جهود عديدة لإصلاح مبناه على مدى السنوات بعد أن كان يتحطم .واتسم المبنى بطلائه المتقشر ، وسقفه القرميدي ، وعدة مصاريع نوافذ مكسورة.

وعلى الرغم من مظهره البسيط ، وجدت ماريا وسيرينا المطعم شديد الازدحام ، وتوجّب عليهما أن تشقا طريقهما بصعوبة بين الحشد المنتظر وهما تتوجهان إلى الدرج المؤدي إلى المقصف في الطابق العلوي .وفيما كانت ماريا تتبع أختها ، لاحظت الطاولات الخشبية والكراسي غير المتطابقة ، والرسوم الشخصية على الجدران .كما شاهدت عدة أشياء معلقة من السقف عثر عليها صاحب المطعم الأصلي في شبكته فيما كان يصطاد السمك ، مثل القبعات وأحذية التنس وكرات السلة المثقوبة والملابس الداخلية النسائية والألعاب وعدد لا حصر له من لوحات أرقام السيارات من أكثر من عشر ولايات .ويُشاع أن صاحب المطعم قد توفّي قبل بضع سنوات.

خاطبتها سيرينا بصوت عالٍ" :إنه مكان لطيف تماماً ، أليس كذلك ؟."

"إنه مزدحم جداً بكل تأكيد."

"وهذه تجربة بحد ذاتها .هيا بنا."!

صعدتا على الدرج الذي تصدر درجاته صوت صرير متجهتين إلى سطح المبنى .وعندما خرجتا إلى الشمس ، ضيّقت ماريا عينيها تحت السماء الصافية من الغيوم .وعلى عكس المطعم الموجود في الطابق السفلي ، وجدت المكان

في الأعلى هادئاً ؛ إذ جلس إلى الطاولات عدد من الأشخاص الكبار وبحوزتهم زجاجات مفتوحة من أنواع مختلفة من الشراب .وكانت هناك ثلاث نادلات يرتدين سراويل قصيرة وكنزات قطنية سوداء يهرعن بين الزبائن ويلتقطن الزجاجات الفارغة بكل كفاءة .كانت نصف الطاولات مليئة بدلاء تحتوي على أرجل سلطعونات .وشاهدت ماريا الناس وهم يفتحون الأصداف ليخرجوا اللحم منها.

قالت سيرينا" :نحن محظوظتان ، فهناك مقعدان شاغران عند المقصف."

وكان المقصف يقع في آخر المكان ، ويبدو مغطى بشكل جزئي بظلة صدئة مصنوعة من القصدير ، وبجانبه عشرة كراسٍ صغيرة .تبعت ماريا سيرينا وهي تمشي بشكل متعرج بين الطاولات تحت وهج الشمس الحادة ، ولكنها حين جلست على كرسيها وجدت المكان تحت ظلة المقصف أكثر برودة ، واستطاعت أن تشعر بالنسيم المالح يطير شعرها الطويل مبعداً إيّاه عن كتفيها. وشاهدت من فوق كتف أختها الأمواج وهي تتكسر على الشاطئ ، واللون الأزرق وهو يتغير إلى أبيض ليعود بعد ذلك كما كان .ورغم أنّ وقت العشاء قد اقترب ، إلا أن عدداً من مرتادي الشاطئ ظلّوا يمرحون في الماء أو يتمددون على المناشف .وكان الرصيف يعج بأناس يتفرجون من فوق السياج ومعهم صنارات الصيد بانتظار شيء يلتقطونه .تأمّلت سيرينا المنظر قبل أن تستدير مجدداً نحو ماريا.

وتحدّتها قائلة" :اعترفي الآن .هذا هو بالضبط ما كنت بحاجة إليه .قولي إنني محقة."

"حسناً ، أنت محقة."

فصاحت سيرينا بظفر قائلة" :يسرني أن تقولي هذا .والآن ، هيا فلنطلب شيئاً نشربه .ما الذي ترغبين في تناوله ؟."

"كأس من شراب.ي المعتاد."

عندها ، قالت سيرينا وهي تهز رأسها فجأة" :كلا ، كلا ، كلا .لن تتناولي شرابك المعتاد هنا ؛ فهذا المكان ليس للمشروبات العادية .يجب علينا أن نفعل شيئاً مميزاً ومناسباً لجو الشاطئ ؛ كما لو أننا خارجتان في إجازة .ما رأيك بشراب أقوى ؟."

"هل أنت جادة ؟."

انحنت سيرينا فوق المقصف وقالت" :يجب عليك فعلاً أن تتعلمي كيف تعيشين حياتك بمرح أكثر ."ثم قالت" :مرحباً كولين !هلا تحضر لنا بعض المشروبات."!

لم تكن ماريا قد لاحظت النادل من قبل ، فنظرت إلى حيث تنظر سيرينا ، وشاهدته يرتدي بنطال جينز باهتاً وقميصاً ذا ياقة بيضاء وكمين مرفوعين .وكان ينهي طلباً لإحدى النادلات لتأخذه إلى الجانب الآخر .لاحظت ماريا على الفور كم بدا متمتعاً بلياقة بدنية عالية واستثنائية ؛ إذ كانت كتفاه عريضتين فيما وركاه ضيقتين .وكان شعره مقصوصاً بشكل قصير ، ويكشف عن وشم دقيق على شكل نبتة اللبلاب يحيط بمؤخر عنقه .ورغم أنه كان يدير ظهره إلى الجانب الآخر ، فقد شعرت ماريا بالتأثر حين لاحظت الكفاءة التي راح يجهز بها المشروبات .انحنت نحو أختها وقالت لها:

"ظننت أنك لم تأتي إلى هنا من قبل."!

"لم أفعل."

"إذاً ، كيف عرفت اسم النادل ؟."

"إنه صديقي."

بعد جواب سيرينا ، التفت النادل نحوهما .ولأن هناك ظلاً كان يخيم على وجهه ، لم تبدُ ملامحه واضحة ومرئية .ولم تلاحظ ماريا الكدمة باهتة اللون على خده إلا بعد أن تقدم خطوة إلى الأمام .وفي الحال ، اتضح لها كل شيء .تسمر الساقي في مكانه على حد سواء ، بينما خطرت بباله بلا شك الفكرة نفسها التي خطرت ببالها :لا بد أنك تمزحين .وفي تلك اللحظة الحرجة ، تولّد لدى ماريا انطباع بأنه رغم عدم سروره من مفاجأة سيرينا ، إلا أنه لم يكن بالضرورة مستاء منها على حد سواء .استمر في اقترابه منهما إلى أن بات يقف مقابلهما تماماً ، ثم انحنى إلى الأمام ، ووضع يده على المقصف كاشفاً عن عضلة ذراعه المزينة بوشم ملون.

قال" :مرحباً سيرينا ."وكانت لهجته المتمهلة التي تدل على الثقة في النفس هي تلك اللهجة التي تذكرتها ماريا بالضبط .وقال" :أرى أنك قررت المجيء."

بدت سيرينا مسرورة بتمثيل دورها ، كما لو أنها لم تتدرّب على المشهد برمته مسبقاً ، وقالت" :لقد قلت لنفسي :لمَ لا؟ فهو يوم رائع ."!ومدّت ذراعيها ثم قالت" :يا له من مكان جميل !كنت محقاً بشأن المنظر من الأعلى ، فهو مدهش !هل كان يومك حافلاً؟."

"إن المكان مزدحم للغاية."

"لا عجب في ذلك .فمن ذا الذي لن يرغب في المجيء في يوم كهذا؟ بالمناسبة ، هذه أختي ماريا."

التقت نظرات عينيها بنظرات عيني كولين ، فعجزت عن قراءتها ؛ باستثناء شعور طفيف بالمرح بدا في أعماقها .وجدت مظهره عن كثب مختلفاً كل الاختلاف عن مظهره في تلك الليلة التي غيّر لها فيها إطار السيارة ؛ بوجنتيه البارزتين وعينيه الزرقاوين المائلتين إلى اللون الرمادي وأهدابه الطويلة .وكان من السهل بالنسبة إليها أن تتخيله وهو يختار أي امرأة تحلو له .قال لها وهو يمدّ يده من فوق المقصف" :مرحباً يا ماريا ، اسمي كولين."

صافحته وشعرت بقوة مكبوحة في قبضة يده ، ثم سحبت يدها ، وراقبت نظرة عينيه وهي تتنقل منها إلى أختها وبالعكس.

سألهما قائلاً" :ماذا يمكنني أن أقدم لكما ؟."

تأمّلت سيرينا كلاً منهما قبل أن تضع مرفقيها على المقصف أخيراً وتقول: "ماذا عن كأسين من الشراب القوي ؟."

فقال لها بسلاسة" :ستصلان في الحال ."واستدار ثم أمسك بالخلاط ، وانحنى ليمدّ يده إلى الثلاجة .وشاهدته ماريا وهو يخلط المكونات قبل أن تحوّل نظراتها إلى سيرينا ، وتقول لها" :حقاً؟ ."!وكانت جملة تأكيدية أكثر من كونها سؤالاً.

فسألت سيرينا وهي تبدو مسرورة من نفسها" :ماذا ؟."

"ألهذا السبب أتينا إلى هنا؟ ألأنك أردت لنا أن نلتقي؟."

"أنت من قلت إنك لم تحظي بالفرصة لكي تشكريه مطلقاً .والآن ، ها هي الفرصة سانحة أمامك."

عندها ، هزت ماريا رأسها بدهشة وقالت" :كيف...؟."!

"إنه في صفي ."ومدّت يدها إلى صحن الفستق الموضوع على المقصف ، ثم فتحت بعض الحبات ، وبعد ذلك قالت" :في الواقع ، إنه يحضر اثنتين من موادي الدراسية ، ولكننا لم نلتقِ بالفعل إلا هذا الأسبوع .وبينما نحن نتعرف على بعضنا بعضاً ، ذكر لي أنه يعمل هنا ولديه مناوبة عصر اليوم ، ففكرت في أنه سيكون من الممتع أن نمر ونلقي عليه التحية."

"بالطبع فعلت."!

"ما المشكلة الكبيرة في مجيئنا؟ فنحن سنخرج من هنا بعد قليل ، ويمكنك عندئذ العودة إلى حياكة القفازات الصوفية للقطة أو أياً يكن ما تفعلينه .لذا ، لا تحوّلي هذا الأمر إلى شيء ليس حقيقته."

"لماذا ينبغي لي القيام بذلك؟ فقد سبق لك أن فعلت ذلك بنفسك."

عندها ، قالت سيرينا وهي تمد يدها إلى حبة فستق أخرى" :إن تحدّثت إليه أو لم تتحدثي إليه ، فهذا غير مهم بالنسبة إليّ .إنها حياتك أنت وليست حياتي .وبالإضافة إلى ذلك ، نحن هنا الآن ، لذا دعينا نستمتع بوقتنا وحسب. هل بإمكاننا ذلك؟."

"إنني فعلاً أكره أنك"...

فقاطعتها سيرينا قائلة" :في الواقع ، في حال كنت مهتمة ، إن كولين شاب لطيف وذكي للغاية .ويجب عليك أن تعترفي بأنه جذاب نوعاً ما بالنسبة إلى نادل يعمل في مكان من هذا النوع ."ثم أخفضت صوتها حتى الهمس وقالت" :وأعتقد أن وشومه جميلة وطريفة."

كابدت ماريا للعثور على الكلمات المناسبة ، ثم قالت متلعثمة" :أعتقد"... وحاولت أن تُقيّم الموضوع برمته وهي تعاني من الشعور بالارتباك نفسه الذي تملّكها في الليلة التي قابلت فيها كولين للمرة الأولى ، وأخيراً قالت" :هلاّ نتناول شرابنا ونذهب من فضلك."

فتغيّرت ملامح سيرينا وقالت" :ولكنني جائعة."!

في تلك الأثناء ، عاد كولين وبحوزته كأسين من الشراب .وضع الكأسين أمامهما ، ثم سألهما قائلاً" :هل تريدان شيئاً آخر ؟."

وقبل أن تتمكن ماريا من الرفض ، رفعت سيرينا صوتها ليطغى على الضوضاء وقالت" :هلاّ تعطينا قائمة الطعام."

* * *

تعمّدت سيرينا أن تتجاهل شعور ماريا الواضح بعدم الارتياح طوال فترة تناولهما العشاء.

ومع ذلك ، توجّب على ماريا أن تعترف بأنها لم تجد الوضع غير مريح بقدر ما كانت تخشى .ومعظم السبب في ذلك يعود إلى أن كولين بدا منهمكاً في عمله ؛ لدرجة أنه لم يتسنَّ له أن يعاملهما أكثر من مجرد زبونتين عاديتين. فلم يذكر أي شيء عن تغييره إطار سيارة ماريا ، أو عن حضوره الدروس مع

سيرينا ، وذلك بسبب الزبائن المحتشدين عند المقصف .وبالكاد كان لديه الوقت الكافي لتلبية الطلبات ؛ فراح يتحرّك باستمرار من أول المقصف إلى آخره وهو يحمل الطلبات ، ويُعدّ المشروبات ، ويأخذ الفواتير ، ويحضّر للنادلات ما يحتجن إليه .وخلال الساعة التالية ، ازداد المكان ازدحاماً .وعلى الرغم من انضمام نادلة أخرى إليه -وهي فتاة شقراء جميلة لا تكبر سيرينا بأكثر من عام واحد -فقد أخذ طابور الزبائن المنتظرين للحصول على الشراب يزداد .وإن كان هناك أي دليل يشير إلى معرفة كولين بسيرينا على الإطلاق ، فهو أنه أخذ طلب عشائهما وأوصله إليهما في الحال ، بالإضافة إلى تقديمه لهما المزيد من الشراب. وفي اللحظة التي أنهتا فيها وجبتهما ، سارع إلى أخذ أطباقهما ، ووضع الفاتورة أمامهما ، ثم قام بإغلاق الحساب حالما أعطته ماريا بطاقة ائتمانها .وفي تلك الأثناء ، ظلت سيرينا مستمرة بالثرثرة بمرح.

مرت لحظات نسيت فيها ماريا وجود كولين بالكامل ؛ رغم أنها وجدت نفسها تنظر إليه من وقت إلى آخر .لم تقل سيرينا أي شيء عنه أكثر مما قالته ، ولكن ماريا فكرت في أنه كبير في السن على أن يكون طالب جامعة ، وظنت أنه بوسعها أن تسأل سيرينا عنه ، ولكنها لم ترغب في أن تمنحها الشعور بالرضى عن تصرفها بعد أن عمدت إلى جرّها إلى هنا بطريقة مخادعة.

ورغماً عنها ، توجّب على ماريا الاعتراف بأن سيرينا محقة في ما يتعلق بكولين .فعندما شاهدت كولين الآن وهو ليس مليئاً بالكدمات والدماء وغير مبلل في طريق مهجور ، وجدته شديد الجاذبية ، ونظيف الشكل والهندام على الرغم من وشومه وبنيته القوية .وكانت لديه ابتسامة عريضة وشبه ساخرة. وحسبما لاحظت ، بدت النادلات الثلاث معجبات به ، وكذلك مجموعة الفتيات

اللواتي وصلن بعدهما بعشرين دقيقة .فقد لاحظت ذلك من الطريقة التي أخذن يبتسمن بها له وهو يحضّر مشروباتهن ، ومن الطريقة التي رحن ينظرن بها إليه وهو يستدير مبتعداً .وكان الشيء نفسه ينطبق على النادلة الأخرى .فرغم انشغالها بالعمل بقدر كولين ، إلا أن ماريا لاحظت أنه كان يشتت انتباهها بشكل ملحوظ كلما مر بها ليحضر كأساً أو زجاجة شراب.

كان وجود الندل الوسماء في تلك الأماكن أمراً مألوفاً للغاية ، وكذلك الإعجاب بهم .ولكنّ رد فعل كولين على الإشارات والتلميحات الرقيقة وغير الرقيقة أتى مفاجئاً لها .فرغم لطفه في التعامل مع الجميع ، إلاّ أنه بدا خلافاً لذلك غافلاً تماماً عن اهتمام معجباته به ، أو على الأقل تظاهر بأنه غافل عنها. وفيما كانت تحاول تفسير دوافعه ، أتى نادل آخر وراح يتحرك خلف المقصف ؛ ما حجب عنها رؤية كولين .وكانت سيرينا بجانبها تمسك بهاتفها المحمول وترسل رسائل نصية.

قالت سيرينا وأصابعها تتراقص على شاشة الهاتف" :سأعلم ستيف وميليسا بأننا هنا."

"هل هما هنا ؟."

فأجابت" :إنهما في الطريق ، وعلى وشك الوصول ."وعندما أومأت ماريا برأسها ، تابعت سيرينا كلامها قائلة" :بالمناسبة ، إنه في الثامنة والعشرين من عمره."

"ستيف ؟."

فأجابت سيرينا قائلة" :كلا .ستيف في مثل سني أنا .أقصد أن كولين في

الثامنة والعشرين من عمره."

"إذاً؟."

"وأنت في الثامنة والعشرين."

"أعرف ذلك."

عندها، شربت سيرينا ما تبقى من الشراب في كأسها ثم قالت" :ظننت أنه من المناسب أن أذكر لك ذلك بما أنك كنت تسترقين النظر إليه طوال فترة جلوسنا هنا."

"لم أكن أفعل ذلك."

"كان من الممكن أن تخدعيني."

عندها، مدّت ماريا يدها إلى كأسها وهي تشعر بأنها مبتهجة قليلاً ثم أذعنت قائلة" :حسناً، ربما نظرت إليه مرة أو مرتين .ولكن، أليست سنّ الثامنة والعشرين كبيرة بعض الشيء لكي يكون في الجامعة حتى الآن؟ ألا تظنين ذلك؟."!

"هذا يعتمد."

"على ماذا يعتمد؟."

"على الوقت الذي التحق فيه بالجامعة .فكولين لم يبدأ بالدراسة إلاّ منذ بضع سنوات .لذا، فهو يمضي قدماً حسب البرنامج المناسب .إنه يريد أن يصبح مدرِّساً للمرحلة الابتدائية؛ مثلي تماماً .وإن كنت تشعرين بالفضول، فدرجاته الدراسية على الأرجح أفضل من درجاتي .فهو يأخذ الدروس على محمل الجد إلى

حد كبير ، ويجلس في الصف الأمامي في القاعة الدراسية ، ويكتب عدداً لا حصر له من الملاحظات."

"لماذا تخبرينني بكل هذا ؟."

"لأنه من الواضح أنك مهتمة به."

"لست مهتمة به."

فقالت سيرينا وهي تتظاهر بالبراءة" :لقد أثبتّ لي هذا بكل وضوح طوال الأمسية .إنه بكل تأكيد ليس من النوع الذي قد تودّين الذهاب للرقص معه إطلاقاً .شاب بهذا القدر من الوسامة !أرجوك."

عندها ، فتحت ماريا فمها لترد ، ولكنها أغلقته مجدداً بعد أن أدركت أن قولها أي شيء سيشجّع أختها على المضي في الكلام .وبينما هما صامتتان ، رنّ هاتف سيرينا ، فألقت نظرة عليه.

"إن ستيف في الطابق السفلي .هل أنت جاهزة للذهاب ؟ أم أنك تفضلين الانتظار هنا لبعض الوقت ؟."

"لماذا ؟ ألأنك تريدين مني أن أتواصل مع كولين ؟."

"إنه ليس هنا."

عندها ، رفعت ماريا نظرها ، واكتشفت أن كولين قد غادر.

"لقد كان يعمل في مناوبة بعد الظهر .لذا ، من الأرجح أنه قد غادر ."ثم أضافت وهي تُبعد كرسيها وتضع حقيبتها على كتفها" :بالمناسبة ، شكراً لك على العشاء .هل تودين النزول معي ؟."

عندها ، مدت ماريا يدها إلى حقيبتها وقالت" :ظننت أنك قلت لي إنك لا تريدين أن أقابل ستيف."

"كنت أمازحك .بالمناسبة ، إنه يريد أن يصبح محامياً مثلك .ربما يمكنك أن تقنعيه بالعدول عن الفكرة."

"ولماذا سأفعل هذا ؟."

"هل تريدين مني فعلاً أن أجيب عن هذا السؤال بعد كل ما مررت به بنفسك ؟."

عندها ، التزمت ماريا الصمت .فسيرينا -تماماً مثل والديها -كانت تدرك مدى صعوبة السنوات الأخيرة التي مرت عليها.

قالت سيرينا" :ومع ذلك ، ما حصل أمر مؤسف."

"ما المؤسف ؟."

"أعرف أن كولين كان مشغولاً الليلة ، ولكنك لم تشكريه على تغييره إطار سيارتك .قد لا تودين التحدث إليه ، ولكنّ ما فعله في تلك الليلة كان لطفاً منه. وكان بإمكانك أن تعبّري له عن امتنانك لصنيعه."

التزمت ماريا الصمت مجدداً ، ولكن فيما هي تتبع سيرينا إلى الدرج ، وجدت نفسها تفكر في أن أختها محقة في كلامها كالمعتاد.

* * *

بدا ستيف في غاية الأناقة ببنطاله القصير ذي الأشكال المربعة ، وكنزته السماوية الفاتحة .ووجدته ماريا شاباً لطيفاً جداً ؛ رغم أنها شعرت خلال الدقائق

الأولى من لقائهما بأنه أكثر اهتماماً بسيرينا من اهتمام أختها به ، بما أنها أمضت معظم الوقت وهي تتحدث إلى ميليسا .ورغم أن ماريا وبّخت نفسها وهي تتجه نحو سيارتها ، إلا أنها وجدت نفسها تحسد شقيقتها الصغرى على الطريقة السهلة التي تعيش بها كل جانب من جوانب حياتها.

غير أنها سألت نفسها مجدداً :ما هو مدى صعوبة الحياة بالنسبة إلى طالبة جامعية في الحادية والعشرين من عمرها ؟ إن الكلية عبارة عن فقاعة تُبقي المرء محمياً وبمنأى عن بقية العالم .وهناك الكثير من وقت الفراغ والأصدقاء الذين إما يعيشون معاً أو في البيت المجاور ، فضلاً عن وجود إحساس ساحق بالتفاؤل حيال المستقبل ؛ حتى لو لم تكن لدى الطالبة أية فكرة عمّا قد يعنيه ذلك .ففي الكلية ، يظن الجميع أن حياتهم ستأتي بالضبط كما خططوا لها ، وهي تطفو بهم من ذكرى جميلة إلى أخرى ؛ في شلال من العطلات الأسبوعية المرحة المكونة من ثلاثة أيام.

ولكنها ترددت وغيّرت رأيها في الحال .فبالنسبة إلى أناس مثل سيرينا ، إن تجربة ماريا الخاصة مختلفة تماماً ؛ لأنها كانت تأخذ دراستها على محمل الجد أكثر من معظم الطلاب .فقد تذكّرت أنها كانت تصاب بتوتر شديد في أغلب الأحيان حيال الدراسة .وعندما تسترجع ذكريات الماضي ، تدرك أنها على الأرجح أمضت جل وقتها في الدراسة والقلق بشأن الامتحانات .وتذكّرت أنها اعتادت على العمل على أبحاثها حتى الساعات المبكرة من الصباح وهي تنقّح وتدقّق لتتأكد من أن كل كلمة صحيحة .في ذلك الوقت ، بدا ذلك أهم شيء في العالم ، ولكن في السنوات القليلة الماضية ، بدأت تتساءل عن السبب الذي جعلها تأخذ كل شيء على محمل الجد بهذا الشكل .فالكثير من مشاهير العالم

مثل بيل جيتس وستيف جوبز ومارك زوكربرغ تركوا الدراسة وأبلوا حسناً في حياتهم ، أليس كذلك؟ فقد أدركوا بالحدس أن العالم لا يأبه حيال الدرجات الدراسية ، أو حتى حيال التخرج على المدى البعيد ؛ ولا سيما عندما يُقارن ذلك بصفات أخرى مثل الإبداع أو العزيمة والإصرار .من المؤكد أن درجاتها قد ساعدتها في الحصول على وظيفتها الأولى في مكتب محامي المقاطعة .ولكن ، هل اهتمّ بها أحد منذ ذلك الحين؟ عندما تم توظيفها في الشركة ، أبدوا اهتمامهم فقط بخبرتها العملية ؛كما لو أنهم يعتبرون السنوات الأربع والعشرين الأولى من حياتها عديمة الأهمية .في هذه الأيام ، كانت محادثات بارني تتركز على إنتاجها الحالي في العمل .أما اهتمامات كين ، فقد كانت ذات طبيعة مختلفة كلياً.

وعندما عادت بذاكرتها إلى الماضي ، ندمت لأنها لم تأخذ إجازة لمدة سنة بعد التخرج ، ولم تسافر لتجول في أنحاء أوروبا أو تتطوع لصالح جمعية خيرية أو أياً يكن .بصراحة ، لم تكترث لما تفعله طالما أنه شيء مثير للاهتمام ، ولكنها كانت على عجلة كبيرة من أمرها لتكبر وتصبح ناضجة ، حيث إن تلك الأفكار لم تخطر ببالها قط .لم تشعر يوماً بأنها تعيش حياتها كما يجب .وفي بعض الأحيان ، ندمت على الخيارات التي اتخذتها .وفي هذه السن ، أليست صغيرة على الشعور بمثل هذا النوع من الندم؟ ألا يفترض بهذا الشعور أن يبدأ في منتصف العمر!؟ الله وحده يعلم ، ولكنّ والدها ووالدتها لم يبدُ عليهما الندم حيال أي شيء ؛ رغم أنهما في منتصف العمر .أما سيرينا فتتصرف كما لو أنه ليس لديها أي شيء يشغل بالها في كل العالم .إذاً ، ما الخطأ الذي ارتكبته هي ؟

راحت تلوم الشراب الذي تناولته على الأفكار السوداوية التي انتابتها ،

وقررت أن تتنزّه لبعض الوقت قبل أن تركب السيارة .نظرت إلى الرصيف الممتد في البحر بعينين نصف مطبقتين ، وقالت لنفسها :لمَ لا؟ كان الغسق قد حل ، ولكنها فكرت في أن لديها ساعة من الزمن قبل حلول الظلام.

استدارت إلى الخلف ، وبدأت تشق طريقها في ذلك الاتجاه وهي تتأمّل العائلات التي كانت تغادر الشاطئ في مجموعات .وراح الأطفال المحروقون بالشمس والمنهكون من التعب والمنتحبون يتبعون آباءهم المحروقين بالشمس والمنهكين على حد سواء ، والذين كانوا يجرون خلفهم ألواح التزلج والمظلات والمناشف.

حين وصلت إلى الشاطئ ، توقّفت قليلاً لتخلع صندلها ، وراحت تتساءل في سرّها عمّا إذا كانت ستميز أحداً من المدرسة الثانوية أو إن كان أحد ما سيميّزها ، ولكنها لم تلاحظ وجود أحد .مشت على الرمل وهي تكاد تجرّ قدميها جرّاً .وعندما وصلت إلى الرصيف صعدت الدرجات ، بينما كانت الشمس تبدأ في هبوطها البطيء .ومن بين ألواح الخشب تحت قدميها ، راقبت الرمل وهو يتراجع ويفسح المجال للماء الضحل ، ثم أخيراً للأمواج المتصاعدة نحو الشاطئ .وفي كلا الاتجاهين ، شاهدت راكبي الأمواج يلاحقون التيارات .وفيما كانت تتأمل حركاتهم الرشيقة ، مرت بأناس يصطادون السمك ؛ رجال ونساء وشبان وعجائز وكل واحد منهم هائم في عالمه الخاص .فتذكرت أنها أثناء مراهقتها كانت معجبة بفتى أقنعها بأن تجرب الصيد .حينها ، كان الطقس شديد الحرارة ، واكتشفت أن رمي الصنارة أصعب بكثير مما كانت تظنّ .وفي النهاية ، تركا الرصيف خاليي الوفاض ، وأدركت فيما بعد أنها أحبّت الفتى أكثر مما أحبت الصيد على الإطلاق.

أصبح المكان أقل احتشاداً عندما توغلت فيه أكثر .وبحلول الوقت الذي وصلت فيه إلى آخر الرصيف ، لاحظت صياداً واحداً فقط يقف وظهره باتجاهها. وكان يرتدي بنطال جينز باهتاً ويعتمر قبعة بيسبول ، فأشاحت بوجهها بعيداً عنه ونظرت إلى الأفق ، وتأمّلت القمر وهو يظهر من فوق البحر .وبعيداً ، بدا لها مركب يطفو على السطح .عندها ، بدأت تتساءل عمّا إذا كان من الممكن إقناع سيرينا بالانضمام إليها في رحلة إبحار في عطلة نهاية الأسبوع.

فجأة ، سمعت صوتاً من زاوية الرصيف يقول لها" :هل تتبعينني ؟."

وعندما التفتت نحو مصدر الصوت ، استغرقت بضع ثوانٍ لتستوعب أن الرجل الماثل أمامها هو كولين .وفجأة ، أدركت أنه الصياد الذي رأته معتمراً قبعة البيسبول ، فشعرت بتوهج في وجنتيها .ترى ، هل نصبت لها سيرينا هذا الفخ أيضاً؟ كلا ، فالحضور إلى هناك كان فكرتها هي ، أليس كذلك؟ إذ لم تتحدث سيرينا عن الرصيف ، أو عن كولين ؛ ما يعني أنها لا بد أن تكون مجرد مصادفة ، كتلك الليلة التي توقف فيها وغيّر لها إطار سيارتها .ترى ، ما هي فرص مقابلته هنا؟ لا بد أنها قليلة جداً لكي تكون معقولة .ومع ذلك ، ها هما الآن هنا معاً.

أدركت أنه ينتظر منها جواباً ، فقالت متلعثمة" :كلا ، أنا لا أتبعك .فقد أتيت فقط لأستمتع بالمنظر."

بدا عليه أنه يحاول تقييم جوابها ، ثم قال" :وماذا ؟."

"ماذا تقصد ؟."

"المنظر ، كيف وجدته ؟."

عندها شعرت بالارتباك ، وحاولت أن تقيّم سؤاله قبل أن تجيب ، وأخيراً قالت" :إنه جميل."

"إنه أجمل مما يبدو من المطعم ، أليس كذلك ؟."

"بل مختلف .فهو أكثر سلاماً."

"وأنا أيضاً أعتقد ذلك .ولهذا السبب أنا هنا."

"ولكنك تصطاد السمك...؟"

فقال" :ليس بالفعل .فأنا موجود هنا بشكل رئيس لأتأمل المنظر ؛ أي مثلك تماماً ."وابتسم قبل أن ينحني فوق السياج ، ثم تابع كلامه قائلاً" :لم أقصد أن أزعجك .استمتعي بغروب الشمس يا ماريا."

كان سماعها إياه وهو يناديها باسمها هنا أكثر حميمية مما كان عليه في المطعم نوعاً ما .تأمّلته وهي شاردة الذهن ، فيما كان يُحرّك صنارته ويلقيها في البحر مجدداً ، وتساءلت إن كان يتوجب عليها الرحيل أو البقاء .فقد بدا راضياً بمنحها خصوصيتها ؛ بالضبط كما فعل في الليلة التي التقيا فيها أول مرة ، وهذا ما ذكّرها...

"كولين."

فأدار رأسه نحوها وقال" :ماذا ؟."

"ينبغي لي أن أشكرك على تغييرك إطار سيارتي في تلك الليلة ، فقد أنقذت حياتي فعلاً."

عندها ابتسم وقال" :على الرحب والسعة .لقد سررت بمساعدتك ، وأنا

مسرور لأنك أتيت إلى المطعم الليلة أيضاً."

"تلك كانت فكرة سيرينا."

"لاحظت ذلك .فأنت لم تبدي مسرورة كثيراً برؤيتي."

"ليس الأمر كذلك .فقد كنت وحسب ...متفاجئة."

"وأنا أيضاً."

واستطاعت ماريا أن تشعر بنظرته تتلكأ عليها قليلاً قبل أن يستدير أخيراً. لم تكن واثقة من كيفية الرد عليه .وهكذا ، مضت لحظات بقيا فيها واقفين بصمت .وبدا كولين مسترخياً ومسيطراً على نفسه تماماً ، بينما حاولت ماريا أن تنسى نفسها وتستغرق في تأمل المنظر مجدداً .وبعيداً عنهما ، كان هناك مركب لصيد القريدس يصطاد في الماء المظلم .ومن فوق كتفها ، لمعت الأضواء في كراب.ي بيتس ، وبدأت أصوات موسيقى الروك الخافتة تتسلل من أحد المطاعم مشيرة إلى بداية الاحتفالات المسائية.

تفحّصت ماريا كولين بطرف عينها محاولة أن تكتشف السبب الذي جعله مختلفاً إلى هذا الحد عن باقي الرجال .فانطلاقاً من خبرتها ، كل الرجال في سنها بشكل عام يندرجون تحت خمس فئات :الرجال المتغطرسون الذين يظنون أنفسهم هبة من الله ، والرجال الودودون الذين قد يكونون شركاء أوفياء باستثناء حقيقة أنهم غالباً ما يكونون غير مهتمين بالعلاقات ، والرجال الخجولون الذين بالكاد يستطيعون التفوه بكلمة ، والرجال غير المهتمين بها على الإطلاق لسبب أو لآخر ، وهناك الرجال الصالحون فعلاً وحافظو العهد الصادقون ؛ ومعظمهم مرتبطون بغيرها .ومن وجهة نظرها ، لم يبدُ كولين من

النوع الأول .وبحسب ما لاحظته استناداً إلى سلوكه في المقصف ، لم يبدُ عليه أنه من النوعين الثاني والثالث ، وهذا يعني بشكل واضح أنه إما من النوع الرابع أو الخامس .فهو لم يكن مهتماً بها .ومع ذلك ، في قرارة نفسها شكّت في أنها قد تكون مخطئة حيال ذلك ؛ رغم أنها لم تكن واثقة من السبب .وهذا يترك احتمالاً بأنه قد يكون من النوع الخامس .ولكن لسوء الحظ ، سبق لها أن أنهت المحادثة معه في وقت مبكر .لذا ، ربما كان صمته رد فعل على نفورها الواضح.

بعد أن غيّر إطار سيارتها ، وبعد أن شاهدت كفاءته ولطفه عند المقصف ، وبعد أن أكّدت لها سيرينا أنه شاب لطيف ، وبعد أن بدأ محادثة معها قبل بضع دقائق ، شعرت الآن بأن كتفيها تسترخيان .لا عجب في أنها كانت تمضي عطلاتها الأسبوعية وحيدة.

جرّبت مرة أخرى وقالت" :كولين."!

وعندما استدار نحوها ، كان لا يزال مستنداً إلى السياج ، وعلى وجهه تعبير الاستمتاع نفسه الذي شاهدته عليه عندما رآها للمرة الأولى عند المقصف. "ماذا ؟."

"هل بإمكاني أن أطرح عليك سؤالاً ؟."

"نعم ."ولمعت عيناه الزرقاوان المائلتان إلى اللون الرمادي كما لو أنهما زجاج بحري.

"لماذا تحب الصيد ؟."

عندها ، مدّ يده إلى الأعلى ، وأزاح قبعته عن رأسه إلى الجانب قليلاً ثم قال" :أظن أنني لا أحبه بالفعل ، كما أنني لست بارعاً فيه أيضاً .فأنا بالكاد

أصطاد أي شيء."

لاحظت الدقة التي بدت في نبرة صوته وقالت" :إذاً ، لماذا تفعل هذا ؟."

"إنها طريقة جيدة للاسترخاء بعد العمل ، ولا سيما عندما يكون المكان مزدحماً ...إذ إن حصولي على بضع دقائق لنفسي أمر لطيف .أترين ؟ إنني آتي إلى هنا وأجد المكان هادئاً ، وتتباطأ سرعة العالم من حولي لبعض الوقت .لذا ، بدأت أحضر صنارة الصيد معي لأنها تمنحني شيئاً أفعله بدلاً من الوقوف هنا والتحديق إلى الأفق."

"أتعني كما كنت أفعل ؟."

"بالضبط .هل تودّين أن تستعيري صنارتي ؟ ."وعندما ضحكت بصوت منخفض ، تابع كلامه قائلاً" :وبالإضافة إلى ذلك ، أعتقد أن الناس يشعرون بالتوتر عندما يروونني واقفاً هنا متأمّلاً كما لو أنني أخطط لعمل شرير .وبوجود الكدمات على وجهي التي أصبت بها في وقت مبكر من هذا الأسبوع ، لا بد أنني أرعبتهم أيضاً."

"كنت سأعتقد أنك تبدو شخصاً تأملياً."

"أشك في ذلك .أما أنت ، من ناحية أخرى ، فتبدين من النوع الذين يتأمّل في أغلب الأحيان في ما يتعلّق بأمور مثل الحياة والأهداف والأحلام."

عندها ، احمر وجهها ، وشعرت أنها معقودة اللسان ؛ حيث عجزت عن الرد .ورغماً عنها ، لم يسعها إلا أن توافق سيرينا الرأي ؛ فقد كان كولين شاباً جذاباً جداً .وعلى الفور ، أبعدت الفكرة عن رأسها لأنها لم ترغب في الوصول بأفكارها إلى ذلك الحد.

سألها" :هل تمانعين؟ ."وأشار نحوها قبل أن ينحني ويمسك بصندوق عدته متابعاً" :لا يحالفني الكثير من الحظ هنا."

فاجأها اقتراحه، غير أنها قالت" :آه، نعم .ولكن، إن لم تكن بارعاً بالصيد، فلا أظن أن تلك البقعة ستكون أوفر حظاً."

عندها اعترف قائلاً" :على الأرجح لن تكون كذلك ."ثم وضع صندوق العدة بجانبه على الرصيف، تاركاً مسافة مريحة بينهما، وقال" :ولكن، لن يتوجّب عليّ أن أتحدث بصوت عالٍ."

على عكسها، بدا مسترخياً تماماً .وشاهدته وهو يرمي الصنارة في موقع مختلف، ثم اقترب إلى الأمام وراح يهز الصنارة بلطف.

وبعد دقيقة قال" :إن أختك ذات شخصية مميزة."

"لماذا تقول ذلك؟."

"لقد تعرّفت عليّ مستخدمة عبارة :يا صاحب الوجه المصاب."!

عندها، ابتسمت ماريا وهي تفكر في أن هذا الأسلوب يشبه أسلوب سيرينا كثيراً، وقالت" :إنها فريدة من نوعها، وهذا مؤكد."

"ولكنها أشبه بصديقة لك أكثر من كونها أختاً، أليس كذلك؟."

"هل أخبرتك بذلك؟."

فقال" :كلا، بل لاحظتُ ذلك فيما كنت أخدمكما .إذ من السهل ملاحظة أنكما مقربتان من بعضكما."

وافقته ماريا الرأي وقالت" :نحن كذلك .هل لديك إخوة وأخوات."

"لديّ أختان كبيرتان."

"هل أنتم مقربون من بعضكم ؟."

فاعترف وهو يضبط الصنارة" :ليس مثلك أنت وسيرينا .إنني أحبهما وأهتم لأمرهما بالطبع ، ولكنْ انتهى بنا المطاف بأن يتّخذ كلّ منا طريقه في الحياة."

"ما الذي تعنيه ؟."

"إننا لا نتحدث إلى بعضنا كثيراً ؛ ربما نتحدّث مرة كل بضعة أشهر أو نحو ذلك .بدأ الوضع يتحسن بيننا مؤخراً ، ولكنها عملية تدريجية."

"هذا أمر مؤسف جداً."

فقال" :صحيح."

وأوحت نبرة كلامه بأنه لا يريد فعلاً مناقشة الموضوع أكثر من ذلك. عندها ، سألته مغامرة بالتطرق إلى موضوع أكثر أماناً" :قالت لي سيرينا إنكما في صف واحد ، فهل هذا صحيح ؟."

عندها ، أومأ برأسه وقال" :لقد صادفتني فيما كنت في طريقي إلى المكتبة .أعتقد أنك قد أخبرتها عن شكلي في تلك الليلة من دون شك ، وقد نجحت في الجمع بين الأمرين معاً .ولم يكن ذلك صعباً نظراً إلى وجود الكدمات والرضوض على الوجه."...

"لم يكن الأمر سيئاً إلى هذا الحد ، ولم أفكر فيه كثيراً ."وعندما رفع أحد

حاجبيه ، هزت كتفيها وقالت" :حسناً ، ربما شعرت ببعض الخوف منك عندما وصلت إلى هناك."

"هذا منطقي .فقد كان الوقت متأخراً جداً ، وكنت عالقة في وسط المجهول ليلاً ؛ وهذا أحد الأسباب التي جعلتني أتوقف."

"وما السبب الآخر ؟."

"أنك فتاة."

"هل تظن أن كل الفتيات يحتجن إلى مساعدة في تغيير إطار السيارة ؟."

"ليس كل الفتيات .ولكنّ أمي وشقيقتيَّ كن سيحتجن إلى المساعدة بالتأكيد لو تعرّضن للمشكلة نفسها .ولم يتملّكني شعور بأنك كنت تحظين بالكثير من الوقت الممتع."

عندها ، أومأت برأسها وقالت" :شكراً لك."

"سبق لك أن شكرتني."

"أعرف ، ولكنك تستحق أن تشكر مجدداً."

"حسناً."

"حسناً فقط ."!ورفعت زاوية فمها.

"إنها عبارتي المفضلة عندما يتفوه الناس بجملة توكيدية بدلاً من طرح سؤال."

عندها ، قطّبت حاجبيها وقالت" :أظن أن هذا منطقي."

فقال" :حسناً ."ضحكت رغماً عنها ، وأخيراً بدأت تشعر بالاسترخاء.

سألته قائلة" :هل تحبّ العمل في المطعم ؟."

فأجابها" :لا بأس به .فهو يساعدني على تسديد فواتيري بينما أدرس في الكلية ، كما أنني أستطيع تنظيم وقتي .والبقشيش جيد ، ولكنني آمل ألا أجد نفسي مجبراً على الاتخاذ من هذا العمل مهنة لي .فهناك أمور كثيرة أريد أن أقوم بها في حياتي."

"قالت لي سيرينا إنك تريد أن تعمل في مهنة التدريس."

فأكّد كلامها قائلاً" :هذا صحيح .بالمناسبة ، إلى أين ذهبت ؟."

"لقد التقت بعض أصدقائها ، وسيتجولون في المقاصف ويستمعون إلى الموسيقى ، ثم سيتوجّهون على الأرجح إلى حفلة ما أو ما شابه."

"ولماذا لم تنضمي إليهم ؟."

"إنني مسنة بعض الشيء بالنسبة إلى حفلات الجامعة ، ألا تظن ذلك ؟."

"لا أعرف .كم عمرك ؟."

"ثمانية وعشرون."

"أنا في الثامنة والعشرين من عمري أيضاً ، ولا أزال في الجامعة."

فكّرت في سرّها بأنها تعرف ذلك من قبل ، ثم سألته" :هل تحضر حفلات الكلية ؟."

فاعترف قائلاً" :كلا .ولكن ، ليس السبب هو أنني أعتبر نفسي مسناً .فأنا لا

أرتاد الحفلات وحسب ، وكذلك المقاهي."

"ولكنك تعمل في مطعم."!

"ذلك شأن مختلف."

"لماذا ؟."

"لأنني أعمل هناك .وحتى لو لم أكن أعمل هناك ، فذلك المكان ليس من الأماكن التي قد ينتهي بـي المطاف فيها وأنا أوقع نفسي في المتاعب ؛ لأنه مجرّد مطعم عادي."

"وهل توقع نفسك في المتاعب في المقاهي عادة ؟."

فقال" :اعتدت أن أفعل ذلك في ما مضى ، ولكن ليس بعد الآن."

"ولكنك قلت للتو إنك لا تذهب إليها."

"ولهذا السبب لم أعد أقع في المشاكل."

"وماذا عن النوادي ؟."

فهز كتفيه وقال" :هذا يعتمد على نوع النادي ، وعلى الشخص الذي أذهب معه إليه .ولكنني عادة لا أذهب إليها ؛ ربما بين الحين والآخر فقط."

"ألأنك تتعرض للمشاكل هناك أيضاً ؟."

"اعتدت على حصول ذلك في الماضي."

احتارت من جوابه ، غير أنها استدارت نحو الأفق أخيراً .كان القمر متوهجاً على خلفية السماء التي بدأت تتحوّل ببطء من اللون الرمادي إلى الأسود .تبع

كولين نظرة عينيها ، ولم يتكلم أي منهما لبعض الوقت.

وأخيراً ، سألته" :أي نوع من المتاعب ؟."

عندها ، رفع طرف صنارته ، وراح يحرك الخيط قبل أن يرد عليها قائلاً: "شجارات."

لم تكن واثقة من أنها سمعته بشكل صحيح ، فسألته" :هل اعتدت أن تتشاجر مع الناس في النوادي والمقاهي ؟."

"حتى عام مضى ، كنت أتشاجر في تلك الأماكن طول الوقت."

"ولماذا كنت تخوض تلك الشجارات ؟."

"إنّ الشبان يذهبون إلى المقاهي والنوادي لأربعة أسباب :للشرب حتى الثمالة ، وللتسكع مع الأصدقاء ، وللتعرف على الفتيات ، وللشجار .وأنا كنت أذهب إلى هناك للأسباب الأربعة كلها."

"هل كنت تذهب لتقاتل ؟."!

"كنت أفعل ذلك عادة."

"كم مرة ؟."

"لست واثقاً من أنني أفهم السؤال."

"كم مرة تورّطت في شجارات ؟."

"لا أستطيع أن أتذكر بالضبط .ولكن ، على الأرجح أكثر من مئة مرة."

عندها ، فتحت عينيها على وسعهما وقالت" :هل خضت فعلاً أكثر من

مئة شجار في المقاهي والنوادي ؟."!

"نعم."

لم تكن واثقة مما ينبغي لها أن ترد به عليه ، وأخيراً قالت" :لماذا تخبرني بهذا ؟."

"لأنك سألتني."

"وهل تجيب عن كل شيء يسألك الناس عنه ؟."

"ليس كل شيء."

"ولكنك تظن أن إخباري بشيء كهذا أمر مقبول ، أليس كذلك ؟."

"نعم."

"لماذا ؟."

"أظن أنك محامية ، أليس كذلك ؟."

أخذت نفساً عميقاً بعد أن فاجأها تغييره الموضوع ، ثم قالت" :هل أخبرتك سيرينا بهذا ؟."

"كلا."

"إذاً ، كيف عرفت أنني محامية ؟."

"لم أعرف ، بل خطرت ببالي هذه الإمكانية لأنك تطرحين الكثير من الأسئلة .فمعظم المحامين يفعلون هذا."

"ونظراً إلى عدد الشجارات التي خضتها في المقاهي ، لا بد أن لديك خبرة

كبيرة بالمحامين ، أليس كذلك ؟."

"نعم."

"ما زلتُ لا أصدق أنك تخبرني بهذا."!

"ولمَ لا أخبرك!؟."

"لأن الاعترافَ بالاعتياد على خوض الشجارات في المقاهي ليس شيئاً يفعله الناس عادة عندما يتعرفون على بعضهم للمرة الأولى."

فقال" :حسناً .ولكن ، كما قلت لك ، أنا لم أعد أفعل ذلك بعد الآن ؟."

"وماذا عن تلك الليلة ؟."

"كنت قد شاركت في مباراة في الفنون العسكرية القتالية ؛ وهي أمر مختلف كلياً عما اعتدت أن أفعله في الماضي."

"ولكنّ ذلك يبقى قتالاً ، أليس كذلك ؟."

"بل هي نوع من الرياضة مثل الملاكمة والتايكواندو."

عندها ، حدقت إليه مندهشة ثم سألته" :أهي نوع من الرياضات التي تمارس في القفص ؟ وهل يمكن حدوث أي شيء ؟."

فأجاب" :نعم للسؤال الأول ، ولا للثاني .فهناك قواعد محددة .في الواقع ، هناك الكثير من القواعد ؛ حتى لو كانت الرياضة عنيفة نوعاً ما."

"وأنت ، هل تستمتع بالعنف ؟."

"إنه جيد لي."

"لماذا؟ ألأنه يساعدك على البقاء بعيداً عن المشاكل؟."

فابتسم وقال" :من بين أشياء أخرى ."وللمرة الأولى، وجدت نفسها منذ وقت طويل عاجزة تماماً عن العثور على الكلمات المناسبة.

الفصل الخامس

كولين

كان كولين قد شاهد من قبل ردود أفعال أناس آخرين مماثلة لرد فعل ماريا ، وأدرك أنها تفكر في سرّها في ما إذا كان يتوجّب عليها البقاء أم الرحيل. وعادة ، كان الناس يبدون ردود أفعال سلبية لدى سماعهم عن ماضيه .ورغم أنه لم يرغب في أن يجلد نفسه عقاباً على أخطائه ، إلا أنه لم يكن فخوراً بها على حد سواء .ولكنّها شخصيته ؛ بكل ما فيها من سلبيات وعيوب ، وكان يتقبّلها. والآن ، حان دورها هي لتتخذ قرارها بملء إرادتها.

وأدرك كولين أن إيفان كان سيهز رأسه لو سمع الطريقة التي ردّ بها على أسئلة ماريا .ولكن ، خلافاً لرغبة كولين في أن يتوخى الصدق والصراحة ، ما لم يستوعبه إيفان هو أن محاولته إخفاء الحقيقة حيال ماضيه جهد لا طائل منه ؛ حتى لو حاول أن يبقيها طي الكتمان .فالناس يتّسمون عادة بالفضول والحيطة والحذر في آن معاً .وأدرك أن مجرّد بحث سريع على الإنترنت كافٍ لظهور عدد من مقالات الصحف التي تتحدث عنه ، كما أدرك أيضاً أنّ أياً منها لا ترسم صورة إيجابية عنه .وإن لم يصرّح بكل شيء عن نفسه منذ البداية ، فلا بد أن ماريا أو سيرينا ستبحث عنه في موقع جوجل ؛ بالطريقة نفسها التي فعلت بها فيكتوريا ذلك.

فقبل بضع سنوات ، التقى فيكتوريا في الصالة الرياضية .وبعد أن ثرثرا معاً لبعض الوقت وبشكل متقطع على امتداد عدة أشهر ، باتا يتمرنان معاً بشكل منتظم .عندها ، اعتقد أنهما يتفقان معاً بشكل جيد ، واعتبرها شريكة

تدريب جيدة ؛ إلى أن بدأت تتجنبه بلا سابق إنذار .فقد كفّت فجأة عن الرد على رسائله النصية أو مكالماته ، وأصبحت تتمرن في الصباح بدلاً من المساء. وعندما تمكّن من التحدث إليها حيال الموضوع أخيراً ، صرّحت له عن المعلومات التي اكتشفتها عنه ، وأصرت على أن يكفّ عن الاتصال بها .ولم تكن مهتمة بسماع أي أعذار ، فلم يقدّم لها كولين أياً منها ، ولكنه تساءل عن السبب الذي جعلها تُجري ذلك البحث على الإنترنت في المقام الأول .فهما ما كانا يتواعدان أصلاً ، حتى إنه لم يكن واثقاً من أنهما قد وصلا إلى مرحلة الصداقة بعد .وبعد شهر ، توقفت عن الذهاب إلى الصالة الرياضية بشكل نهائي ، ولم يرها منذ ذلك الحين.

ولم تكن الفتاة الوحيدة التي فضّلت الابتعاد عنه بعد معرفتها الحقيقة. ورغم أن إيفان قد يُعلِّق على ذلك ساخراً بالقول إن كولين يتطوّع في الحال لسرد كل تفاصيل تاريخه لأي شخص يسأله عنه ، إلا أن الأمر ليس كذلك. وبشكل عام ، لم يكن الأمر من شأن أحد .وكان كولين يفضّل أن يبقى الوضع بتلك الطريقة ؛ ما لم يصبح شخص ما جزءاً من حياته ، أو يوشك على أن يصبح كذلك .ورغم أنه فكّر في أنه من المبكر تماماً أن يعرف إن كانت ماريا تندرج تحت تلك الفئة ، إلا أن أختها سيرينا زميلة له .وإن تحدّثت إليه مرة ، فقد تتحدث إليه مرة أخرى .لا بد له أن يعترف بأن هناك شيئاً ما حيال ماريا قد أثار اهتمامه ، وجزء منه بالطبع هو مظهرها ؛ فقد كانت نسخة أكثر نضجاً ولفتاً للنظر من سيرينا ، فهما تمتازان بالشعر الأسود نفسه ، والعينين الداكنتين نفسيهما .ولكنه لاحظ عند المقصف أنها فتاة غير مغرورة .فرغم أنها جذبت أنظار عدد من الرجال في المطعم ، إلا أنها لم تبدُ مدركة لذلك ؛ وهذا أمر نادر

للغاية عند الفتيات .ومع ذلك ، إن انطباعاته الأولية عادة تكون أكثر عمقاً .فعلى عكس سيرينا التي تبدو ثرثارة ومتفجرة بالنشاط والحيوية وليست من النمط الذي يفضّله ، بدت ماريا أكثر هدوءاً وتأملاً وأشد ذكاء بشكل واضح.

والآن ، ماذا؟ !وراح يتأمّل ماريا وهي تحاول أن تتخذ قراراً في ما إذا كان يجدر بها البقاء أو الرحيل ، ومتابعة المحادثة أو الوداع .لم يقل أي شيء ، ومنحها الفرصة لتتخذ قرارها بنفسها .وبدلاً من ذلك ، ركّز انتباهه على الشعور بالنسيم وسماع صوت الأمواج .وفيما كان يحدّق إلى الرصيف ، لاحظ أن معظم الناس الذين كانوا يصطادون قد انصرفوا ، فيما بدأ الباقون يجمعون عدتهم أو ينظفون الأسماك التي اصطادوها.

انحنت ماريا فوق السياج ، فأضفت السماء المظلمة على وجهها عتمة جعلتها تبدو غامضة ومبهمة .شاهدها وهي تأخذ نفساً عميقاً ، وأخيراً سألته: "هل هناك معلومات أخرى؟ ."فابتسم كولين.

"رغم كثرة استمتاعي بممارسة التمارين الرياضية ، إلا أن هناك أوقاتاً لا يكون فيها مزاجي مناسباً لها .ومع ذلك ، عندما أعرف أن لدي مباراة قادمة يجب عليّ التمرن لها ، أكون مجبوراً على النهوض عن الأريكة والذهاب إلى الصالة الرياضية."

"هل تفعل ذلك كل يوم؟."

فأومأ برأسه وقال" :عادة جولتان ، أو ثلاث جولات مختلفة في اليوم ، وهذا يستغرق الكثير من الوقت."

"ماذا تفعل تحديداً؟."

فهز كتفيه وقال" :كل شيء تقريباً .إن قدراً كبيراً من تمريني يرتكز على الضرب والتشبث .ولكنني بعد ذلك أحاول المزج بين التمارين الأخرى قدر المستطاع ، فأمارس رفع الأثقال ، وأتمرّن أيضاً على ركوب الدراجة الثابتة واليوغا والجري وتسلّق الحبل وصعود السلالم ، بالإضافة إلى تمارين بناء الجسم وغيرها .فطالما أنني أتصبب عرقاً ، فأنا مسرور."

"تمارس اليوغا."!

"إنها ليست مفيدة للمرونة والتوازن وحسب ، ولكنها رائعة للحالة العقلية .فهي أشبه بالتأمل ."وأومأ نحو الماء الذي بدا لامعاً وبلون الذهب الأحمر تحت أشعة الشمس الأخيرة قبل غروبها ، ثم أضاف قائلاً" :وكذلك وجودي هنا بعد انتهاء العمل."

حدّقت إليه وقالت" :لا تبدو لي كشاب يمارس رياضة اليوغا ، فالذين يمارسون هذه الرياضة"...

فقاطعها مكملاً الجملة" :نحيلون؟ ملتحون؟ يحبون أشياء مثل البخور والمسابح المصنوعة من الخرز؟."

عندها ، ضحكت وقالت" :أردت أن أقول إنهم عادة لا يميلون إلى العنف."

"ولا أنا .لا أحد يميل إليه .إن الإصابات يمكن أن تحدث أثناء المباريات بالتأكيد ، ولكنني لا أودّ بالضرورة إيذاء أحد ، فكلّ ما أريده هو الفوز ليس إلا."

"أليس الأمران متماثلين؟."

"في بعض الأحيان ، ولكن ليس دائماً .فإن تمكّنت من تثبيت خصومك وجعلهم يذعنون ، فسيستسلمون بكل سهولة وينسحبون من المباراة."

راحت تُدير السوار الذي تضعه حول معصمها ثم قالت" :أهو مخيف؟ أعني الدخول إلى ذلك القفص."

"لا ينبغي لمن يخاف أن يدخل الحلقة في المقام الأول .بالنسبة إليّ ، الرياضة القتالية شيء يجعل الأدرينالين يتدفّق في جسدي .وسرّ الفوز هو الحفاظ على نسبة الأدرينالين تحت السيطرة."

وبدأ يسحب خيط الصنارة.

"أفهم من قولك هذا أنك بارع للغاية."

"لا بأس ب.ي بالنسبة إلى هاوٍ ، ولكنني سأعاني من صعوبة في خوض مباريات المحترفين .ولكن ، ليس حلمي أن أصبح محترفاً ، فأنا أمارس هذا النشاط إلى أن أتخرج فقط .وعندما يحين الوقت ، سأكون مستعداً للمضي قدماً."

وبدلاً من أن يرمي صنارته مجدداً ، عمل على تثبيت الخطاف والشرك في الصنارة وتثبيت الخيط ، ثم قال" :وبالإضافة إلى ذلك ، التدريس والقتال في القفص لا ينسجمان مع بعضهما تماماً .فعلى الأرجح ، سوف أخيف الأطفال الصغار كما أخفتك."

"الأطفال الصغار."!

فقال" :إنني أنوي أن أدرّس الصف الثالث الابتدائي ."وانحنى ليصل إلى

صندوق العدة ، ثم أضاف" :بدأ الظلام يحل .هل أنت مستعدة للعودة ؟ أم أنك تودين البقاء أكثر قليلاً ؟."

فأجابت قائلة" :يمكننا الذهاب ."وعندما وضع كولين الصنارة على كتفه ، لاحظت ماريا المطاعم المضيئة من الداخل ، والناس الذين يصطفون أمامها منذ الآن ، وأصوات الموسيقى الخافتة التي تملأ الجو ، وقالت" :بدأ المكان يصبح مزدحماً هنا."

"لهذا السبب طلبت أن أعمل في مناوبة العصر ؛ فالمكان يصبح أشبه بحديقة حيوانات في الليل."

"ولكنه جيد بالنسبة إلى البقشيش ، أليس كذلك ؟."

"إنه لا يستحق كل هذا العناء ، إذ إن أغلب مرتاديه من طلبة الجامعة."

فضحكت بصوت عذب ورنان .بدآ يُعيدان رسم الخطوات التي اتخذاها في وقت مبكر ، من دون أن يشعر أي منهما بالحاجة إلى الاستعجال في المشي. وفي الضوء الخافت ، جعلته ابتسامتها الفاتنة يتساءل عما تفكر فيه .سألها مقاطعاً الصمت" :هل تعيشين هنا منذ زمن ؟."

فأجابت قائلة" :لقد نشأت هنا ، ثم انتقلت للعيش هنا مجدداً في شهر كانون الأول الماضي .فما بين الدراسة في الكلية ، وكلية الحقوق ، والعمل في تشارلوت ، غبت عن هذه المدينة حوالي عشر سنوات .أنت لست من هنا ، أليس كذلك ؟."

فأجابها قائلاً" :إنني من ريلييه ، ولكنني كنت أمضي فصول الصيف هنا في صغري .وقد عشت هنا لمدة شهر أو اثنين لعدة سنوات بعد المدرسة

الثانوية .والآن ، أنا أعيش هنا بشكل دائم منذ ثلاث سنوات."

"لا بد أننا كنا جارين في بعض الأوقات ولم أدرك ذلك .فقد التحقت بجامعتي يو إن سي وديوك."

"سواء أكنا جارين أم لا ، فأنا أشك في أننا نعيش في المحيط الاجتماعي نفسه."

فابتسمت وقالت" :إذاً ...هل أتيت إلى هنا لتدرس في الجامعة ؟."

"ليس في البداية .فقد التحقت بالجامعة بعد فترة من الزمن .في الواقع ، أتيت إلى هنا لأن والديّ طرداني من البيت ولم أعرف إلى أين أذهب .وكان صديقي إيفان يعيش هنا ، فانتهى بي المطاف مستأجراً غرفة منه."

"هل طردك والداك من البيت ؟."

فأومأ برأسه وقال" :كنت بحاجة إلى صفعة تجعلني أستيقظ من غفلتي ، فمنحاني ما أحتاج إليه."

عندها ، حاولت أن تُبقي رد فعلها حيادياً.

وأضاف قائلاً" :لا ألومهما ، فقد استحققت ذلك .وكنت سأطرد نفسي لو كنت مكانهما."

"أفعلا ذلك بسبب الشجارات ؟."

"إن الموضوع ينطوي على ما هو أكثر من ذلك ، ولكنّ الشجارات تشكل جزءاً منه .فقد كنت طفلاً مضطرباً نوعاً ما .وبعد المدرسة الثانوية ، أصبحت رجلاً مضطرباً لبعض الوقت ."وألقى نظرة خاطفة عليها ثم قال" :ماذا عنك ؟

هل تعيشين مع والديك ؟."

فهزّت رأسها نافية وقالت" :إنني أعيش في شقة في شارع ماركت .ورغم حب.ي لوالديّ ، إلا أنه ليس هناك أي مجال لكي أعيش معهما."

"ماذا يعملان ؟."

"إنهما يملكان مطعم لا كوكينا دو لا فاميليا ، أي مطعم العائلة بالإسبانية."

"سمعت عنه ولكنني لم أذهب إليه قط."

"ينبغي لك القيام بذلك ، فالطعام هناك رائع للغاية .ولا تزال والدتي تطبخ الكثير منه بنفسها ، والمكان مزدحم دائماً."

"إن ذكرت اسمك هناك ، فهل سأحصل على حسم على الفاتورة ؟."

"وهل أنت بحاجة إلى حسم ؟."

"ليس بالفعل ، ولكنني أتساءل في سرّي عن الحد الذي وصلنا إليه."

"سأرى ما يمكنني فعله ، ولكنني واثقة من أنه بوسعي القيام ببعض الحيل."

وبحلول ذلك الوقت ، كانا قد تخطيا الرمل ووصلا إلى الدرج ، فتبعها وهي تقفز فوق الدرجات برشاقة.

سألها وهو ينظر إلى عينيها" :هل تودين أن أوصلك إلى سيارتك ؟."

فترددت قائلة" :سأكون على ما يرام ؛ فهي ليست بعيدة."

عندها ، نقل الصنارة من كتف إلى أخرى غير راغب بانتهاء الأمسية ، ثم قال:

"إن كانت سيرينا قد خرجت مع أصدقائها ، فما هي خططك أنتِ لبقية الليلة ؟."

"لا شيء بالفعل .لماذا ؟."

"هل تريدين الاستماع إلى الموسيقى قليلاً بما أننا هنا الآن ؟ إذ لم يصبح الوقت متأخراً كثيراً بعد."

شعر أنّ سؤاله أتى مفاجئاً لها ، وظنّ للحظة أنها سترفض عرضه .غير أنّها عدلت وضعيّة حمالة حقيبتها على كتفها ، وراحت تعبث بالقفل بشرود .وفيما كان منتظراً جوابها ، فكّر مجدداً في أنها تبدو جميلة جداً برموشها السوداء الطويلة التي تحجب أفكارها.

"ظننت أنك لا تذهب إلى المقاهي والنوادي."

"صحيح .ولكن ، يمكننا أن نتمشى على الشاطئ لبعض الوقت ونستمع إلى الموسيقى من حيث نقف."

"هل هناك أي فرق موسيقية جيدة ؟."

"ليست لديّ أي فكرة."

بدا التردد على وجهها قليلاً قبل أن تستسلم وتقول" :حسناً ، ولكنني لا أريد أن أتأخر .فلنتمشَّ لوقت قصير فقط على الشاطئ ، هل اتفقنا ؟ فأنا لا أريد البقاء هناك عندما يصبح المكان محتشداً."

عندها ، ابتسم وهو يشعر بالراحة في أعماقه ، ثم رفع صندوق العدة وقال" :أريد فقط وضع هذا في مكانه ، لأنني أفضل ألا أحمله معي طوال الوقت."

وهكذا ، عادا أدراجهما إلى المطعم .وحالما وضع الأشياء في المكان المخصص للموظفين ، تجوّلا عائدين إلى الرمال .في تلك الأثناء ، كانت النجوم تلمع في السماء ؛ فبدت كدبابيس ألماسية ساطعة في السماء المخملية ، فيما واصلت الأمواج تلاطمها المستمر ، وبدا النسيم الدافئ أشبه بزفير هادئ .وفيما كانا يمشيان الهوينا ، بات مدركاً لحقيقة أنها قريبة منه بما يكفي لكي يلمسها ، ولكنه أبعد تلك الفكرة عن ذهنه.

"في أي نوع من القانون أنت متخصصة ؟."

"أعمل بشكل رئيس في قضايا التأمين ، وكذلك في الأبحاث وأداء الشهادات والمفاوضات ، وكملاذ أخير في الخصومات."

"وهل تدافعين عن شركات التأمين ؟."

"معظم الوقت .وبين الحين والآخر ، نكون إلى جانب الادعاء ، ولكنّ هذا ليس شائعاً كثيراً."

"هل يبقيك هذا مشغولة ؟."

فأومأت برأسها وقالت" :كثيراً .فهناك بوليصة لكل شيء .وفيما تحاول البوليصة توقّع كل احتمال ممكن ، هناك دائماً مناطق رمادية .لنقل إن شخصاً ما انزلق في متجرك ويقاضيك ، أو إن موظفاً لديك يقاضيك بعد أن طردته من العمل ، أو إنك ربما تقيم حفل ذكرى ميلاد لابنك ويصاب أحد أصدقائه بالأذى

في بركة السباحة في بيتك .إن شركة التأمين مسؤولة عن الدفع للمدّعين ، ولكنها في بعض الأحيان تقرر مقاومة ذلك الادعاء .وهذا هو المكان الذي نتدخل فيه نحن ، لأن الطرف الآخر يوكّل محامين أيضاً."

"هل تذهبين إلى المحكمة ؟."

"لم أذهب بعد .ليس في هذه الوظيفة على أية حال .فأنا ما زلت أتدرب ، والشريك الذي أقوم بمعظم عملي لصالحه هو الذي يذهب إلى المحكمة .ولكنّ الحقيقة هي أن معظم قضايانا يتم حسمها قبل الذهاب إلى المحكمة .ففي النهاية ، هذا أرخص كلفة وأقل مشاحنة لجميع الأطراف."

"أنا واثق من أنك تسمعين الكثير من نكات المحامين."

فقالت" :ليس الكثير .لماذا ؟ هل تعرف واحدة ؟."

مشى خطوتين وقال" :كيف ينام المحامي ؟ ."وعندما شاهدها وهي تهز كتفها قال" :أولاً ، ينام على أحد جانبيه ، ثم ينام على الجانب الآخر."

"كم هذا مضحك."!

"إنني أمزح .فأنا أول من يقدّر قيمة المحامين الجيدين .إذ تعرّفت على بعض المحامين البارعين."

"وهل احتجت إليهم ؟."

فأجابها قائلاً" :نعم ."وأدرك أن هذه الإجابة ستحثّها على طرح المزيد من الأسئلة ، لذا واصل الكلام وهو يومئ برأسه نحو المحيط ، وقال" :إنني أحب المشي على الشاطئ ليلاً."

"لماذا؟."

"لأنه مختلف عما هو عليه في النهار ؛ ولا سيما عندما يكون القمر بازغاً... فأنا أحب الغموض ، كما أحب التفكير بأن أي شيء ربما كان يسبح هناك تحت سطح الماء."

"هذه فكرة مرعبة."

"ولهذا السبب نحن هنا ولسنا هناك."

ابتسمت لدى سماعها كلماته ، ودهشت لدى إدراكها حالة الاسترخاء التي راحا يمشيان فيها بشكل متعرج على طول الشاطئ .لم يشعر أي منهما بالحاجة إلى الكلام ، وركّز كولين على الإحساس بقدميه وهما تغوصان في الرمل ، وعلى النسيم الدافئ الذي راح يداعب وجه .وفيما كان يراقب شعر ماريا وهو يتراقص مع الهواء ، أدرك أنه يستمتع بالمشي معها أكثر مما توقع .ذكّر نفسه بأنهما مجرد غريبين ، ولكن لسبب ما تولّد لديه شعور بأنهما يعرفان بعضهما.

وأخيراً ، قالت له" :لدي سؤال ، ولكنني لا أعرف إن كان شخصياً جداً."

عرف سؤالها قبل أن تطرحه ، ولكنه أجابها قائلاً" :تفضلي."

"قلت لي إنك كنت رجلاً مضطرباً خضت الكثير من الشجارات العنيفة في المقاهي ، وإنك تعرفت على محامين رائعين."

"نعم."

"هل سبب معرفتك بهم يرجع إلى تعرّضك للاعتقال؟."

عدّل وضع قبعته ثم أجاب" :نعم."

"هل حصل ذلك أكثر من مرة ؟."

فاعترف قائلاً" :نعم ، أكثر من مرة .وبقيت لمدة طويلة المطلوب الأول لدى عدد من رجال الشرطة في ريلييه ووليمنغتون."

"هل تمّت إدانتك ؟."

فأجاب" :بضع مرات."

"وهل دخلت السجن ؟."

"كلا .فقد قضيت على الأرجح ما مجموعه سنة كاملة في حجز المقاطعة ؛ لم تكن المدة متواصلة ، بل كانت شهراً هنا وشهرين هناك .ولم أصل إلى حدّ دخول السجن قطّ .غير أنني كدت أدخل السجن بالفعل آخر مرة ؛ لأن الشجار الأخير كان عنيفاً للغاية ، ولكنني توقفت بشكل جاد .وها أنا الآن."

عندها ، أطرقت برأسها ، وراحت بلا شك تتساءل عن صحة قرارها بالمشي معه.

"عندما تقول إنك توقفت بشكل جاد"...

مشى بضع خطوات قبل أن يردّ على كلامها بالقول" :أعني أنني أمضي فترة تعليق للعقوبة مدتها ثلاث سنوات ، ولا تزال أمامي سنتان .وهذا جزء من الصفقة التي تم الاتفاق عليها .بشكل أساسي ، إن لم أتورط في أي مشاكل خلال العامين القادمين ، فسوف يعملون على تنظيف سجلي بشكل كامل .ممّا يعني أنه سيصبح بوسعي التدريس في الصفوف المدرسية ، وهذا مهم بالنسبة إليّ .فالناس لا يريدون أن يدرّس المجرمون أولادهم .ومن ناحية أخرى ، إن

أفسدت الأمر فسيصبح الاتفاق باطلاً ، وسأذهب إلى السجن مباشرة."

"وكيف يكون هذا ممكناً ؟ أعني كيف يمكن تنظيف سجلك بالكامل ؟."

"لقد تمّ تشخيص حالتي باضطراب الغضب وتوتر ما بعد الصدمات ؛ ما شكّل تأثيراً على النية الإجرامية لديّ .إنك تعرفين ما يعنيه هذا ، أليس كذلك ؟."

فقالت" :إنّك تعني أنّك لم تستطع منع نفسك."

فهز كتفه وقال" :لست أنا من يقول هذا ، بل هذا ما يقوله الأطباء النفسيون .ولحسن الحظ ، لدي التقارير التي تثبت ذلك .فقد خضعت للعلاج لمدة خمسة عشر عاماً تقريباً .وكنت أتناول الدواء بشكل دوري .وكجزء من الاتفاق ، توجّب علي أن أمضي بضعة أشهر في مستشفى للأمراض النفسية في ولاية أريزونا متخصص في علاج اضطرابات الغضب."

"وعندما عدت إلى ريلييه ، طردك والداك من البيت."!

فقال" :نعم .ولكنّ كل تلك القصص مجتمعة ؛ أي الشجار وحكم السجن المحتمل ، والاتفاق ، والوقت الذي قضيته في المستشفى ، واضطراري فجأة للعيش بمفردي ؛ كل تلك الظروف قادتني إلى إجراء بعض البحث الروحي الجاد ، فأدركت أنني تعبت من الحياة التي أعيشها ، وتعبت مما أنا عليه .ولم أعد أريد أن يعرفني الناس بأنني الشخص الذي ركل رأس رجل بعد أن سقط على الأرض فاقداً وعيه ، بل أردت أن أصبح معروفاً كصديق ورجل يمكن الاعتماد عليه ، أو على الأقل كرجل لديه مستقبل جيد بانتظاره .لذا ، توقّفت عن ارتياد الحفلات ، وركّزت كل طاقتي على التدريب والذهاب إلى الكلية والعمل بدلاً من

ذلك."

"هكذا ببساطة."!

"ليس الأمر سهلاً كما يبدو .ولكن ، نعم ...هكذا ببساطة."

"إن الناس لا يتغيرون عادة."

"لم يكن لدي خيار آخر."

"ومع ذلك"...

"لا تبني فكرة خاطئة عني .فأنا لا أحاول أن أختلق الأعذار لما كنت عليه. فبغض النظر عمّا قاله الأطباء عن قدرتي على السيطرة على سلوكي أو عدمها ، فأنا أعرف أنني كنت مضطرباً .فأنا لم أكن أهتم البتة حيال تحسين نفسي .وبدلاً من ذلك ، ظللت أدخن الممنوعات ، وأثمل وأثير الفوضى في منزل والديّ ، وأحطم السيارات ، وأتعرض للاعتقال المرة تلو الأخرى بسبب الشجار .ولمدة طويلة ، لم أكن أهتم بأي شيء ما عدا الاستمتاع بوقتي بالطريقة التي تحلو لي."

"والآن ، هل أنت مهتم ؟."

"كثيراً .وليست لدي أية نية في العودة إلى حياتي القديمة."

شعر بعينيها تتأملانه ، وأحسّ بأنها تحاول أن تقارن بين الماضي الذي وصفه لها والرجل الماثل أمامها ، وأخيراً قالت له" :أستطيع أن أفهم معاناتك من اضطراب الغضب .ولكن إصابتك بتوتر ما بعد الصدمة هي ما لا أفهمه."

"نعم."

"ماذا حدث ؟."

"هل تريدين فعلاً أن تعرفي ؟ فهذه قصة طويلة نوعاً ما ."وعندما أومأت برأسها تابع كلامه قائلاً" :كما قلت لك ، لقد كنت طفلاً مضطرباً نوعاً ما .وبحلول الوقت الذي وصلت فيه إلى سنّ الحادية عشرة ، أصبح من المستحيل السيطرة علي .وفي نهاية المطاف ، أرسلني والداي إلى مدرسة داخلية .وكانت المدرسة الأولى التي التحقت بها في غاية السوء .فقد اكتشفت أن عقلية قانون الغاب تسود هناك بين طلاب المراتب العليا ؛ ولا سيما عندما يصل شخص جديد .في البداية ، حدثت أشياء صغيرة ؛ مثل الاستيلاء على الحليب الخاص ب.ي أو الحلوى الخاصة ب.ي في المقهى ، أو إجباري على تلميع أحذيتهم أو ترتيب أسرّتهم بينما يذهب شاب آخر ويوسخ غرفتي التي يجب عليّ تنظيفها قبل التفتيش .ومع ذلك ، ليس هذا بالأمر الهام ؛ لأن كل طالب جديد يمر بهذا النوع من الأشياء ، ولكنني وجدت أن بعض الشبان الآخرين مختلفون عن غيرهم لأنهم ساديون .فقد كانوا يجلدونني بالمناشف المبللة بعد أن أستحم ، أو يتسللون من خلفي وأنا أدرس ويلقون ملاءة عليّ ، أو يبدأون بضرب.ي بشكل مبرح .وبعد فترة ، بدأوا يفعلون ذلك ليلاً أثناء نومي .وفي ذلك الوقت ، كنت صغير الحجم بالنسبة إلى عمري .وقد ارتكبت خطأ الإجهاش بالبكاء ؛ الأمر الذي شجّعهم على التمادي في عدوانهم حتى أكثر من ذي قبل .وشيئاً فشيئاً ، شعرت بأنني تحوّلت إلى مشروعهم الخاص .فكانوا يأتون إليّ ليلتين أو ثلاث ليالٍ في الأسبوع وبحوزتهم ملاءات ، ويضربونني بها ضرباً مبرحاً ، ويهددوني بأنني سأموت قبل أن ينتهي العام الدراسي .عندها ، بدأت أشعر بخوف شديد ، وأصبحت متوتّراً طوال الوقت .وكنت أحاول أن أبقى مستيقظاً دائماً ، وكنت

أجفل لدى سماعي أقل ضجة في الليل ، ولكنني لم أستطع تجنّب النوم .وقد كانوا ينتظرون إلى أن يغلبني النعاس .واستمر ذلك الوضع القذر شهوراً .وما زلت أعاني من الكوابيس بسببه حتى الآن."

"وهل أخبرت أحداً بذلك ؟."

"بالطبع فعلت .فقد أخبرت كل من استطعت إخباره ؛ المدرب والمعلمين والمستشار وحتى والديّ .غير أن أحداً منهم لم يصدقني ، وراحوا جميعاً يأمرونني بأن أكف عن الكذب والنحيب ، وأن أتحلى بالقوة ؛ هكذا ببساطة."

"كم هذا مريع."!

"لا شك في ذلك ، فقد كنت مجرد طفل صغير .ولكن بعد فترة ، أدركت أنه يجب عليّ الخروج من هناك أو أنهم سيتمادون في ذلك أكثر ذات يوم .لذا ، انتهى ب.ي المطاف وأنا أتولى الأمر بيدي .فقد هرّبت بعض بخاخات الدهان ، وقمت ببعض عمليّات التخريب في المبنى الإداري .وهكذا ، انتهى ب.ي المطاف وقد طردتُ من هناك ؛ وهذا بالضبط ما أردته حينها ."ثم أخذ نفساً عميقاً وتابع قائلاً" :وعلى أية حال ، تمّ إغلاق المدرسة بعد عدة سنوات ؛ بعد أن قامت الصحيفة المحلية بكشف على المكان .فقد مات ولد هناك ؛ ولد كان في مثل سني .لم يُذكَر اسمي ضمن أسماء الطلاب المذكورين في الكشف ، ولكنّ الخبر انتشر لبعض الوقت ، ووُجِّهت تهم مدنية وجنائية وكل ما هنالك .وكان مصير البعض دخول السجن .عندها ، شعر والداي بالأسى الشديد لأنهما لم يصدقاني. وأعتقد أنهما تحملاني لوقت طويل بعد أن تخرجت لأنهما ظلاّ يشعران بالذنب

لما حل ب.ي حينها."

"إذاً ، بعد أن تم طردك"...

"ذهبت إلى مدرسة داخلية أخرى .ولكنني عاهدت نفسي بألاّ أسمح بأن أتعرض للضرب مرة أخرى .وقرّرت أن أكون من يسدد اللكمة الأولى .وهكذا ، تعلّمت القتال ودرسته وتدربت عليه .وبعد ذلك ، إن أمسكني أحد ما ، كنت وحسب ...أفقد صواب.ي كما لو أنني عدت طفلاً صغيراً مجدداً .لذا ، تعرّضت للطرد المرة تلو الأخرى ، وبالكاد مضيت في طريقي في الدراسة .وبعد أن تخرّجت ، ظل وضعي السيئ يتفاقم ويتعاظم منذ ذلك الحين كالكرة الثلجية. وكما قلت لك ، كنت في حالة اضطراب كامل ."سارا بضع خطوات بصمت ثم قال" :على أية حال ، كل ذلك تم التعامل معه خلال الجلسات القضائية."

"وكيف تتعامل مع والديك في الوقت الحاضر ؟."

"كما أتعامل مع شقيقتَيّ .فالعمل جارٍ في الموضوع .وفي الوقت الحاضر ، لديهما قرار تقييد ضدي."

عندها ، ارتسم تعبير يوحي بالصدمة على وجهها ، فتابع كلامه شارحاً:

"كنت أتجادل مع والدي في الليلة التي سبقت ذهاب.ي إلى أريزونا ، فانتهى ب.ي المطاف وأنا أثبّته على الجدار .لم أكن أنوي إلحاق الأذى به ، وقد قلت لهما مراراً إنني أردت منهما أن يستمعا إليّ فقط .ولكنّ الموقف أثار فزع والديّ .لم يقدّما أي شكوى ضدي ، وإلا ما كنت لتريني هنا ، غير أنّهما حصلا على أمر من المحكمة يمنعني من دخول بيتهما .إنهما لا يطبّقانه بالضرورة في الوقت الحاضر ، ولكنه لا يزال موجوداً على الأرجح ليمنعاني من مجرد التفكير

في العودة والانتقال للعيش معهما."

تفحّصته بعينيها وقالت" :ما زلت لا أفهم كيف يمكنك أن تتغير بهذه البساطة !أعني ، ماذا سيحصل إن استولى عليك الغضب مجدداً ؟."

"ما زلت أستشيط غضباً .فالجميع يغضبون ، ولكنني تعلمت طرائق مختلفة للتكيف معه ؛ مثل الامتناع عن الذهاب إلى المقاهي والامتناع عن تعاطي الممنوعات .وأنا لا أتناول أكثر من كأس أو اثنتين من الشراب عندما أجتمع مع أصدقائي ، وأمارس نشاطات بدنية كل يوم مثل التمرين الشاق ؛ فهو يساعدني في السيطرة على مزاجي .وبالإضافة إلى ذلك ، لقد تعلمت الكثير من الأشياء المفيدة في المستشفى ؛ أي طرائق مختلفة تساعدني في التكيف .وقد انتهى المطاف بتلك التجربة بأن كانت أفضل الأشياء التي قمت بها في حياتي."

"ما الذي تعلمته هناك ؟."

"تعلمت أشياء مثل التنفس العميق ، والمشي والسماح للأفكار بالابتعاد ، أو محاولة تسمية الشعور بشكل دقيق عندما يأتي على أمل إضعاف قوته ...هذا كله ليس سهلاً ، ولكنه يتحول إلى عادة بعد مرور فترة من الزمن .إن القيام بهذا يستغرق الكثير من الجهد والكثير من التفكير الواعي .ولكن ، لو لم أكن أفعل كل تلك الأشياء لتوجب عليّ ربما أن أتناول مجدداً عقار الليثيوم المقيت الذي أكرهه كل الكره .إنه عقار جيد بالنسبة إلى الكثير من الناس ، وينجح في علاجهم ، ولكنني لم أشعر بأنني على طبيعتي عندما كنت أتناوله ؛ فقد شعرت أن جزءاً مني ليس على قيد الحياة ، وأنني أتضور جوعاً مهما تناولت من طعام .وانتهى ب.ي المطاف وقد اكتسبت وزناً زائداً وأصبحت بديناً .ولهذا ،

أنا أفضل أن أتمرن بضع ساعات في اليوم وأمارس اليوغا وأتأمل وأتجنب الأماكن التي قد أتعرض فيها للمتاعب."

"وهل ينجح هذا معك ؟."

فأجاب قائلاً" :حتى الآن."

وفيما كانا يتمشيان على طول الشاطئ ويبتعدان أكثر ، بدأت الموسيقى تخفت تدريجياً ، وارتفع صوت الأمواج التي راحت ترتطم بالشاطئ .وخلف التلال الرملية ، حلّت البيوت محل الأماكن التجارية ، وبدت الأضواء التي راحت تشع من نوافذها .فيما راحت السرطانات تهرع من مكان إلى آخر ، وتنطلق مسرعة عند اقترابهما منها ببطء.

علّقت ماريا قائلة" :إنك كثير الانفتاح حيال الموضوع بأسره."

"إنني أجيب عن أسئلتك ليس إلا."

"ألست قلقاً مما قد أظنه حيالك ؟."

"ليس بالفعل."

"ألا يهمك رأي الآخرين بك ؟."

"بل أهتم إلى درجة معينة ؛ فالجميع يهتمون بآراء الآخرين .ولكن ، إن كنت ستصدرين حكماً عليّ ، إذاً يجب أن تعرفي من أنا فعلاً ، وليس فقط الجزء الذي أقرر إخبارك عنه .فأنا أفضّل أن أتوخى الصراحة حيال كل شيء ، وأن أدعك تقررين بنفسك إن كنت تريدين مواصلة الحديث معي أم لا."

حدقت إليه بفضول حقيقي وسألته" :هل أنت هكذا دائماً ؟."!

"ماذا تقصدين ؟."

"أعني أنك صريح حيال كل شيء."

فقال" :كلا ، بل حدث هذا بعد أن عدت من المستشفى ؛ بالإضافة إلى كل التغييرات الأخرى التي قررت أن أجريها على حياتي."

"وكيف تأتي ردود أفعال الناس ؟."

"معظمهم لا يعرفون كيف يفهمون ذلك ، ولا سيما في البداية .إيفان مثلاً لا يزال غير قادر على فهم ذلك ، ولا أظن أنك تفهمين سلوكي هذا على حد سواء. ولكن ، لا يزال من المهم بالنسبة إليّ أن أتوخى الصدق ، ولا سيما مع الأصدقاء أو مع أي شخص أظن أنني قد أراه مجدداً."

"ألهذا السبب أخبرتني ؟ ألأنك تظن أنك قد تراني مرة أخرى ؟."

فقال" :نعم."

مرّت بضع ثوانٍ لم تستطع خلالها إدراك ما يعنيه.

وأخيراً قالت" :إنك رجل مثير للاهتمام يا كولين."

فاعترف قائلاً" :لقد كانت حياة مثيرة للاهتمام ، وأنت كذلك أيضاً."

"ثق ب.ي ، مقارنة معك ، أنا أبعد ما يكون عن ذلك."

"ربما نعم وربما لا ، ولكنك لم تهرب.ي بعد."

"ما زال هناك احتمال بأن أفعل ذلك ؛ فأنت مخيف نوعاً ما."

"كلا ، لست كذلك."

"بالنسبة إلى فتاة مثلي؟ !صدّقني ، أنت لا تخلو ممّا يُخيف .على الأرجح ، هذه هي المرة الأولى في حياتي التي أُمضي فيها أمسية مع شاب يتحدث عن الدوس على رؤوس الآخرين في الشجارات ، أو أنه ثبّت والده على الجدار."

"أو تعرّض للاعتقال أو ذهب إلى مصح نفسي"...

"وهذان الأمران أيضاً."

"وماذا؟."

عندها ، أبعدت عن وجهها بضع خصلات الشعر وقالت" :ما زلت أفكّر. في الوقت الحاضر ، ليست لدي أية فكرة عما قد أقرره حيال ما قلته .ولكن ، إن قررت فجأة أن ألوذ بالفرار ، فلا تحاول أن تلحق ب.ي .هل نحن متفقان؟."

"هذا منصف تماماً."

"هل أخبرت سيرينا بأي من هذا الكلام؟."

فقال" :كلا ، لأنها على عكسك أنت لم تسألني."

"هل كنت ستخبرها لو سألتك؟."

"على الأرجح."

"بالطبع ستفعل."

"ما رأيك في أن نتحدث عنك أنت بدلاً من ذلك؟ هل سيجعلك هذا تشعرين بالتحسن؟."

فابتسمت ابتسامة ملتوية وقالت" :ليس هناك الكثير لأقوله .فقد أخبرتك

قليلاً عن عائلتي ، وأصبحت تعرف أنني نشأت هنا ، وأنني التحقت بجامعتي يو إن سي وديوك للحقوق ، وأنني أعمل محامية .إن ماضيّ ليس بالضبط ...متنوعاً مثل ماضيك أنت."

فقال" :هذا شيء جيد ."ثم استدارا معاً وبدآ برحلة العودة.

قالت" :حسناً ."وعندما ضحك ، توقّفت عن السير للحظة ، ثم مدت يدها إلى ذراعه لتثبّت نفسها ، ورفعت إحدى قدميها عن الرمل وقالت" :امنحني لحظة من فضلك ، فصندلي يكاد يقتلني."

شاهدها وهي تخلع فردتَي الصندل من قدميها .وعندما أفلتت ذراعه أخيراً ، ظل يشعر بالدفء الذي تركته لمستها على ذراعه .قالت له" :هذا أفضل. شكراً لك."

بدآ يمشيان مجدداً ، وإنما ببطء أكثر هذه المرة .وعلى السطح في كراب.ي بيتس شاهدا الحشد يتزايد ، بينما امتلأت المقاصف الأخرى بالناس على حد سواء .وفوقهما ، اختفت معظم النجوم عندما طغى عليها ضوء القمر الساطع. وفي ذلك الصمت الهادئ ، وجد نفسه يتأمل ملامحها بإعجاب ؛ تأمّل عظمتي وجنتيها وشفتيها الممتلئتين وأهدابها الطويلة وبشرتها الخالية من أي شائبة أو عيب.

ثم علّق قائلاً" :إنك شديدة الصمت."

"إنني أحاول فقط أن أستوعب كل ما قلته لي ، فقد أخبرتني الكثير."

فوافقها الرأي قائلاً" :لا شك في ذلك."

"سأقول إنك مختلف."

"من أية ناحية ؟."

"قبل أن أحصل على وظيفتي هنا ، عملت كمساعدة لمحامي المقاطعة في تشارلوت."

"هل تمزحين ؟."

"قبل ثلاث سنوات ، كانت تلك وظيفتي الأولى بعد أن حصلت على شهادة المحاماة."

"إذاً ، أنت معتادة على استجواب شبان مثلي وليس على مواعدتهم ؟."

فأومأت برأسها نصف إيماءة ، وتابعت كلامها قائلة" :إن الأمر ينطوي على ما هو أكثر من ذلك .فمعظم الناس يختارون بعناية الطريقة التي يروون بها قصصهم .وهناك دائماً تحيّز إيجابي من جانبهم حيال تلك الطريقة .فهم يصوغون قصصهم بذلك الأسلوب .أما أنت فحيادي للغاية ؛ كما لو أنك تصف حياة شخص آخر وليس حياتك أنت."

"إنني أشعر أحياناً أنها حياة شخص آخر."

فقطّبت جبينها وقالت" :في الواقع ، لا أعرف إن كنت أستطيع فعل ذلك ، ولا أعرف إن كنت أريد أن أفعل ذلك ، أو على الأقل إلى الدرجة التي تفعل بها أنت ذلك."

فابتسم وقال" :يبدو كلامك ككلام إيفان .كيف وجدت العمل في مكتب محامي المقاطعة ؟."

"في البداية ، مضت الأمور على ما يرام .ووجدت العمل برمته تجربة تعليمية رائعة .ولكن بعد فترة ، أدركتُ أنها ليست كما اعتقدت."

"أتعنين مثل الذهاب في نزهة معي ؟."

فقالت" :نوعاً ما .فأثناء دراستي في كلية الحقوق ، كنت أظن أن التواجد في قاعة المحكمة سيبدو أشبه بما يحصل في المسلسلات التي نشاهدها على شاشة التلفاز .لقد أدركت بلا شك أن الأمر سيكون مختلفاً ، ولكنني لم أكن مستعدة لمدى الاختلاف الذي سأواجهه في الواقع .بالنسبة إليّ ، بدا الأمر كما لو أنني أتابع الشخص نفسه بالخلفية نفسها مراراً وتكراراً .وكان محامي المقاطعة يتولى القضايا الهامة ، ولكنّ المشتبه بهم الذين تعاملت معهم كانوا نماذج متكررة .إذ كانوا عادة فقراء وعاطلين عن العمل ، ولم ينالوا إلا النزر اليسير من التعليم ، كما كانوا عادة متورطين بالمخدرات والكحول .وهكذا ، وجدت الأمر قاسياً وحسب .وكان هناك كم هائل من القضايا ، فبتّ أخشى الذهاب في صباح أيام الاثنين إلى العمل ؛ لأنني أعرف ما ينتظرني على المكتب .وقد وضعني حجم القضايا في موقع يتوجّب عليّ فيه تحديد القضايا التي تحتل الأولوية ، والاستمرار في مفاوضات صفقات الاسترحام .كلنا نعرف أن جرائم القتل ومحاولات القتل أو الجرائم المرتكبة تحت تهديد السلاح جرائم خطيرة .ولكن ، كيف تحدد الأولوية في ما يتعلّق بالجرائم الأخرى ؟ !فهل الشخص الذي يسرق سيارة أسوأ ، أم الشخص الذي يقتحم منزل شخص ما ويسرق المجوهرات ؟ وكيف يمكن مقارنة كلتا الحالتين بحالة سكرتيرة تختلس المال من شركتها ؟ ولكن ، هناك مجال محدد لقرارات المحكمة ، ومجال متاح ومحدد في السجن. وحتى إن وصلت قضية نادرة إلى المحكمة ، فليس المهم هو ما تعرف أنه قد

حدث ، بل ما يمكنك إثبات أنه منطقي من دون أي شك ، وهنا يصبح الأمر أكثر تعقيداً .يعتقد العامة أن لدينا مصادر لا حدّ لها للمحاكمة ، وقدرات بلاغية ، وشهوداً خبراء جاهزين ، ولكن ليس هذا ما يحدث .فمقارنة الحمض النووي مثلاً قد تستغرق أشهراً ؛ ما لم نكن بصدد التحقيق في قضية بالغة الأهمية ، والشهود متضاربون بشكل سيئ السمعة ، والأدلة غامضة وملتبسة .ومجدداً ، هناك كم كبير من القضايا .وحتى إن أردت فعلاً أن أغوص في أعماق قضية معينة ، فسيتوجّب عليّ إهمال كل الملفات الأخرى التي تنتظرني على المكتب .وهكذا ، في أغلب الأحيان ، إن التصرف العملي الوحيد هنا هو مجرد العمل مع المجلس إلى أن ننجح في إيصال الموضوع إلى جريمة أقل خطورة."

راحت تركل الرمل ، وجرّت قدميها فوقه جرّاً وهي تقول" :لطالما وجدت نفسي في مواقف يتوقع مني الناس فيها نتائج لا يمكنني التوصل إليها ، ثم ينتهي ب.ي المطاف في نظرهم بأنني الشخص الشرير .ففي أذهانهم ، المشتبه بهم ارتكبوا جرائم وينبغي أن يحاسبوا عليها ، وهذا يعني دائماً بالنسبة إلى الضحايا السجن أو التعويض من نوع ما ، ولكن ذلك لم يكن ممكناً .إذ لم يكن ضباط الاعتقال ولا الضحايا يشعرون بالسرور من النتيجة .وهكذا ، مع مرور الوقت أصبحت أشعر بأنني أخذلهم وأخيّب آمالهم .وبطريقة ما ، كنت كذلك بالفعل. وفي نهاية المطاف ، أدركت أنني مجرد سن مكسورة في عجلة هذه الآلة العملاقة المعطلة."

أبطأت من سرعتها ، وشدّت كنزتها حول جسمها وقالت" :هناك وحسب ...شرّ في هذا العالم .لن تصدّق القضايا التي كانت تصل إلى مكتبنا :أمّ تجبر ابنتها ذات الأعوام الستة على العمل في مهنة غير مشروعة لتحصل على

المخدرات ، ورجل يغتصب امرأة في التسعين من عمرها .إنّ هذا كافٍ لكي يجعلك تفقد ثقتك بالبشرية .ولأن هناك عبئاً كبيراً يلقى على عاتقك ويأمرك بالسعي وراء أولئك المشتبه بهم المريعين ، فهذا يعني أن المرتكبين الآخرين لا ينالون العقوبة التي يستحقونها ، وينتهي بهم المطاف بالعودة إلى الشارع .وفي بعض الأحيان "...وتوقّفت عن الكلام للحظات ، ثم هزت رأسها وتابعت" :على أية حال ، في نهاية فترة عملي هناك ، أصبحت بالكاد أستطيع النوم ، وبدأت نوبات فزع غريبة تنتابني أثناء تواجدي في العمل .وفيما كنت أمشي إلى هناك في صباح أحد الأيام أدركت أنني لم أعد أستطيع فعل ذلك مجدداً .وهكذا ، توجّهت إلى مكتب مديري وقدّمت استقالتي ، من دون أن يكون لدي عمل آخر متاح."

"يبدو لي أن عملك كان يستنزف طاقتك بطرائق كثيرة مختلفة."

فابتسمت بكآبة وقالت" :هذا صحيح ."وراح طيف من المشاعر المتضاربة يتراقص على وجهها.

"وماذا ؟."

"ماذا ؟."

"هل تريدين أن تتحدثي عن الأمر ؟."

"عمّ ؟."

"عن السبب الحقيقي الذي جعلك تستقيلين ، ذلك الجزء الذي جعلك تتعرّضين لنوبات الفزع."

عندها أجفلت والتفتت إليه وقالت مندهشة" :كيف يمكنك أن تعرف ذلك ؟."

فقال" :لا أعرف .ولكن ، إن كنت قد عملت هناك لفترة طويلة فلا بد أن شيئاً معيناً قد حصل ؛ أعني شيئاً سيئاً .وأظن أنه يتعلق بقضية ما ، أليس كذلك ؟."

فجأة ، توقّفت عن المشي ، وأدارت وجهها نحو المياه والظلال المضاءة بضوء القمر ، فبدا تعبير وجهها مزيجاً من الحزن والشعور بالذنب ، وقد ظهر معه ألم عابر لم يتوقع رؤيته.

أغمضت عينيها وأبقتهما مغمضتين للحظة ثم قالت" :إنك قوي الحدس. لا أصدق أنني على وشك إخبارك بهذا."

فالتزم كولين الصمت .وبحلول ذلك الوقت ، كانا قد وصلا إلى المنطقة التي دخلا منها إلى الشاطئ ، وباتت الموسيقى مسموعة الآن وتعلو فوق صوت الأمواج .فأشارت إلى التل وقالت" :هل تمانع إن جلسنا ؟."

"على الإطلاق."

نزعت حقيبتها ، ووضعت صندلها جانباً ، ثم جلست على الرمل ، فجلس كولين إلى جانبها باسترخاء.

بدأت ماريا كلامها بالقول" :كاسي مانينغ ؛ هذا هو اسمها ...إنني بالكاد أتحدث عنها الآن .فأنا لا أرغب في أن أعيش تلك التجربة مرة أخرى ."وبدا صوتها مشدوداً ومتوتراً وهي تضيف" :وصلتني تلك القضية ربما بعد أن بدأت بالعمل في مكتب محامي المقاطعة بثلاثة أو أربعة أشهر .على الورق ، وجدتها

قضية نموذجية وعادية .فقد كانت كاسي تواعد شاباً ما ، ونشب بينهما عراك ، وانتهى المطاف بكاسي وهي في المستشفى بعين عليها كدمة سوداء وشفة مشقوقة وكدمات أخرى وعظمة خد مكسورة .وبتعبير آخر ، لم تكن تلك مجرد ضربة واحدة بل كانت ضرباً مبرحاً ، واسم الشاب هو جيرالد لوز."

"لوز!؟1."

"حاولت أن أعثر على معنى المفارقة الموجودة في اسمه ، فلم أستطع ذلك .واكتشفت في نهاية المطاف أن تلك القضية ليست قضية نموذجية على الإطلاق .فقد اتضح لي أنهما كانا يتواعدان منذ ستة أشهر أو نحو ذلك .وفي بداية علاقتهما ، وجدت كاسي الشاب ساحراً تماماً .إذ كان يصغي إليها بإمعان ، ويفتح لها الأبواب ؛ أي كان سيداً مهذباً وراقياً .ولكن بعد مرور مدة من الزمن ، بدأت تلاحظ جوانب في شخصيته أثارت قلقها .فكلما طالت فترة مواعدتهما ، بدأ يزداد غيرة عليها ورغبة في التحكم بها .وقد أخبرتني كاسي أنه بدأ يستشيط غضباً إن لم تجب على مكالماته في الحال ، أو يأتي إلى مكتبها عندما تكون على وشك المغادرة .وكانت تعمل ممرضة في عيادة لطب الأطفال .وفيما كانت تتناول الغداء مع أخيها يوماً ، لاحظت جلوس لوز بمفرده في الجانب الآخر من المطعم ، واكتشفت أنه يراقبها .وأدركت أنه تبعها إلى هناك ، وهذا ما أثار حفيظتها منه.

وفي المرة التالية التي اتصل فيها ، أخبرته كاسي أنها تريد أن تحظى بفترة استراحة لبعض الوقت ، فوافق على طلبها .ولكنها سرعان ما أدركت أنه لا يزال يتعقبها .إذ كانت تلاحظ وجوده في مكتب البريد ، أو عند مغادرتها عيادة الطبيب ، أو عندما تذهب للجري .وبدأت تصلها مكالمات مريبة ؛ لا يجيب فيها

أحد في الطرف الآخر من الخط .وذات ليلة ، أتى لوز إلى بيتها وقال لها إنه يريد أن يعتذر .ورغم حكمتها ، سمحت له بالدخول .وحالما أصبح في الداخل ، حاول أن يقنعها بالخروج معه مجدداً .وعندما رفضت عرضه أمسك بذراعها ، فبدأت تقاومه ، وانتهى بها المطاف وهي تضربه على رأسه بزهرية .عندها ، رماها على الأرض ، وبدأ يكيل لها الضربات ...وصادف أنه كان هناك ضابط شرطة في الشارع المجاور .وحين سمع الجيران صوت صراخها اتصلوا برقم الطوارئ ، فوصل الشرطي إلى البيت في غضون دقائق ، ووجد لوز يثبّت الفتاة على الأرض ويلكمها بيديه .وكانت هناك قطرات دم متناثرة في كل مكان .واتضح لاحقاً أن ذلك الدم كان دمه هو بسبب جرح أصيب به في أذنه عندما ضربته بالزهرية. حينها ، توجّب على الشرطي أن يستخدم جهازاً للتهدئة ليتمكن من القبض عليه. وعندما فتشوا سيارته ، عثروا على شريط لاصق ، وحبل ، وعدة سكاكين ، ومعدات لتصوير الفيديو .أشياء مخيفة !وحين تحدثت إلى كاسي ، أخبرتني أن الرجل مجنون ، وأنها بدأت تخشى على حياتها منه ، وهذا ما قاله أفراد عائلتها أيضاً .فقد أصرّ والدها ووالدتها وشقيقها الأصغر على إبعاد لوز عنها إلى أبعد مكان ممكن."

دفنت ماريا أصابع قدميها في الرمل ثم قالت" :وأنا أيضاً ظننت ذلك. وفي قرارة نفسي ، لم يكن هناك شك لديّ في ضرورة إبعاد ذلك الرجل عنها. ووجدت قضيته من نوع القضايا الواضحة وضوح الشمس .وفي ولاية نورث كارولاينا ، كان من الممكن للوز أن يواجه تهمة الجنحة من الفئة سي ، وهذا يعني أن لديه النية في قتلها ، أو الجنحة من الفئة إي ، وهي تعني عدم وجود النية في قتلها .وكانت عائلة كاسي -ولا سيما والدها -تريد أن يتم اتهامه بالجنحة

سي ، وهذا يعني أن يُزجّ به في السجن لمدة تتراوح ما بين ثلاث سنوات وسبع سنوات .وكان ضابط الاعتقال أيضاً يعتقد أن لوز رجل خطر .ولكن لسوء الحظ ، لم يعتقد محامي المقاطعة أنه بوسعنا إثبات نية القتل ؛ لأنه ليس هناك أي دليل على أن الأشياء الموجودة في السيارة لها أية علاقة بذلك ، ولم تكن إصابة كاسي مهددة لحياتها فعلاً ، فضلاً عن أن كاسي كانت لديها مشكلة صغيرة في صدقيتها ...ورغم أن معظم ما قالت إن لوز قد فعله في الماضي ثبت أنه صحيح ، إلا أنها قالت أيضاً إنه فعل أشياء لم يكن في الواقع قد فعلها. وهكذا ، إن لوز -وهو رجل يبدو شديد التهذيب ، ويعمل موظف قروض في أحد المصارف وليس لديه سجل إجرامي -كان سيشكل كابوساً لأي محامي ادعاء. وفي نهاية الأمر ، سمحنا للوز بأن يعترف بذنبه بارتكابه جنحة هجوم تترتب عليها عقوبة مدتها سنة في السجن .وهذا هو الخطأ الذي ارتكبته ؛ لأن لوز كان بالفعل رجلاً خطيراً للغاية."

التزمت الصمت هنيهة كما لو أنها تحثّ نفسها على الاستمرار في سرد القصة ثم قالت" :انتهى المطاف بلوز بأن أمضى تسعة أشهر في السجن ؛ لأنه كان قد أمضى الأشهر الثلاثة الباقية في السجن أثناء فترة المحاكمة .وكان يكتب لكاسي الرسائل كل يوم ، ويعتذر فيها عن أعماله ، ويتوسل إليها للحصول على فرصة أخرى .غير أنها لم ترد عليها قط .وبعد فترة ، لم تعد تفتحها ، ولكنها ظلت تحتفظ بها كلها بسبب خوفها منه .وبعد ذلك ، عندما تفحّصناها عن كثب ، لاحظنا التغيير الذي طرأ على طريقة كتابته مع مرور الوقت ؛ فقد أصبح أكثر غضباً بكثير بسبب عدم ردها عليه .ولو أنها قرأتها فعلاً وأحضرتها إلى مكتب محامي المقاطعة"...

وراحت تحدّق إلى الرمال لبعض الوقت ثم تابعت" :وحالما خرج لوز من السجن ظهر عند باب بيتها ، فأغلقت الباب في وجهه واتصلت بالشرطة. وحصلت على أمر تقييد بحقه .وعندما تحدثت إليه الشرطة ، وعد بأنه لن يقترب منها مجدداً .وكل ما فعله ذلك هو أنه جعله أكثر حيطة وحذراً ، فأصبح يُرسِل لها الزهور من مرسل مجهول ، ودسّ السم لقطتها ، كما بدأت تعثر على باقات زهور ميتة على عتبة بابها .حتى إن إطارات سيارتها قد ثقبت."

ابتلعت ماريا لعابها وهي تبدو مصدومة بشكل واضح .وعندما تابعت كلامها ، بدا صوتها أجش" :وذات ليلة ، وبينما كانت كاسي متوجهة إلى بيت صديقها الذي كانت قد بدأت تواعده بحلول ذلك الوقت ، كان لوز بانتظارها. وشاهده صديقها الجديد وهو يشدها عن الرصيف مباشرة ، ويجبرها على دخول سيارته ، غير أنه لم يتمكن من منعه .وبعد يومين ، عثرت الشرطة على جثة كاسي في كوخ قديم بجانب البحيرة حجز عليه المصرف .وكان لوز قد قيّدها وبرّحها ضرباً ، ثم أضرم النيران في الكوخ وأطلق الرصاص على نفسه .ولكنهم لم يعرفوا ما إذا كانت كاسي على قيد الحياة عندما اشتعلت النيران "...وأغمضت عينيها ثم تابعت" :لقد توجّب التعرف على جثتيهما من تقارير الأسنان."

شعر كولين بأنها تعيش أحداث الماضي مجدداً ؛ بكل ما فيها من آلام ومآسٍ ، لذا ظل ملتزماً الصمت.

وأخيراً ، تابعت كلامها قائلة" :ذهبت لحضور جنازتها .أعرف أنه ما كان ينبغي لي ذلك ، ولكنني شعرت بالحاجة إلى الذهاب .وصلت بعد بداية الجنازة ، وجلست في الصف الأخير .كانت دار العبادة ممتلئة ، ولكنني استطعت رؤية أفراد العائلة .فالأم لم تستطع الكف عن البكاء ، وبدت في حالة شبه هيستيرية.

وكان الأب وابنه شديدي الشحوب .حينها شعرت بالغثيان ، وأردت أن ينتهي كل شيء ، ولكنه لم ينتهِ."

التفتت إليه وقالت" :لقد دمّر ما جرى تلك العائلة .ولا بد لي من القول إنني وجدتهم جميعاً غريب.ي الأطوار ، ولكن الأمر أدّى إلى كارثة .فبعد جريمة القتل ببضعة أشهر ، انتحرت والدة كاسي .وبعد ذلك ، تعرض الوالد لتعليق رخصته الطبية .ولطالما ظننت أن هناك شيئاً غريباً بعض الشيء حيال الأخ الأصغر ...على أية حال ، في ذلك الوقت بدأت تلك الرسائل المريعة بالوصول إلي .فكانت تصل إلى شقتي وإلى المكتب في مغلفات مختلفة ، وكانت عادة تحتوي على جملة أو جملتين .كانت رسائل مريعة للغاية تشتمني بأبشع الألفاظ ، وتطالبني بمعرفة سبب كرهي لكاسي إلى هذا الحد ، أو تسألني عن سبب رغبتي في إلحاق الأذى بعائلتها .عندها ، تحدّثت الشرطة إلى الأخ ، فتوقّفت الرسائل لبعض الوقت ، غير أنّها عادت مجدداً .ولكنّها كانت مختلفة ؛ أي أكثر تهديداً وإثارة للرعب .فتحدثت إليه الشرطة مرة أخرى ، وأظن أنه غضب ، وأنكر مسؤوليته عنها ، وأصر على أنني أريد أن أؤذيه وأن الشرطة متحالفة معي .وانتهى به المطاف في مستشفى للأمراض النفسية .وفي تلك الأثناء ، هدد الوالد بأن يقاضيني .ووضعت الشرطة احتمالاً بأن يكون صديق كاسي هو المسؤول عن الرسائل .وبالطبع ، عندما تحدثت إليه الشرطة أنكر إرسالها إليّ أيضاً .وفي ذلك الوقت ، بدأت نوبات الهلع تنتابني ، وتولّد لديّ إحساس بأن من يرسل لي تلك الرسائل -أيّاً يكن -لن يدعني وشأني أبداً. وعندئذ ، أدركت أنه يجب عليّ العودة إلى دياري."

لم يقل كولين أي شيء .فقد أدرك أنه لا يوجد شيء يمكنه قوله ليغير

شعورها حيال الأحداث التي وصفتها.

"كان ينبغي لي أن أصغي إلى كلام العائلة والضابط."

راح كولين يحدّق إلى الأمواج التي كان إيقاعها الذي لا يتوقف مريحاً للأعصاب .وعندما لم يجب ، التفتت إليه وسألته" :ألا تظن ذلك ؟."

فأجابها مختاراً كلماته بعناية" :من الصعب الإجابة عن هذا السؤال."

"ماذا تقصد ؟."

"بالطريقة التي طرحت بها السؤال ، من الواضح أنك تعرفين مسبقاً أن الإجابة هي نعم .ولكنني إن وافقتك الرأي ، فستشعرين بحال أسوأ .وإن عارضتك فستتجاهلين جوابي ؛ لأنك قررت مسبقاً أن الإجابة ينبغي أن تكون نعم."

فتحت فمها لتعترض على ما قاله ، غير أنها سرعان ما أغلقته مجدداً ، ثم قالت" :إنني لست واثقة مما أقوله الآن."

"لا يجب عليك قول أي شيء."

تنهّدت وأسندت ذقنها على ركبتيها وقالت" :كان ينبغي لي أن أتحالف ضد محامي المقاطعة وأصرّ على توجيه تهمة الجنحة ضد لوز."

"ربما .ولكن حتى لو فعلت ذلك ، وحتى لو بقي لوز في السجن لوقت أطول ، فالنتيجة قد تكون هي نفسها في النهاية .فقد كان مصمماً على ذلك .وإن كنت تشعرين بالفضول ، لو كنت في مكانك لفعلت على الأرجح الشيء نفسه."

"أعرف ، ولكن"...

"هل تحدّثت إلى أحد حيال الموضوع ؟."

"أتعني مثل معالج ما ؟ كلا."

فأومأ برأسه وقال" :حسناً."

"ألن تخبرني بما ينبغي لي فعله ؟."

فقال" :أنا لا أسدي نصائح إلى أحد."

"ألا تفعل ذلك أبداً ؟."

فهزّ رأسه وقال" :إنك لست بحاجة إلى نصيحتي .إن كنت تظنين أن العلاج قد يساعدك فجربيه .وإن ظننت عكس ذلك ، فلا تفعلي .يمكنني فقط القول استناداً إلى تجربتي إنه قد أفادني."

عندها ، التزمت ماريا الصمت .ولم يستطع أن يعرف إن أعجبها جوابه أم لا .وأخيراً قالت" :شكراً."

"علام ؟."

"على استماعك إليّ وعدم محاولتك إسداء النصائح."

فأومأ كولين برأسه وهو يتأمل الأفق .كان عدد أكبر من النجوم قد أصبح مرئياً ، بينما كوكب الزهرة يتألق في السماء الجنوبية .تجوّل عدد من الأشخاص على الشاطئ ، وحمل هواء الليل أصوات ضحكاتهم .وفيما كان كولين جالساً إلى جانب ماريا ، شعر كما لو أنه يعرفها منذ وقت أطول بكثير من الساعة التي قضياها معاً ، وشعر بما يشبه وخزة الندم لأن الأمسية أوشكت على نهايتها.

واستطاع أن يشعر بذلك من الطريقة التي عدّلت بها جلستها فجأة .إذ أخذت نفساً عميقاً قبل أن تلقي نظرة خاطفة على الممشى الخشبي ، ثم قالت: "ينبغي لي أن أغادر."

فقال وهو يحاول أن يخفي ممانعته" :وأنا أيضاً .إذ لا يزال يتوجّب عليّ الذهاب إلى الصالة الرياضية."

نهضا من مكانيهما ، وشاهدها وهي تنفض الرمال عن صندلها قبل أن تنتعله مجدداً ، ثم سارا في طريق العودة متّجهين نحو التلال الرملية التي تحدّ المنطقة التجارية ، فيما صوت الموسيقى يزداد ارتفاعاً مع كل خطوة يخطيانها. وبحلول الوقت الذي ابتعدا فيه عن الرمال وعادا إلى الأرض الصلبة ، كانت الأرصفة تغصّ بالحشود الذين يستمتعون بأوقاتهم ليلة السبت.

بقي إلى جانبها وهما يشقّان طريقهما بين المشاة ، إلى أن وصلا إلى الشارع حيث بات الجو أكثر هدوءاً .وتفاجأ حين ظلت قريبة منه ، وكتفاهما تتلامسان بين الحين والآخر .وظل إحساسه بلمستها يداعب كتفه .وأخيراً سألها" :ما هي خططك للغد؟."

"أيام الأحد أتناول فطوراً متأخراً مع والديّ ، وبعد ذلك أذهب عادة لركوب لوح التزلج على الأمواج."

"حقاً."!

"إنها رياضة ممتعة .هل جرّبت ركوبه من قبل؟."

فقال" :كلا .لطالما أردت أن أجربه ، ولكنني لم أتمكن من إيجاد الفرصة المناسبة للقيام بذلك بعد."

"لماذا؟ هل أنت شديد الانشغال بممارسة التمارين الحقيقية؟."

فاعترف قائلاً" :بل أنا شديد الكسل."

عندها ابتسمت وقالت" :وماذا عنك؟ هل ستعمل؟."

فقال" :كلا، بل سأجري وأؤدي بعض العمل في الباحة الخلفية، وسأغيّر دينمو السيارة؛ فهو لا يزال لا يعمل بشكل جيد."

"ربما كانت المشكلة من البطارية."

"ألا تظنّين أنني كنت سأتفقّدها أولاً؟."

"لا أعرف .هل كنت ستفعل ذلك؟ ."ولاحظ نبرة الإغاظة في صوتها، ثم قالت" :وبعد كل تلك الأعمال الرجالية في الباحة والسيارة، ما هو جدول أعمالك لما تبقى من النهار؟."

"سأذهب إلى الصالة الرياضية؛ فهناك جولة أيام الأحد صباحاً، لذا سأقوم ببعض التمارين .هناك شخص يدعى تود دالي يدير الصالة الرياضية، وهو يحبّ أن يمرّننا بشكل قاسٍ جداً .إنه مقاتل متقاعد من مؤسسة فنون القتال العسكرية، وهو يدربنا كما لو أنه ملازم في الجيش."

"ولكن، إن توجّب عليك ذلك فعلى الأرجح ستتدرب لديه، أليس كذلك؟."

"دالي !هذا مستحيل."

أعجبتها فكرة اعترافه بذلك، فقالت" :وماذا ستفعل بعد ذلك؟."

"لا شيء بالفعل .ربما سأدرس قليلاً."

بحلول ذلك الوقت ، كانا قد انعطفا إلى شارع آخر على بعد منعطف من كراب.ي بيتس ، فميّز سيارتها أمامه من تلك الليلة التي غيّر لها فيها الإطار. وعدما وصلا إليها أخيراً ، لم يكن يبدو على أي منهما أنه يعرف ما يقوله .وبدلاً من ذلك ، شعر بعينيها تتأملانه كما لو أنها تراه للمرة الأولى.

"شكراً لك لأنك أوصلتني إلى سيارتي."

"شكراً لك على النزهة على الشاطئ."

رفعت ذقنها وقالت" :لديّ سؤال آخر."

"حسناً."

"هل أنت جاد حيال رغبتك في تجربة ركوب لوح التزلج ؟."

"نعم."

فأخفضت أهدابها ، ونظرت إليه نظرة جانبية وسألته" :هل تود الانضمام إليّ غداً ؟."

فقال فوراً وهو يشعر بنوبة مفاجئة من السعادة" :نعم ، إنني أود ذلك. متى ؟."

"أتناسبك الساعة الثانية؟ سنذهب إلى جزيرة مايسونبورو آيلند .من الصعب الوصول إليها نوعاً ما ، ولكنها تستحق العناء."

"يبدو هذا رائعاً .أين سنلتقي ؟."

"إن موقف السيارات ليس مناسباً .فالطريقة الوحيدة للذهاب إلى هناك هي بالتوجه على طول شاطئ رايتسفيل حتى آخر الجزيرة .لذا ، اركن سيارتك في الشارع ، وأحضر معك بعض الأرباع لأنه سيتوجب عليك أن تضعها في الآلة ، ولكنني سألتقيك هناك."

"هل يمكنني أن أستأجر لوحاً من مكان ما ؟."

"لست بحاجة إلى ذلك ، فلدي لوحان .يمكنك أن تستخدم لوحي المخصص للمبتدئين."

"هذا رائع."

"ولكنّ لونه زهري فاقع ، وعليه ملصقات أرانب وزهور."

"حقاً."!

فضحكت بصوت عالٍ وقالت" :كنت أمازحك .لقد أمضيتُ وقتاً ممتعاً بشكل غريب الليلة."

فردّ على كلامها وهو يعني ذلك" :وأنا أيضاً ، وأتطلع قدماً إلى الغد."

بعد أن فتحت قفل السيارة ، فتح لها الباب ، وشاهدها وهي تركب فيها. وبعد لحظة ، تراجعت إلى الخلف ثم انطلقت ، بينما ظلّ كولين واقفاً في مكانه. ربما كان كل شيء سينتهي في تلك اللحظة ، ولكنها أوقفت السيارة فجأة ، وفتحت زجاج النافذة ، ومدت رأسها منها منادية إياه" :كولين."

"ماذا ؟."

"عندما تذهب إلى درس الرياضة غداً ، حاول ألا تتعرض للكمة على

وجهك."

فابتسم لها ، وراقب سيارتها وهي تنطلق مبتعدة على طول الجادة ، متسائلاً عما سيقحم نفسه فيه .لم يتوقع دعوتها .وفيما كان يسير في طريقه إلى سيارته الكامارو ، استرجع ما حصل خلال الأمسية محاولاً أن يفهمها .ومهما كان رد فعلها ، لم يسعه أن ينكر حقيقة سروره بمقابلتها ، وأنه أراد أن يراها مجدداً.

لا شك في ذلك.

الفصل السادس

ماريا

صاحت سيرينا بظفر قائلة" :لقد عرفت أنك ستعجبين به .لا تنكري أنني كنت محقة في حدسي."

كانتا تتحدثان صباح يوم الأحد كالمعتاد .إذ كانت ماريا وأختها جالستين على الشرفة الخلفية تتجاذبان أطراف الحديث، فيما والدتهما تُنهي إعداد الفطور، ووالدهما يُنزّه كلبته كوبو التي تبدو منفوشة الفراء ونظيفة ولها عقدة زهرية على أذنها.

أجابت ماريا قائلة" :لم أقل إنني معجبة به ، بل قلت إنني وجدته مثيراً للاهتمام."

"ولكنكِ قلت أيضاً إنك ستلتقينه اليوم وأنت مرتدية ملابس السباحة."

"لن أرتدي ملابس السباحة حين أمارس رياضة ركوب لوح التزلج."

"لم لا؟."

"لأنني لست أنت .هل اتفقنا؟ إذ إن ذلك سيجعلني أشعر بعدم الراحة."

"حسناً ، من الأفضل أن تكوني أكثر تحرراً في ملابسك .صدقيني."!

"لا أريده أن يكوّن عني فكرة مغلوطة."

"أنت محقة .فعلى الأرجح ، ينبغي أن ترتدي كنزة قطنية فضفاضة أو ما شابه ذلك .مهما يكن ، إنني مسرورة وحسب لأنك أخيراً ستخرجين في موعد."

"لا تحاولي أن تعطي الأمر أهمية أكبر من حجمه .فهو ليس موعداً غرامياً ؛ لأننا سنخرج لركوب الأمواج فقط لا غير."

عندها ، أومأت سيرينا برأسها وقالت" :حسناً ، كما تشائين."

"لا أعرف لماذا أحاول حتى أن أتحدث إليك عن هذه الأمور."

"إنك تتحدثين إليّ لأنك تدركين أنني سأخبرك بالحقيقة .وهذا بالطبع هو السبب الذي جعلكما تتفقان بشكل جيد ؛ لأن كولين يشبهني كثيراً."

"نعم ، بالطبع ، أنت محقة .أنا الآن سأخرج بشكل أساسي مع أختي الصغرى."

"لا تلوميني .فلست أنا التي تبعته إلى الرصيف الخشبي."

"لم أتبعه إلى الرصيف الخشبي."!

عندها ، ضحكت سيرينا وقالت" :إنك شديدة الحساسية في هذه الأيام. ولكن ، إن أردت نصيحتي ، لو كنت مكانك لارتديت ثوب السباحة تحت الكنزة الفضفاضة ؛ تحسباً لاحتمال أن يصبح الجو حاراً جداً هناك ، لأن الطقس سيكون دافئاً اليوم."

"هل يمكننا أن نتحدث عنك بدلاً من ذلك؟ مثلاً ، كيف أمضيت أمسيتك ؟."

"ليس هناك الكثير للتحدث عنه .فقد ذهبنا إلى أحد المقاهي ثم إلى الحفلة ، أي كانت مجرد ليلة نموذجية."

"وكيف تسير الأمور مع ستيف ؟."

"إنه شديد الإلحاح .ولست واثقة من أنني مستعدة لشيء من هذا القبيل. ولكن ، لنعد إلى كولين مرة أخرى .كم هو جذاب."!

"نعم ، لقد لاحظت ذلك."

"هل حاول أن يغازلك ؟."

"كلا ، ولم أرغب في أن يفعل ذلك."

فقالت سيرينا" :هذا جيد .استمري بتمثيل دور الفتاة الصعبة ، فالشبان يحبون ذلك ."وحين رأت تغيّر ملامح ماريا ، ضحكت وقالت" :حسناً ، حسناً ، سأتوقف .ومع ذلك ، أظن أنها فكرة جيدة .فأنت لن تحظي بموعد وحسب ؛ موعد حقيقي -مهما حاولت أن تصفيه -ولكنك أيضاً من طلب منه ذلك .لا بد أنك مثال عن المرأة العصرية .وكما تعرفين ، أنا أشعر بغيرة شديدة منك لأنك سترينه وهو بكامل لياقته البدنية .إذ لا أظن أن لديه ذرة شحم على جسمه."

"لا أستطيع أن أحدد بالضبط .فقد كان المكان مظلماً نوعاً ما ونحن نتمشى معاً على الشاطئ."

"أريد صوراً اليوم .لطالما كنت تأخذين كاميرتك معك ، لذا اختلسي بضع صور معه."

"كلا."

"ظننت أنك مستعدة لفعل هذا الشيء الصغير على الأقل من أجل أختك الصغرى التي يصادف أنها هي التي رتّبت لك الموعد معه."

ففكرت ماريا في الأمر قليلاً ثم قالت" :حسناً ، ربما أفعل."

"رائع !ومن الأفضل أن تلتقطي بعض الصور بهاتفك المحمول وترسليها إليّ لأنشرها على حساب.ي على إنستغرام."

"هذا مستحيل."

"هل أنت واثقة من ذلك؟ فأنا لا أودّ أن أخبر أبانا بأنك ستخرجين مع مجرم سابق يمر بفترة تعليق للعقوبة."

"إيّاك أن تتجرّئي على ذلك."!

"كنت أمزح !فأنا لا أريد حتى أن أكون في الولاية نفسها عندما تُلقين تلك القنبلة الصغيرة .لذا ، حذِّريني مسبقاً ، هل اتفقنا ؟."

"سأفعل."

"ومع ذلك ، ينبغي لك على الأقل أن تلتقطي صورة" سيلفي "تجمع بينك وبينه قبل الإعلان عن علاقتكما .فبتلك الطريقة فقط تثبتين لنفسك أنك خرجت معه ؛ بما أن هذا لن يتكرر مجدداً."

"هل أنهيت كلامك ؟."

فضحكت سيرينا وقالت" :نعم ، الآن."

لاحظت ماريا طائراً طناناً يرتشف الماء من العلبة التي علّقتها أمها ، ويحوم حولهما بطريقة لطالما سحرتها وهي طفلة صغيرة .ومن الداخل ، استطاعت أن تسمع أمها وهي تغني لنفسها بهدوء ، بينما فاحت رائحة البيض والفاصولياء الشهية وجعلها تشعر بالجوع .ومع ذلك ، بدأت تشعر بشيء من التوتر حيال فترة العصر المرتقبة التي ستمضيها اليوم ، فتساءلت إن كانت ستتمكن من

الأكل بالفعل.

وأخيراً ، علّقت سيرينا قائلة" :ما زلت متفاجئة من الطريقة التي قام بها وحسب ...بإخبارك كل شيء عن نفسه."

"لو أنك كنت هناك لأصبت بالصدمة مثلي تماماً ، صدقيني."

"ومع ذلك ، فالأمر غريب .لا أظن أنني قابلت شخصاً مثله من قبل."

"أتقولين هذا لي أنا ؟."!

* * *

وبعد ساعتين ، وبينما راحت ماريا تفكر في ما يجب عليها ارتداؤه ، تردد صدى نصيحة سيرينا في أذنيها ، وجعل قرارها أكثر صعوبة بقليل .في الأحوال العادية ، ما كانت لتفكر في الأمر ؛ إذ كانت سترتدي سروالها القصير وكنزة بحمالة واحدة .ومن المؤكد أنها لم تكن ستستحم قبل ذلك أو تضع أي مساحيق تجميل أو تشعر بأي توتر في معدتها ، ولكنها شعرت بذلك .وفيما هي واقفة أمام خزانتها ، فكرت في الانطباع الذي تريد أن تتركه .جريء ؟ أم عادي ؟ أم جذاب ؟

فكّرت في أن الأمر أكثر سهولة بكثير بالنسبة إلى الرجال .فهم يرتدون كنزة قطنية وبنطالاً قصيراً وينتعلون خفاً ثم ينطلقون نحو الباب .أما هي ، فيجب عليها أن تحدّد طول بنطالها القصير وضيقه ولونه .وتساءلت إن كان يجب عليها أن تختار البنطال الجذاب الممزق من الخلف تحت جيبيه الخلفيين ، أم واحداً أكثر تحفظاً .وكانت محاولة تحديد قطعة الملابس العلوية أكثر صعوبة .فعلى الرغم مما قالته لسيرينا ، كان ذلك موعداً غرامياً .وباستثناء

الموعد الفاشل في العطلة الأسبوعية الفائتة مع جيل وبول ، لم تُدعَ إلى الكثير من المواعيد مؤخراً .وبالإضافة إلى ذلك كله ، هناك حقيقة أن أفكارها ظلت تعود إلى كولين طوال الصباح وفي الليلة الفائتة .وكل ذلك جعلها تشعر بالتوتر أكثر من أي وقت مضى.

ما الذي تريده منه على أية حال؟ فكولين من نوع الشبان الذين اعتادت أن توجّه إليهم التهم لا أن تواعدهم .وحتى الأمس فقط ، لو لمّح لها أحدهم بأنها ستخرج مع شاب لديه مثل هذا الماضي لضحكت ملء شدقيها ، أو على الأرجح لشعرت بالإهانة .فكرت في أنه توجّب عليها في الليلة الماضية ببساطة أن تشكره بعد أن أوصلها إلى سيارتها وتكتفي بذلك .أما مجرد فكرة خروجهما معاً اليوم فقد وجدتها سخيفة .غير أنها دعته إلى الموعد بنفسها ، وعانت من مشكلة في تذكر كيفية حدوث هذا أو ما الذي خطر ببالها في تلك اللحظة.

ومع ذلك ، كان كولين شاباً ...مغناطيسياً .وخطرت تلك الكلمة ببالها فجأة فيما كانت تستحم .وكلما فكرت فيها ، وجدت أن الوصف ينطبق عليه أكثر .إذ رغم أن أجوبته جعلت رأسها يدور في بعض الأحيان ، إلا أنه توجّب عليها الاعتراف بأن أسلوبه الصريح -الذي كان لسان حاله يقول :هذه طبيعتي الحقيقية ، فإما أن تقبليني أو ترفضيني -كان باعثاً على الانتعاش .والأهم من ذلك هو أنها شعرت بأن ندمه حقيقي ، ويؤكد على مدى التغيير الفعلي الذي طرأ عليه .لم تكن ساذجة بما يكفي لكي تتجاهل احتمال أنه يمثّل للحصول على تعاطفها ، ولكنها وجدت أنه من المستحيل أن تلائم تلك الفكرة الشابَ الذي غيّر لها إطار سيارتها أو تمشى معها على الشاطئ أو يحضر الدروس مع أختها أو يأمل أن يصبح مدرساً .من المؤكد أنه لم يحاول استدراجها لتصبح معجبة بها.

ولو أنها لم تطلب منه الذهاب معها لركوب لوح التزلج ، لكان قد تركها عند سيارتها ومضى في طريقه من دون شك.

توجّب عليها الاعتراف بأنها تقدّر فعلاً أسلوبه المنفتح والصريح حيال الحديث عن ماضيه .ولو أنه انتظر حتى اليوم ليكشف لها عن تلك المعلومات المفاجئة ، لشعرت بأنها تعرضت للاستغلال ، ولاستشاطت غضباً ، ولربما تملكها الخوف .وحينها ، كان الانجذاب الذي شعرت به حياله في البداية سيختفي في الحال ، وسيتركها متسائلة عن الأسرار الأخرى التي يُخفيها عنها .فلا أحدَ يحبّ أن يرمي له الآخرون الطعم.

في حقيقة الأمر ، هي لم تعرف في حياتها الكثير من الناس الذين غيّروا مجرى حياتهم إلى اتجاه مختلف كلياً كما فعل كولين .ورغم أنه لم تكن لديها أي فكرة عمّا قد ينتهي به اليوم ؛ وإن كان سيشكّل بداية علاقة من نوع ما أو لا ، إلا أنها فكرت أخيراً :ما المشكلة؟ !وارتدت ثوب السباحة الأسود ، ثم اختارت بنطالاً قصيراً جذاباً من الجينز .وفي النهاية ، ارتدت فوقهما كنزة قطنية ضيقة مفتوحة الياقة .فقد أدركت أن سيرينا محقة في كلامها.

* * *

وعندما ركنت سيارتها ، وجدت كولين مستنداً إلى جانب سيارته .وحين لوّح لها ، كان كل ما استطاعت فعله هو التحديق إليه بدهشة .إذ كان يرتدي كنزة قطنية رمادية اللون ضيقة ، حيث تظهر عضلاته المفتولة من كتفيه وحتى خصره النحيل .ولاحظت أنّ كمّي كنزته مشدودان على عضلات ذراعيه .وحتى من بعيد ، بدا لون عينيه الأزرق الداكن المائل إلى الرمادي مرئياً بشكل واضح ،

تحدّده عظمتا وجنتيه البارزتان .ورغم أنها وجدت الفكرة غير ملائمة ، إلا أنّ أول ما خطر ببالها هو أنه يزداد وسامة بمرور كل يوم .وعندما ابتعد عن السيارة مبتسماً ، شعرت بقلبها يقفز في صدرها ، وسمعت صوتاً يهمس في داخلها :إن لم أتوخَّ الحذر ، فسأقع في ورطة كبيرة مع هذا الشاب.

صرفت تلك الفكرة عن ذهنها ، وراحت تلوّح له من داخل السيارة ، ثم أخذت نفساً عميقاً وهي تطفئ المحرك .وعندما فتحت الباب أخيراً ، باغتتها الحرارة في الحال .ولكن لحسن الحظ ، الرطوبة المنخفضة والنسيم الخفيف جعلا الطقس مقبولاً أكثر.

قالت له" :مرحباً ، لقد وصلت في الوقت المحدد."

لاحظت أنه أحضر معه حقيبة ظهر ، وبراداً صغيراً ، وزوجاً من المناشف. انحنى إلى الأرض والتقط الحقيبة ووضعها على كتفه ثم قال" :لقد وصلت إلى هنا مبكراً .لم أكن واثقاً من أنني ركنت سيارتي في المكان الصحيح .فليست هناك أي سيارات أخرى في الأنحاء."

قالت" :إن المكان يكون دائماً أكثر هدوءاً في طرف الجزيرة ؛ فالناس لا يحبون أن ينفقوا النقود المعدنية ، وهذا جيد بالنسبة إلينا لأنه يعني أنه لن يتوجب علينا المشي مسافة طويلة ."ثم رفعت يدها لتقي عينيها من الشمس ، وقالت" :كيف مضى تدريبك ؟."

"كان أكثر عنفاً من المعتاد بقليل .ولكن من دون كدمات أو كسور في الأنف."

فقالت وهي تبتسم" :يمكنني أن ألاحظ ذلك .وماذا عن الشبان الآخرين ؟

لم تلحق بهم الأذى ، أليس كذلك ؟."

عندها ، أغمض عينيه نصف إغماضة بسبب وهج الشمس وقال" :إنهم على ما يرام .والآن ، حان دورك .كيف مضت وجبة الفطور مع عائلتك ؟."

فمازحته قائلة" :لا كسور في الأنف ولا كدمات على حد سواء ."وعندما سمعته يضحك ، دست خصلة شعر خلف أذنها ، وذكّرت نفسها بألا تنجرف أكثر من اللازم ، وقالت" :ومع ذلك ، في حديث أكثر جدية ، ينبغي لي على الأرجح أن أحذّرك بأنني أخبرت سيرينا بأننا خارجان إلى البحر اليوم ، وذلك في حال راحت تطاردك في أنحاء الكلية لتسألك عن الكثير من التفاصيل الشخصية."

"هل ستفعل ذلك ؟."

ففكرت ماريا في سرّها في أن أختها ستفعل ذلك بالتأكيد ، ولكنها قالت: "على الأرجح."

"ولماذا لا تسألك أنت!؟."

"إنني واثقة من أنها ستتصل ب.ي لاحقاً .فهي تعتبر أن من واجبها إقحام نفسها في حياتي الشخصية."

فابتسم وقال" :حسناً .بالمناسبة ، إنك تبدين جميلة."

عندها ، شعرت بتوهج في خديها وقالت" :شكراً لك ."وبعد ذلك ، حاولت أن تبقي الجو بينهما مرحاً ، فأضافت قائلة" :هل أنت مستعد لليوم ؟."

"لا أطيق الانتظار."

"إننا محظوظان .فليس هناك الكثير من الرياح .وينبغي أن يكون الماء

مثالياً."

بدأت تفك أحد الأربطة التي تثبّت لوحي التزلج في مكانهما فوق السيارة. وعندما لاحظ ما تفعله ، اقترب منها ليساعدها في فك الأربطة الأخرى ، فراحت عضلات ذراعيه تتحرك كأوتار البيانو ؛ ما جعل وشومه تتماوج فيما كانا يعملان جنباً إلى جنب ، وفاحت منه رائحة نظيفة ومنعشة تشبه رائحة الملح والرياح. رفع اللوح العلوي وأسنده على السيارة قبل أن يفعل الشيء نفسه مع الآخر ، ثم وضع الاثنين بجانب بعضهما بعضاً.

سألها قائلاً" :كيف توازنك على اللوح ؟."

"جيد جداً .لماذا ؟."

"لأنّني أحضرت معي براداً صغيراً ."ثم أشار إلى البراد خلفه وقال: "أتساءل إن كنت تستطيعين وضعه على لوحك ، فأنا لست واثقاً من أن توازني سيكون جيداً بما فيه الكفاية في البداية."

فقالت" :الأمر ليس صعباً إلى هذه الدرجة ، وستتعلمه بسرعة .ولكن ، لأجيب عن سؤالك .في الواقع ، نعم أستطيع وضع البراد على لوحي ؛ فهذا مثالي لأنه سيمنحني مكاناً أضع فيه المناشف .فأنا أكره المناشف المبللة."

وبعد ذلك ، فتحت الباب ومدت يدها لتأخذ كلاً من كاميرتها والحبال المخصصة لتحميل الأغراض على الألواح ، وهي تُجبِر نفسها على تجنب التحديق إليه .وضعت الحبال وعلّقتها باللوحين مدركة أن كولين يراقبها ، وأعجبها الشعور الذي منحها إياه ذلك .وعندما أنهت ما تقوم به ، حمل كولين حقيبة ظهره وكلا اللوحين ، بينما حملت ماريا المناشف والبراد وهما يتوجّهان في

طريقهما نحو الشاطئ .سألته" :بالمناسبة ، ماذا تضع في البراد ؟."

"وجبات خفيفة كالفاكهة وبعض المكسرات وبضع زجاجات من الماء."

فعلّقت قائلة" :أطعمة صحية."

"إنني صارم جداً حيال ما آكله."

"وماذا عن حقيبة الظهر ؟."

"فيها قرص دائري للعب ، وكرة طائرة ، ومرهم واقٍ من الشمس في حال جلسنا على الشاطئ أو ما شابه ذلك."

"أنا لست بارعة جداً باللعب بالقرص ، ولم ألمس كرة طائرة في حياتي. وأقول لك ذلك للعلم بالشيء."

"إذاً ، نحن الاثنان سنجرب أشياء جديدة اليوم."

توهّج الرمل الذي يفرش الشاطئ تحت ضوء الشمس بلون أبيض ساطع. وباستثناء رجل واحد كان يلقي الكرة لكلبه الذهبي ، وجدا الشاطئ في آخر الجزيرة مهجوراً تماماً .رفعت ماريا البراد مشيرة إلى الخليج الصغير وقالت" :هذه هي جزيرة مايسونبورو."

"لم أسمع عنها في حياتي إلى أن ذكرت اسمها في الليلة الماضية."

"إنها مكان بسيط ؛ فلا طرقات ولا أماكن للتنزه فيها .وفي فصول الصيف ، يذهب الكثير من راكبي القوارب إلى هناك .ولكن مؤخراً ، بتُّ أستأثر بالمكان كله لنفسي ؛ فهو هادئ وجميل .وبتّ أعتبر الذهاب إلى هناك طريقة رائعة لأنهي أسبوعي ، ولا سيما أسبوع كهذا الأسبوع .فشريكي لديه

محاكمة في آخر الأسبوع ، وسأضطر على الأرجح إلى العمل حتى وقت متأخر من كل ليلة لأحرص على تأمين كل ما يحتاج إليه .كما أنني سأذهب مبكرة عن الموعد المعتاد أيضاً."

"هذا عدد كبير من ساعات العمل."

فقالت بإحباط" :يجب عليّ أن أتفوق ، كما تعرف."

"لماذا ؟."

"إن لم أنجز عملي ، فسيتم طردي من الوظيفة."

"لم أسألك عن ساعات عملك وعن إنجازه بشكل جيد ، فأنا أتفهّم هذا الجانب .بل أتساءل عن السبب الذي يجعل تفوّقك فيه أمراً مهمّاً بالنسبة إليك."

عندها ، عبست ماريا حين أدركت أنه أول شخص يطرح عليها هذا السؤال ، وباتت في حيرة من أمرها ، غير أنها أجابت أخيراً" :لا أدري .ولكنني أظن أنني نشأت وهذا الطبع جزء من شخصيتي .إما أن يكون هذا هو السبب ، أو أن الذنب كله يقع على عاتق والدي .أليس هذا ما يقوله الناس عندما يخضعون للعلاج النفسي ؟."

"أحياناً .وأحياناً يكون هذا صحيحاً."

"وأنت ، ألا تريد أن تتفوق ؟."

فأجاب" :لست واثقاً مما تعنينه هنا بالتفوق .أتعنين منزلاً أكبر ؟ أم سيارة أفضل ؟ أم إجازات في أماكن أجمل ؟ إن والديَّ يحظيان بكل هذه الأشياء ،

ولكنني لا أشعر بأن أياً منهما سعيد في حياته بالفعل .فدائماً هناك شيء آخر نسعى وراءه في الحياة .إلى أين سيؤدي كل ذلك؟ لا أريد أن أعيش مثل هذه الحياة."

"إذاً ، كيف تريد أن تعيش ؟."

"أريد أن أحظى بالتوازن .فصحيح أن العمل مهم لأنه يجب عليّ أن أعيل نفسي ، ولكن الأمر نفسه ينطبق على الأصدقاء والصحة والراحة والحصول على الوقت الكافي لفعل أشياء أستمتع بها أو عدم فعل أي شيء على الإطلاق في بعض الأحيان."

فعلّقت قائلة" :هذه طريقة واعية في النظر إلى الأمور."

"حسناً."

عندها ، ابتسمت وفكرت في سرّها في أنها استطاعت أن تتوقع جوابه ، ثم قالت" :أنت محق بالطبع ، فالتوازن مهم .ولكن ، لطالما أحببت الشعور الذي أحسّ به حين أنجح في تحقيق شيء صعب ؛ سواء أكان درجات دراسية حين كنت صغيرة ، أو مذكرة مكتوبة بعناية الآن .إن وضع الأهداف ثم السعي للوصول إليها يجعلانني أشعر بأنني أقتحم مصاعب الحياة .وفي النهاية ، إن قمت بالعمل بشكل جيد بما فيه الكفاية ، ولاحظ الناس الآخرون نجاحي فسأشعر بالتقدير .وأنا أحب ذلك الشعور أيضاً."

"هذا منطقي."

"ولكن ليس بالنسبة إليك ، أليس كذلك ؟."

"نحن مختلفان."

"ألا تضع لنفسك أهدافاً أيضاً؟ مثل التخرج من الجامعة أو الفوز في إحدى المباريات؟."

"بلى."

"إذاً، كيف نكون مختلفين؟."

"لأنني لا آبه بالتفوّق .وعادة، لا أفكّر في الطريقة التي ينظر بها الناس إلى ذلك الموضوع."

"ولكنك تظن أنني أفعل ذلك؟."

"نعم."

"هل تحب أن تشرح لي أكثر؟."

مشى بضع خطوات أخرى قبل أن يجيب" :أظن أنك تهتمين كثيراً بالطريقة التي تبدين بها للناس .ولكن من وجهة نظري، هذا خطأ .ففي النهاية، الشخص الوحيد الذي يمكنك إرضاؤه بالفعل هو نفسك فقط .أمّا ما يشعر به الآخرون فهو خاص بهم فقط."

عندها، زمّت شفتيها مدركة أنه محق .ولكنها فوجئت بعض الشيء لأنه ببساطة ...يقول كل ما يخطر بباله .ومع ذلك، لقد توخّى الصراحة حيال كل شيء آخر، فلمَ تفاجأت؟

"هل تعلّمت هذا خلال العلاج؟."

"نعم .ولكنّ تبنّيّ هذا الرأي استغرق وقتاً طويلاً."

"إذاً ، ربما ينبغي لي التّحدّث إلى معالجك."

فوافقها الرأي قائلاً" :ربما ."فضحكت.

"حسناً .ولكن ، يجب عليّ أن أعلمك فقط أن الأمر لا يتعلق كله ب.ي. فالذنب في حاجتي إلى الكثير من التقدير من الآخرين يقع على عاتق والديّ."

وعندما رفع حاجبه ، نكزت كتفه بيدها بشكل عبثي ، فبدت الحركة طبيعية بشكل غريب ، وقالت" :إنني أتكلم بجدية حيال هذا الأمر .فربما كان هذا الدافع أو الحافز للنجاح -أو أياً تكن التسمية التي تطلقها على ذلك -هو صفة متأصلة ب.ي منذ ولادتي ، ولكنهما بكل تأكيد عملا على تغذيتها .فهما الاثنان لم يُكملا تعليمهما ، وتوقفا عند الصف الثامن ، ولكن توجّب عليهما التضحية لسنوات قبل أن يتمكنا من فتح المطعم .كما توجّب عليهما بعد أن أصبحا راشدين تعلمُ لغة جديدة من العدم ، بالإضافة إلى تعلم الحساب ، وآلاف الأشياء الأخرى .لذا ، بالنسبة إليهما التعليمُ الجيد يعني كل شيء .فقد نشأت وأنا أتكلم اللغة الإسبانية في البيت ، لذا توجّب عليّ أن أعمل بجد أكبر من بقية الأولاد لأنني لم أكن أفهم كل ما تقوله المعلمة .حتى إن والديّ كانا يعملان لمدة خمس عشرة ساعة يومياً ، ولكنهما لم يفوّتا اجتماعاً واحداً مع المدرسين ، وكانا دائمَي الحرص على أن أؤدي واجباتي المدرسية .وعندما بدأت أُحضِر درجات جيدة إلى البيت ، شعرا بالكثير من الفخر ، وكانا يدعوان أعمامي وعماتي وأبناءهم في العطلة الأسبوعية -فلدي الكثير من الأقارب في البلدة -ويعرضان عليهم تقرير الدرجات ، ويُسهبان في الحديث عن مدى تفوّقي ونبوغي .وهكذا ،

غدوت مركز الاهتمام من قبل الجميع .وأحببت الشعور الذي منحني إياه ذلك ، لذا بدأت أعمل بجد أكثر .وكنت أجلس على المقعد الأمامي ، وأرفع يدي كلما طرحت المعلمة سؤالاً .كما اعتدت أن أسهر حتى منتصف الليل وأنا أدرس استعداداً للاختبارات .ونتيجة لذلك ، تحولت إلى فتاة مهووسة بالدراسة طوال فترة تعليمي وحتى المدرسة الثانوية."

اكتسب وجهه ذلك التعبير الموحي بالمرح مرة أخرى ، ثم قال" :حقاً."!

فقالت بخجل" :آه ، نعم .وبدأت أضع نظارة عندما كنت في الثامنة من عمري ؛ تلك ذات الإطار البني .كما وضعت مقوماً للأسنان .وكنت فتاة خجولة وخرقاء وعاشقة للدراسة .ولم أحضر أي حفلة في المدرسة إلى أن وصلت إلى السنة الأخيرة .وحتى في ذلك الحين ، خرجت مع مجموعة من الفتيات اللواتي ليست لديهن أي مواعيد .ولم أتعرف على شاب حتى الشهر الذي سبق التحاقي بالكلية .صدّقني ، أنا أعرف كيف يكون المهووسون بالدراسة ، فقد كنت واحدة منهم."

"وماذا عن الآن ؟."

"ما زلت مهووسة نوعاً ما .فأنا أفرط في العمل وأجهد نفسي ، ولا أزور أصدقائي كما ينبغي لي .ولا أحب فعل أي شيء في العطلات الأسبوعية باستثناء رياضة ركوب لوح التزلج وقضاء الوقت مع عائلتي.

وفي ليالي الجمعة ، يمكنك عادة أن تجدني مستلقية على سريري وأنا أقرأ كتاباً."

"ولكنّ هذا لا يجعل منك مهووسة .فأنا أيضاً لا أخرج كثيراً .وإن لم أكن

أعمل أو أمارس الرياضة ، فأنا عادة أستمع إلى الموسيقى أو أقضي وقتي مع إيفان وليلي في البيت."

"ليلي."!

"إنها خطيبة إيفان."

"كيف تبدو ؟."

"إنها فتاة شقراء في مثل حجمك .وهي ذات شخصية مميزة ، وفتاة جنوبية الصفات .إنها من تشارلستون."

"وماذا عن إيفان ؟ هل يشبهك ؟ ومن أية ناحية ؟."

"في الواقع ، إنه يشبهك أنت .فهو رجل منظم جداً."

"أتظن أنني منظمة جداً ؟."

"نعم."

"إذاً ، لماذا أشعر أنني لست كذلك ؟."

فأجاب قائلاً" :ليست لدي أي فكرة .ولكن ، أظن أن معظم الناس سيقولون الشيء نفسه حيالك."

نظرت إليه بإمعان وقد أعجبها ما قاله .وبحلول ذلك الوقت ، وصلا إلى الشاطئ .فخلعت صندلها ، وركزت على الماء ، ثم أعلنت قائلة" :حسناً ، هذا جيد .إن المد يأتي إلى الداخل ، وهذا يجعل الأمر أكثر سهولة .فلو كان يتجه نحو الخارج ، لتوجّب علينا الانطلاق من هناك ."وأشارت من فوق كتفها وقالت:

"هل أنت مستعد؟."

فقال" :تقريباً."

وضع اللوحين على الأرض، ونزع الحقيبة عن كتفه، ثم انتعل خفه، وأخرج علبة من المرهم الواقي من الشمس، وراح يحدق إلى الماء وهو يدهن واقي الشمس على بشرته .وأخيراً، علق قائلاً" :إن هذا المكان مذهل."

فقالت له محاولة تجنب النظر إليه" :أوافقك الرأي."

عصر بعض المرهم على يده قبل أن يعرض عليها العلبة قائلاً" :هل تريدين بعضاً منه؟."

"ربما في وقت لاحق .فقد وضعت القليل منه قبل قليل، ولكن الشمس لا تصيبني بالحروق عادة، فأنا أتمتع ببشرة لاتينية كما تعرف."

أومأ برأسه، وواصل دهن المرهم على ساقيه، ثم التفت إليها وسألها قائلاً" :هل سنرى أي دلافين أو خنازير بحر هنا؟."

استغرقت دقيقة قبل أن تجيبه" :أشك في ذلك .ففي مثل هذا الوقت من اليوم تكون عادة في الجانب الآخر من الجزيرة المحاذي للمحيط."

قال وهو يضع علبة المرهم الواقي في الحقيبة" :والآن، ما التالي؟."

عندها، حلت الأربطة الموجودة على اللوحين وقالت" :نحن جاهزان تقريباً ."وأعطت الأربطة لكولين ليضعهما في حقيبته وهي تمسك باللوح الأصغر حجماً، ثم قالت" :هل يمكنك أن تتبعني بالبراد والمناشف؟ سأريك كيف تبدأ."

راحت تخوض في المحيط بلوح التزلج ، وعندما وصلت إلى عمق يصل إلى الركبة ، تمددت عليه وراحت تشد نفسها على طوله إلى أن أصبحت في منتصفه .وبعد ذلك ، وضعت المجذاف على اللوح بشكل عمودي ، ثم ثبّتته وهي تجلس على ركبتيها في البداية ، وأخيراً وقفت وقالت" :ها نحن ذا ...وهذا هو كل ما في الأمر .الأمر المهم هنا هو أن تعثر على مكانك المناسب ، حيث لا تكون المقدمة ولا الذيل تحت سطح الماء .وعندئذ ، ينبغي أن تُبقي ركبتيك مثنيتين ، فهذا سيساعدك على الوقوف بشكل مستقيم."

"فهمت."

"يمكنك أن تضع برادك خلفي ، ثم تضع المناشف فيه .هلا تناولني الكاميرا."

راح يخوض في الماء متّبعاً تعليماتها ، فعلّقت شريط الكاميرا حول عنقها بينما كان يحضر لوحه ويكرر حركاتها .وعندما وقف على قدميه ، غير مركز ثقله على اللوح ، فتمايل بشكل طفيف.

وعلّق قائلاً" :إنه أكثر ثباتاً مما تخيلته."

"والآن ، عندما تريد أن تنعطف ، يمكنك إما أن تجذّف إلى الأمام من أجل استدارة كبيرة وعريضة ، أو إلى الخلف من أجل استدارة أضيق ."وقامت بتمثيل ما قالته أمامه للمرة الأولى ثم الثانية وهي تدور في مكانها وتتوغل بشكل أعمق بعيداً عن الشاطئ .وأخيراً ، قالت" :هل أنت مستعد؟."

فقال" :هيّا بنا ."وبعد بضع ضربات ، استطاع التماشي معها .فبدآ يجذفان جنباً إلى جنب إلى أن وصلا إلى المياه الساكنة ، وبدت السماء فوقهما مخططة

بغيوم رقيقة .راحت ماريا تراقب كولين خلسة وهو يتأمل كل شيء حوله ، فيما نظراته تتلكأ على طيور البجع البنية وطيور البلشون البيضاء ، أو على طائر عقاب يحلق بين الحين والآخر فوق رأسه .لم يبدُ عليه أنه يشعر بالحاجة إلى كسر الصمت ، ففكّرت مجدداً في أنها لم تلتقِ في حياتها رجلاً مثله.

وبينما راحت أفكارها تشرد إلى أماكن بعيدة ، تحوّل انتباهها إلى الجزيرة ، فلاحظت بقايا جذوع الأشجار الرمادية التي يغطيها الملح ، وجذورها الملتفة والملتوية كما لو أنها صوف منسول من كرة صوفية مرخية .وكانت بعض الممرات الملتوية تشقّ الكثبان الرملية وكأنها طرق مختصرة إلى المحيط من جانب الجزيرة ، فيما الأخشاب المنجرفة من المستنقع والملطخة باللون الأسود تتجمع عند حافة الماء.

سمعته يقول لها" :هل تفكرين في شيء ما ؟ ."فانتبهت إلى أن كولين قد قرّب لوحه من لوحها من دون أن تلاحظ ذلك.

"كنت أفكر في أنّني أحب كثيراً التواجد هنا."

"هل تأتين إلى هنا في كل العطلات الأسبوعية ؟."

فأجابت" :في معظمهما ."وحافظت على ضرباتها ثابتة ، ثم قالت" :ما لم يكن الجو ماطراً أو الرياح شديدة .فالرياح القوية تشعرك بأنك لا تصل إلى أي مكان ؛ لأن المياه قد تصبح متلاطمة الأمواج .لقد ارتكبت خطأ مرة عندما أحضرت سيرينا معي إلى هنا .إذ لم تمضِ عشرون دقيقة على وجودها حتى بدأت تلح عليّ للعودة .ولم تعد تأتي إلى هنا منذ ذلك الحين .فعندما يتعلق الأمر بالمحيط ، هي من النوع الذي يفضّل الاستلقاء على الشاطئ تحت أشعة

الشمس ، أو الاسترخاء في مؤخر القارب .ورغم أننا متقاربتان ، إلا أننا لسنا متشابهتين كثيراً."

حثّها الفضول الذي لاحظته في الطريقة التي راح يراقبها بها ويصغي بها إليها على الاستمرار في الكلام ، فحرّكت مجذافها في الماء وتابعت قائلة" :لطالما كانت سيرينا فتاة اجتماعية وشعبية أكثر مما كنت أنا بكثير .فقد حظيت بصديق حميم تلو الآخر ، ولديها عدد هائل من الأصدقاء .كما أن هاتفها لا يكفّ عن الرنين ، وجميع الناس يريدون أن يقضوا أوقاتهم معها .أما أنا ، فلم يكن الوضع كذلك بالنسبة إليّ .إذ لطالما كنت أكثر هدوءاً وخجلاً على ما أظن ، وقد نشأت وأنا أشعر بأنني لا أنسجم مع محيطي."

"ولكنك لا تبدين خجولة بالنسبة إليّ."

فسألته" :حقاً !إذاً كيف أبدو لك ؟."

عندها ، أمال رأسه وقال" :تبدين عميقة التفكير ، وذكية ومتعاطفة وجميلة."

جعلها الأسلوب المؤكد الذي تحدث به -والذي جعله يبدو وكأنه تدرب على هذا الكلام من قبل -تشعر بإحراج مفاجئ ، فتمتمت قائلة" :شكراً لك .هذا من لطفك."

"إنني واثق من أنك سمعت هذا الكلام من قبل."

"ليس بالفعل."

"إذاً ، أنت تمضين وقتك مع الناس الخطأ."

عدّلت موضع قدميها على اللوح ، محاولةً أن تُخفي مدى شعورها بالإطراء والارتباك ، ثم قالت" :إذاً ، أليست لديك صديقة حميمة ؟."

فأجابها قائلاً" :كلاّ .فأنا لست من النوع المناسب لكي يكون صديقاً مقرباً لأية فتاة .وفي الوقت الحاضر ، أنا مشغول للغاية .وماذا عنك ؟."

قالت" :ما زلت وحيدة .كانت لي علاقة جادة مع صديق أثناء فترة الدراسة ، ولكن الأمور لم تنجح .ومؤخراً ، باتت لدي نزعة في جذب النوع غير المناسب من الرجال."

"أتعنين مثلي ؟."!

فابتسمت له ابتسامة خبث وقالت" :لم أكن أفكر فيك عندما قلت هذا الكلام ، وإنما قصدت الشريك الإداري في شركتي ، والذي يصادف أنه متزوج ولديه عائلة .فهو يحاول التقرب منّي ، وهذا يجعل عملي كثير التوتر."

"يمكنني تخيل ذلك."

"ولكن ، ليست لديك أي نصيحة لي ، فأنت لا تسدي النصائح لأحد."

"كلا."

"لا بد أنك تدرك أن إجراء محادثة معك يحتاج إلى بعض التعود ، أليس كذلك ؟ فسيرينا على سبيل المثال لديها آلاف النصائح."

"وهل هي مفيدة ؟."

"ليس بالفعل."

فكان تعبير وجهه يدلّ على أنها أثبتت وجهة نظره بنفسها ، وقال لها" :ما الذي حدث مع صديقك ؟."

"ليس هناك الكثير لقوله .فقد خرجنا معاً لبضع سنوات ، إلى أن بدأت أشعر بأن العلاقة ستتطور إلى شيء أكثر جدية."

"أتعنين الزواج ؟."

فأومأت برأسها وقالت" :هذا ما ظننته .وبحلول ذلك الوقت ، قرر أنني لست من يريدها ، بل يريد الزواج من فتاة أخرى."

"لا بد أن ذلك كان قاسياً."

فوافقته الرأي قائلة" :في ذلك الوقت ، شعرت أنه دمّرني."

"ألم يكن لديك أي أصدقاء منذ ذلك الحين ؟."

"ليس بالفعل .فقد واعدت بضعة شبان ، ولكن لم تتحوّل علاقتي مع أيّ منهم إلى علاقة حقيقية ."وصمتت قليلاً، ثم تذكرت شيئاً ما فقالت" :كنت أخرج للرقص مع صديقاتي في نادي رقص السالسا في تشارلوت ، ولكن معظم الشبان الموجودين هناك كان ينتهي بهم المطاف وهم يلتقونني من أجل شيء واحد فقط ؛ وهو إقامة علاقة عابرة معي .فالكثير من الشبان يريدون التسلية وحسب ، وليس الالتزام بعلاقة جادة."

"تلك مشكلتهم."

"أعرف هذا ، ولكن "...وحاولت أن تفكر بأفضل طريقة لتعبّر بها عن أفكارها ، وقالت" :إنني أجد هذا صعباً في بعض الأحيان ؛ ربما لأن والدَيَّ

سعيدان للغاية ، ويجعلان علاقتهما تبدو بغاية السهولة ، وهذا ما يجعلني أظن أنني سأتمكن من العثور على الشاب المثالي من دون الحاجة إلى التّنازل عن أي شيء .وفيما أنا أكبر ، رسمت كل تلك الخطط لمستقبلي ...فقد قررت أنني عندما أصل إلى سني هذه سأكون زوجة ، وسأعيش في فيلا فيكتورية ، وأنني سأبدأ بمناقشة موضوع إنجاب الأطفال مع زوجي .ولكن هذه الأمور تبدو الآن أبعد ممّا كانت عليه في نظري حين كنت صغيرة .حتى إنها تبدو أبعد مما كانت عليه قبل بضع سنوات."

وعندما امتنع عن الرد ، هزت رأسها وقالت" :لا أصدق أنني أخبرك بكل هذا."

"إنني مهتم."

فقالت" :بالطبع أنت مهتم !إن هذا يبدو مملاً حتى بالنسبة إليّ."

عندها ، عارضها قائلاً" :ليس مملاً .إنها قصّتك وأنا أحب سماعها ."ثم سكت قليلاً قبل أن يغيّر الموضوع بشكل مفاجئ ويقول" :أقلت رقص السالسا ؟."

"أهذا كل ما سمعته من الكلام الذي قلته ؟ ."!وعندما هز كتفيه ، تابعت وهي تتساءل عن سر السهولة في التحدث إليه ، ثم قالت" :اعتدت أن أذهب إلى هناك كل أسبوع."

"ولكنك الآن لا تذهبين ، أليس كذلك ؟."

"ليس بعد أن عاودت الانتقال إلى هنا .إذ ليست لديهم نوادٍ في هذه المدينة ، أقصد نوادي رسمية .وحين حاولت سيرينا أن تجرّني إلى ذلك المكان

الذي ترتاده هي فكرت في الأمر .ولكنني توسّلت إليها للامتناع عن الذهاب في اللحظة الأخيرة."

"يبدو لي أنك كنت ستمضين وقتاً ممتعاً."

"ربما .ولكنه ليس نادياً حقيقياً ، بل هو مجرد مستودع مهجور .وأنا واثقة من أن الأمر برمته ليس قانونياً."

"أحياناً تكون تلك الأماكن هي الفضلى للذهاب إليها."

"أفترض أنك تتحدث استناداً إلى خبرتك ، أليس كذلك ؟."

"نعم."

فابتسمت وقالت" :هل تعرف أي شيء عن رقص السالسا ؟."

"هل يشبه رقصة التانغو ؟."

"ليس بالفعل .فالتانغو نوع من رقص الصالونات ، ويتحرك فيه الراقصان في أنحاء صالة الرقص .أما السالسا ، فهو نوع من رقص الحفلات ، وفيه الكثير من الدوران وتغيير الأيدي .ويبقى الراقصون فيه في مكان واحد على الأرض .إنها طريقة رائعة لقضاء بضع ساعات مع الأصدقاء ، ولا سيما إن كان شريكك بارعاً. وذلك هو المكان الوحيد الذي أشعر فيه بأنني أستطيع أن أتخلى عن حذري وأتصرف على طبيعتي."

"ألستِ على طبيعتك الآن ؟."

فأجابت قائلة" :بالطبع .ولكن ، هذه بكل تأكيد هي النسخة الأكثر هدوءاً ونموذجية مني ."ثم رفعت المجذاف فوق رأسها لتتمدد للحظة ، وبعد ذلك

عاودت تغميس طرفه في الماء مجدداً وقالت" :لدي سؤال لك ، وكنت أتساءل عنه منذ أن ذكرت الموضوع ."وعندما التفت إليها ، تابعت كلامها قائلة" :لماذا تريد أن تدرِّس الصف الثالث تحديداً؟ لطالما ظننت أن معظم الشبان يودّون تدريس الصفوف الثانوية."

حرّك مجذافه عبر الماء وقال" :لأن الأطفال في تلك السن يكونون كباراً بما فيه الكفاية لكي يفهموا معظم ما يقوله لهم الكبار ، ولكنهم لا يزالون صغاراً بما يكفي لكي يصدّقوا أن الكبار يقولون الحقيقة .وهي أيضاً السنة التي يبدأ فيها السلوك الحقيقي بالظهور بشكل واضح .وبالإضافة إلى كل الفحوصات التي تطلبها الولاية ، إن التلاميذ في الصف الثالث يكونون في مرحلة عمرية خطيرة."

وفيما هما يتزلجان على ماء ساكن كالزجاج ، سألته قائلة" :وماذا بعد؟."

"ماذا؟."

"لقد قلت لي الشيء نفسه في الليلة الماضية عندما ظننت أنني لم أخبرك القصة كاملة .لذا ، سأسألك مرة أخرى :ما هو السبب الحقيقي الذي يجعلك راغباً في تدريس الصف الثالث؟."

فقال لها" :لأنّ ذلك الصف كان سنتي الجيدة الأخيرة في المدرسة ، أو بالأحرى قبل دخولي الكلية .إذ كانت تلك سنتي الجيدة الأخيرة ، وكل هذا بفضل السيد موريس .فقد كان ضابطاً متقاعداً من الجيش انخرط في مهنة التدريس في وقت لاحق من حياته .وكان يعرف بالضبط ما أحتاج إليه ، وهو ليس الانضباط عديم التفكير الذي تعرضت له في وقت لاحق في المدرسة الداخلية ، بل خطة محددة تناسبني وحدي .فلم يكن يتحمل أي هراء في

الصف منذ البداية .وإن بدأت بإساءة التصرف ، كان يأمرني بأن أبقى بعد الدوام. في البداية ، ظننت أن كل ما سأقوم به هو مجرد الجلوس في الصف لقراءة كتاب ، أو أنه سيجعلني أنظف أو ما شابه ، ولكنه بدلاً من ذلك جعلني أجري حول المدرسة وأنفّذ تمرين الضغط .وطوال الوقت ، اعتاد أن يقول لي باستمرار إنني أبلي بلاء حسناً ، أو إنني سريع أو قوي أو ما شابه ذلك ، لذا لم أشعر بأن ما أقوم به عقوبة .وكان يفعل الشيء نفسه في الملعب في اليوم التالي .وبعد ذلك ، بدأ يطلب مني الحضور مبكراً كل يوم لأحصل على جائزة في الركض ، ولأنه وجد أنني أقوى من بقية الأولاد وأفضل منهم .وعندما أتذكر الماضي ، أعرف أنه فعل هذا بسبب ما كنت أعانيه من" فرط الحركة "وكل ذلك الهراء العاطفي الآخر. ومن الواضح أن ما أراده هو استنزاف طاقتي الزائدة لكي أجلس ساكناً في الصف."

وازداد صوته رقة وهو يتابع حديثه قائلاً" :في ذلك الوقت من الماضي ، كانت تلك هي المرة الأولى التي مدحني فيها أحد .وبعد ذلك ، لم أعد أريد شيئاً سوى جعله فخوراً ب.ي .فأصبحت أعمل بجد أكثر ، وبدأت المدرسة تصبح أكثر سهولة بالنسبة إليّ ، وتمكّنت من اللحاق بزملائي في القراءة والرياضيات ، وأصبح سلوكي في البيت أفضل .وعندما انتقلت إلى السنة التالية عند السيدة كراندال ، ذهب كل ذلك هباء منثوراً .فقد كانت لئيمة وسريعة الغضب وتكره الأولاد .وهكذا ، عدت ذلك الصب.ي المضطرب الذي كنت عليه .وبعد ذلك ، أرسلني والداي إلى المدرسة الداخلية .وبقية القصة تعرفينها."

أطلق زفيراً عميقاً قبل أن ينظر إليها ويقول" :لهذا السبب أريد أن أدرِّس الصف الثالث ؛ لأنني ربما ، وربما فقط ، أصادف طفلاً يشبهني ، وسأعرف عندئذ

ما يجب عليّ فعله بالضبط لأنقذه من مصيري .وعلى المدى البعيد ، سأعرف ما قد تعنيه تلك السنة الوحيدة لذلك الصبي .فلولا وجود السيد موريس في حياتي قبل كل تلك السنوات ، لما فكّرت إطلاقاً في العودة إلى الكلية الآن لكي أصبح معلماً."

وبينما كان كولين يتحدث ، ظلت ماريا تتأمله بإمعان ، ثم قالت" :أعرف أنه لا ينبغي لي أن أتفاجأ نظراً إلى كل ما قلته لي من قبل ، ولكنني متفاجئة فعلاً."

"وما السبب ؟."

"إن هذا باعث على الإلهام ؛ أقصد رغبتك في أن تصبح معلماً .فأنا ليست لديّ أي قصص من هذا النوع .وفي معظم الأوقات ، لست واثقة حتى من السبب الذي جعلني أصبح محامية في المقام الأول .فقد حدث هذا من دون أي تخطيط مسبق."

"وكيف ذلك ؟."

"عندما التحقت بالكلية في بداية الأمر ، لم أكن واثقة من التخصص الذي أريد دراسته .وعندها ، فكرت في كلية إدارة الأعمال ، أو في الحصول على درجة الماجستير ، حتى إنني تساءلت بيني وبين نفسي حول الالتحاق بكلية الطب. وقد وجدت صعوبة كبيرة في اختيار اختصاص ما حتى في سنتي الأولى ؛ إذ كنت لا أزال غير واثقة مما أريد فعله في حياتي .ومن ناحية أخرى ، كانت زميلتي في السكن مصممة على دخول كلية الحقوق ، فأقنعت نفسي نوعاً ما بأن هذه الفكرة أكثر إغراء مما هي عليه في الواقع .والشيء التالي الذي أتذكره هو

أنني وجدت نفسي أتقدم للالتحاق بكلية الحقوق .وبعد ثلاث سنوات ، حصلت على وظيفة في مكتب محامي المقاطعة ، وتابعت الدّراسة للتمكن من اجتياز الامتحان الذي يتيح لي مزاولة المهنة .والآن ، ها أنا هنا !لا تسِئ فهمي ، فأنا بارعة في ما أقوم به ، ولكنني في بعض الأحيان أجد صعوبة في تخيّل أنني سأفعل ذلك في ما تبقى من حياتي."

"ومن الذي قال إنه يجب عليك ذلك ؟."

"لا يمكنني أن أرمي بتعليمي كل السنوات الأربع الماضية أدراج الرياح هكذا .ما الذي سأفعله غير ذلك ؟."

فحكّ ذقنه وقال" :أظن أنه يمكنك أن تفعلي ما تريدينه .وفي النهاية ، كلنا نعيش الحياة التي نختارها لأنفسنا."

"ما رأي والديك حيال عودتك للدراسة في الكلية ؟."

"أظن أنهما ما زالا يتساءلان عمّا إذا كنت قد تغيرت فعلاً أو سأنتكس وأعود ذلك الشاب نفسه الذي كنت عليه في الماضي."

فابتسمت وقد أعجبتها الطريقة التي قال بها ذلك من دون أن يقلق حيال ما قد تظنه.

"لست أدري ما السبب ، ولكنني أجد صعوبة في تخيل كولين الآخر ؛ ذلك الذي اعتدت أن تكون عليه في الماضي."

"ما كان ليعجبك كثيراً."

فقالت" :على الأرجح لا .ولكنه ما كان ليتوقف ليغيّر إطار سيارتي في

المقام الأول."

فوافقها الرأي قائلاً" :بالتأكيد لا."

سألته" :ما الذي ينبغي لي تعلّمه عن كولين الجديد أيضاً؟ ."وأدى سؤالها إلى محادثة مطوّلة عن نشوئه في ريلييه ، كما تحدّثا قليلاً عن صداقته مع إيفان وليلي .وأخبرها عن والديه وشقيقتيه الأكبر منه .وحدّثها عما يعنيه أن ينشأ الطفل في كنف عدد لا حصر له من المربيات .كما أخبرها عن الشجارات الأولى التي خاضها ، والمدارس التي التحق بها ، وعرض عليها المزيد من التفاصيل حول السنوات التي تلت المدرسة الثانوية ؛ رغم أنه اعترف بأنها مشوشة بشكل كبير .وتحدّث عن مدرسة الفنون القتالية المختلطة .وعندما ضغطت عليه ، تحدّث عن بعض مبارياته ، بما فيها المباراة الأخيرة ؛ تلك التي تركت وجهه مليئاً بالكدمات والدماء النازفة .ورغم أن العديد من القصص التي قصّها عليها أكدت على الجوانب العنيفة من ماضيه ، إلا أنّها شكّلت كلاًّ واحداً مع ما سمعته من قبل.

وفيما كانا يتحدّثان ، بدأ المد يتحرك إلى الداخل ويدفعهما إلى الأمام جنباً إلى جنب ، بينما أخذ قرص الشمس ينخفض شيئاً فشيئاً نحو الأفق ، والماء يلمع ويومض كما لو أنه قروش قديمة .وخفّفت طبقة الغيوم الرقيقة من حدة الشمس ، فيما تغيّر لون السماء إلى الزهري والبرتقالي والأرجواني.

وأخيراً سألته" :هل تود الذهاب إلى الشاطئ؟ ."فأومأ برأسه ، وبدآ يجذفان باتجاه الشاطئ .لاحظت ماريا ظهور ثلاثة دلافين داكنة وملساء تقترب منهما ببطء .راحت الدلافين تسبح بشكل متعرج عبر الماء .وعندما أشارت ماريا

إليها ، انفرجت شفتا كولين عن ابتسامة عريضة .وفي اتفاق غير معلن ، توقّفا عن التجذيف ، وسمحا للوحيهما بأن ينجرفا مع التيار .وما فاجأها هو أن الدلافين غيّرت اتجاهها ، وأخذت تنزلق نحوهما مباشرة .عندها ، مدّت ماريا يدها نحو الكاميرا بشكل فطري ، وبدأت تلتقط الصور مُغيِّرة وضع الإطار عند كل صورة .وبأعجوبة ما ، تمكّنت من التقاط صورة للدلافين الثلاثة معاً وهي تخترق السطح ، قبل أن تسير في موكب مروراً بهما ؛ في رتل واحد قريب بما يكفي لكي يتمكّنا من لمسها ، وراحت ترش الماء .عندها ، التفتت ماريا وهي تشاهدها فيما كانت تتراجع نحو الخليج والمحيط وراءه ، متسائلة عمّا أتى بها إلى هذا المكان في تلك اللحظة بالذات.

وعندما اختفت الدلافين الثلاثة عن الأنظار أخيراً ، لاحظت أن كولين كان يحدق إليها ، وابتسم لها بشكل فطريّ ، فرفعت الكاميرا والتقطت صورته متذكرة لحظة الضعف التي أظهرها قبل بضع دقائق فقط .فعلى الرغم من الثقة بالنفس التي يتحلى بها والتي تبدو عليه من الخارج ، إلا أنها أدركت أنه مثلها تماماً ؛ فهو يريد ببساطة أن يتم قبوله بطريقته الخاصة ، كما أدركت أنه يشعر بالوحدة ؛ مثلها بالضبط .وقد جعلها إدراكها ذلك تتألم في أعماقها .وفجأة ، شعرت بأنهما الكائنان البشريان الوحيدان في العالم .وفي هذه اللحظة الحميمة الصامتة ، أدركت أنها تريد أن تُمضي برفقته فترات عصر أخرى كهذا اليوم ؛ أي مجرد عصر يوم عادي ولكنه يُشعرها بطريقة ما بأنه مفعم بسحر خاص.

الفصل السابع

كولين

فيما كانا على الشاطئ ، جلس كولين على منشفة ، بينما جلست ماريا بجانبه ، فحاول أن يتجاهل مظهرها الجذاب بثوب السباحة الأسود .بالأمس ، كان ينظر إليها على أنها فتاة غريبة ومثيرة للاهتمام .وبينما هما يركبان لوحي التزلج اليوم ، بات ينظر إليها كصديقة .ولكنه الآن لم يعد واثقاً مما قد يأتي في المرحلة القادمة .فكل ما استطاع التفكير فيه هو أن مظهرها الجذاب جعل من الصعب عليه أن يُبقي أفكاره سليمة .إذ أدرك أنّ ماريا ليست مجرد فتاة جميلة ، بل هي فتاة مذهلة إلى حدّ كبير .ورغم أن كولين شعر بأن شيئاً ما بينهما قد تغيّر على مدار اليوم ، إلا أنه لم يستطع أن يُطلِق عليه اسماً محدداً.

لم يكن لديه الكثير من الخبرة مع نساء مثل ماريا .فباستثناء زميلات الجامعة وأفراد العائلة المقربين ، كانت معظم الفتيات اللواتي واعدهن يملن إلى امتلاك عدد كبير من الوشوم ، بالإضافة إلى الأقراط والمظهر الغاضب والمشاكل الخطيرة مع الأبوين .وأمثال أولئك النساء يتوقعن التعرض لمعاملة سيئة من الشريك ، وقد قدّم لهن تلك المعاملة بشكل عام .وقد كان عدم وجود توقّعات من قبل الطرفين مريحاً نسبياً بالنسبة إليه عندما يخرج معهن ، ولكن تلك الراحة مؤذية بكل التأكيد .ومع ذلك ، فالبؤس يتطلّب الرفقة ، ولم تدم علاقته مع أي منهن إلا لمدّة شهرين إلى ثلاثة أشهر .ولكن على عكس إيفان ، إن الحصول على شخص مميّز يرافقه طول حياته لم يكن مهماً بالنسبة إليه كثيراً. فهو لم يكن مخلوقاً من تلك الطينة ، بل كان شخصاً يحبّ الحرية التي تنجم

عن الشعور بعدم الارتباط بأحد ، وعدم اضطراره إلى الإجابة عن أسئلة أي كان. إذ كان من الصعب عليه أن يُبقي حياته سوية ، ناهيك عن محاولته إرضاء توقعات شخص آخر.

أو على الأقل ، هكذا كان يظن أن الأمور تسير .ولكن فيما هو الآن يتأمل خلسة ماريا بإعجاب ، راح يتساءل عمّا إذا كان ببساطة يختلق الأعذار .فربما- ربما فقط -لم يأبه حيال كونه في علاقة جادة لأنه لم يبذل مجهوداً صادقاً حيال الأمر ، أو لأنه لم يلتقِ الفتاة المناسبة .أدرك أنه يستبق الأحداث ، ولكنه لم يستطع أن ينكر حقيقة أنه أراد أن يمضي المزيد من الوقت مع ماريا .أما كونها ما زالت غير مرتبطة ، فقد وجده أمراً يتجاوز حدود إدراكه .وذكّر نفسه بأنه لن تكون هناك فرصة لكي تهتم فتاة مثلها بشاب مثله.

ومع ذلك ...خلال الوقت الذي أمضاه في المستشفى أثناء جلسات العلاج الجماعية ، شكّلت محاولته اكتشاف شخصيات الآخرين جزءاً لا يتجزأ من التمرين بحد ذاته .ففهمه للآخرين يعني فهمه لنفسه والعكس صحيح .وقد أصبح منذ وقت طويل متناغماً مع لغة الجسد ، ومع المفاتيح الصوتية التي يعرضها الناس وهم يشاركون مخاوفهم وأخطاءهم وما يندمون عليه .ورغم ذلك ، لم يستطع أن يقرأ شخصية ماريا بالضبط ، وشكّ في أنها مثله تماماً تشعر بالحيرة حيال ما يجري .وقد بدا له هذا منطقياً تماماً .ورغم أنه يبلي بشكل حسن الآن ، إلا أنه توجّب عليها أن تدرك أن كولين القديم سيظل جزءاً من شخصيته .وهذا بالتأكيد سيشكّل مصدر قلق لأي كان ؛ إذ لا يزال حتى الآن يشكّل مصدر قلق له هو شخصياً .ورغم أن غضبه المتفجر كان في حالة سبات في الوقت الحالي ، أو أشبه بدب في حالة سبات شتوي ، إلا أنه أدرك أنه يجب

عليه أن ينظِّم حياته بطريقة معينة ليمنع الربيع من الوصول ، حيث يظل الدب في سبات عميق ؛ كممارسة التدريب الشاق لكبح غضبه ، والانغماس في مباراة في فنون القتال المختلطة بين الحين والآخر ليتطهر من عدوانيته ، والجد في الدراسة والعمل لساعات طويلة لملء وقت فراغه ومنعه من زيارة الأماكن الخطأ وجعله يبتعد عن الممنوعات ويقلل من تناول الشراب ، وكذلك قضاء الوقت مع إيفان وليلي اللذين لا يعتبران نموذجاً يحتذى للمواطن الصالح ، ولكنهما أيضاً متواجدان بشكل دائم لتقديم الدعم له وإبقائه بعيداً عن الأذى.

خطر بباله أنه ليس هناك مكان في حياته لماريا ؛ إذ لم يكن هناك وقت كافٍ لها ، ولم تكن لديه الطاقة لذلك.

ومع ذلك...

ها هما الآن بمفردهما معاً في مكان ممتد ومنعزل ، فيما هو يفكّر في أنها جذابة للغاية .ووجد أنه من المنطقي أن تهرب ماريا إلى التلال في الوقت الحاضر ، ولكنها بلا شك لم تسمح لماضيه بأن يعكّر صفوها .ما عاد بإمكانه الكفّ عن التفكير فيها ؛ ولو كلّفه ذلك حياته.

تأمّلها وهي تتكئ إلى الوراء تحت أشعّة شمس فترة العصر المتأخر ، وتسند نفسها على مرفقيها ، وفكر مجدداً في أنها فتاة حسناء وطبيعية أكثر من أي فتاة أخرى شاهدها في حياته .وفي محاولة منه ليشتت انتباهه عنها ، استدار إلى أحد جانبيه ، ومد يده إلى البراد خلفه وشده إليه ، ثم فتح الغطاء وأخرج زجاجتين من الماء وأعطاها إحداهما.

وسألها قائلاً" :هل تفضلين الموز أم البرتقال ؟."

فقالت وهي تعدّل جلستها وتبدو رشيقة وواهنة القوى" :بل أريد الموز لأن البرتقال يجعل يدي دبقة."

فأعطاها موزة ، ثم أخرج بضعة أكياس من المكسرات المشكلة وسألها:

"هل تريدين أياً من هذه ؟."

فقالت" :بالطبع ، لم لا ؟."

وأخذت منه كيساً ، ثم أدخلت بعض حبات اللوز في فمها ، وقالت وهي تغمزه" :هذا هو بالضبط ما أحتاج إليه .فقد بدأت أشعر بأن الكوليسترول لدي يهبط وأن عضلاتي تزداد حجماً."

ابتسم لها وهو يبدأ بتقشير برتقالته ، وفعلت الشيء نفسه بموزتها ، ثم أخذت قضمة منها قبل أن تسترخي إلى الوراء مجدداً وهي تقول" :أنا لا أفعل هذا أبداً ، أعني الجلوس على الشاطئ عندما آتي إلى هنا .فقد جذّفت مروراً به ، ولكنني لم آتِ إلى هنا فعلياً لمجرد الاسترخاء."

"لم لا ؟."!

"في الصيف ، يتواجد هنا عادة عدد كبير من الناس ، وهذا ما يجعلني أشعر بالغرابة لأنني أحضر إلى هنا بمفردي."

"لماذا ؟ ما كان هذا ليزعجني أنا."

"ليس لديّ شك في ذلك .فبالنسبة إليك ، هذا ليس مهماً ، ولكن الأمر مختلف بالنسبة إلى النساء .فحضوري إلى هنا بمفردي قد يجعل بعض الرجال يعتبرون ذلك بمثابة دعوة .فماذا سأفعل إن جاء رجل مجنون وبدأ يتودد إلي ؟

كشخص اعتاد أن يتعاطى المخدرات ، وخرج من السجن بكفالة ، ولديه ماض حافل بالتردد على الأماكن غير المناسبة لمجرد مقاتلة الغرباء والدوس على رؤوس الناس ...آه !انتظر لحظة ."!وتظاهرت بأنها تشعر بالرعب وهي تلتفت إليه فجأة.

فضحك وقال" :وماذا إن قال لك إنه تغيّر ؟."

"في البداية ، ما كنت لأصدقه على الأرجح."

"وماذا إن كان ساحراً ؟."

"سيتوجّب عليه أن يكون ساحراً جداً .ولكن حتى عندئذ ، أنا أفضّل على الأرجح أن أبقى بمفردي."

"حتى لو غيّر إطار سيارتك وسط عاصفة هوجاء ؟."

"من المؤكد أنني سأشعر بامتنان كبير لمساعدته لي ، ولكنني لا أعرف إن كان هذا سيشكّل أي فارق بالنسبة إليّ .فحتى المجانين يستطيعون القيام بعمل لطيف بين الحين والآخر."

"على الأرجح ، إن اتّخاذ خيار كهذا يدل على الحكمة .إذ إنّ رجلاً من هذا النوع قد يكون خطيراً ، ومن المؤكد أنه ليس شخصاً سترغبين في التواجد معه بمفردك."

فقالت" :هذا واضح .ولكن بالطبع هناك إمكانية أن يكون قد تغيّر ، وأن أكتشف أنه رجل لطيف فعلاً .وهذا يعني أنني سأكون قليلة الحظ لأنني لم أمنحه فرصة حقيقية."

"إنني أفهم كيف يمكن أن يشكّل هذا الأمر مشكلة."

"على أية حال، هذا هو السبب الذي حال دون مجيئي إلى الشاطئ بمفردي؛ فهو يلغي المسألة برمتها."

"هذا منطقي .ومع ذلك، يجب عليّ أن أعترف بأنني لست واثقاً من كيفية شعوري حيال الكلام الذي قلتِه للتو."

فأجابت وهي تنكزه بكتفها بمرح" :جيد .إذاً، نحن الآن متعادلان .فأنا لم أعرف بالضبط كيف أشعر حيال الكثير من الأشياء التي قلتها لي."

لم يكن واثقاً ممّا إذا كانت تلاطفه أم لا، ولكن أعجبه الشعور الطبيعي الذي منحه إياه لمسها له، فقال" :ما رأيك في أن نغيّر الموضوع إلى موضوع أكثر أماناً؟."

"مثل ماذا؟."

"حدّثيني عن عائلتك .فقد قلت لي إن لديك الكثير من الأقارب في المدينة؟."

"إن جدّيَّ من كلا الجانبين لا يزالان يعيشان في المكسيك .ولكنّ ثلاثاً من عماتي، وأربعة من أعمامي يعيشون هنا في ويلمنغتون، بالإضافة إلى عشرين من أبناء وبنات العمومة .ونحن نقيم بعض الحفلات العائلية الصاخبة بين الحين والآخر."

"يبدو هذا مسلياً."

"صحيح .إن الكثيرين منهم إما يعملون أو كانوا يعملون في السابق في لا

كوكينا دي فاميليا .لذا ، المطعم أشبه ببيتنا الثاني .لا بد أنني أمضيت هناك وأنا أكبر وقتاً أطول من ذاك الذي أمضيته في البيت."

"حقاً."!

فأومأت برأسها وقالت" :عندما كنت صغيرة ، أنشأ والدي مساحة للعب في مؤخر المطعم ، حيث تستطيع والدتي مراقبتي .وعندما التحقت بالمدرسة ، بدأت أنجز فروضي المنزلية في المكتب .وعندما وُلِدت سيرينا ، صرت أراقبها في منطقة اللعب إلى أن تُنهي والدتي مناوبتها في المطعم .وعندما كبرت سيرينا ، بدأت تعمل هناك بدورها ، ولكنّ الشيء الغريب هو أنني لا أتذكر أبداً أنني شعرت بأنني أحل في المرتبة الثانية بعد المطعم ، أو حتى أنه يهيمن على حياتي .ولا يرجع سبب ذلك فقط إلى وجود عائلتي هناك ، وإنما لأنّ والديّ اعتادا أن يُطلاّ عليّ ويحرصا على أن أكون بخير .ولدى عودتي إلى البيت ، لم أكن أشعر باختلاف كبير .فلطالما امتلأ بيتنا بالأقارب .إذ إن الكثيرين منهم أقاموا معنا إلى أن توفر لديهم ما يكفي من المال لشراء منزلهم الخاص .وبالنسبة إلي كطفلة ، لم يكن هناك ما هو أفضل من ذلك .فلطالما كان هناك شيء ما يحدث ؛ أناس يتحدثون أو يلعبون أو يطبخون أو يستمعون إلى الموسيقى. ولطالما كان المكان صاخباً ، ولكن ذلك منحني طاقة جيدة وجعلني أشعر بالسعادة والحيوية."

حاول أن يطابق روايتها مع المرأة الجالسة بجانبه ، فوجد ذلك أمراً سهلاً إلى حد مدهش.

"كم كان عمرك عندما بدأت بالعمل في المطعم ؟."

فقالت" :أربعة عشر عاماً .بدأت أعمل هناك بعد المدرسة ، وفي فصل الصيف ، وفي عطلة الكريسمس ؛ إلى أن تخرجت من كلية الحقوق .فقد اعتبر والداي أنه من المفيد لي أن أكسب مصروفي الشخصي بنفسي."

"تبدين فخورة بهما."

"أما كنت لتشعر بذلك لو كنت مكاني؟ ورغم ذلك ، يجب عليّ الاعتراف بأنني لست واثقة مما قد يفكّر فيه والداي عندما يعرفان أنني موجودة معك اليوم."

"لديّ فكرة جيدة تماماً عما قد يفكّران فيه ، وعن رأيهما."

فراحت تضحك بخفة وعفوية.

"هل تريدين أن تجرّبي قذف القرص في الأنحاء؟."

"سأحاول .ولكن ، لا تقل إنني لم أحذرك."

ولم تكذب عليه .فهي لم تكن بارعة جداً ، وقد انحرف القرص في معظم رمياتها تقريباً بعيداً عن مساره ؛ ففي بعضها راح يضرب الرمل ، وفي بعضها الآخر طار في الهواء .وهكذا ، راح كولين يركض بشكل متعرج محاولاً إنقاذ القرص قبل أن يضرب الأرض ، وهو يسمعها تصرخ قائلة" :إنني آسفة ."وكلما نجحت في القيام برمية دقيقة أو في الإمساك بالقرص ، كانت تمرح بسعادة طفولية بحتة.

وخلال اللعبة برمتها ، لم تتوقف عن الثرثرة بمرح .فقد حدّثته عن رحلاتها إلى المكسيك لزيارة أجدادها ، ووصفت له البيتين القرميديين الصغيرين

اللذين عاش فيهما الجدان والجدتان حياتهم .كما تطرّقت إلى سنواتها الدراسية في المدرسة الثانوية ، بالإضافة إلى عدد من تجاربها في الكلية وكلية القانون ، وأخبرته بضع قصص حدثت معها أثناء عملها في مكتب محامي المقاطعة. عندها ، شعر بالحيرة من السبب الذي جعل صديقها الأول يتركها .وتساءل عن سبب عدم تواجد أحد في حياتها منذ ذلك الحين .أيمكن أن يكون أي كان أعمى البصر إلى هذا الحد؟ لم يعرف الإجابة ، ولم يأبه لذلك .فكل ما كان يعرفه بالفعل وبشكل مؤكد هو مدى حسن طالعه لأنها تجوّلت على رصيف الشاطئ أثناء وجوده هناك.

تخلى عن القرص ، وأمسك لعبة أخرى ، فسمعها تضحك بصوت مرتفع وتقول" :هذا مستحيل !فقد تعبت ."ثم ارتمت على منشفتها .عندها ، جلس كولين بجانبها وهو يشعر بالوهن بعد قضائه يوماً حافلاً تحت أشعة الشمس ، ولاحظ أن بشرة ماريا قد اكتسبت لمعاناً ولوناً جذّاباً .أنهيا الماء المتبقي في زجاجتيهما وهما يرتشفانه ببطء ويشاهدان الأمواج.

فجأة ، قالت وهي تلتفت إليه" :أظن أنني أود مشاهدتك وأنت تقاتل."

فقال لها" :حسناً."

"متى موعد المباراة التالية ؟."

"ليس قبل بضعة أسابيع .ستقام في نادي هاوس أوف بلوز على شاطئ نورث مارتل."

"ومن ستقاتل ؟."

"لا أعرف بعد."

"كيف يمكن ألا تعرف من ستقاتل ؟."

فمرر أصابعه في الرمل وأجاب" :في مباريات الهواة ، لا تنفد البطاقات عادة حتى اليوم الذي يسبق المباراة .وكل هذا يعتمد على من يريد أن يقاتل ، ومن هو مستعد للقتال ، ومن هو متوفر للقتال .وبالطبع ، من يسجّل اسمه بالفعل للقتال."

"ألا يجعلك هذا تشعر بالتوتر ؟ أي ألاّ تعرف ؟."

"ليس بالفعل."

"وماذا إن اكتشفت أن الرجل ...عملاق أو ما شابه ذلك ، ماذا ستفعل حينها ؟."

"لدينا تصنيفات محددة للأوزان .لذا ، هذا لا يشكل أي مصدر قلق بالنسبة إليّ .إن الشيء الرئيس الذي يقلقني دائماً هو أن يصاب خصمي بالفزع ويبدأ بكسر القواعد .فبعض الشبان يأتون إلى مباريات الهواة وليس لديهم الكثير من الخبرة في هذا المجال ، لذا من السهل عليهم أن يفقدوا السيطرة على أنفسهم .وهذا ما حدث عندما نطحني خصمي الأخير برأسه بشكل متعمّد ، فتوجّب عليهم إيقاف المباراة لكي أتمكن من السيطرة على النزيف .ولكنّ الحكم لم يلاحظ ذلك ، وعندها جنّ جنون مدربي."

"وهل استمتعت بذلك فعلاً ؟."

فقال" :الخبر الجيد هو أنني تمكّنت من الإمساك بعنقه في الجولة التي تلت ، فاضطر إلى الاستسلام .وقد استمتعت بذلك الجزء."

"إنك تدرك فعلاً أن هذا أمر غير طبيعي ، أليس كذلك ؟."

"حسناً."

"وإن أردنا أن نكون واضحين ، أنا لست مهتمة بالنتيجة سواء أربحت أم خسرت ، ولكنني لا أريدك أن تصبح مدمى ومصاباً بالكدمات."

"سأبذل ما بوسعي."

عندها ، جعّدت جبينها وقالت" :انتظر قليلاً ، هاوس أوف بلوز !أليس هذا مطعماً ؟."

"من بين أشياء أخرى .ولكنّ فيه متسعاً كافياً .فالمباريات المخصصة للهواة لا تجذب عادة حشداً كبيراً من المتفرجين."

"إنني أشعر بالصدمة !فمَن الذي لا يودّ مشاهدة رجال يوسعون بعضهم بعضاً ضرباً ؟ ما مشكلة المجتمع في هذه الأيام ؟."!

ابتسم ابتسامة عريضة فيما لفّت ذراعيها حول ركبتيها كما فعلت في الليلة الماضية .ولكنه هذه المرة استطاع أن يشعر بكتفها تلامس كتفه ، وسألها قائلاً" :كيف تبدو الصور التي التقطتها ؟ صور الدلافين ؟."

عندها ، مدت ماريا يدها إلى الكاميرا ، واستعرضت الصور قبل أن تعطيه إياها ، ثم قالت" :أعتقد أن هذه الصورة هي الفضلى ، ولكنّ هناك المزيد منها. استخدم زر السهم لتتصفحها."

حدّق إلى صورة الدلافين الثلاثة وقال" :إنها مدهشة ، فهي تبدو كما لو أنها تقف خصيصاً ليتم تصويرها."

فاقتربت منه وقالت" :أحياناً يحالفني الحظ ، فقد كانت الإضاءة مناسبة تماماً .وهناك صور أخرى التقطتها الشهر الماضي وأحببتها أيضاً."

فضغط على الزر وتفحّص سلسلة طويلة من الصور :طيور ونوارس وصور مقربة لفراشات وسمكة في منتصف قفزتها .وعندما انحنت إلى الأمام لتتابع معه الصور ، شم رائحة الزهور البرية تفوح منها.

وفي نهاية السلسلة ، تراجعت إلى الخلف أخيراً ، فقال لها" :ينبغي أن تضعي بعض هذه الصور في أطر ."وأعاد إليها الكاميرا.

فقالت" :إنني أفعل هذا بالفعل .ولكنني أضع الأفضل بينها فقط."

"أهناك ما هو أفضل من هذه ؟."

فقالت" :يمكنك أن تراها وتقيّمها بنفسك .ولكن ، يجب عليك أن تأتي لزيارتي أولاً ؛ فهي معلقة على جدران البيت."

"أظن أنّني أود ذلك يا ماريا."

التفتت ماريا نحو الماء مجدداً وهناك ابتسامة تتراقص على شفتيها .وبدا لها من الغرابة بمكان أن تفكّر في أنه لاحظ وجودها على آخر الرصيف البارحة فقط ، أو كيف أنه بات يعرفها بعد فترة قصيرة جداً من الزمن ، وأنه يريد معرفة المزيد عنها.

قالت له وهناك نبرة ندم في صوتها" :على الأرجح ، ينبغي لنا أن نغادر قبل أن يحل الظلام."

فأومأ برأسه ، وشعر بوخزة من خيبة الأمل وهما ينهضان ليجمعا

أشياءهما .ثم راحا يجذّفان عائدين نحو شاطئ رايتسفيل بينما بدأت أولى النجوم تظهر في السماء .ساعد كولين ماريا على ربط اللوحين بالحبال فوق سيارتها قبل أن يستدير ليواجهها .ونظر إليها وهي تبعد الشعر عن عينيها وشعر بتوتر غريب ؛ وهذا شيء لا يتذكر أنه حدث معه من قبل وهو برفقة امرأة إطلاقاً.

"لقد كان يوماً رائعاً."

فوافقته الرأي قائلة" :إن ركوب لوح التزلج رياضة ممتعة جداً."

فقال" :لم أقصد ركوب لوح التزلّج ."وراح يتنقل من قدم إلى أخرى ، وتولّد لديه انطباع بأنها تنتظر منه أن يتابع كلامه فقال" :بل أتحدّث عن قضاء الوقت برفقتك."

عندها ، سألته بنبرة صوت ناعمة" :أصحيح ما تقوله ؟."

فأجابها" :نعم ."وكان واثقاً من أنها أجمل من أي امرأة أخرى قابلها في حياته.

"ماذا تنوين أن تفعلي في العطلة الأسبوعية القادمة ؟."

"باستثناء الفطور المتأخر يوم الأحد ، لم أعِدّ خططاً لأي شيء آخر."

"هل تريدين أن تذهبي إلى المستودع الذي حدّثتك عنه سيرينا ليلة السبت ؟."

"هل تدعوني إلى الرقص!؟."

"إنني أرغب في التعرف على ماريا الأقل نموذجية ؛ تلك التي تستطيع أن تتصرف على طبيعتها."

"أتعني لأن النسخة الأكثر هدوءاً ليست مناسبة لطبيعتك ؟."

فأجاب" :كلا .في الواقع ، العكس هو الصحيح .فأنا أدرك منذ الآن شعوري حيالك يا ماريا."

وفي تلك الأثناء ، راحت الجداجد تغني فوق التلال الرملية وكأنها تعزف أوركسترا الطبيعة .كانا بمفردهما ، وهو يحدق إليها .اقترب منها قليلاً فيما تلك اللحظة تسيطر عليهما ، وتساءل إن كانت ستبتعد عنه وتكسر السحر ، ولكنها لم تفعل ذلك ، بل ظلت واقفة في مكانها فيما اقترب منها أكثر فأكثر .وفي تلك اللحظة ، بات على يقين من أن هذا هو ما أراد فعله طول الوقت ، أي أن يبقى معها وقريباً منها إلى الأبد.

* * *

عاد كولين إلى بيته متمتّعاً بدفء ذكرى اليوم الذي أمضاه مع ماريا ، وقاد سيارته ببطء عبر شوارع ويلمنغتون الخلفية التي باتت الآن بنظره أجمل مما كانت عليه سابقاً .وشعر بجسده مشدوداً بعد قضائه عصر ذلك اليوم في ركوب الأمواج ، بينما عقله لا يزال يدور حول غموض ماريا .وبعد أن ترجّل من سيارته ، أخذ يسير الهوينا على طول العشب المجزوز حديثاً متّجهاً إلى شقته ، فسمع صوت ليلي تناديه من الشرفة وهاتفها المحمول في يدها.

قالت له بلهجة مترنمة" :ها أنت هنا ."!وجدها تبدو بكامل أناقتها المعهودة .ومع ذلك ، كانت هذه الليلة ترتدي بنطال جينز ؛ وهو شيء نادر الحدوث .ولكنها أكملت إطلالتها بحذاء رسمي ذي كعب عالٍ ، وعقد من اللآلئ ، وقرطين ألماسيين ، وزهرة غارديניا ثبّتتها في شعرها بشكل فني.

سألها وهو يتوجّه نحوها" :ما الذي تفعلينه هنا في الخارج ؟."

فأجابت وهي تنزل الدرجات نحوه" :كنت أتحدث إلى أمي فيما كنت بانتظارك ."وكانت ليلي هي الفتاة الوحيدة التي تقفز مرحاً عندما تشعر بالسعادة .اقتربت منه لتسلم عليه وقالت" :لقد قال لي إيفان إنك خرجت اليوم في موعد ، وأريد أن أسمع كل شيء عنه قبل أن ندخل."

"أين إيفان ؟."

"إنه يبحث عبر الكمبيوتر عن شركة صيدلانية لزبائنه .وأنت تدرك كم هو جاد حيال عمله .وفّقه الله ، ولكن لا تحاول تغيير الموضوع .الآن ، سنجلس هنا على الدرج ، وستخبرني كل شيء عن تلك الشابة المميزة .ولن أقبل بالرفض .لا تنسَ أن تذكر كل شيء ؛ فأنا أريد سماع كل التفاصيل."

ثمّ جلست على الدرج ، وراحت تربّت على المكان الفارغ بجانبها ، فأدرك كولين أنه لا خيار لديه إلا أن يفعل ما قالته له .أخبرها عن الخطوط العريضة ، ولكنّ ليلي ظلت تقاطعه بشكل متكرر ، وتحثه على ذكر التفاصيل.

وعندما أنهى سرد روايته ، نظرت إليه وهي تبدو محبطة بشكل واضح ، ثم قالت بمرح" :ينبغي لك أن تعمل على تطوير مهاراتك في سرد القصص يا كولين .فكل ما فعلته هو سرد لائحة من النشاطات التي قمتما بها والمواضيع التي تحدثتما عنها."

"وما الذي يُفترض بـي قوله غير ذلك ؟."

"هذا سؤال سخيف .إذ يفترض بك أن تجعلني أقع في حبها."

"ولماذا قد أرغب في فعل ذلك ؟."

"لأنه رغم الطريقة البائسة التي رويت بها القصة ، من الواضح أنك معجب بها كثيراً."

فلم يقل أي شيء.

قالت" :كولين ، هذا هو بالضبط ما أعنيه .ما ينبغي لك قوله هو شيء مثل :عندما أكون مع ماريا ...فإنني فقط ...ثم تتوه منك الكلمات ، وتهزّ رأسك لأنك تشعر بأنك عاجز عن التعبير عن حدة الشعور الذي تمر به."

"هذا يبدو شبيهاً بك أنت وليس ب.ي أنا."

فقالت وهي تبدو كما لو أنها تشعر بالأسى لحاله" :أعرف هذا تماماً .وهذا ما يجعلك راوي قصص بائساً."

كانت ليلي هي الفتاة الوحيدة التي تستطيع أن توبّخه بطريقة تجعل قول الكلام النسبة إليها صعباً عليها أكثر من صعوبته عليه لدى سماعه إياه .سألها: "كيف تعرفين أنني مسحور بها ؟."

فتنهدت وقالت" :لو أنك لم تستمتع بقضاء يومك معها ، لرمقتني بتلك النظرة الخالية من أي تعبير الخاصة بك ولقلت لي :ليس هناك شيء أتحدث عنه .وهذا بالطبع يُعيد إلى الأذهان السؤال الرئيس ؛ ألا وهو :متى ستسنح لي الفرصة لمقابلتها ؟."

"يجب عليّ أن أسألها أولاً."

"هل لديك مخططات فورية لقضاء المزيد من الوقت مع السيدة

صديقتك ؟."

فتردد كولين قليلاً متسائلاً عمّا إذا كان أحد بالإضافة إلى ليلي يستخدم عبارة السيدة الصديقة حتى الآن .وقال" :من المفترض أننا سنخرج معاً في العطلة الأسبوعية المقبلة ؟."

"لن تذهبا إلى مقهى ما كما آمل ، أليس كذلك ؟."

فقال" :كلا ."وأخبرها عن المستودع.

"هل تظن أن هذا الخيار يدل على الحكمة ؟ على اعتبار ما حدث في المرة الأخيرة التي ذهبت فيها إلى أحد النوادي معي ومع إيفان ؟."

"إنني أريد فقط أن أصطحبها للرقص."

فاعترفت قائلة" :إن الرقص شيء رومانسي للغاية .ومع ذلك"...

"سيمضي الأمر على خير ما يرام ، أعدك بذلك."

"إذاً ، سآخذ وعدك على محمل الجد .وبالطبع ، ينبغي لك أن تمرّ على مكتبها في وقت ما هذا الأسبوع وتفاجئها بباقة من الزهور أو علبة من الحلوى. فالنساء يحببن أن يتلقين هذا النوع من الهدايا ؛ رغم أنني لطالما اعتبرت أن الحلوى مناسبة أكثر خلال الشهور الباردة .إذاً ، بإمكانك أن تكتفي بالزهور فقط."

"هذا ليس أسلوب.ي."

"بالطبع ليس كذلك .ولهذا السبب ، قدّمت لك هذا الاقتراح .ثق ب.ي ، فسوف تبتهج بهجة عارمة."

"حسناً."

لدى سماعها جوابه ، مدت يدها وربتت على يده وقالت" :ألم نتحدث عن هذا الموضوع من قبل؟ أي التفوه بكلمة" حسناً "عندما يتحدث الناس إليك؟ إنها عادة يجب عليك تغييرها .فهي غير جذابة على الإطلاق."

"حسناً."

فتنهدت وقالت" :وها نحن ذا !يوماً ما ، ستفهم الحكمة من وراء كلماتي."

في تلك اللحظة ، فتح إيفان الباب خلفهما ، وشاهد يدها الموضوعة على يد كولين .ولكنّ إيفان كان يفهم طبيعة العلاقة التي تجمع بينهم هم الثلاثة بالطريقة نفسها التي يفهمها كولين.

وسأل خطيبته قائلاً" :دعيني أخمن .لا بد أنك تعذّبينه بالأسئلة حول موعده العاطفي ، أليس كذلك؟."

فقالت ليلي بنفاد صبر" :لم أفعل شيئاً من هذا القبيل ، فالسيدات لا يعذبن أحداً .إنني أقوم بمجرد الاستفسار عن انطباعه حول موعده .ورغم أن كولين المسكين كاد يجعلني أغط في النوم في البداية ، إلا أنني أظن أن صديقنا هنا مأسور بالفتاة تماماً."

عندها ، ضحك إيفان وقال" :كولين !مأسور؟ !أظن أن هاتين الكلمتين لا تتماشيان مع بعضهما بعضاً."

"من فضلك يا كولين ، هلاّ تقوم بإخبار خطيبي عن حقيقة هذه المسألة."

عندها ، أشار إليها كولين بإبهامه وقال" :إنها تظن أنني مأسور بالفتاة."

فعلّقت ليلي والشعور بالرضى يبدو واضحاً عليها" :كما قلت لك .والآن ، ها هي حقيقة الأمر ."وتابعت قائلة" :متى تنوي أن تتصل بالسيدة صديقتك الجديدة ؟."

"لم أفكر في الأمر بعد."

فهزت رأسها وقالت" :ألم تتعلم أي شيء مني ؟ !حتى قبل أن تستحم ، يجب عليك بكل تأكيد أن تتصل بالسيدة صديقتك ، ويجب عليك أن تقول لها إنها جعلتك تشعر بإحساس رائع ، وإنك تشرفت بمصاحبتها بكل سرور."

"ألا تظنين أن هذا مبالغ فيه بعض الشيء ؟."

عندها ، اكتسب وجه ليلي تعبيراً حزيناً وقالت" :كولين ...أعرف أنك تعاني من صعوبة عندما يتعلق الأمر بالتعبير عن جانبك الحساس ، وهذا عيب في شخصيتك لطالما كنت مستعدة للتغاضي عنه ؛ ولو من باب الصداقة. ولكنك ستتصل بها هذه الأمسية حالما تدخل من هذا الباب .لأن الرجال المهذبين ، السادة المهذبين الحقيقيين ، يتصلون دائماً .وأنا لا أحب أن أكون على صلة إلا بالرجال المهذبين."

وحين رفع إيفان حاجبيه ، أدرك كولين أن لا خيار لديه.

"حسناً."

الفصل الثامن

ماريا

يوم الاثنين ، فكرت ماريا في أنه من الأفضل لها أن تختبئ في مكتبها حيث يمكنها التركيز بسلام .إذ إن مستوى ضغط بارني في ما يتعلق بالمحاكمة القادمة تصاعد أكثر مما كان عليه من قبل .ولم تكن ترغب في أن تتحول إلى هدف غير متعمد لغضبه .لذا ، أغلقت الباب على نفسها ، وراحت تدوِّن الملاحظات بسرعة استعداداً لاجتماع منتصف فترة الصباح مع الزبائن .كما أجرت بعض المكالمات الهاتفية ، وردّت على بعض الإيميلات رغبة منها في تحقيق قفزة في العمل لهذا الأسبوع .ومع ذلك ، ورغم رغبتها في الكفاءة ، إلا أنها وجدت نفسها بين الحين والآخر تتأمل من النافذة ، وتستعيد في ذهنها بعض الصور من عطلتها الأسبوعية المنصرمة.

وكان لتشتت انتباهها علاقة بمكالمة كولين الهاتفية في ليلة الأحد .وإن كان الأصدقاء -والمجلات -يقولون الحقيقة ، فإن الشبان لا يتصلون بالفتيات اللواتي يواعدونهن في اليوم نفسه ، حتى إن معظمهم لا يتصلون على الإطلاق ، ولكنها فكرت مجدداً في أن كل شيء حيال كولين يصل إلى حدود غير المتوقع. وبعد أن أنهت المكالمة ، راحت تتفحص الصورة التي التقطتها له ، وتخيّلت أنها ترى فيها كولين الذي عرفته وكولين الغريب في آن معاً .فقد بدا تعبير وجهه لطيفاً ، ولكن جسده كان مليئاً بالندبات والوشوم .ورغم أنها وعدت نفسها بأنها ستريها لسيرينا إلا أنها قررت في تلك اللحظة أن تلك الصورة لن يراها أحد غيرها قط.

"هناك شخص ما يعيش فترة مزاج مشرق."!

ولدى سماعها الصوت ، نظرت ماريا ووجدت صديقتها جيل واقفة عند مدخل الباب.

"آه ، أهلاً يا جيل .ما الأخبار ؟."

فقالت جيل وهي تدخل" :أظن أنه يجب عليّ أن أطرح عليك هذا السؤال .فعندما نظرت إليك ، بدوتِ تائهة بشكل مؤكد ، وغارقة في عالمك الحالم الصغير .ولا أحد يتصرف هكذا أيام الاثنين."

"لقد أمضيت عطلة أسبوعية جميلة."

فقالت لها جيل" :حقاً !بمناسبة قولك هذا ، أفترض أنها مضت بشكل أفضل بكثير من أدائي الشهادات في الأسبوع الماضي .فقد كانت تلك هي المرة الأولى التي أجد فيها نفسي على الأقل أدعو من أعماق قلبي أن أتمكن من العودة إلى المكتب أخيراً."

"أكانت بذلك السوء ؟."

"كانت فظيعة."

"هل تريدين التحدث عن الأمر ؟."

"فقط إن أردت الموت من الملل .على أية حال ، لدي مكالمة جماعية في غضون دقائق ، ولكنني مررت لأرى إن كنت ستفعلين أي شيء على الغداء .فأنا أكاد أموت توقاً إلى طبق من وجبة السوشي والرفقة الجيدة."

"هذا يبدو رائعاً."

عدّلت جيل كم كنزتها ثم قالت" :ربما كنت أسيء فهم رد فعلك ، ولكنني أفهم مما قلته أنك لست غاضبة مني حتى الآن ، أليس كذلك ؟."

"وما الذي يجعلني أغضب منك ؟."

"ربما لأنني أوقعتك في فخ أسوأ موعد مدبر في التاريخ ؟."

فقالت ماريا" :آه ، نعم ."وفاجأها أنها نسيت كل شيء حيال الأمر ، ثم قالت" :أنت تتحدثين عن الموعد."

فقالت جيل" :إنني آسفة ، ولكنك لا تتخيلين كم شعرت بالسوء طوال الأسبوع لأن الفرصة لم تسنح لي للتحدث إليك حيال الموضوع."

"لقد تحدثنا ، أتتذكرين ؟ واعتذرت لي."

"ليس بما يكفي."

"لا بأس .وفي الواقع ، لقد انتهى يومي بشكل جيد."

"لا أستطيع أن أتخيّل كيف حدث هذا."

"لقد قابلت شخصاً ما."

مرّت بضع لحظات قبل أن تستوعب صديقتها ما سمعته ، ثم قالت جيل: "إنك لا تقصدين ذلك الشاب الذي غيّر إطار سيارتك ، أليس كذلك؟ ذلك الشاب الممتلئ بالكدمات والدماء والذي أخافك حتى الموت ؟."

"بل هو بعينه."

"وكيف يكون هذا ممكناً ؟."

"من الصعب شرح الأمر نوعاً ما."

فابتسمت جيل ابتسامة ساخرة.

"ماذا؟."

"إنك تبتسمين مجدداً."

"أحقاً ذلك؟."

"نعم .والآن، ها أنت تجعلينني أتمنى أن ألغي المكالمة وأسحب كرسياً لأجلس معك."

"لا أستطيع ذلك .فلديّ اجتماع مع بارني في غضون دقائق."

"ولكن، من المؤكد أننا سنلتقي عند الغداء، أليس كذلك؟ وعندئذ، ستعطينني كل التفاصيل."

"بلا شك."

* * *

وبعد عشر دقائق، اتصلت بها سيرينا على هاتفها المحمول .وعندما شاهدت ماريا اسم المتصل، انتابتها نوبة مفاجئة من القلق، فسيرينا لم تكن تتصل بها قط قبل الساعة العاشرة صباحاً .حتى إنها في معظم الوقت، لم تكن حتى تستيقظ قبل العاشرة.

"سيرينا !هل أنت على ما يرام؟."

"أين هي؟."

"ما هي ؟."

"صورة كولين .فأنت لم ترسليها إلى بريدي الإلكتروني ولا إلى هاتفي."

عندها قالت ماريا مندهشة" :أتتصلين ب.ي إلى العمل خلال ساعات الدوام لتسألي عن صورة ؟."!

"ما كنت لأتصل بك لو أنك أرسلتها من قبل .هل مضى الموعد على ما يرام ؟ قولي لي إنك لم تصرفيه ؟."

"كلا .ففي حقيقة الأمر ، نحن خارجان معاً مجدداً ليلة السبت القادم."

فقالت سيرينا" :حسناً .ومع ذلك ، لن يُحدث المنشور الكثير من التأثير بدون صورة .بالطبع ، يمكنني أن أستخدم صورة لك وأنت طفلة أو ما شابه إن لم ترسلي"...

"إلى اللقاء يا سيرينا."

ثم أنهت المكالمة .وبعد بضع دقائق ، مدّت يدها إلى هاتفها المحمول بدافع الفضول ليس إلا.

فوجدت ما توقّعته على موقع إنستغرام ؛ صورة لها أثناء دراستها في المرحلة الإعدادية :مقوم للأسنان ، وحب شباب ، ونظارة ، ومظهر هزيل .إنها أسوأ صورة في تاريخ الصور المدرسية !والتعليق يقول" :حاولوا ألا تشعروا بالغيرة يا شباب ، فأختي ماريا لديها موعد ليلة السبت."!

أغمضت ماريا عينيها ، ستقتل أختها ولا شك في ذلك.

ولكن ، توجب عليها الاعتراف بأن سيرينا فتاة طريفة.

* * *

أثناء تناولهما طبق من السوشي المشكل بعد بضع ساعات ، زوّدت ماريا جيل بالكثير من التفاصيل حول ما حدث بينها وبين كولين ، بينما ظلت القصة تبدو عصية على التصديق حتى لسمعها هي.

قالت جيل وهي تتنهد" :يا للروعة."!

"ألا تظننين أنني مجنونة ؟ على اعتبار ماضيه ؟."

"من أنا لأحكم عليه ؟ انظري إلى الموعد المدبر الذي رتبناه لك .في أمر خارج عن المألوف مثل هذا ، إن أفضل ما تفعلينه هو أن تستمري باتباع ما يمليه عليك حدسك."

"وماذا إن كان حدسي غير سليم ؟."

"عندئذ ، على الأقل ستكونين قد تمكنت من تغيير إطار سيارتك ، وحصلت على موعد لطيف آمل أن يكون قد أنقذني من الفشل الذريع الذي تسبب به موعدي المزدوج."

فابتسمت ماريا وقالت" :إذاً ، قلت لي إن الشهادات كانت مملة ؟."

"لقد كانت مملة بما يكفي لجعل أحد رجال الدين يصاب بالجنون ؛ لأنني وجدت نصف الناس مستعدين لحلف القسم ، بينما النصف الثاني لا يتذكر أي شيء على الإطلاق .والآن ، بما أنني أضعت وقتي طوال الأسبوع ، فسينتهي بنا المطاف على الأرجح ونحن نرضخ للتسوية .ولكنني لا أقول إنني سأستمتع بذلك ."وتناولت قضمة أخرى من السوشي وقالت" :كيف تسير الأمور مع

بارني ؟."

فقالت ماريا" :بشكل أفضل من قبل."

"وما الذي يعنيه ذلك ؟."

فأجابت ماريا" :آه ، صحيح .فأنت لم تكوني هنا ".وأخبرت جيل عن ذهابها لتغيير إطار سيارتها وكيف أدى ذلك إلى تأخرها عن الاجتماع ، بالإضافة إلى العمل الذي باتت مجبرة على القيام به في أعقاب ذلك .وسردت عليها أيضاً كل التوبيخ الذي سمعته من بارني ، ولكنها أغفلت ذكر مواجهتها مع كين.

"سيتخطى بارني المشكلة ، فهو دائماً يشعر بالتوتر قبل المحاكمة."

نعم ، ولكن ...وتحركت ماريا على كرسيها وقالت" :كل ما في الأمر هو أنني سمعت أن بارني كان يريد أن يجعلني المستشارة الرئيسة في هذه القضية."

"ومن أين سمعت هذا؟ ."وأمسكت جيل عودَي الأكل في منتصف المسافة إلى فمها ، ثم قالت" :لا تسيئي فهمي .فأنت زميلة لامعة ، ولكن لا تزال تنقصك الخبرة في نظر بارني لكي يلقي على عاتقك مسؤولية كهذه."

فقالت ماريا" :مجرد إشاعات."

"لا أنصحك بالتعويل على الإشاعات كثيراً .فبارني يستمتع جداً بالأضواء المسلطة عليه ، ولديه مشكلة كبيرة في التنازل عن السيطرة ، ناهيك عن الاعتراف بالفضل حتى لأقدم الزملاء .وهذا هو أحد الأسباب التي جعلتني أنتقل إلى قسم العمل والتوظيف .فقد اكتشفت أنني لن أتمكن أبداً من الترقي أو حتى الحصول على الخبرة التي أحتاج إليها في قاعة المحكمة."

"ما زلت لا أصدق أنك تمكّنت من تغيير القسم الذي تعملين فيه."

"توقيت محظوظ !فقد أخبرتك أنني كنت أعمل في قسم التوظيف لعدة سنوات قبل أن أبدأ العمل في الشركة ، أليس كذلك؟ ."وعندما أومأت ماريا برأسها ، تابعت جيل كلامها قائلة" :ومع ذلك ، لم أكن في ذلك الوقت واثقة مما أريده بالفعل .لذا ، جرّبت حظي في دعاوى التأمين ، وعملت مع بارني لمدة تسعة أشهر ، وقتلت نفسي عملياً قبل أن أدرك أنني أقف في طريق مسدود. حينها كنت سأترك العمل ، ولكن صادف في تلك الفترة أن الشركة كانت على وشك الخوض في مجال العمل والتوظيف ، فاحتاجت إليّ من أجل ذلك."

"لسوء الحظ ، أشعر أنني عالقة نوعاً ما إن لم ينجح الأمر ، ما لم نبدأ بالعمل في الدفاع الجنائي."

"يمكنك أن تغيري الشركة في أي وقت."

"هذا ليس سهلاً كما قد تظنين."

"أنت لم تبحثي عن عمل ، أليس كذلك؟."

"ليس بالفعل ، ولكنني بدأت أتساءل إن كان عليّ أن أبدأ بذلك."

تفحّصتها جيل وهي تمد يدها إلى كأسها ، ثم قالت" :تعرفين أنه بوسعك التحدث إلي ، أليس كذلك؟ حيال أية مخاوف تتولد لديك .فرغم أنني لست شريكة ، إلا أنني أدير قسمي الخاص ، وهذا ما يمنحني بعض النفوذ في هذه الشركة."

"لدي وحسب الكثير مما يشغل بالي في الوقت الحاضر."

"آمل أنك تتحدثين عن كولين."

جعلها مجرد ذكر اسمه تستعيد المزيد من الذكريات حول العطلة الأسبوعية ، ففيرت الموضوع وقالت" :كيف حال بول ؟."

"إنه بخير .لقد توجّب عليّ تجاهله لبضعة أيام بسبب الموعد ، ولكنه تخطى ما حدث .فذهبنا إلى آشفيل في العطلة الأسبوعية من أجل تناول القليل من الشراب."

"هذا يبدو ممتعاً."

"صحيح ، باستثناء أنه لم يقدم لي خاتم الخطبة بعد ، وأن الساعة البيولوجية تدق والوقت بدأ ينفد مني .إن التظاهر بأن كل شيء على ما يرام لا ينجح ، لذا لا بد أن الوقت قد حان لتجربة استراتيجية جديدة."

"مثل ماذا ؟."

"ليست لدي أية فكرة .ولو ظهرت لديك أي أفكار خارقة ، فاحرصي على أن تطلعيني عليها."

"سأفعل."

تناولت جيل قطعة أخرى من السوشي وقالت" :ماذا لديك خلال فترة العصر التالية ؟."

"بعض العمل كالمعتاد .فهناك الكثير من العمل التحضيري الذي يتوجب عليّ إنهاؤه للمحاكمة ، بينما أحاول القيام بكل شيء آخر بالتأكيد."

"كما قلت لك ، إن بارني يتوقع الكثير من معاونيه."

وكين يتوقع شيئاً آخر .قالت ماريا" :إنه العمل."

"هل أنت واثقة من أن كل شيء على ما يرام؟ حتى مع شريكنا الإداري الفاسق ؟."

"لماذا تسألين ؟."

"لأنك ذهبت إلى ذلك المؤتمر برفقته .وقد عرفته أنا وقتاً أطول مما عرفته أنت .وتذكري أنني أعرف بالضبط كيف يفكر."

"لقد سار المؤتمر على ما يرام."

فنظرت إليها جيل مجدداً قبل أن تهز كتفها قائلة" :هذا جيد ، ولكنه لا يمنع أنني أشعر بأن هناك شيئاً آخر يزعجك."

عندها ، تنحنحت ماريا متسائلة عن سبب شعورها فجأة بأنها تتعرض للاستجواب.

ثم أجابت قائلة" :ليس هناك بالفعل أي شيء أقوله .إنني أقوم بعملي باذلة قصارى جهدي وحسب."

* * *

كانت الأيام التالية حافلة بالعمل ، حيث لم تفسح أي مجال لترف أحلام اليقظة ، بينما راح بارني يقتحم مكتبها كل نصف ساعة ليطلب منها أن تتفحص المزيد من التفاصيل الإضافية ، أو إجراء المكالمات ؛ بغض النظر عن عملها في مسائل الزبائن الأخرى .وبالكاد كان لديها أي وقت لمغادرة مكتبها للاستراحة. وفي عصر يوم الأربعاء ، وبينما هي تعمل على إحدى المسودات لافتتاحية

بارني ، لم تلاحظ ضوء الشمس الذي انحسر ببطء عن نافذتها أو مغادرة زملائها مكاتبهم الواحد تلو الآخر .فقد ظلت تحدق إلى شاشة كمبيوترها المحمول بتركيز كبير ، إلى أن سمعت صوت دق على باب مكتبها جعلها تجفل ، ثم شاهدت الباب ينفتح ببطء.

كين.

نظرت بإجفال وفزع إلى مدخل الباب المفتوح والممر ، فلم ترَ لين عند مكتبها .وكان مكتب بارني مظلماً .ولم تستطع سماع صوت أحد في الممر.

قال لها وهو يدخل المكتب" :لاحظت أن ضوء مكتبك لا يزال مضاء. هل لديك بضع دقائق ؟."

فارتجلت قائلة بصوت يملأه القلق" :كنت أنهي عملي وحسب .لا بد أنني لم أنتبه إلى الوقت."

فقال بصوت سلس وموحٍ بالسيطرة" :يسرني أنني وجدتك هنا .فقد أردت أن أنهي المحادثة التي بدأناها في الأسبوع الماضي."

عندها ، شعرت ماريا بقلبها ينقبض في صدرها ، وبدأت بجمع الأوراق على مكتبها قبل أن تعيد دسها داخل مجلداتها .فقد كان آخر شيء تريده هو أن تتواجد معه بمفردها .فابتلعت لعابها وقالت" :هل هناك أي مجال لتأجيل هذا الأمر إلى الغد؟ فقد تأخّرت كثيراً ، ويفترض ب.ي تناول العشاء مع والديّ الليلة."

فقال وهو يدور حول مكتبها متجاهلاً عذرها" :لن يستغرق الأمر وقتاً طويلاً ."ثم وقف قرب النافذة ، فلاحظت أن السماء بدت مظلمة خلف الزجاج.

قال كين" :قد يكون من الأسهل التحدث على انفراد لأننا سنكون بعيدين عن الأعين المتلصصة .فليس هناك أي سبب يدعو الجميع لمعرفة ما حدث مع زبائن بارني."

لم تدرِ ما يجب أن تفعل ، لذا التزمت الصمت.

ألقى كين نظرة خاطفة من النافذة وهو يبدو مركزاً على شيء ما بعيد ، وأخيراً سألها" :كيف تجدين العمل مع بارني ؟."

بدأت ماريا كلامها مختارة كلماتها بعناية وقالت" :إنني أتعلم منه الكثير. فهو يتمتع بحدس استراتيجي كبير ، والزبائن يثقون به .وهو كزميل جيد في شرح ما يفكر فيه."

"إذاً ، أنت تثقين به."

"بالطبع."

"إن العمل مع أشخاص تثقين بهم أمر جيد .ومن المهم أن كليكما تستطيعان العمل معاً كفريق واحد ."وراح يعدل الستارة ، فيغلقها قليلاً ثم يعيدها إلى وضعها الأصلي .وبعد ذلك قال" :هل تعتبرين نفسك لاعبة جيدة في الفريق ؟."

ظل السؤال معلقاً بينهما بضع لحظات قبل أن تتمكن من الرد عليه وقالت" :إنني أحاول أن أكون كذلك."

انتظر كين لحظة قبل أن يتابع قائلاً" :لقد تحدثت إلى بارني مجدداً خلال يوم الجمعة حيال الوضع .ويجب عليّ القول إنني فوجئت بعض الشيء من شدة

غضبه بسبب ما حدث ، ولهذا السبب سألتك عن كونك لاعبة في الفريق .فأنا قد دعمتك كثيراً في ذلك الاجتماع ، وأظن أنني استطعت التخفيف من وطأة الوضع .وأردت أن أحرص على أنني أفعل الصواب."

عندها ، ابتلعت ماريا لعابها مجدداً ، متسائلة عن سبب عدم تحدث بارني إليها بنفسه إن كان لا يزال مستاء منها .وأخيراً تمتمت" :شكراً لك."

فاستدار مبتعداً عن النافذة ، وتقدم منها خطوة وهو يقول" :لقد فعلت هذا لأنني أردت لك فترة تثبيت طويلة وناجحة في هذه الشركة .فأنت سوف تحتاجين إلى شخص قادر على تأييدك في مواقف من هذا النوع ، وأنا هنا لأساعدك عندما أستطيع ذلك ."وبحلول ذلك الوقت ، كان قد أصبح واقفاً مقابلها تماماً ، وشعرت به وهو يضع يده على كتفها ، ولامست أطراف أصابعه المنطقة تحت عظم الترقوة ، ثم أضاف قائلاً" :ينبغي أن تعتبريني صديقاً لك ؛ رغم أنني صديق ذو مكانة عالية."

اشمأزت من لمسته ، وأدركت فجأة أن كل ما جرى بينهما منذ يوم الخميس وحتى هذه اللحظة عبارة عن جزء من خطته الأخيرة لاستدراجها إلى بيته ، وتساءلت عن سبب عدم تمكنها من الشعور بما ينتظرها.

قال لها وأصابعه لا تزال تلامس الجلد المكشوف فوق قميصها ذي الياقة المفتوحة" :ينبغي لنا أن نخرج لتناول الغداء غداً .وحينها ، يمكننا التحدّث عن الطرائق التي أستطيع بواسطتها جعلك تشقين طريقك بسهولة في هذه الشركة ؛ ولا سيما إن كنت تأملين أن تصبحي شريكة هنا يوماً ما .أعتقد أننا سنتمكن من العمل معاً بشكل جيد جداً .ألا تظنين هذا يا ماريا ؟."

كان صوته وهو يتفوّه باسمها هو ما أعادها إلى أرض الواقع ، وجعلها تستوعب ما قاله .وفجأة ، فكرت في أن هذا لن يحدث وهي على قيد الحياة ، ثم قالت وهي تحاول أن تُبقي صوتها ثابتاً" :لا أستطيع الذهاب إلى الغداء غداً ، فلدي خطط معدة مسبقاً."

عندها ، ارتسمت ملامح الانزعاج على وجهه في الحال وقال" :أتعنين مع جيل ؟."

كانت هذه هي الحال عادة ، وبالطبع كان كين يعرف ذلك .ولا شك في أنه اقترح أن تغير خطتها لصالحه.

"في الواقع ، سأخرج لتناول الغداء مع صديقي المقرب."

عندها ، شعرت بيده تبتعد عن كتفها ببطء وهو يقول" :ألديك صديق ؟."

"لقد أخبرتك عن كولين ، أليس كذلك ؟ عندما كنا في المؤتمر."

فأجابها قائلاً" :كلا ، لم تذكري أي شيء عنه."

وعندما شعرت ماريا بأن فرصتها سانحة ، نهضت عن كرسيها ، وتراجعت إلى الخلف ، واستمرت بجمع الوثائق ودسها في الملفات من دون أن تأبه لأمر ترتيبها ؛ إذ كان بوسعها ترتيبها في وقت لاحق .وعلقت قائلة" :هذا غريب !فقد ظننت أنني أخبرتك."

استطاعت أن تشعر من الابتسامة المصطنعة التي ارتسمت على وجهه أنه يحاول أن يقرر ما إذا كان يصدقها أم لها ، وأخيراً قال" :حدّثيني عنه."

فأجابت" :إنه رياضي في مجال الفنون القتالية المختلطة .أتعرف ماذا

أعني؟ أولئك الشبان الذين يقاتلون في الحلبة .أظن أن ذلك جنوني، ولكنه يعشق هذا النوع من الرياضة .فهو يتمرن ويتدرب لساعات كل يوم لشدة ما يحب القتال .لذا، أشعر نوعاً ما أنه يجب عليّ دعمه."

استطاعت أن تتخيل تلك الأفكار وهي تستمر بالدوران في رأسه فيما كانت تضع حقيبتها على كتفها، فتابعت قائلة" :إن لم نستطع اللقاء لتناول الغداء غداً، فهل تريد أن نتحدث في مكتبك؟ إنني واثقة من أنني أستطيع أن أفرّغ لك جزءاً من فترة الصباح أو العصر ."عندما يكون الآخرون في الأنحاء، ولكنها لم تزعج نفسها بإضافة ذلك.

"لست واثقاً من أن هذا ضروري."

"ربما ينبغي لي التحدث إلى بارني مباشرة."

فهز رأسه بحركة تكاد تكون غير مدركة بالحس تقريباً، ثم قال" :على الأرجح، ربما كان من الأفضل ترك الموضوع يمضي في الوقت الحاضر."

فكّرت في سرّها :بالطبع ستقول ذلك؛ لأن الأمر برمته مجرد حيلة، ولأنك لم تتحدث إلى بارني على الإطلاق .غير أنها قالت" :حسناً .أظنّ أنني سأتمنى لك ليلة سعيدة الآن."

وصلت إلى الباب، وتنفست الصعداء وهي تلوذ بالفرار .وفكرت في أن فكرة الصديق برمتها باعثة على الإلهام، ولكنها لعبت تلك الورقة، لذا لن تفاجئه مرة أخرى، إذ سيكون مستعداً لها .وعلى المدى البعيد، أو ربما القريب، شكّت في أن هذا سيساعدها في وقف محاولات كين؛ حتى لو كان الأمر حقيقياً.

أو أصبح حقيقياً.

وفيما هي لا تزال تشعر بالاضطراب بسبب لقائها كين ، تساءلت إن كانت تريد أن يصبح الأمر حقيقياً .فكل ما كانت تعرفه بشكل مؤكد هو أن كولين أبدى إعجابه بها ، وأنها شعرت بشيء يمسها في الأعماق .وكان ذلك الإدراك مثيراً ومخيفاً في آن معاً.

* * *

ورغم كذبها على كين في ما يتعلّق بموعدها لتناول العشاء مع والديها ، إلا أنها لم تكن في مزاج يسمح لها بالبقاء بمفردها في البيت .لذا ، وجدت نفسها تقود سيارتها نحو الشوارع المألوفة ؛ إلى المكان الذي نشأت فيه.

كان معظم سكان الحي الذي يقطنه والدا ماريا ينتسبون إلى طبقة العمال البسطاء .أما البيوت ، فقد أظهرت معظمها دلالة على الصيانة المؤجلة ، وظهرت عليها لافتات تحمل عبارة" للبيع ."وكانت السيارات والشاحنات القديمة مركونة في معظم مداخل البيوت .وكان أغلب الجيران يعملون إما بالسباكة أو النجارة أو السكرتارية وغيرها من الأعمال .أما مجتمع الحي فهو من نوع المجتمعات التي يلعب فيها الأطفال في الباحات الأمامية ، بينما يجرّ الأزواج الشبان عربات أطفالهم في الأنحاء ، وحيث يجمع الناس البريد لجيرانهم عندما يسافرون خارج البلدة .ورغم أن والديها لم يتحدثا عن الأمر قطّ ، إلا أن ماريا سمعت إشاعات وهي تكبر ؛ وهي أنه عندما اشترى والدها البيت ، استاء من ذلك عدد من الجيران الذين يعيشون في آخر المجمع السكني .فقد كان آل سانشيز أول أسرة من أصول غير بيضاء تسكن في الحي .عندها ، بدأ الناس يخمّنون أشياء حول

تدهور قيمة الملكية وتصاعد نسبة الجريمة ؛ كما لو أن كل من ولد من أصول مكسيكية مرتبط بتجارة المخدرات.

وقد افترضت ماريا أن هذا أحد الأسباب التي جعلت والدها يحافظ بشكل دائم على باحة المنزل نظيفة والشجيرات مشذبة ، ويُعيد طلاء المنزل من الخارج باللون نفسه كل خمس سنوات ، ويحرص على ركن سيارته في المرأب وليس في مدخل المنزل ، ويرفع العلم الأمريكي على عمود في الشرفة الأمامية. كما كان يُزيّن المنزل بمناسبة الكريسمس .وقد اعتاد في السنوات الأولى من فترة سكنهم في الحي على توزيع قسائم المطعم لأي جار يصادف أنه في الجوار ؛ ما يسمح له بتناول الطعام في المطعم بنصف السعر .كما اعتادت أمها بشكل منتظم على أن تُعدّ أصنافاً متنوعة من الطعام في فترة العصر أثناء عطلات الأسبوع عندما لا تعمل في المطعم ، وتقدّمها لأي من الأطفال الذين يلعبون كرة القدم في الخارج .وشيئاً فشيئاً ، بات وجودهم في الحي موضع ترحيب .ومنذ ذلك الحين ، تم بيع معظم البيوت المحيطة ببيتهم الواحد تلو الآخر .وفي كل مرة ، اعتاد والداها على إظهار ترحيبهما بالقادمين الجدد ، من خلال تقديمهما هدية منزلية ؛ على أمل منع انتشار الإشاعات في المستقبل.

أما ماريا ، فقد كانت في بعض الأحيان تعاني من صعوبة في تخيل مدى صعوبة الوضع .فقد مرت أكثر من بضع سنوات ظلت فيها الطالبة المكسيكية الوحيدة في صفها في المدرسة .ولكن لأنها كانت طالبة مجتهدة -رغم هدوء شخصيتها -لم تستطع أن تتذكر شعورها بأي تمييز كذاك الذي شعر به والداها. ولكن ، حتى لو شعرت بذلك ، فقد طلب منها والداها أن تفعل ما فعلاه .إذ كانا يطلبان منها باستمرار أن تتصرف على طبيعتها وترحب بالجميع .وقد حذّراها من

أن تنحدر إلى مستوى الآخرين .وفكرت وهي تبتسم في أنهما لم يطلبا منها أن تدرس.

وعلى عكس سيرينا التي أبدت بهجتها للتخلص من سيطرة والديها أخيراً ، ظلّت ماريا تستمتع بالعودة إلى البيت .إذ كانت تحب ذلك المكان القديم بجدرانه الخضراء والبرتقالية ، والخزف المزخرف في المطبخ ، والأثاث الانتقائي الذي جمعته والدتها على مر السنين ، وباب الثلاجة الذي امتلأ بزخرفة لا نهاية لها من الصور والمعلومات المتعلقة بالعائلة وأي شيء يجعل كارمن فخورة. وكانت تحب الطريقة التي اعتادت بها أمها أن تترنم كلما شعرت بالسعادة ؛ ولا سيما وهي تطهو الطعام .وفيما هي تكبر ، اعتبرت ماريا هذه أشياء من المسلّمات .ولكن ، عندما التحقت بالكلية ، تذكرت الشعور بالراحة الذي كان ينتابها كلما دفعت الباب الأمامي ؛ حتى رغم مرور بضعة أسابيع فقط على غيابها عن البيت.

ولأنها تعلم أن والديها سيشعران بالإهانة إن طرقت على الباب دخلت في الحال ، وراحت تتنقل بين غرفة المعيشة والمطبخ ، ثم وضعت حقيبتها على المنضدة ونادت قائلة" :أمي ، أبـي ، أين أنتما ؟."

وكعادتها عندما تعود إلى البيت ، تحدثت باللغة الإسبانية .وكان الانتقال من الإنكليزية إلى الإسبانية سهلاً بالنسبة إليها مثل التنفس ، ويكاد لا يُدرَك بالحس.

سمعت أمها تجيبها قائلة" :هنا."!

عندها ، التفتت ماريا نحو الشرفة الخلفية ، ورأت أمها وأباها ينهضان عن

الطاولة .اقتربت منهما لتعانقهما وهي مسرورة لوجودها معهما ، وتحدثوا جميعاً في الوقت نفسه.

"لم نعرف أنك قادمة"...

"يا لها مفاجئة لطيفة"...

"تبدين رائعة"...

"إنك نحيفة للغاية"...

"هل أنت جائعة ؟."

فحيَّت ماريا أمها ثم أباها ، ثم أمها مجدداً ثم أباها مرة ثانية .بالنسبة إلى والديها ، كانت ماريا ستبقى طفلتهما الصغيرة .ورغم أن هذه الفكرة كانت تجرح شعورها خلال مراهقتها قبل فترة من الزمن ، ولا سيما عندما تظهر بشكل علني ، إلا أنها في هذه الأيام توجب عليها أن تعترف بأنها تحبها نوعاً ما.

"إنني بخير ، وسأتناول أي شيء لاحقاً."

فقالت أمها بحزم" :سأعد لك شيئاً ما ."وتوجّهت نحو الثلاجة ، بينما راح والدها يتأملها بإعجاب واضح .فلطالما كان والدها رجلاً رومانسياً ميؤوساً منه.

لم يكن والدها الذي يبلغ الخمسين من عمره نحيلاً ولا بديناً .وكان لديه القليل من الشيب في شعره ، ولكنّ ماريا لاحظت بطئاً وشبه وهن في حركته ؛ نجما بلا شك عن تأثير الكثير من العمل الذي استمرّ لسنوات طويلة .وفي هذه الليلة ، بدا أقل نشاطاً من عادته.

قال لها" :إن إعدادها العشاء يُشعرها بأنها مهمة بالنسبة إليك."

"إنّها بالطبع لا تزال مهمة بالنسبة إليّ .ما الذي يجعلها تفكر في عكس ذلك ؟."

"لأنك ما عدت بحاجة إليها كما كنت في الماضي."

"إنني لست طفلة."

فقال لها بحزم" :ولكنها تظل أمك ."وأشار إلى الطاولة على الشرفة ثم سألها" :هل تريدين أن تجلسي في الخارج وتستمتعي معنا بتناول القليل من الشراب ؟ فقد كنا أنا وأمك نتناول الشراب."

فقالت" :حسناً .ولكن ، دعني أتحدث إلى أمي قليلاً ، ثم سألحق بك هناك."

وبينما توجّه والدها عائداً إلى الشرفة ، أخرجت ماريا كأساً من الخزانة ، وصبّت لنفسها القليل من الشراب قبل أن تتّجه إلى أمها .وبحلول ذلك الوقت ، وجدت كارمن تملأ طبقاً بوجبة من اللحم والخضار والبطاطا المهروسة والفاصولياء الخضراء والبسكويت ؛ وهو عدد من السعرات الحرارية يكفي لعدة أيام كما قدرت ماريا .وضعت أمها الطبق في الفرن .لسبب ما -ربما لأنه طبق لا يقدمانه في المطعم إطلاقاً -كان والدها يحبّ طبق اللحم بالخضار مع البطاطا المهروسة.

قالت أمها" :إنني مسرورة جداً لأنك أتيت .ما المشكلة ؟."

فأجابت ماريا" :لا توجد مشكلة ."واتكأت على المنضدة في المطبخ وهي تأخذ رشفة من شرابها ، ثم قالت" :أردت أن أفاجئكما وحسب."

فقالت أمّها" :هذا ما تقولينه .ولكن ، لا بد أن شيئاً ما قد حدث .فأنت لا تزورينا خلال الأسبوع أبداً."

"ولهذا السبب قلت إنها مفاجأة."

عندها ، راحت كارمن تتأمّلها محاولة التخمين ، قبل أن تعبر إلى الجانب الآخر وتأخذ كأس شرابها وتقول" :هل الأمر يتعلق بأختك ؟."

"ما بها أختي ؟."

"لم يرفضوا طلبها الذي تقدّمت به للحصول على المنحة الدراسية ، أليس كذلك ؟."

"هل تعرفين بشأن ذلك ؟."

فأشارت كارمن إلى رسالة معلقة على الثلاجة وقالت" :إن هذا أمر مثير ، أليس كذلك؟ لقد أخبرتنا عنه في الليلة الماضية .سيأتي المدير لتناول العشاء يوم السبت القادم."

"حقاً."!

فقالت أمها" :لقد أردنا مقابلته .تقول الرسالة إنها وصلت إلى نصف النهائيات .ولكن ، لنعد إلى أختك .ما الذي حدث؟ إن لم يكن الأمر يتعلق بذلك ، فلا بد أن هناك شيئاً ما يتعلق بأحد الشبان .إنها ليست واقعة في مأزق ، أليست كذلك ؟."

كانت أمها تتحدث بسرعة كبيرة ؛ حتى إن ماريا عانت من صعوبة في مجاراتها .وأخيراً قالت" :على حدّ علمي ، إن سيرينا على ما يرام."

فأومأت أمها برأسها وقالت" :حسناً .إذاً ، هل هو شيء يتعلق بعملك؟ أتعانين من مشاكل فيه؟."

"العمل هو ...العمل .لماذا تظنين أن هناك مشكلة فيه؟."

"لأنك أتيت إلى هنا مباشرة بعد العمل."

"وما الغريب في هذا؟."!

"هذا ما اعتدت فعله عندما يكون هناك شيء يزعجك .ألا تتذكرين؟ حتى في الكلية .عندما كنت تظنين أنك نلت علامة سيئة ، أو عندما كنت تعانين من مشكلة مع زميلتك بالسكن في سنتك الأولى ، أو كلما خضت شجاراً مع لويس ، كنت دائماً تأتين إلى هنا .إن الأمهات يتذكرن هذا النوع من الأشياء."

عندها ، فكّرت ماريا في سرها في أنها لم تدرك ذلك من قبل ، وغيّرت الموضوع قائلة" :إنك تقلقين زيادة عن اللزوم."

"وأظن أنني أعرف ابنتي."

فابتسمت ماريا وقالت" :كيف حال أبي؟."

"إنه يلتزم الهدوء منذ أن عاد إلى البيت .فقد اضطر إلى طرد شخصين من العمل خلال هذا الأسبوع."

"ما الذي فعلاه؟."

"الأشياء القديمة نفسها .فقد تهرّب أحد غاسلي الصحون من بضع مناوبات .واكتشف أن أحد الندل يسمح لأصدقائه بتناول الطعام مجاناً .تعرفين كيف تسير الأمور .ولكن ، لا يزال هذا الأمر صعباً بالنسبة إلى أبيك .فهو يريد أن

يثق بالجميع ، ولطالما شعر بخيبة الأمل عندما يخذله الناس .وعندما عاد إلى البيت اليوم ، أخذ قيلولة بدلاً من أن يخرج مع كوبو للتنزه سيراً على الأقدام كما اعتاد أن يفعل."

"ربما يجب عليه أن يستشير طبيباً."

"هذا ما كنا نتحدث عنه عندما جئت."

"وماذا قال ؟."

"قال إنه سيذهب .ولكنك تعرفينه ، ما لم أحجز الموعد بنفسي ، فهو لن يذهب أبداً."

"أتريدين مني أن أتصل بالطبيب من أجلك ؟."

"ألا تمانعين ؟."

فأجابت ماريا" :بالطبع لا ."فبسبب ضعف مهارات أمها اللغوية ، اعتادت ماريا أن تحجز المواعيد بالنيابة عنها منذ طفولتها .وتابعت قائلة" :أما زال طبيبكما هو الدكتور كلارك ؟."

أومأت أمها برأسها إيجاباً وقالت" :احجزي له موعداً من أجل فحص طب.ي كامل."

"لن يعجبه الأمر."

"كلا .ولكنه بحاجة إلى ذلك الفحص .فقد مضت أكثر من ثلاث سنوات على آخر فحص قام به."

"ما كان ينبغي له الانتظار كل هذا الوقت ؛ فهو يعاني من ارتفاع ضغط الدم .وفي السنة الماضية ، انتابته تلك الأوجاع في الصدر ، ولم يتمكن من العمل بسببها لمدة أسبوع."

"إنك تعرفين هذا وأنا أعرفه ، ولكنه عنيد ومصر على أن قلبه سليم .ربما كان بإمكانك أن تقنعيه بالمنطق ."ومدت أمها يدها وفتحت باب الفرن ، وبدا عليها الشعور بالرضى .وضعت قفاز الفرن في يدها ، وأخرجت الطبق ، ثم بدأت بملء طبق ماريا.

فقالت ماريا محاولة أن تحدد الكمية" :إن هذا كافٍ."

غير أنّ والدتها اعترضت قائلة" :يجب عليك أن تأكلي ."وأصرّت على وضع المزيد من الطعام في الطبق .وحين أخذت ماريا الطبق أخيراً قالت لها والدتها: "لنذهب ونجلس مع أبيك."

في الخارج ، وضعت والدتها شمعة مشتعلة على الطاولة لإبعاد البعوض. وكانت تلك الليلة مثالية كما وعدها والدها ؛ فالنسيم خفيف ، والسماء مرصعة بالنجوم .جلست الكلبة كوبو على حضن أبيها وهي تشخر ، فيما يده تتحرك بشكل إيقاعي على فرائها .وراحت ماريا تقطّع اللحم في طبقها إلى قطع صغيرة.

ثم بدأت كلامها قائلة" :سمعت بما حدث اليوم ."واستهلت حديثاً شمل كل المواضيع ؛ بما فيها المطعم والأخبار المحلية والعائلة .ففي عائلة كبيرة مثل عائلتهم ، لطالما كان هناك الكثير من القصص التي تستحق التحدث عنها وتحليلها والتعليق عليها .وبحلول الوقت الذي أنهت فيه ماريا عشاءها -وهو لا يتعدى ربع الطبق الذي سكبته لها أمها -بدأت الجداجد بإطلاق ألحانها

المسائية.

"يبدو لي أنك تعرضت للشمس خلال العطلة الأسبوعية."

"لقد خرجت لركوب لوح التزلج بعد أن تناولنا الغداء."

فاستفسرت أمها قائلة" :أتعنين مع صديقك الجديد؟ ذلك الذي قابلته عند الرصيف البحري؟."

وعندما لاحظت تعبير وجه ماريا الدال الدهشة ، هزت أمها كتفيها وقالت: "سمعتك حين كنت تتحدّثين مع سيرينا .قد يكون صوت أختك مرتفعاً في بعض الأحيان."

ففكرت ماريا في سرّها :سيرينا تضرب ضربتها مجدداً .لم تكن تريد أن تفتح الموضوع معهما ، ولكن لم يعد بوسعها إنكاره الآن ، أليس كذلك؟ فحتى والدها بدا عليه شعور متزايد بالاهتمام بالمحادثة.

"اسمه كولين ."ولأنها أدركت أن والديها سيلحّان طلباً للمزيد من المعلومات ، ونظراً إلى عدم رغبتها في أن تتركهما يخوضان عميقاً في التفاصيل ، تابعت قائلة" :إن سيرينا تعرفه من محاضراتها في الجامعة .وعندما تناولنا العشاء معاً يوم السبت ، التقينا كولين الذي يعمل نادلاً في المطعم .وقد تجاذبنا أطراف الحديث عند الرصيف ، وقررنا أن نلتقي يوم الأحد."

"أما زال يدرس في الكلية؟ !كم عمره؟."

"إنه في مثل عمري ، ولكنه لم يلتحق بالكلية إلى ما قبل بضع سنوات. وهو يريد أن يصبح معلِّماً."

عندها ، علقت أمها بابتسامة خبيثة قائلة" :لقد قالت سيرينا إنه وسيم جداً."

فكّرت ماريا في سرّها :شكراً لك يا سيرينا .في المرة القادمة ، أخفضي صوتك .غير أنها قالت" :نعم ، هذا صحيح."

"هل أمضيت وقتاً ممتعاً ؟."

"كان وقتاً ممتعاً للغاية."

"هل يمكننا أن نلتقيه ؟."

فقالت ماريا" :ألا تظنين أن الوقت لا يزال مبكراً على ذلك ؟."

"هذا يعتمد على الوضع .هل ستخرجان معاً مجدداً ؟."

"آه ، نعم .يوم السبت."

"إذاً ، ينبغي لنا أن نقابله .عليك أن تدعيه لتناول الفطور معنا يوم الأحد."

فتحت ماريا فمها لتتكلّم ثم أغلقته مجدداً .فقد أدركت أنه من المستحيل أن يكون والداها مستعدين لمقابلة كولين ، ولا سيما بدون وجود فرصة للهرب. وكان مجرّد تفكيرها في أن كولين سيجيب عن جميع الأسئلة التي سيطرحانها عليه بصراحته المعهودة كافياً لكي تشعر بتزايد خفقان قلبها .ابتسمت لأبيها بملامح تدل على اليأس.

فسألها" :لماذا انتظر وقتاً طويلاً ليلتحق بالكلية ؟."

حاولت البحث عن الطريقة الفضلى للإجابة عن سؤاله فيما هي تقول الحقيقة في الوقت نفسه، وأخيراً قالت" :لم يُقرر أنه يريد أن يصبح معلماً إلا منذ بضع سنوات."

من بين والديها، كان والدها دائماً الأفضل في القراءة ما بين السطور. وظنت أنه سيستمر بالضغط عليها للحصول على المزيد من التفاصيل حول ماضي كولين، ولكنّ صوت رنين الهاتف المحمول الخفيف المسموع من المطبخ قاطعه، فقالت وهي تشكر الله على إنقاذها" :هذا هاتفي، سأرد على المكالمة."

ثم نهضت عن الكرسي، وابتعدت عن الطاولة، واتّجهت مسرعة نحو المطبخ .أخرجت الهاتف من حقيبتها وشاهدت اسم كولين، فشعرت أنها عادت مراهقة فيما كانت تضغط على الزر وترفع الهاتف إلى أذنها.

قالت" :أهلاً .كنت أتحدث عنك للتو ."وراحت تذرع غرفة الجلوس فيما كانا يتحدثان يخبران بعضهما بعضاً عن كيفية سير يوم كل منهما .وجدته مستمعاً يقظاً على الهاتف كما عهدته بشكل شخصي .وعندما شعر أن صوتها فيه نبرة غير طبيعية وسألها عن ذلك، وجدت نفسها تخبره بما جرى بينها وبين كين، فالتزم الصمت .وعندما سألته إن كان مهتماً بمقابلتها على الغداء، قال إنه يود ذلك، ثم سألها عن الموعد الذي تريد منه أن يأتي فيه ليقلها من المكتب. فابتسمت مدركة أن تصرّفه هذا سيعطي قصتها مصداقية في نظر كين .وشعرت بالسرور لأنها ستلتقي كولين بهذه السرعة .وعدما أنهت المكالمة، تولّد لديها شعور بأنه على الرغم مما قد يفكر فيه والداها، فقد يكون كولين بالضبط ما تحتاج إليه في حياتها في الوقت الحاضر.

عادت إلى الشرفة ، فوجدت والديها لا يزالان بانتظارها هناك.

قالت" :آسفة ."ومدت يدها لتأخذ كأسها ، ثم قالت" :لقد كان ذلك كولين."

"هل اتصل بك ليسلم عليك فقط ؟."

فأومأت ماريا برأسها وقالت" :سنلتقي غداً لتناول الغداء معاً."

وحالما خرجت الكلمات من فمها ، ندمت عليها في الحال .فوالدتها لم تكن تدرك قط السبب الذي يجعل أحداً يفكر في الذهاب إلى أي مكان باستثناء مطعم العائلة.

وسرعان ما قالت أمها" :هذا رائع !سأعد لكما أطباقاً مميزة."

الفصل التاسع

كولين

حين عبر كولين الباحة ، ناداه إيفان وهو متكئ على سياج الشرفة قائلاً: "هل خرجت للجري مجدداً!؟."

أخذ كولين يتنفّس بإجهاد وهو يشق طريقه جرياً نحو الشرفة ، ثم خفف سرعته ، وخلع قميصه القطني ليمسح به وجهه ، قبل أن يمعن النظر إلى صديقه ويقول" :لم أركض في وقت مبكر من اليوم."

"لقد تمرّنت عصر اليوم ، وكذلك في الصباح."

"فعلت ذلك في الصالة الرياضية."

"إذاً؟."

فأجاب كولين" :ليس الأمر مماثلاً ."وأدرك أن إيفان لا يأبه فعلياً لكلا الأمرين ، لذا أومأ برأسه نحو الباب الأمامي وقال" :لماذا لست في الداخل مع ليلي؟."

"لأن بيتي رائحته كريهة."

"وما علاقة هذا ب.ي؟."!

"ما رأيك حين أقول لك إنني أستطيع أن أشم الرائحة الكريهة المتصاعدة من ملابسك والمتسللة عبر فتحات التهوية وكأنها ضباب أخضر عفن؟ !الذا ، بدلاً من أن تخرج للركض ، ينبغي لك أن تغسل الثياب المكوّمة في بيتك ، أو

ربما الأفضل من ذلك أن تبدأ بإحراق ملابس تمرينك بشكل يومي .لقد ظنت ليلي أن هناك فأراً ميتاً في حجرة الغسيل ، أو أن المجاري قد طفحت."

فابتسم كولين وقال" :سأنجز ذلك في الحال."

"أسرع بإنجاز ذلك ، ثم فلنلتقِ هنا مجدداً لأن ليلي تريد أن تتحدث إليك."

"لماذا ؟."

"ليست لدي أية فكرة ، فهي لم تخبرني .ولكن ، إن أردت أن أخمن ، فسأقول إن الأمر يتعلق بصديقتك الجديدة."

"ليست لدي صديقة."

"أياً تكن !بيت القصيد هو أنها تريد أن تتحدث إليك."

"لماذا ؟."!

فقال إيفان وهو يبدو ساخطاً" :لأنها ليلي .إنّها على الأرجح تريد أن تسألك إن كنت قد كتبت بطاقة معايدة لماريا بخط مرتّب ، أو أن تعرض عليك مساعدتها في اختيار وشاح حريري مثالي لتقدمه لماريا كهدية بمناسبة ذكرى ميلادها ، أو أن ترشدك إلى استخدام الملعقة المناسبة لتناول الحساء إن اصطحبت ماريا إلى النادي الريفي .أنت تعرف كيف هي .ولكنها أحضرت إلى البيت حقيبة إضافية ، ولم تخبرني عمّا يوجد داخلها."

"ولم لا ؟."

فتنهّد إيفان وقال" :كفّ عن طرح أسئلة لا أملك أجوبة عنها .فكل ما

أعرفه بشكل مؤكد هو أنني كلما أردت أن أقدم على خطوة مهمة ما ، قالت لي إنه يجب عليّ الانتظار .بسببك !وهل تعلم ؟ إنني لست مسروراً من ذلك ، فأنا كنت متشوّقاً لمجيء هذا اليوم ، بل كنت بحاجة إلى هذه الليلة .فقد أمضيت يوماً سيئاً."

"حسناً."

عبس إيفان لدى سماعه جواب كولين وقال" :إذاً ، أتسألني عن سبب كون هذا اليوم سيئاً ؟ ."مقلداً صوت كولين ، ثم أجاب عن سؤاله بنفسه قائلاً: "شكراً لك على سؤالك يا كولين .إنني أقدر تعاطفك معي .من الواضح أنك مهتم بمصلحتي ."وحدّق إلى صديقه ثم أضاف قائلاً" :لقد اكتشفت وجود تقارير عمل مريعة هذا الصباح ، والسوق تواجه المشاكل .ورغم أنني لا أملك أية سيطرة على كل هذه الأشياء ، إلا أنني أمضيت اليوم بطوله وأنا أتحدث عبر الهاتف إلى زبائن غاضبين .وبعد ذلك ، عدت إلى البيت ، ووجدت رائحة ملابس متسخة تفوح منه .والآن ، يجب عليّ أن أنتظر ليلي لتتحدث إليك قبل أن تبدأ ليلتي بشكل فعلي."

"دعني أغير ملابسي أولاً .سأعود في غضون دقائق."

قالت ليلي لكولين" :آمل بكل تأكيد ألا تفعل ذلك ."وظهرت فجأة على الشرفة ، ووقفت بجانب إيفان مرتدية ثوباً أصفر اللون ، ثم شبكت يدها بيد خطيبها وابتسمت له بعذوبة وهي تقول" :لا بد أنك لا تفكر في أن تسمح له بالمجيء من دون أن تتيح له الفرصة ليستحم ، أليس كذلك يا إيفان ؟ إن الرجل المسكين مبلل بالعرق بالكامل .من المؤكد أنه بوسعنا الانتظار بضع دقائق

أخرى ؛ إذ إن مجرد السماح له بتغيير ملابسه ليس تصرفاً ملائماً."

وعندما لم يجب إيفان ، تنحنح كولين وقال" :لديها وجهة نظر يا إيفان. فهذا غير ملائم."

عندها ، رمقه إيفان بنظرة غضب وقال" :حسناً .اذهب واستحم وابدأ بالغسيل ثم عد إلينا."

فوبّخته ليلي قائلة" :لا تكن قاسياً عليه .ليس ذنبه أنك استثمرت أموال زبائنك في الشركات الخطأ."

وغمزت كولين خلسة.

"لم أستثمر في الشركات الخطأ !لم يكن الذنب ذنبي أنا ، ولكنّ كل شيء انهار اليوم."

فقالت بدلال" :إنني أمازحك وحسب يا حبي .أعرف أنك عانيت من يوم عصيب ، وأن الذنب ليس ذنبك .فتلك السوق الشريرة هي التي استغلتك ، أليس كذلك ؟."

قال إيفان" :إنك لا تساعدينني."

فعاودت ليلي توجيه انتباهها إلى كولين مجدداً وقالت له" :هل تحدثت إلى السيدة صديقتك اليوم ؟."

"لقد تحدّثت إليها قبل أن أخرج للجري."

"وهل أرسلت زهوراً إلى مكتبها كما نصحتك ؟."

"كلا."

"وماذا عن الحلوى ؟."

"كلا."

"ما الذي سأفعله بك الآن ؟."

"لست أدري."

فابتسمت قبل أن تضغط على يد إيفان وتقول" :سنراك في غضون بضع دقائق ، هل اتفقنا ؟."

شاهدهما كولين وهما يعودان إلى الداخل قبل أن يدخل شقته .خلع ملابسه وهو في طريقه إلى الحمام ، وأضاف ملابسه إلى كومة الغسيل ، فوجد أن إيفان محقّ .إذ لاحظ أن الثياب تفوح منها رائحة كريهة .وضع كومة الثياب في الغسالة ثم دخل الحمام .وبعد ذلك ، ارتدى بنطال جينز وكنزة قطنية قبل أن يتوجّه عائداً إلى شقة إيفان.

وجد كلاً من إيفان وليلي جالسين على الأريكة بجوار بعضهما بعضاً .وكان من الواضح أن ليلي هي الوحيدة التي تشعر بالسعادة لوجود كولين.

قالت ليلي وهي تنهض من مكانها" :كولين !إنني مسرورة جداً لأنك تمكنت من الانضمام إلينا ."!وتجاهلت حقيقة أنهما كانا قد تحدثا منذ قليل ، وقالت" :هلا نقدم لك شيئاً تشربه."

"ماء من فضلك."

"إيفان ، هلا تحضر لكولين بعض الماء من فضلك."

فسأل إيفان وهو يسند ظهره على الأريكة ويضع يده على ظهرها" :لماذا؟ إنه يعرف مكانه .ويمكنه أن يحضر الماء لنفسه."

عندها، استدارت ليلي نحوه وقالت" :ولكنّ البيت بيتك .وأنت المضيف."

"لم أدعُه ليأتي إلى هنا، بل أنت التي فعلت ذلك."

"إيفان."!

الطريقة التي ذكرت بها اسمه جعلته يدرك أنه ليس لديه خيار آخر .ولم يستطع أن ينكر أن لمظهرها دوراً مؤكداً في تأثيرها عليه .فهي لم تكن فقط أجمل امرأة واعدها من قبل في حياته، ولكنها كانت بارعة تماماً في استغلال مظهرها لمصلحتها.

فتذمر وهو ينهض عن الأريكة وقال" :حسناً، سأحضر له كأساً من الماء."

ونهض إيفان بتثاقل متجهاً نحو المطبخ.

فناداه كولين قائلاً" :مع بعض الثلج من فضلك."

عبس إيفان وهو ينظر إليه من فوق كتفه، قبل أن يجلس كولين على الكرسي مقابل ليلي.

سألته قائلة" :كيف حالك هذه الأمسية؟."

"بخير."

"وماذا عن ماريا؟."

أثناء حديثهما عبر الهاتف في وقت مبكر، كانت ماريا قد أخبرته بما حدث بينها وبين رئيسها في العمل كين مارتينسون، فشعر كولين بفكه ينقبض فيما كان يصغي إليها .ورغم أنه حافظ على ثبات صوته، إلا أنه تخيل نفسه يجري حديثاً صغيراً مع كين؛ من نوع الأحاديث التي يوضِّح له فيها أنه من الأفضل له أن يكفّ عن مضايقتها .لم يقل هذا لماريا، ولكنه عندما وجد نفسه يصكّ أسنانه بعد أن أنهى المكالمة معها، ارتدى ملابس التمرين وذهب للركض .ولم يشعر بأنه عاد إلى طبيعته مجدداً إلا بعد أن كاد ينهي جولته.

ومع ذلك، لم يكن هذا ما سألت ليلي عنه.

"لقد تحدّثت إليها قبل قليل."

"هل هي على ما يرام؟."

فكّر في ما أخبرته إياه ماريا عن وضعها في العمل، ولكن لم يكن من حقه أن يشارك ليلي تلك المعلومات .إذ كانت تلك حياتها هي وليست حياته.

قال بصدق" :أظن أنها كانت مسرورة لسماع صوتي."

"ألم تتصل بها من قبل؟."

"اتصلت بها ليلة الأحد بعد أن تحدثت إليك وإلى إيفان."

"ألم تتصل بها يوم الاثنين ولا الثلاثاء؟."

"كنت أعمل."

"كان بوسعك أن تتصل في طريقك من العمل أو إليه، أو أثناء استراحتك، أو في طريقك إلى الجامعة أو الصالة الرياضية."

"نعم."

"ولكنك لم تفعل."

"كلا .ولكننا سنخرج معاً غداً لتناول الغداء."

"حقاً !في مكان مميز كما آمل."

"لم أفكر في الأمر مليّاً بعد."

لم تزعج ليلي نفسها بإخفاء خيبة أملها .وفي تلك اللحظة ، دخل إيفان الغرفة مجدداً حاملاً كأساً كبيرة من الماء المثلج ، وأقحمها في وجه كولين.

فقال كولين" :شكراً لك يا إيفان .ما كان يجب عليك فعل ذلك .كان بوسعي إحضارها بنفسي."

تظاهر إيفان بالضحك وهو يعاود الجلوس ، ثم قال لليلي" :والآن ، ما الذي أردت أن تتحدثي إليه بشأنه ؟."

"كنا نناقش موعده على الغداء غداً .فقد أخبرني أنه سيتناول الغداء مع ماريا."

فقال إيفان" :أتريد نصيحتي ؟ احرص على أن تتأكد من أن محرك سيارتك يعمل."

عندها ، نظرت إليه ليلي باستهجان ثم قالت" :إن مصدر قلقي الرئيس يتعلق بموعده الوشيك في العطلة الأسبوعية ، وأريد أن أناقش الأمر معه."

فسأل إيفان قائلاً" :لماذا ؟."

أجابت وكأن الأمر واضح وضوح الشمس" :لأن الأمسية الحقيقية الأولى التي يقضيها الشخصان معاً هي الوقت الحاسم في أية علاقة .فلو أن كولين دعا ماريا إلى العشاء أو ربما للمشي في المتنزه في وسط البلدة ، لما تولّدت لدي أية مخاوف .ولو أنه اقترح أن نخرج نحن الأربعة معاً ، فأنا واثقة من أن المحادثة ستكون مسلية ، وأن ماريا ستقضي وقتاً رائعاً على حد سواء .ولكن ، لسوء الحظ ، كولين دعا ماريا للخروج بمفردهما إلى أحد النوادي ؛ رغم أنني واثقة من أن هذه المسألة قد تمت مناقشتها من قبل."

عندها ، رفع إيفان حاجبه ، فيما لم يقل كولين أي شيء.

ركّزت ليلي انتباهها على كولين مجدداً وقالت" :لقد طلبت منك أن تزورنا هذه الأمسية لأنني أشعر بالفضول حيال امتلاكك أية خبرة أو حتى معرفة برقصة السالسا."

"كلا."

"إذاً ، ما لا تعرفه على الأرجح هو أن السالسا رقصة تتطلب شريكاً."

فقاطعها إيفان قائلاً" :هذه هي طبيعة الرقص."

غير أن ليلي تجاهلت خطيبها وشرحت قائلة" :إن رقص السالسا قد يكون ممتعاً للغاية إن تمرن الثنائي معاً .ولكن ، بما أن هذا غير ممكن في هذه الحالة ، إذاً يجب عليك أن تبذل ما بوسعك .وهناك أشياء يجب عليك أن تعرفها ؛ كالطريقة التي تحرّك بها قدميك ، أو تقود بها شريكتك خلال الدوران ، أو تمنحها الفرصة لتنفصل عنك وتؤدي بعض الحركات بمفردها بينما تجعل الأمر يبدو كجزء طبيعي من الرقصة .وإن لم تفعل هذه الأشياء ، فمن

المستحيل تقريباً أن تثير إعجابها."

فضحك إيفان وقال" :ومن الذي يقول إنه يريد أن يثير إعجابها؟ إن كولين لا يأبه لما يفكر فيه أي شخص"...

غير أنّ كولين قاطعه قائلاً" :تابعي."

فالتفت إيفان نحوه متفاجئاً، بينما استقامت ليلي في جلستها وقالت: "إنني مسرورة لأنك تفهم المحنة التي أوقعت نفسك فيها .ما أحاول قوله لك هو أنه يجب عليك أن تتعلم الأساسيات."

للحظة، لم يقل كولين أو إيفان أي شيء.

وأخيراً، سأل إيفان" :وكيف بالضبط يفترض به أن يتعلم الأساسيات؟ فنحن نعيش في ويلمنغتون .وأشك في أن يتمكن من العثور على أي مدرب لتعليم رقصة السالسا راغب في تفريغ جدول أعماله لعدة أيام لكي لا يشعر صديقي بالإحراج."

عندها، انحنت ليلي إلى الأمام، ومدت يدها إلى حقيبة صغيرة موضوعة بجانبها على الأريكة، وأخرجت منها تشكيلة من الأقراص المضغوطة.

"هذه ألبومات لموسيقى السالسا .سيتوجب عليك أن تستمع إليها .لقد اتصلت بمدرِّسة الموسيقى التي علّمتني في الماضي، وكانت أكثر من مسرورة بإرسال بعض النماذج إليّ .ليست حديثة للغاية، ولكن هذا غير مهم .فرقصة السالسا تتعلق بالسرعة والإيقاع والنبض أكثر من اللحن؛ إن صح التعبير .أما بالنسبة إلى المدرب، فمن دواعي سروري أن أساعد كولين في تعلم ما يحتاج إلى معرفته."

عندها ، سألها إيفان متعجّباً" :وهل تجيدين رقص السالسا ؟."!

أجابت قائلة" :بالطبع .فقد رقصتها في أوقات متنوعة لمدة اثنتي عشرة سنة .وكنا نركز على الرقص البديل."

سأل إيفان" :البديل ؟."

"لقد نشأت في تشارلستون ، لذا كل أنواع الرقص باستثناء الشاغ والفالز تعتبر رقصاً بديلاً .وهذا النوع من الأمور يجب على كل شخص جنوب.ي متحضر أن يعرفها ."وصمتت قليلاً ، ثم تابعت قائلة" :ولكن حقاً يا إيفان ، يجب عليك أن تترك لكولين الفرصة ليطرح الأسئلة .فبالكاد تمكّن من التفوه بكلمة واحدة ."ثم التفتت إلى كولين وسألته" :هل تسمح لي بأن أكون مدربتك طوال اليومين القادمين ؟."

"وما هي المدة التي تتحدّثين عنها ؟."

"سأعلّمك بضعة أشياء الليلة ؛ أي الخطوات الرئيسة ، والحركات ، والالتفاتات ، وكيف تقود شريكتك خلال الدوران ؛ وذلك لكي تعرف ما تعمل عليه .وبعد ذلك ، سنحتاج إلى ثلاث ساعات غداً مساء ، وثلاث ساعات أخرى في أمسية الجمعة بعد أن أنهي عملي وأغيّر ثياب.ي .لذا ، لنبدأ عند الساعة السادسة .ومن المنطقي أنه ينبغي لك أن تتدرب في وقت فراغك قبل أن تأتي إلى هنا."

"هل سيكون ذلك كافياً ؟."

"إنه حتى ليس قريباً من الوقت الكافي لتصبح بارعاً أو حتى متوسط الأداء .فلكي تصبح مؤهلاً حقاً لأي نوع من الرقص ، قد يستغرق هذا سنوات.

ولكن ، إن ركّزت ونفّذت ما أقوله لك بحذافيره ، فسيكون هذا كافياً تماماً لموعدك يوم السبت."

أخذ كولين رشفة ماء من دون أن يرد على الفور.

فقال إيفان" :لا تقل لي إنك بالفعل تفكر في هذا."

"بالطبع يفكر فيه ، فهو يعرف أنني محقة."

أخفض كولين كأسه إلى حضنه ثم قال" :حسناً .ولكن ، سيتوجب عليّ أن أطلب من شخص ما أن ينوب عني في مناوبتي يوم الجمعة."

فابتسمت ليلي وقالت" :رائع."!

قال إيفان" :انتظر ."ثم التفت إلى ليلي وقال لها" :لقد ظننت أننا سنخرج معاً يوم الجمعة."

"إنني آسفة جداً ، ولكنني سأضطر إلى إلغاء الموعد لأن صديقي بحاجة إلى مساعدتي .ولا أستطيع صدقاً أن أرفض طلبه ؛ فقد كان لطيفاً جداً حين طلب مني المساعدة."

"هل أنت جادة!؟ أليس لي رأي في أي من هذا ؟."

فقالت ليلي" :بالطبع لديك رأي في الموضوع .وستكون موجوداً هنا في كلتا الليلتين ، بالإضافة إلى هذه الليلة بشكل واضح."

"هنا."!

"أين إذاً ؟."

"لست أدري .في صالة للرقص أو ما شابه ربما."

"لا تكن سخيفاً ، فلا داعي إلى ذلك .ولكنني سأحتاج إليك لنقل الأثاث من غرفة المعيشة .فأنت محق حيال حاجتنا إلى مساحة كافية .وأنت ستكون مسؤولاً عن الموسيقى أيضاً ؛ مثل التقديم والترجيع عندما أطلب منك ذلك ، وبدء الموسيقى من بدايتها ، وأشياء من هذا القبيل .يجب علينا فعلاً أن نزيد من استغلال وقتنا ، وستكون أنت مساعدي الصغير."

"مساعدك الصغير."!

فابتسمت له وقالت" :ألم أخبرك أن رقص السالسا يجعل المرأة تشعر بأنها مثيرة ؟ وأن هذا الشعور يدوم لديها بضع ساعات بعد الرقصة ؟."

فابتلع إيفان لعابه وهو يحدق إليها ثم قال" :يسرني أن أساعدك."

* * *

قال كولين" :لقد انطويتَ إلى نصفين ."وكان ينقل الأريكة إلى أحد جوانب الغرفة بمساعدة إيفان ، بينما ذهبت ليلي إلى غرفتها لتحضر زوجاً ملائماً من الأحذية بطول كعب مناسب ولتغير ملابسها .فليلي لم تكن تفعل أي شيء إلا على أصوله.

"سأفعل كل ما يتطلبه الأمر لمساعدة صديقي."

فابتسم كولين وقال" :حسناً."

"وبعد أن نصبح وحدنا ، ستساعدني في إعادة الأثاث إلى مكانه."

"حسناً."

"ولن تطلب البقاء لوقت أطول لتتدرب ، بل ستصبح خارج هذا المكان بحلول الساعة التاسعة."

"حسناً."

وضعا الأريكة في مكانها ، وقال إيفان" :لا أعرف كيف تستطيع ليلي إقناعي بالقيام بأشياء من هذا القبيل."

فهز كولين كتفيه وقال" :أظن أن لدي فكرة واضحة تماماً."

* * *

وحالما بات الأثاث بعيداً عن الطريق ، وتم لف السجادة ، استدعت ليلي كولين إلى وسط الغرفة بينما جلس إيفان على الأريكة متجهّماً ، وهناك كومة من الكتب ومصباح ومجموعة من التحف على وسادة بجانبه .وكانت ليلي قد استبدلت ملابسها ببنطال جينز أبيض اللون ، وكنزة حريرية حمراء ، وزوج من الأحذية يبلغ ثمنه على الأرجح أكثر مما يجنيه كولين من مال خلال أسبوع كامل .ورغم كونها خطيبة إيفان وصديقة كولين ، إلا أن كولين كان مدركاً أنها امرأة تشع جاذبية وأناقة.

صاح إيفان قائلاً" :لا تقترب منها أكثر مما هو ضروري يا كولين."

فقالت ليلي بلهجة عملية" :اصمت الآ "..ثم وجّهت كلامها إلى كولين قائلة" :ربما كنت تتساءل عن سبب تغييري ملابسي."

فأجاب كولين" :ليس بالفعل."

"لقد غيّرتها لكي تتمكن من مراقبة تحركات قدميّ .فكما ذكرت لك من

قبل ، سأريك أهم الخطوات الأساسية التي تُبنى عليها رقصة السالسا بكاملها. إنها تلك الخطوات التي يمكنك العودة إليها مهما فعلت ماريا .هل تفهمني ؟."

"نعم."

"قبل أن نبدأ ، أودّ التأكد من أمر .إن ماريا تعرف كيف ترقص السالسا ، أليس كذلك ؟."

"لقد أخبرتني أنها اعتادت أن ترقص طوال الوقت."

"ممتاز ."وانتقلت ليلي إلى جانبه كي يصبح كلاهما بمواجهة النافذة ؛ ما يسمح لإيفان بمشاهدتهما من الجانب ، ثم قالت" :وهذا يعني أنها ستتمكن من اتباع قيادتك .هل أنت مستعد ؟."

"نعم."

"إذاً ، راقب قدميّ ، وافعل ما أفعله بالضبط .اخطُ بقدمك اليسرى ؛ وهذه هي الخطوة الأولى ، ثم انقل وزنك إلى أصابع قدمك اليمنى ؛ وهذه هي الخطوة الثانية ، والآن أعد قدمك اليسرى إلى وضعية البداية ؛ وهذه هي الخطوة الثالثة ، وتوقف للحظة واحدة ؛ وهذه رقم أربعة ."ونفّذت ما قالته ، فكرر كولين ما فعلته .ثم تابعت قائلة" :والآن ، اخطُ خطوة إلى الخلف بقدمك اليسرى ، وهذه هي الخطوة رقم خمسة ، وانقل وزنك إلى أصابع قدمك اليسرى ، ستة ، ثم أعد قدمك اليمنى إلى الأمام مرة أخرى من حيث بدأت ، سبعة ، وتوقف للحظة واحدة ، ثمانية .والآن أنهيت ."ومجدداً ، كرر كولين ما فعلته.

"أهذا كل شيء ؟."

فأومأت برأسها وقالت" :لنفعل ذلك مجدداً."

ففعلا ذلك ، ثم كرّرا الخطوات مرة أخرى .وراحا يكرران الخطوات نفسها مراراً وتكراراً بينما ليلي تعد من واحد إلى ثمانية ، إلى أن كرّراها عشرات المرات. وبشكل تدريجي ، زادا من سرعتهما ، ثم واصلا تنفيذ الخطوات من دون عد. وبعد ذلك ، أخذا فترة استراحة ، ثم كررا التمرين مرة أخرى من البداية ، ولكن ببطء .وبشكل تدريجي ، راحا يزيدان من سرعتهما .وحالما شعر كولين أنه بدأ يتقن الحركات ، توقفت ليلي واكتفت بمشاهدته ، بينما استمر بتنفيذ الخطوات بمفرده .وأخيراً ، قالت وهي تومئ برأسها" :هذا مثالي ."ثم تابعت" :أصبحت تعرف الخطوات الآن .ولكن الأمر الهام هو ألا تكون شديد القفز .ففي الوقت الحاضر ، تخيل أنك تتحرك كوحش يخوّض عبر أحد المستنقعات .يجب عليك أن تكون أكثر ليونة ؛ كما لو أنك برعم يبدأ بالتفتح .وأبقِ كتفيك بالارتفاع نفسه أثناء قيامك بالخطوات."

"كيف أفعل هذا ؟."

فقالت" :استخدم وركيك أكثر ، هكذا ."وأرته ما تعنيه وهي تنزلق خلال تأديتها الحركات ، ووركاها تتمايلان إلى الأمام والخلف ، وكتفاها تحافظان على الارتفاع نفسه .كانت ليلي محقة حيال كون هذه الرقصة مثيرة .فقد لاحظ كولين بطرف عينه أن إيفان يُعدّل جلسته ويحدق إلى ليلي ؛ رغم أنه لم يبدُ عليها أنها تلاحظ ذلك .وقالت" :إذاً ، الآن سنفعل الشيء نفسه مجدداً .ولكن هذه المرة مع الموسيقى .وركّز على التحرك بليونة ."والتفت إلى إيفان وقالت" :حبيب.ي ، هل تمانع بأن تشغّل الأغنية ؟."

فهزّ إيفان رأسه وكأنه رجل يحاول أن يصحو من أحلام اليقظة ، ثم قال: "ماذا ؟ هل قلت شيئاً ؟."

* * *

ظلاّ يرقصان لأكثر من ساعتين .وبالإضافة إلى الخطوة الأساسية ، تعّلم كولين كيف يلتفت .وعند تلك المرحلة ، بدآ يرقصان معاً .وأرته ليلي أين يجب عليه أن يضع يده اليمنى) في أعلى ظهرها ؛ تحت ذراعها بقليل .وهذا ما ذكر به نفسه (كما أرته كيف يجب أن يقودها خلال ثلاث دورات عن طريق القيام بحركات بسيطة بيده اليسرى ، ما تطلب منه أن يخطو خطوات مختلفة قليلاً قبل أن يعود إلى حركات القدمين الأساسية مرة أخرى.

وخلال ذلك كله ، ظلّت تذكره بأن ينزلق ويستخدم وركيه ويحافظ على التواصل البصري ، وأن يبقى ملتزماً بالإيقاع ، ويكفّ عن العد بصوت مرتفع ، ويبتسم .تطلب منه الأمر تركيزاً أكثر مما تخيل .وبعد ذلك ، أعادوا الأثاث إلى أماكنه ، ثم استأذن كولين للمغادرة.

أمسكت ليلي يد إيفان بينما خرج كولين إلى الشرفة ، وقالت" :لقد أبليت بلاء حسناً الليلة .إنك تتمتع بإيقاع طبيعي في ما يتعلق بالرقص."

فعلّق قائلاً" :إن الأمر أشبه بالملاكمة."

فقالت وقد بدا عليها الشعور بالإهانة" :من المؤكد أنني لا آمل ذلك."

ابتسم وقال" :موعدنا التالي غداً مساء ، أليس كذلك ؟."

فأجابت قائلة" :عند السادسة تماماً ."ثم أعطته قرصاً مضغوطاً ، وقالت

له" :هذا لك .كلما تسنى لك وقت إضافي خلال يوم غد، فأنا أصرّ على أن تتدرب على خطواتك والتفاتاتك، وأن تتظاهر بأنك تقود شريكتك خلال الدوران .ركّز على إشارات يدك، وحاول أن تتحلى بالليونة .إذ سيكون من غير المجدي أن يتوجب علينا إعادة كل شيء منذ البداية."

فقال" :حسناً .ليلي؟."

"ماذا؟."

"شكراً لك."

فابتسمت وقالت" :أنت على الرحب والسعة يا كولين .ومع ذلك، سأعتبر نفسي مهمِلة إن لم أستغل الفرصة لأناقش معك مسألة مهمة أخرى خطرت ببالي مؤخراً."

فانتظر كولين ما ستقوله بترقب.

"في ما يتعلق بموعدك على الغداء غداً مع ماريا، إنني واثقة من أنه ليس عليّ تذكيرك بأنك ستقابلها في مكان مهني، وهذا يتطلب ملابس أكثر رسمية. وآمل أنه لا يتوجب عليّ تذكيرك أيضاً أنك مهما كنت تحب سيارتك، فليس هناك شيء أكثر تنفيراً للآخرين من أن تكون السيارة من الداخل في حالة فوضى أو من سيارة لا تعمل .هل أنا محقة في افتراضاتي؟."

لقد حاولتُ أن أصلح سيارتي لأسباب أخرى لا علاقة لها بماريا .ولكن، بما أنك ذكرت الأمر ...فأجاب كولين قائلاً" :نعم."

فقالت وهي تومئ برأسها" :إنني مسرورة لسماعي هذا؛ فالمرأة لديها

توقعات معينة دائماً عندما يتعلق الأمر بمواعدة الرجال .والآن ، بالنسبة إلى الزهور ...هل قررت ما ستحضره لها؟ على اعتبار أن باقات الزهور المختلفة قد تحمل افتراضات متعددة ؟."

بدت ليلي جادة للغاية ، حيث كان من الصعب على كولين ألا يبتسم.

"ماذا تقترحين ؟."

رفعت يدها المزينة بطلاء الأظفار إلى ذقنها وقالت" :حسناً ، على اعتبار أنكما ما زلتما تتعرفان على بعضكما بعضاً ، وأنكما ستلتقيان لمجرد موعد على الغداء ، فباقة من الورود ستكون رسمية للغاية ، وباقة من زهور الزنبق رغم جمالها ستكون مناسبة أكثر لفصل الربيع .أما القرنفل ، فمن الواضح أنه لا يوصل أية رسالة على الإطلاق باستثناء أنه خيار باهظ الثمن ، لذا فهو ببساطة لا ينفع."

فأومأ كولين برأسه قائلاً" :هذا منطقي تماماً بالنسبة إلي."

"إذاً ، ما رأيك بأن تحضر لها باقة خريفية بسيطة؟ مزيج من الورود الصفراء وزهور الأقحوان البرونزية وربما زهرة حمراء واحدة "...وأومأت برأسها وقالت" :حسناً ، هذا يبدو لي ملائماً جداً لهذه المناسبة .سيتوجب عليك أن تطلب تنسيق الزهور في زهريّة .فمن الواضح أنها ستضعها في مكتبها ، ولكنه خيار مناسب ، ألا تظن ذلك ؟."

"لا شك في ذلك."

"واحرص على أن تطلب الباقة من محل مايكل للزهور ؛ فهو فنان مبدع في ما يتعلق بالتنسيق .اتصل به في وقت مبكر من الصباح واذكر اسمي ،

وسيعرف ما يجدر به فعله."

فابتسم إيفان بسخرية وهو يستمتع بشكل واضح بكل هذا ، ويشك على الأرجح في أن يكون كولين مختلفاً عما هو عليه حين يتعلق الأمر بليلي وطلباتها .ولأن إيفان كان يعرفه أكثر من أي شخص آخر ، أومأ كولين برأسه أخيراً وقال" :حسناً."

* * *

في الصباح ، استيقظ كولين في وقت مبكر ، وابتهج كثيراً حين وجد أن محرّك سيارة الكامارو القديمة يدور من أول استدارة للمفتاح .ذهب لأداء تمارينه الصباحية في الصالة الرياضية ، وفي طريق عودته إلى شقته ، توقف أمام إحدى حاويات الأغراض المستعملة ، ورمى فيها كل الفوضى الموجودة في السيارة .وفي البيت ، وبينما كانت عضلاته لا تزال مرنة ورخوة بفعل التمرين ، وضع أحد الأقراص التي أعطته إياها ليلي في الجهاز ، وأمضى نصف ساعة وهو يتدرب على خطوات السالسا ، واندهش حين أدرك أنه لم ينسَ أي شيء .وفوجئ مرة أخرى من مدى التركيز الذي تتطلبه الرقصة.

تناول كأساً من شراب البروتين ، ثم استحم وارتدى بنطالاً داكناً وقميصاً ذا أزرار ، وانتعل حذاء رسمياً ؛ وهي الملابس التي بقيت لديه من الأيام التي اعتاد فيها أن يواعد الفتيات .وكانت عضلاته قد اكتسبت الكثير من الحجم منذ ذلك الحين ، لذا بدا القميص ضيقاً جداً عند الصدر والذراعين ، ولكنه لم يتمكن من فعل ما هو أفضل من ذلك .وقف أمام المرآة ، وفكر في أنه بالإضافة إلى أناقته المبالغ بها ، بدت ملابسه لائقة بشخص مثل إيفان .إذ إن ملابسه

بدت سخيفة ، ولا سيما بعد أن دخل الجامعة ؛ حيث صارت السراويل القصيرة والأخفاف هي الطراز السائد .ورغم أنه أدرك أن ليلي لن يعجبها ذلك ، إلا أنه رفع كمَّي قميصه مظهراً القليل من ذراعيه ، ووجد أن هذا أفضل وأكثر راحة أيضاً.

أما زملاؤه في الكلية ، فإما أنهم لم يلاحظوا ملابسه أو لم يأبهوا لها .راح يستمع إلى المحاضرة ويدوّن الملاحظات كعادته .لم يقابل سيرينا لأنهما كانا يلتقيان في محاضرات أيام الاثنين والأربعاء فقط .وفي غضون بضع دقائق ، اتصل ببائع الزهور ، وطلب باقة زهور خريفية ، أياً تكن !ومن هناك ، مشى بإجهاد لحضور محاضرة مادة إدارة الصفوف التعليمية ، وهو يفكّر في أنه لم يتوقف عن الحركة منذ انطلقت ساعة المنبه ، وأن روتينه اليومي في حالة فوضى.

انتهت آخر محاضرة لديه عند الساعة الواحدة إلا ربعاً .وبحلول ذلك الوقت ، كانت الشمس تتصدر كبد السماء ، وهناك صيف هندي يتوعده بحرارة لاهبة .مشى إلى السيارة ببطء محاولاً ألا يتصبب عرقاً ، وتوقف عند بائع الزهور قبل أن يتابع طريقه إلى العنوان الذي أعطته إياه ماريا .وكأن الحظ كان يعبث معه ، تطلب الأمر دورتين للمفتاح ليدور محرك السيارة ، لذا كل ما كان بوسعه فعله هو أن يتمنى لنفسه التوفيق.

كانت شركة مارتينسون وهيرتسبرغ وهولدمان تحتل مبناها الخاص بها ؛ وهو عبارة عن مبنى حديث نسبياً يقع على بعد بضعة أحياء من نهر فير كيب في وسط المقاطعة التاريخية ، ويحظى بموقف للسيارات على كلا الجانبين .وعلى كل جانب ، وفي الطرف المقابل من الشارع ، كانت الأبنية مبنية على صف واحد ، تملأها واجهات المحلات التي تعلوها المظلات .ركن سيارته في مكان

يبعد بضعة أمتار فقط عن سيارة ماريا ، إلى جانب سيارة حمراء لامعة من طراز كورفيه.

أمسك مزهرية الزهور وهو يتذكر ما قالته ليلي عن التوقعات المعينة ، ثم فكّر في كين والمشاكل التي يتسبب بها ، وتساءل إن كان الرجل موجوداً .فقد أراد أن يرى وجهه ليطابقه مع الاسم .وعندما أقفل سيارته ، أدرك فجأة أن صباحه كله قد تحوّل إلى عد تنازلي سيؤدي به إلى الوقت الذي سيقابل فيه ماريا أخيراً.

ولم يفاجئ أحداً غير نفسه عندما أدرك أنه يفتقد إليها.

الفصل العاشر

ماريا

بسبب إصرار بارني على الاعتكاف في مكتبه ليجهّز نفسه للمحاكمة ، بات على ماريا واجب مضاعف في عملها .لذا ، أمضت فترة الصباح وهي تناقش القضايا مع الزبائن ، وتبذل ما بوسعها لتضمن أن كل واحد منهم شعر أن قضيته لا تزال تحتل الأولوية في المكتب .وكل نصف ساعة أو نحو ذلك ، أخذت مساعدتهما لين تدخل المكتب ومعها المزيد من الوثائق أو الاستمارات ليتم ملؤها .ورغم أن كل ما كان بوسع ماريا فعله هو التماشي مع العمل وشغل نفسها بالعمل ، إلا أن ذلك أفادها ومنعها من القلق بشأن موعدها على الغداء ، أو بشكل أكثر دقة ؛ التفكير في ردة فعل أبويها عندما يلتقيان كولين .في البداية ، كولين رجل أبيض البشرة على عكس لويس .ورغم أن ذلك لم يكن ليشكل عائقاً كبيراً بالنسبة إلى الناس من جيلها ، إلا أن والديها سيتفاجآن على الأرجح .فالسماح لهما بمقابلة كولين يعني أن العلاقة ستصبح جادة ، وهما يظنان في الغالب أن ماريا لن تواعد شخصاً بشكل جاد ما لم يكن مكسيكياً. فكل الأشخاص في عائلتها -حتى الأقارب بالمصاهرة -مكسيكيون .وهناك اختلافات ثقافية بينهما ؛ فأفراد عائلتها اعتادوا على الاحتفال بكل اجتماع عائلي بألعاب الأطفال ، والاستماع إلى الموسيقى المحلية ، ومشاهدة المسلسلات التلفزيونية الدرامية ، وعدم التحدث في ما بينهم إلا بالإسبانية .حتى إن بعض أعمامها وعماتها لا يتحدثون الإنكليزية على الإطلاق .أدركت أن الأمر لن يشكل بالضرورة مشكلة لوالديها ، ولكنهما على الأرجح قد يتساءلان عن سبب عدم

ذكرها أي شيء عن خلفية كولين .ومع ذلك ، لم يكن لديها شك في أن ذلك سيشكل موضوعاً للحديث بين أفراد العائلة في المطعم ؛ وهو حديث سيستمر على الأرجح بعد أن يغادر كولين وماريا لوقت طويل.

فكرت في أنه بوسعها التعامل مع تلك الأمور ، ولكنّ الشيء الذي لم تكن واثقة منه هو كيفية تعاملها مع أي نقاش يتعلق بماضي كولين ؛ وهذا ما أدركت أنه أمر لا مفر منه .فالمحادثة العادية بحدّ ذاتها قد تكشف عن ذلك .وماذا سيحدث إن بدأت أمها أو أبوها بطرح الأسئلة عليه!؟ افترضت أنه بوسعها أن تتجنب الإجابة بالقول إنهما مجرد صديقين عاديين وتحوّل المحادثة إلى اتجاه آخر .ولكن ، إلى متى ستُبقي الأمور على ذلك النحو؟ فما لم تبدأ علاقتهما تضعف وتنتهي بعد يوم السبت -وهذا ما اعترفت ماريا لنفسها بأنها لا تريد حدوثه -إن ماضي كولين سيظهر في نهاية المطاف .ما الذي قالته سيرينا حيال ذلك؟ لا أريد حتى أن أكون في الولاية نفسها عندما ترمين تلك القنبلة الصغيرة. من وجهة نظر والديها ، لا يهم أنها امرأة ناضجة ، فقد كانا سيظهران عدم سرورهما من الأمر ، وسيؤكدان لنفسيهما أنهما يفعلان الشيء الصواب ؛ لأنه من الواضح أن ماريا ليست لديها أية فكرة عما تورِّط نفسها فيه.

والشيء الجنوني هنا هو أنها تعرف في قرارة نفسها أن والديها محقان على الأرجح.

* * *

قالت جيل" :لديك ضيوف."

وكانت ماريا في تلك اللحظة تتبادل حديثاً مع موظفة الاستقبال جوين.

لاحظت ماريا أن الساعة تشير إلى الثانية عشرة إلا ربعاً ، فأجابت قائلة: "لا أعرف أين ذهبت فترة الصباح ، فأنا أشعر بأنني وصلت إلى هنا للتو."

عندها ، ابتسمت جيل وقالت" :أعتقد أنك وكولين ستخرجان معاً ، أليس كذلك ؟."

فقالت ماريا" :نعم ، هذا صحيح .إنني آسفة لأنه لم تتسنَّ لي أية فرصة لأخبرك في وقت مبكر أن لدي موعداً آخر .فقد انهمكت بالعمل طوال الصباح ، وبالكاد سنحت لي الفرصة لالتقاط أنفاسي."

فما كان من جيل إلا أن قالت وهي تلوح بيدها" :لا تقلقي .إنني أتذكر كل ذلك الأمر المتعلق بالعمل إلى أن تخور قواك من شدة التعب عندما يستعد بارني لإحدى المحاكمات .في الواقع ، لقد أتيت لأخبرك بأنني أنوي أن أفاجئ بول في مكتبه وأجعله يدعوني للخروج."

"هل أنت متأكدة من أنك لا تمانعين ؟."

"ليس بشأن الغداء ، ولكنني كنت آمل لو أنك حذرتني بأن كولين قادم. فقد كنت سأطلب من بول أن يأتي إلى هنا أيضاً لكي يرى بنفسه ما يستطيع الغذاء السليم والتمرين فعله للرجل."

"إن بول على ما يرام."

"من السهل عليك قول ذلك .انظري إلى من ينتظرك في الردهة .ومن ناحية أخرى ، بات بول لا يأبه لأي شيء .وأدرك أنه لا يأبه لأنني أُسمعه تلميحات صغيرة حول تحسين الذات مثل :ألقِ تلك البسكويتة واذهب للتمرين حباً بالله .ولكنه لا يكترث لكلامي."

"إنك لا تقولين هذا فعلاً."

"كلا، ولكنني أفكر فيه ؛ وهذان الأمران متماثلان."

عندها، ضحكت ماريا وهي تجمع أغراضها، ثم نهضت قائلة" :هل تريدين أن تتمشي معي ؟."

"لهذا السبب ما زلت أنتظر .فأنا أيضاً أريد أن أرى وجهك عندما تكتشفين الأمر."

"ما الذي سأكتشفه ؟."

"ستعرفين قريباً."

"عمّ تتحدثين ؟."

فقالت جيل" :هيّا بنا .ولكن، احرصي على أن تعرّفينا على بعضنا بعضاً ؛ لأنني أريد أن أخبر بول كل شيء عن الأمر، ولا سيما إذا غازلني صديقك."

"إن كولين ليس من النوع الذي يحب المغازلة."

"ومن يأبه لذلك؟ فالحقيقة هي أنني أريد أن ألقي عليه نظرة عن كثب لأتأكد من أنه جيد بالنسبة إليك بما فيه الكفاية."

"هذا لطف شديد منك."

"ما فائدة وجود الأصدقاء إذاً ؟."

وفيما هما تمشيان على طول الممر، أخذت ماريا نفساً عميقاً وهي تشعر بأن مخاوفها تتزايد مجدداً .ولحسن الحظ، لم تلاحظ جيل ذلك ؛ فمن الواضح

أن ذهنها مشغول بشيء آخر.

قالت" :انتظري لحظة ."ونظرت ماريا إلى جيل فيما مدّت هذه الأخيرة يدها إلى حقيبتها ، وأخرجت أحمر شفاهها ، ووضعت القليل منه قبل أن تضعه مجدداً في حقيبتها.

وقالت جيل" :حسناً .الآن ، يمكننا الذهاب."

راحت ماريا تحدق إليها ثم قالت" :حقاً."!

فغمزتها جيل وقالت" :ما الذي يمكنني قوله ؟ الانطباع الأوّل مهم."

وفي آخر الممر ، شاهدت ماريا فتاتين من المساعِدات تنعطفان فجأة حول الزاوية قادمتين من الردهة ، وهما تتهامسان بانفعال كما لو أنهما طالبتا مدرسة ثانوية.

أومأت جيل نحوهما وقالت" :هل تفهمين ما أعنيه ؟ من المؤكد أنك أخفيت الحقيقة عني ، فالرجل مذهل للغاية."

"ليس وسيماً إلى تلك الدرجة."

"حقاً ...بل هو كذلك .والآن ، تعالي .لديك موعد وينبغي ألا تتأخري."

حالما لمحت ماريا كولين في الردهة ، شعرت بقلبها كما لو أنه يرفرف .فقد كان يقف في الطرف الآخر ، وأدركت أنه يقف هناك بانتظارها .ومن الخلف ، كان من الممكن أن يخطئ المرء ويظنه محامياً شاباً ؛ على الرغم من تمتّعه بلياقة بدنية استثنائية وبوشوم واضحة .وعندما ألقت ماريا نظرة خاطفة نحو موظفة الاستقبال ، لاحظت أن غوين تبذل جهدها كيلا تحدق باتجاه كولين

وهي تتحدث على الهاتف.

لا بد أن كولين قد شعر بوجودها لأنه استدار نحوها .وعندما التفت ، لمحت ماريا تشكيلة من الزهور البرتقالية والصفراء وزهرة حمراء واحدة في المنتصف ، فانفرج فمها قليلاً.

همست جيل وقالت" :مفاجأة ."!ولكنّ ماريا كانت مصدومة للغاية حيث لم تسمعها.

وأخيراً قالت" :آه ، مرحباً ."وبدأت تقترب منه .لاحظت بشكل غامض فقط أن جيل ظلت واقفة خلفها .ومن قريب ، امتزجت رائحته النظيفة برائحة الزهور .قالت" :أهي ملابس جديدة ؟."

فأجابها قائلاً" :إنها ملابس الحرية .فعلى الأرجح ، هي التي أبقتني خارج السجن."

ابتسمت له بمرح .وفي اللحظة التالية ، فكرت في سرها :لا أصدق أن جوابه لم يقلقني .ولكنها لم ترغب في التفكير بالأمر .وبدلاً من ذلك ، أومأت نحو الزهور وقالت" :أهذه لي ؟."

فقال وهو يقدّمها لها" :نعم .إنها باقة خريفية."

"إنها جميلة .شكراً لك."

"أنت على الرحب والسعة."

"دعني أضعها في مكتبي ، وسأعود في الحال .وعندئذ ، يمكننا المغادرة."

"حسناً."

من خلفها، سمعت جيل تتنحنح، فالتفتت إليها وقالت" :آه، هذه صديقتي جيل .إنها محامية هنا."

اقتربت جيل منه، فمد يده ليصافحها وقال" :مرحباً يا جيل."

"مرحباً يا كولين ."وصافحته بأسلوب ودود ومهني، ثم قالت" :تسرني مقابلتك."

تركتهما ماريا ليثرثرا معاً، وأسرعت عائدة إلى مكتبها، ولاحظت المساعدتين اللتين راحتا تنظران إليها بشيء من الحسد فيما كانت تمر بهما. حاولت أن تتذكر المرة الأخيرة التي أهداها فيها أحدهم باقة من الزهور. وباستثناء وردة واحدة أهداها إياها لويس في يوم العشاق بعد أن ظلا يتواعدان لمدة سنة كاملة، لم تتذكر مثالاً واحداً.

وبعد أن وضعت الزهرية في مكان بارز على طاولة مكتبها، عادت إلى الردهة، وتمكنت من سماع آخر حديث جيل مع كولين.

التفتت جيل وقالت" :لقد سمعتك أنك مصورة أفضل مما تحاولين أن تظهري نفسك .يقول كولين إنك التقطت صورة مميزة لبعض الدلافين."

فقالت ماريا" :هذا لطف بالغ منه .ولكن الحظ يحالفني بين الحين والآخر ليس إلا."

"ومع ذلك، ما زلت أود أن أراها."

فقالت ماريا" :سأرسلها لك ."ثم قالت لكولين" :هل أنت مستعد؟."

أومأ كولين برأسه بعد أن ودّع جيل ، وانطلقا معاً إلى موقف السيارات.

علّق كولين قائلاً" :إن صديقتك لطيفة."

فوافقته ماريا الرأي قائلة" :إنها رائعة .ولولا وجودها ، لتناولت غدائي في مكتب.ي وحدي طوال فترة عملي هنا."

قال كولين متبسماً" :حتى هذا اليوم .كيف تسير الأمور في العمل ؟."

فاعترفت قائلة" :إنني منهكة ، ولكن آمل أن تتباطأ سرعة الأمور الآن. فرئيسي سيخرج من المكتب عصر اليوم وغداً."

"إن كان ذلك هو الحال ، فإنني أقترح عليك أن تقيمي حفلة ضخمة ، وأن تتسبب.ي بالفوضى في أنحاء المكتب كافة أثناء غيابه .فقد عرفت أن هذا يثير غضب الناس."

فقالت فيما كان يفتح لها الباب" :سأتذكر هذا."

ركبت سيارة الكامارو .وحالما صعد كولين خلف المقود ، اقترب منها والمفتاح بيده وقال" :كنت أفكر في أنه بوسعنا الذهاب إلى أحد المطاعم في مركز المدينة ، ما رأيك؟ سنتمكن على الأرجح من الحصول على طاولة في الخارج والتمتع بالمنظر الجميل."

ففكرت في سرّها :آه ، هذا يذكرني .وراحت ماريا تعبث بحزام الأمان وهي تتساءل عن أفضل طريقة لتشرح بها موقفها.

ثم غامرت قائلة" :هذا يبدو رائعاً .وبطبيعة الحال ، كنت سأود الذهاب إلى مكان كهذا كثيراً .ولكن ما حدث هو أنني كنت في بيت والديّ في الليلة

الماضية عندما اتصلت بـي ، وصادف أنني ذكرت لهما أننا خارجان لتناول الغداء و "...وتنهدت ثم قالت محاولة أن تذكر الأمر ببساطة" :إنهما يتوقعان حضورنا لتناول الغداء في مطعمنا."

نقر كولين بالمفتاح على المقعد وقال" :هل تريدين مني أن أقابل والديك ؟."

ليس بالفعل ...ليس بعد على أية حال .ولكن ...جعّدت ماريا جبينها وهي لا تدري كيف سيكون رد فعله ، وتمنت ألا يغضب ، ثم قالت" :نوعاً ما."

فأدخل المفتاح في المشعل وقال" :حسناً."

"حقاً !ألا يزعجك ذلك ؟ رغم أننا لم نلتقِ إلا منذ مدة بسيطة ؟."!

"كلا."

"لا بد أنك تدرك أن هذا قد يزعج الكثير من الشبان."

"حسناً."

فقالت" :إذاً ، هذا جيد."

لم يقل شيئاً في الحال ، وأخيراً قال" :أنت تشعرين بالتوتر."

"إنهما لا يعرفانك بقدر ما أعرفك أنا ."وراحت تتنهد ببطء وهي تفكر في سرّها :والآن الجزء الصعب .ثم قالت" :عندما تلتقيهما ، يجب عليك أن تدرك أنهما تقليديان بعض الشيء .فوالدي لطالما أحب أن يبالغ في حمايتنا ، ووالدتي كثيرة القلق .وأخشى أنهما إن بدآ يطرحان عليك أسئلة"...

وعندما أمسكت عن الكلام ، أكمل كولين جملتها بالنيابة عنها.

فقال" :أنت قلقة مما قد أقوله لهما ، ومن ردة فعلهما."

ورغم أنها لم تجب ، إلا أنها ظنت أنه قرأ ما كانت تفكر فيه.

فقال لها" :لن أكذب عليهما."

قالت" :أعرف ذلك ."وتلك هي المشكلة .ثم تابعت" :لن أطلب منك أن تكذب ، ولا أريدك أن تكذب .ولكنّ هذا لا يزال يجعلني أصاب بالتوتر."

فقال" :بسبب ماضيّ."

"أتمنى لو لم يكن يتوجب عليّ أن أقول لك أي شيء .وأنا آسفة ، فالمنطق يقول إنني امرأة ناضجة ، وإنه ينبغي لي أن أكون قادرة على مواعدة الشخص الذي أريده من دون أن أهتم بأي اعتبارات أخرى .ولكنّ والدَيّ يهمّانني لأنّني ما زلت أريد استحسانهما .وصدّقني ، أعرف كم يبدو هذا مريعاً."

"لا يبدو مريعاً ، بل يبدو طبيعياً."

"أنتَ لست بحاجة إلى الحصول على استحسان أحد."

"على الأرجح ، قد يقول إيفان إنني لست طبيعياً."

وعلى الرغم من الجو المتوتّر ، ضحكت ثم استعادت هدوءها مجدداً وقالت" :هل أنت غاضب مني ؟."

فأجابها قائلاً" :كلا."

"ولكنك على الأرجح تشعر بالإهانة."

فكرّر قائلاً" :كلا."

"إذاً ، ما الذي تشعر به ؟."

لم يجبها على الفور ، ثم قال أخيراً" :أشعر ...بالإطراء."

فرمشت بعينيها مندهشة وقالت" :كيف يمكنك بحق الله أن تشعر بالإطراء ؟."!

"الأمر معقد."

"ولكنني أرغب في سماعه."

فهز كتفيه وقال" :لأنك بحت لي بمشاعرك رغم أنك ظننت أنها قد تجرح مشاعري ، وأخبرتني بالحقيقة .وقد فعلت كلا الأمرين من موقع ضعف وقلق ؛ لأنك أردت أن يُعجَب والداك بي لأنك تأبهين لأمري .وهذا يشعرني بالإطراء."

ابتسمت مندهشة وأدركت أنه محق ، ثم قالت" :أعتقد أنني سأتخلى عن محاولة توقّع أي شيء يصدر عنك مجدداً على الإطلاق."

فقال" :حسناً ."وأدار المفتاح ، فعاد المحرك إلى الحياة .وقبل أن يضغط على دواسة البنزين ، التفت إليها وسألها" :إذاً ، ما الذي تريدين فعله ؟."

"ما رأيك في الذهاب لتناول الغداء وتمنّي الأفضل ؟."

"تبدو لي خطة جيدة."

* * *

كان مطعم لا كوكينا دو لا فاميليا يقع على بعد بضعة شوارع من شارع

السوق ؛ في سوق تجارية قديمة ، ولكن مواقف السيارات أمام المطعم بدت ممتلئة بكاملها .وفيما كانا يقتربان من الباب الأمامي ، فاجأها كولين بهدوئه المعتاد ؛ وهذا ما جعل ماريا تتوتر أكثر من ذي قبل .غير أنه مدّ يده إلى يدها ، فأمسكت بها بإحكام وكأنها شخص يتشبث بحبل نجاة في سفينة غارقة.

"لقد نسيت أن أسألك إن كنت تحب الطعام المكسيكي ؟."

"أتذكر أنني كنت أحبه كثيراً."

"ولكنّك ما عدت تتناوله الآن ؛ لأنه ليس صحياً ، أليس كذلك ؟."

"أستطيع دائماً العثور على شيء مناسب لأطلبه."

فضغطت على يده ، وأعجبها الشعور الذي أحست به وقالت" :لقد قالت لي أمي إنها ستُعدّ لنا شيئاً مميزاً ، وهذا يعني أنه لن تسنح لك الفرصة للتهرب منه ؛ رغم أنني قلت لها إنك تحب الطعام الصحي."

فقال" :سيكون كل شيء على ما يرام."

"هل تقلق حيال أي شيء ؟."

"أحاول ألا أفعل."

"حسناً .عندما ننتهي ، أريد منك أن تبدأ بإعطائي بعض الدروس ، هل نحن متفقان ؟ ففي الآونة الأخيرة ، بدأت أشعر أن القلق هو الشيء الوحيد الذي أفعله في حياتي."

فتح الباب ، فقادته إلى الداخل .اقترب منهما عمها تيتو في الحال ، وبدا من الواضح عليه أنه مبتهج لرؤيتها ؛ إذ راح يثرثر باللغة الإسبانية .وبعد أن

حيّاها بقبلة ، صافح كولين ، ومدّ يده باللائحة قبل أن يرشدهما إلى طاولة في الزاوية .وكانت تلك هي الطاولة الوحيدة الشاغرة في المطعم ؛ ما يعني أن والديها قد قاما بحجزها لهما من دون شك.

وحالما جلسا في مكانيهما ، أحضرت لهما ابنة عمها آنا كأسين من الماء ، وسلة مليئة برقائق البطاطا المقلية والصلصة ، ووضعتها على الطاولة .فراحت ماريا تثرثر معها قليلاً ، وقدمت كولين مجدداً.

وعندما غادرت آنا ، اقتربت منه ماريا من فوق الطاولة وقالت" :إنني آسفة .فأنا لا آتي إلى هنا كثيراً كما ينبغي لي .وهم على الأرجح مبتهجون لرؤيتي ؛ تماماً كوالديّ."

"كم عدد أقاربك الذين يعملون هنا ؟."

"أتعني في الوقت الحاضر؟ ."وجالت على المكان بناظريها بسرعة ، فلاحظت وجود عم آخر عند المقصف ، وبضع عمات يقمن بخدمة الطاولات ، ثم قالت" :على الأرجح ، أظن أنهم ستة أشخاص أو نحو ذلك .ولكن ، يجب عليّ أن أسأل والدي لأكون متأكدة."

راح كولين يتفحص المطعم بنظره ثم قال" :إن المكان مزدحم هنا."

"لطالما كان كذلك .وعلى مدى السنوات ، توجّب علينا توسيع المطعم ثلاث مرات .ففي بداية الأمر ، لم يكن المطعم يحتوي على أكثر من ثماني طاولات ."وفيما كانت تردّ عليه ، شاهدت والديها يخرجان من المطبخ ، فجلست بشكل أكثر اعتدالاً ، وقالت" :حسناً ، إنهما قادمان ؛ أعني والديَّ."

وعندما وصل والداها إلى الطاولة ، قبّلت والدتها ثم والدها وهي تأمل في

سرها ألا يجعلوا من أنفسهم مشهداً للآخرين ، وقالت" :هذا صديقي كولين ، وهذان والداي ؛ فيلكس وكارمن."

قال فيلكس وكارمن بصوت واحد تقريباً" :مرحباً ."وكلاهما ينظران إليه بشكل خاطف.

فقال" :يسرّني أن ألتقيكما."

عندها ، قال فيلكس بادئاً بالمحادثة مباشرة" :لقد قالت ماريا إنك طالب ، وإنك تعمل نادلاً في مطعم."

فأجاب كولين" :نعم ، إن سيرينا زميلتي في بعض الصفوف .وأنا أعمل في مطعم كراب.ي بيتس بجانب الشاطئ ."وبعد ذلك ، خطرت بباله مخاوف ماريا. ونظراً إلى عدم رغبته في الاسترسال معهما في محادثة مطولة حول ماضيه ، أشار إلى أرجاء المطعم وقال" :هذا المشروع الذي بنيتماه مدهش .كم مضى على وجودكما هنا ؟."

فأجاب فيلكس بنبرة فخر بدت واضحة في صوته" :مضت إحدى وثلاثون سنة."

"قالت لي ماريا إنكما توسعتهما على مدى السنوات ، وهذا مثير للإعجاب."

فوافقه فيلكس الرأي قائلاً" :نحن محظوظان .هل تناولت الطعام هنا من قبل ؟."

فاعترف كولين قائلاً" :كلا .ولكنّ ماريا تقول إن زوجتك طاهية مدهشة."

عندها ، عدّل فيلكس من وقفته بعض الشيء وقال" :بل هي الفضلى ."ثم ألقى نظرة خاطفة نحو كارمن وقال" :وبسبب ذلك ، إنها تعتقد في بعض الأحيان أنها المديرة."

فقالت كارمن بلغة إنكليزية ركيكة بعض الشيء" :أنا المديرة بالتأكيد."

وابتسم كولين .وبعد تجاذب أطراف الحديث لبعض الوقت ، نظرت ماريا إلى والدها وهو يمد يده إلى ذراع أمها ، ثم قال" :دعينا نذهب .يجب أن نتركهما بمفردهما."

بعد أن ودّعتهما ، شاهدت ماريا والديها وهما يشقان طريقهما عائدين إلى المطبخ.

"لا بد أنهما الآن يتحدثان عنك في الوقت الحاضر مع تيتو وآنا والباقين جميعاً .فباستثناء لويس ، أنت الشاب الوحيد الذي أحضرته إلى هنا على الإطلاق."

فقال" :هذا شرف لي ."وانتابها شعور بأنه يعني ما قاله فعلاً.

أضافت قائلة" :لم يكن الأمر بالسوء الذي توقّعته."

"إنهما شخصان لطيفان."

"نعم ، ولكنني ما زلت ابنتهما .ولم يطرحا أسئلة صعبة."

"ربما لن يفعلا."

"آه ، سيفعلان في نهاية المطاف .بالطبع ما لم نكفّ عن مقابلة بعضنا بشكل نهائي."

"أهذا ما تريدينه ؟."

فأطرقت ماريا برأسها للحظة ثم قالت" :كلا .إنني مسرورة لأننا هنا ، وسعيدة لأننا سنقضي بعض الوقت معاً في العطلة الأسبوعية."

"وهذا يعني ؟."

"أنني في المرة التالية التي سنكون فيها معاً -على افتراض أن هناك مرة تالية -سأكون أكثر توتراً."

* * *

بعد دقائق ، حضرت كارمن برفقة اثنتين من بنات عم ماريا لتنقلا أصناف الطعام الكثيرة والمتنوعة إلى الطاولة .وبينما بدأت أمها تضع الأطباق على الطاولة ، راحت ماريا تلوّح بيديها.

واعترضت قائلة" :أمي ، إن هذا كثير جداً ."وحتى كولين بدا متفاجئاً من عدد الأطباق.

فأجابت كارمن باللغة الإسبانية" :كُلا ما تريدانه ، وسنعيد الباقي إلى المطبخ ونرتبه مجدداً ، وسيقضي عليه الناس."

"ولكن"...

ألقت كارمن نظرة خاطفة نحو كولين ثم نحو ماريا وقالت" :لقد كانت أختك محقة ، فهو وسيم للغاية."

"أمي."!

"ماذا؟ إنه لا يفهم ما أقوله."

"ليس هذا بيت القصيد."!

"يسرني وحسب أن أراك سعيدة .فقد كنت ووالدك قلقين .فكل ما تفعلينه في حياتك هو الانهماك في العمل ."وابتسمت قبل أن تنظر إلى كولين مجدداً وتقول" :كولين ، هل هو اسم إيرلندي؟."

"ليست لدي فكرة."

"هل هو كاثوليكي؟."

"لم أسأله."

"إذاً ، ما الذي تتحدثان عنه؟."

ففكرت ماريا في سرها :ليست لديك أية فكرة .ولا تريدين أن تعرفي. وأجابت" :ليس من الأدب التحدث أمامه هكذا كما تعرفين."

فقالت أمها وهي تحشر آخر طبق بين كأسَي الماء" :بالطبع ، أنت محقة تماماً ."وعاودت التحدث بالإنكليزية وهي تبتسم لكولين قائلة" :من فضلكما... استمتعا."

"شكراً لك ، بكل تأكيد."

وبعد لحظات ، أصبحا وحدهما وهناك جبال من الطعام بينهما.

قال كولين" :الرائحة شهية."

"هل تمزح؟ هذا سخيف !من يستطيع أن يأكل كل هذا الطعام بحق

الله ؟."

"تبدين مستاءة."

"بالطبع أنا مستاءة .كان ينبغي لنا أن نطلب لائحة الطعام لنختار ما نريده ، ولكن بدلاً من ذلك تحبّ أمي أن تفعل ما يحلو لها."

"ما هو الذي يحلو لها ؟."

"ما زلت أحاول اكتشافه .أن تثير إعجابك ربما؟ أن تحرص على أنك تشعر بالترحاب ؟."

"إذاً ، هذا جيّد."

"أعرف ذلك ، ولكنها تبالغ."

شاهدت كولين وهو ينقل بصره من طبق إلى آخر .وأشارت إلى أحد الأطباق قائلة" :أظن أن أمي قد أعدت هذا خصيصاً من أجلك ؛ سمك مشوي مع الطماطم والزيتون .تفضل وتناوله."

وضع بعض قطع السمك المشوي في طبقه وأضاف بعض السلطة. ووضعت هي مثله أيضاً ، وأضافت إلى طبقها بعض الصلصة .وبقي الباقي من دون أن يمسه أحد .وعندما تذوّق كولين السمك ، نقر بشوكته على الطبق وقال" :هذا مدهش !لا عجب في أنها المديرة."

"إنها بارعة."

"هل تجيدين الطهي مثلها ؟."

هزت رأسها نافية وقالت" :أتمنى ذلك ، ولكنني لست بارعة بنصف براعة أمي .غير أنني بدأت عملي في المطبخ ، وتعلمت الأساسيات حيال فعل كل شيء ، وكنت أستمتع بذلك أيضاً .ولكن بعد فترة ، فكّر والداي في أنه من الأفضل أن أتعلم خدمة الطاولات ؛ فقد فكرا في أن إجباري على التحدث إلى الغرباء سيساعدني في التغلب على مشكلة خجلي."

"الخجل مجدداً."!

"كما ترى ، من الواضح أن أسلوبهما قد نجح .وإن كنت تشعر بالفضول ، فأنا نادلة ممتازة."

ضحك كولين .وطوال الساعة التالية ، راحا يتنقلان من موضوع إلى آخر ؛ مثل فيلمهما المفضل ، والأماكن التي يريدان أن يزوراها .أخبرها القليل عن عائلته ، وفعلت هي الشيء نفسه .وكلما تحدثت ، أصغى إليها بتركيز وهدوء ونظره لا يفارق عينيها .وهكذا ، مضت المحادثة بينهما بسلاسة وتلقائية .ولكن ، خلال ذلك كله لم يسعها إلا أن تشعر بأنه يكترث حيال كل شيء تقوله .وعلى الرغم من وجود أفراد عائلتها والمحادثات التي تصل إليهما من الطاولات الأخرى ، شعرا أن وجبة غدائهما حميمة بشكل غريب .وبحلول الوقت الذي مرّ به والداها بجانب طاولتهما مجدداً ، وعلى الرغم من خيبة أمل أمها من القدر القليل من الطعام الذي تناولاه كلاهما ، فقد تملكت ماريا حالة غريبة من الهدوء والرضى.

وبعد سلسلة من تحيات الوداع الدافئة ، انطلقا في السيارة عائدين إلى المكتب ، وسيارة الكامارو القديمة تتقدم إلى الأمام بشكل مثالي .ومن هناك ،

أوصلها كولين إلى المدخل حيث ودعها للمرة الثانية ، وكل ما كان بوسعها التفكير فيه حينها هو أنها شعرت بأنّ ذلك أمر طبيعي .وعند المدخل ، شعرت به يشدها من يدها ليحثّها على التوقف.

سألته وهي تلتفت إليه" :متى موعدنا يوم السبت ؟."

"لديّ جلسة تمرين تبدأ عند الرابعة وتنتهي عند السادسة .لذا ، ما رأيك بأن آتي لأقلك من بيتك حوالي الساعة السابعة والنصف؟ أولاً، سنتناول العشاء معاً ، ثم سنخرج."

فقالت" :هذا رائع !أي نوع من جلسات التمارين ؟."

قال" :رياضة قتالية."

"هل يستطيع أي كان المشاهدة ؟."

فقال" :أظن ذلك .فأنا واثق من أن مالك الصالة الرياضية لن يمانع ، ولكن يجب عليّ أن أسأله أولاً."

"هل ستفعل ؟."

"لماذا ؟ هل تريدين أن تأتي ؟."

"بما أننا سنخرج للرقص ، فأنا أيضاً أرغب في أن أشاهدك وأنت تفعل شيئاً تحبه."

لم يخفِ شعوره بالدهشة ، وقال" :حسناً .ولكن ، سيتوجب عليّ أن أعود إلى البيت لأستحم قبل أن نخرج .إذاً ، هل توافقين على أن نلتقي في الصالة الرياضية ؟ ."وعندما أومأت برأسها ، أعطاها اسم الصالة ، فدونته بسرعة خلف

بطاقة عملها.

دسّت البطاقة في جيبها .وفجأة ، لم يعد يهمّها ما قد يقوله أي شخص. ففي تلك اللحظة ، شعرت بأن كولين هو الوحيد الذي يهمّها في هذا العالم. ووجدت نفسها تتمنى لو أنه يبقى معها لوقت أطول .ومع ذلك ، في تلك اللحظة ، شاهدت حركة بطرف عينها .وعندما ركّزت عليها ، ميّزت كين وهو ينعطف حول الزاوية بعد أن ركن سيارته في الجانب الآخر من المبنى ، ولاحظت أنه يقف بلا حراك ليراقبهما من بعيد .عندها ، شعرت بنفسها مسمرة في مكانها.

تتبّع كولين نظرة عينيها ، وسألها بصوت منخفض" :أذلك هو؟ أذلك كين ؟."

فقالت" :نعم ."وفجأة ، شاهدت ملامحه تكتسب تعبيراً قاسياً .لم يفترق عنها ، ولكن انتباهه تركز على كين .ورغم أنه لم يضغط على يدها ، إلا أنها استطاعت أن تشعر بالتوتر فيها ، وأن فيها عنفاً مكبوتاً يتحكم به بخيط رفيع. لم تكن خائفة ، ولكن تولّد لديها تأكيد مفاجئ من ذلك القرب بأن كين سيكون كذلك بكل تأكيد.

ظل كين يراقبهما ، وساد بينهم موقف فاتر للحظات .ومع ذلك ، ظل كولين يحدق إليه ، ولم يستدر ليلتفت إليها إلا بعد أن التفت كين .فاقترب منها مجدداً ، وهذه المرة بأسلوب يدل على التملك ، قبل أن يبتعد عنها أخيراً.

قالت ماريا" :لا تدعه يزعجك ، فهو لا يستحق ذلك."

"إنه يزعجك أنت."

"سأكون على ما يرام."

"ما زلت لا أستلطفه."

"ألهذا السبب غازلتني ؟."

"كلا."

"إذاً ، لماذا فعلت ذلك ؟."

فأجاب قائلاً" :لأنني معجب بك."

جعلها تعليقه المباشر الذي بدا صادقاً بشكل واضح تشعر بالرفرفة السخيفة نفسها في قلبها مرة أخرى .وكل ما بات بوسعها فعله هو أن تبتسم ابتسامة عريضة كالبلهاء.

"ما الذي تنوي فعله الليلة ويوم الجمعة ؟."

"لديّ خطط مع إيفان وليلي."

"هل أنت مشغول معهما في كلتا الليلتين ؟."

"نعم."

"ماذا ستفعلون ؟."

"لا أريد أن أخبرك."

"لماذا ؟."

"لا أريد أن أخبرك أيضاً."

فضغطت على يده قبل أن تتركها وتقول" :أعرف أنك تخبرني الحقيقة ، ولكنك لا تقول لي بالفعل أي شيء .هل ينبغي لي أن أشعر بالقلق ؟ هل ستخرج مع فتاة أخرى ؟."

فقال وهو يهز رأسه" :كلا ، ليس هناك ما يثير القلق .فقد أمضيت وقتاً رائعاً على الغداء اليوم ، واستمتعت بمقابلة والديك."

حدقت إليه وقالت" :يسرني ذلك."

فابتسم لها قبل أن يتراجع خطوة إلى الوراء أخيراً ويقول" :لقد حان الوقت على الأرجح لتعودي إلى عملك."

"أعرف ذلك."

"ألا يزال يراقبنا ؟."

ألقت نظرة خاطفة من فوق كتفه ، ثم هزت رأسها وقالت" :أظن أنه عاد إلى المدخل الخلفي."

"هل سيصاب بالانزعاج مما شاهده ؟."

فكرت في الأمر قليلاً ثم قالت" :على الأرجح .ولكنه الآن يعرف أنك موجود على أرض الواقع ، وهذا شيء جيد .وإن أزعجني مجدداً ، فسألمّح له أنك رجل غيور."

فقال" :ولكنني لست كذلك ."وبدت عيناه الزرقاوان المائلتان إلى الرمادي حادّتَي النظرات ولطيفتين في آن معاً ، ثم قال" :ولكنني ما زلت لا أستلطفه."

الفصل الحادي عشر

كولين

في صباح يوم السبت ، استيقظ كولين في وقت مبكر ، وخرج لركوب الدراجة أثناء شروق الشمس .وكانت دراجة صدئة اشتراها من متجر يبيع الخردوات مقابل سعر زهيد للغاية ، ويبلغ عمرها عشر سنوات ، ولكنها لا تزال تفي بالغرض .تمكّن من بذل مجهود جيد حتى قبل أن يصل إلى الصالة الرياضية .وهناك ، أمضى ساعة في التمرن على مختلف أنواع التمارين الرياضية التي تساعد على بناء العضلات .وبعد ذلك ، مشى مترنّحاً إلى دراجته ليجتاز المسافة إلى البيت .وهناك ، عمل على جز العشب وتشذيب الشجيرات وهو يفكّر متأملاً في أنه رغم انشغال فكره في ماريا منذ أن التقيا للمرة الأولى ، إلا أن تلك الأفكار لا تقارن بالطريقة المهووسة التي بات يفكر فيها الآن .حتى إن إيفان لاحظ ذلك .ففي وقت مبكر من ذلك اليوم ، خرج إيفان إلى الشرفة وعلى وجهه ابتسامة ساخرة جعلت كولين يدرك مدى التأثير الذي أحدثته ماريا فيه .وكان إيفان نفسه قد أبدى حماسة كبيرة في كل من ليلتَي الخميس والجمعة .فشك كولين في أن تكون لذلك علاقة بموضوع السالسا والرقصة المثيرة .ولكن ، لم يكن من حقه أن يطرح عليه ذلك السؤال.

ولاحظت ليلي أيضاً أن كولين بدأت تتولد لديه مشاعر تجاه ماريا ، ولكنها استمرت بالتركيز على تدريبه على رقصة السالسا .ومع ذلك ، اقترحت عليه مطعماً في وسط البلدة ، وذكّرته بأن يحجز طاولة فيه .علّمته المزيد عن الرقص ، ولكنه مع ذلك لم يصبح واثقاً من قدراته بشكل كلي ، ولم يرغب في أن يفكر

كم كان سيبدو غير مستعد لولا أنها تدخلت لمساعدته.

بعد أن أنهى أعماله المنزلية ، ارتشف كولين شراب البروتين الثاني لذلك اليوم وهو يرتب شقته ، ثم بدأ يعمل على بحث خاص بجامعته لمادة تنظيم الصف المدرسي .ورغم أن البحث كان عبارة عن خمس صفحات فقط ، إلا أنه شعر أنه مشتت الذهن ، حيث لا يمكنه حتى أن يضع مخططاً للبحث ، وأخيراً استسلم.

عاود تغيير ملابسه ، وارتدى مجدداً ملابس التمرين ، وأخذ حقيبته الرياضية وتوجه نحو الباب .ورغم أن محرك السيارة كان يعمل بجد مؤخراً ، إلا أنه راح اليوم يصدر ضجة وحشرجة إلى أن عاد إلى الحياة أخيراً رغماً عنه ؛ وهذا يعني أن المشكلة ليست في الإشعال ولا في المبدل .توجّب عليه أن يشغل نفسه بالعثور على حل للمشكلة ، ولكنه بدلاً من ذلك وجد نفسه يتخيل صورة ماريا ، وتملّكه القلق بشكل غريب من ألا يسير موعدهما بشكل سلس .وكان قد اتصل بها بعد العمل يومَي الخميس والجمعة ، وتحدثا لمدة ساعة كاملة كل ليلة .وكانت تلك تجربة جديدة بالنسبة إليه .فهو لا يتذكر أنه تحدث إلى أحد عبر الهاتف لتلك المدة الطويلة قط .إذ لم يكن يتخيل كيف يستطيع أحد أن يصمد في محادثة طويلة كتلك إلى أن تعرف على ماريا ، ولكنها جعلت الأمر سهلاً. وأكثر من مرة ، وجد نفسه يبتسم لأي شيء تقوله .فقد ذكرت له أنها لاحظت أن كين ينأى بنفسه عنها .وعندما حدّثته عن الموعد المدبر الذي وقعت في فخه في الليلة التي غيّر لها فيها إطار السيارة ، راح يضحك بصوت مرتفع .وبعد أن أغلق الهاتف ، وجد صعوبة في الاستغراق في النوم ؛ رغم أنه في الأحوال العادية كان ينهار على السرير في آخر اليوم وهو غير قادر حتى على إبقاء عينيه مفتوحتين.

للمرة الأولى منذ وقت طويل ، فكّر في الاتصال بوالديه .لم يكن واثقاً من أين أتاه ذلك الحافز ، ولكنه ظن أن لذلك علاقة بالطريقة التي تحدثت بها ماريا عن والديها ، وعن مدى اتفاقها معهما .وتساءل إن كانت حياته ستسير بشكل مختلف لو كان قد نشأ في عائلة كعائلتها .ربما لم تكن ستختلف على أية حال ، فقد كان طفلاً تصعب السيطرة عليه حتى قبل أن يتعلم الكلام .ولكن ، إن كان أسلوب التربية الذي تتبعه العائلة يلعب أي دور -مهما كان صغيراً -فلا بد أن حياته كانت ستتخذ مساراً ليس من صنعه .ورغم أنه شعر بأنه مسرور بمساره الحالي ، إلا أن الطريق حتى هذه اللحظة كان مليئاً بالحفر والصخور .وفكّر في أن ماريا إن استطاعت غض الطرف عن تلك الأشياء -رغم ماضيها المحترم الخاص -فهذا أمر يبعث على التفاجؤ ، ولكنها مفاجأة سارة ، ومن أجمل المفاجآت.

عندما وصل إلى الصالة الرياضية ، لمح ماريا واقفة هناك وهي ترتدي بنطالاً قصيراً وكنزة قطنية .ففكر مجدداً في أنها من بين أجمل النساء اللواتي قابلهن في حياته.

قالت له وهو يقترب منها" :مرحباً ، هل أنت مستعد لضرب بعض الناس ؟."

"إنه مجرد تمرين."

"هل أنت واثق من أنه يسمح لي بالدخول والمشاهدة ؟."

فمدّ يده إلى الباب وهو يومئ برأسه وقال" :لقد تحدثت إلى صاحب الصالة صباح اليوم ، وقال إنه لا يمانع بذلك .وما لم تقرري أن تدخلي الحلبة ،

فقد وعد بأنه لن يدعك حتى توقعين وثيقة تنازل."

"أنت مفاوض جيد."

فأجابها" :إنني أبذل قصارى جهدي ."وأمسك لها الباب لتدخل ، ثم تأملها وهي تتفحص المكان المحيط بها .وعلى عكس الكثير من الصالات الرياضية التجارية ، بدا هذا المكان موحياً بجو المستودعات .سارا في الصالة مروراً بتشكيلة من المعدات الرياضية متّجهين إلى غرفة التدريب في آخر المبنى ، وعبرا من باب آخر ، ثم قادها إلى مكان ذي جدران مبطنة وسجادات كبيرة ومعدات رياضية مكومة في كل زاوية .كانت الحلبة تقع إلى اليسار ، وكان عدد من زملاء كولين في التدريب يمارسون بعض تمارين التمدد والإحماء ، فأومأ برأسه لهم وهو يضع حقيبته .جعّدت ماريا أنفها وقالت" :إن المكان هنا رائحته كريهة."

فوعدها قائلاً" :سيزداد الأمر سوءاً."

"أين ينبغي أن أجلس ؟."

فأشار كولين إلى الزاوية ؛ حيث توجد كومة من المعدات ، وصناديق مليئة بقفازات الملاكمة وحبال القفز وغيرها من المعدات.

وقال" :يمكنك أن تجلسي هناك على الصناديق إن شئت .فنحن عادة لا نستخدم ذلك الجزء من الغرفة."

"وأين ستكون أنت ؟."

فقال" :في أنحاء المكان كافة على الأرجح."

"كم عدد الشبان الذين سيأتون إلى هنا اليوم ؟."

"ثمانية أو تسعة ربما .أيام السبت يكون العدد قليلاً ، أما خلال الأسبوع فيأتي خمسة عشر أو ستة عشر شخصاً."

"بتعبير آخر ، لا يأتي إلا شديدو الحرص ، أليس كذلك ؟."

"أو بالأحرى ، المهووسون بالتمرين أو الشبان المبتدئون الذين يحاولون أن يحضروا كل تمرين يستطيعون حضوره .أما في أيام السبت ، فالكثير من الشبان الجادين يكونون خارج البلدة لحضور مناسبات معينة."

"هذا جيد بما أننا سنخرج معاً ، فأنا أكره أن ينتهي بك المطاف وأنت مليء بالجروح والكدمات كالليلة التي التقيتك فيها لأول مرة."

"هل ستتخلين عن تلك الذكرى يوماً ؟."

فقالت" :لا أظن أنني أستطيع ذلك .فالصورة ستظل عالقة في ذهني إلى الأبد."

قام كولين بتمرين إحماء سريع .وبحلول ذلك الوقت ، حضر تود دالي ؛ المدرب الرئيس والمقاتل في بطولات المصارعة المتقاعد ، وجاريد مور الذي كان يقاتل بشكل احترافي ولكنه لم يصل إلى ذلك المستوى .وقاد دالي المجموعة برمتها خلال بعض تمارين الإحماء.

وفيما هو ينتظر دوره في الحلبة ، راح كولين يعمل على تقوية بعض مهاراته الرياضية التي لدى معظمها جذور في الفنون القتالية العسكرية والمصارعة بسرعة ؛ نظراً لأهميتها في القوة الوحشية .وكما جرت العادة في

دروس يوم السبت ، راح دالي ينفّذ الحركات أولاً مستعيناً بكولين كشريك له بين الحين والآخر ، قبل أن تنقسم المجموعة إلى ثنائيات .وقد أعطيت كل مجموعة الفرصة للتدرب على الحركة وتكرارها عشر مرات أو اثنتي عشرة مرة قبل تغيير الشركاء .وبعد ذلك ، انتقلوا إلى مجموعة أخرى من المهارات .وفي غضون عشر دقائق ، بات كولين يتنفس بمشقة .وبعد نصف ساعة ، باتت كنزته القطنية مبللة بالعرق .وخلال الجلسة كلها ، ظل دالي ينتقدهم ويخبرهم أين يجب عليهم أن يضعون أقدامهم طلباً للقوة الإضافية ، أو كيف يلتفون باستعمال الساقين بشكل أكثر فعالية ، فضلاً عن مهارات أخرى لا حصر لها.

وهكذا ، واحداً تلو الآخر ، راح المتمرّنون يدورون في الحلبة .وبعد ساعة ، حان دور كولين .فوضع خوذة على رأسه ، ولبس قفازين سميكين ، وعمل مع شريك له بينما كان مور -وهو بطل سابق حاصل على القفازين الذهبيين من أورلاندو -يصيح مكرراً نصائح المدرب .قطع كولين سبعة أشواط -كل منها لمدة دقيقتين -وهو يقفز ويدور ويستغل نقاط الضعف ، ويضرب أو يركل ؛ فيما يحاول ألا يترك أي مجال لخصمه .وهكذا ، سيطر على الوضع ، ولكن ليس بفضل مهارته بقدر قلة مهارة خصمه .إذ بدا الشاب قليل اللياقة وجديداً نسبياً ؛ لأنه لم يخض من قبل إلا مباراة واحدة خسر فيها.

ومن هناك ، عادوا إلى الحصائر مجدداً ، حيث نفّذوا تشكيلة من التمارين .وبحلول نهاية الدرس ، شاهدت ماريا عضلات كولين تنتفض من فرط الإجهاد.

خلال فترة العصر كلها ، وجد كولين نفسه ينظر إلى ماريا بين الحين والآخر .فقد توقع منها أن تشعر بالملل ، ولكنّ نظرة عينيها ظلت تلاحقه طوال

الوقت ، ما جعل الجلسة تصبح أكثر صعوبة من المعتاد .ففي الأحوال العادية ، كان التركيز على خصمه بشكل حصري أمراً سهلاً ، ولكنّ وجودها جعله يشعر بالخجل بطريقة لم يسبق له أن شعر بها من قبل .ولو كان يخوض مباراة ما ، فإن قلة تركيزه كانت ستوقعه في ورطة كبيرة .وبحلول نهاية الجلسة ، شعر أنه تراجع ذهنياً خطوتين إلى الوراء ، وأدرك أن عليه أن يعمل بجد ليستعيد موقعه. فعلى أية حال ، هذه الرياضة تتطلب مهارة ذهنية وجسدية بشكل مماثل ؛ حتى لو لم يدرك الناس ذلك.

بعد ذلك ، توجّه مباشرة إلى حقيبته ، ورمى عدته فيها قبل أن يلقيها على كتفه .وبحلول ذلك الوقت ، توجّهت ماريا نحوه.

سألها وهو يعدّل حزامه" :ما رأيك ؟."

"يبدو الأمر صعباً ومتعباً ومسبباً للتعرق."

"هذا هو شكل هذه الرياضة عندما تخوضين فيها."

"كيف تظن أنت أن الأمر قد سار ؟."

فقال" :لا بأس به .ولكن ، لقد تشتت انتباهي."

"أبسببي ؟."

"نعم."

"أنا آسفة."

"لا تعتذري ."وابتسم قبل أن يشد قميصه ويقول" :هلاّ تمنحينني بضع دقائق لأغتسل وأغير ملابسي .إذ يجب عليّ أن أغير ملابسي وإلا فسيصبح مقعد

السيارة مبللاً بحلول الوقت الذي أصل فيه إلى البيت."

عندها ، جعّدت ماريا أنفها وقالت" :هذا شيء ...مقزز عندما أفكر فيه."

"هل جوابك نعم أم لا؟."

فقالت" :بكل تأكيد .سأنتظرك."

عندما خرج كولين أخيراً من حجرة تغيير الملابس ، لمح ماريا تقف خارج الباب تماماً وهي تتحدث عبر الهاتف .وبدت وهي تضع نظارة الشمس كنجمة سينمائية رائعة من نجوم حقبة الخمسينيات.

أنهت المكالمة عندما اقترب منها ، وقالت" :تلك كانت سيرينا."

"هل هي على ما يرام؟."

"ستتناول العشاء في البيت الليلة مع مدير مؤسسة ما لها علاقة بالمنح الدراسية ، لذا فهي متوترة بعض الشيء .ولكن خلافاً لذلك ، إنها على ما يرام." ثم هزت كتفيها وقالت" :هل تشعر بالتحسن؟."

"أشعر أنني أكثر صفاء ، ولكن بشكل مؤقت على أية حال .فما زلت أتعرق."

فلمست ذراعه وقالت" :يسرني أنني أتيت .فقد كان أمراً مثيراً للاهتمام أكثر مما ظننت."

"أما زال موعدنا عند الساعة السابعة والنصف؟."

فقالت" :آمل ذلك .ولكنني سأحذرك منذ الآن بأننا عندما نذهب للرقص

ستجدني قليلة الممارسة بعض الشيء."

"لن أقلق من هذا ؛ فهذه ستكون المرة الأولى التي أرقص فيها .ماريا ؟."

"ماذا ؟."

"شكراً لقدومك إلى هنا اليوم .إن هذا يعني لي الكثير."

* * *

حالما ترجل كولين من سيارته ، خرج إيفان إلى الشرفة حاملاً كيس تسوق.

وقال وهو يقدم له الكيس" :تفضّل ، هذا لك .وأنت مدين لي ببعض المال."

فتوقف كولين أمام الشرفة وقال" :من أجل ماذا ؟."

"لقد فكرت ليلي في أنك قد تحتاج إلى شيء لترتديه مساء اليوم."

"لدي ملابس."

"لا تلمني .فقد قلت لها الكلام نفسه بالحرف الواحد ، ولكنها ليلي .وقد أجبرتني على التجول معها في المتاجر رغم اعتراضي .وكما قلت لك ، إنك مدين لي بمبلغ من المال .إن الفاتورة موجودة في الكيس."

"ما الذي اشترته ؟."

"ما اشترته ليس بالسوء الذي كان من الممكن أن يكون عليه .فقد انتابتني مخاوف بأنها قد تختار أشياء عليها شرابات وأجراس أو ما شابه ذلك.

ولكنها لم تفعل ، بل اشترت لك بنطالاً قماشياً أسود اللون ، وقميصاً أحمر ذا أزرار ، وحذاء أسود."

"وكيف عرفت قياسي ؟."

"لأنها هي التي اشترت لك ملابسك في الكريسمس الماضي."

"وهل تذكرت ذلك ؟."

"إنها ليلي ؛ وهي تتذكر أشياء من ذلك القبيل .هلا تأخذ الكيس مني من فضلك ، فقد تعبت ذراعي."

عندها ، مد كولين يده ليأخذه وقال" :ما الذي سيحدث إن لم أرتدِ هذه الملابس ؟."

"في البداية ، سيظل من واجبك أن تدفع لي ثمنها .ثانياً ، ستجرح شعورها ؛ وهو آخر شيء ينبغي لك فعله بعد كل دروس الرقص التي قدمتها لك. وبالطبع ، سيتوجب عليك أن تشرح لليلي سبب عدم رغبتك في ارتدائها."

"وكيف ستعرف إن كنت قد ارتديتها أم لا ؟."

"لأنها هنا .وهي تصر على أن تمر علينا قبل أن تخرج ، لأنها تريد أن تتحدث إليك."

عندها ، بدا كولين تائهاً ، ولم يقل شيئاً.

"ارتدِ هذه الملابس اللعينة وحسب .هل اتفقنا ؟."

وعندما لم يجب كولين وراح ينظر إلى إيفان بعينين نصف مغمضتين ،

غمزه إيفان وقال" :ما زلت مديناً لي."

* * *

وقف كولين أمام مرآة الحمام معترفاً بأن الوضع كان من الممكن أن يكون أسوأ بكثير .فقد كان القميص خمرياً أكثر من كونه أحمر .ورغم أنه فكر في أنه ليس شيئاً قد يختاره لنفسه ، إلا أنه لم يكن سيئاً ؛ ولا سيما عندما رفع كمّيه .أما البنطال الأسود ، فكان قد قرر سابقاً أن يختار سرواله من بين بعض السراويل التي بقيت لديه من أيام مغازلته .ووجد أن الحذاء شديد الشبه بالحذاء الذي يملكه ، وإنما من دون الأماكن البالية فيه .وهذا يعني أنه كان بحاجة إلى زوج جديد من الأحذية في كل الأحوال .أما كيفية معرفة ليلي ذلك ، فهذا ما تخطى حدود إدراكه ، ولكنه منذ وقت طويل تخلى عن الشعور بالدهشة حيال أي شيء تفعله.

وبينما هو في المطبخ ، حرّر شيكاً لإيفان وأخذ مفاتيحه ، ثم أطفأ المصابيح وهو في طريقه إلى باب الشقة .دار حول المنزل ، وصعد الدرج ، ولاحظ أن الباب موارب .وحين فتحه ، شاهد ليلي وإيفان في المطبخ وكل منهما يحمل كأسه بيده .وضعت ليلي كأسها على المنضدة ما إن رأته وابتسمت.

وأعلنت وهي تقترب منه" :حسناً ، ألست وسيماً؟ ."ثم تقدّمت منه أكثر لتحييه قائلة" :إن اللون يبدو مثالياً بالنسبة إليك .وأنا واثقة من أن ماريا ستجدك شديد الجاذبية."

فقال كولين" :شكراً لك."

"هذا من دواعي سروري .وآمل أن تتذكر كل شيء تدربنا عليه .أظن أنك

تدربت على الخطوات اليوم ، أليس كذلك ؟."

"ليس اليوم."

"إذاً ، ما الذي فعلته!؟."

"ذهبت إلى الصالة الرياضية."

فقالت من دون أن تخفي خيبة أملها" :بالطبع فعلت ذلك .يجب عليك أن تتعلم كيف ترتب أولوياتك .ولا أستطيع ببساطة أن أسمح لك بالمغادرة ما لم أتأكد من أنك لا تزال تتذكر كل شيء يجب عليك معرفته."

"إنني واثق من أنني سأكون بخير .ويفترض ب.ي أن أذهب لاصطحابها في غضون بضع دقائق."

فقالت" :إذاً ، سيتوجب علينا أن نسرع .إيفان ، هلا تشغل لنا الموسيقى من فضلك."

فقال وهو يمسك بهاتفه المحمول" :بكل تأكيد ."ثم نقر بضعة أزرار وهو يمشي نحوهما قائلاً" :يصادف أن لدي أغنية هنا."

من الواضح أن ليلي قد خططت لهذا من قبل بالطبع .وقد مدّت يدها إلى يد كولين قائلة" :اعمل على قيادتي خلال كل الخطوات ، بأقصى سرعة."

فنفّذ كولين ما قالته له قبل أن ينفصل عن ليلي أخيراً ويقول" :هل هذا جيد بما يكفي ؟."

عندها ، غمزته ليلي وقالت" :لا بد أنك ستبهرها ؛ بالضبط كما فعلت بالزهور."

سأل إيفان قائلاً" :هل تعرف ما الذي سيبهرها أيضاً؟ ."وعندما التفت كولين إليه ، أدرك أن أفكار إيفان قد اتخذت منحى جاداً ، وتابع إيفان قائلاً: "أولاً ، أن يقلع محرك سيارتك .ثانياً ، ألا ينتهي بك المطاف رهن الاعتقال."

* * *

لم يكد كولين يدقّ على باب ماريا حتى فتحت له في الحال .ومرّت بضع لحظات لم يسعه خلالها فعل شيء سوى التحديق إليها بدهشة .إذ كانت ترتدي كنزة رائعة تبرز جمالها ، وتنورة قصيرة تصل إلى منتصف فخذيها ، بينما جعلها الحذاء ذو الكعب العالي الذي تنتعله تبدو طويلة بقدر طوله تقريباً .وبعد أحمر الشفاه والمسكارا اللذين وضعتهما على وجهها ، بدت مختلفة تماماً عن المظهر المهني الذي بدت فيه حين خرجا معاً لتناول الغداء قبل بضعة أيام فقط .حتى إنها لم تكن تشبه الفتاة المسمرّة من الشمس التي ذهبت معه لركوب لوح التزلج .وفيما هو واقف هناك أمامها ، لم يكن واثقاً أي نسخة منها يفضّل ؛ رغم أن هذه النسخة بدت مذهلة للغاية ، وهذا ما اعترف به لنفسه.

قالت" :لقد وصلتَ في الوقت المحدد .إنني في غاية التأثر."

فهمس لها قائلاً" :تبدين جميلة جداً ."وفيما هو قريب منها ، شمّ رائحة عطرها التي كانت كرائحة الزهور .مثالية!

قالت له" :شكراً لك .يعجبني قميصك."

"إنه جديد."

"حقاً !هل ابتعته من أجل الليلة ؟."

"يمكنك قول ذلك."

فقالت" :أشعر بالتميّز ، وينبغي لي القول إنك أنيق للغاية."

فاعترف قائلاً" :أحياناً .هل أنت جاهزة للذهاب ؟."

"دعني أحضر حقيبتي فقط وسأكون مستعدة .إلى أين سنذهب ؟."

"إلى مطعم بايلوت هاوس."

"رائع !يعجبني ذلك المكان ؛ فالطعام فيه مدهش."

"هذا ما سمعته .فقد نصحتني به ليلي."

"إذاً ، من الواضح أنها ذات ذوق رفيع."

لم يكن المطعم بعيداً ، ولكن كولين قاد السيارة ببطء والنوافذ مفتوحة ، واستمتع كلاهما بالنجوم المتألقة في السماء التي انتشرت على مدّ النظر ، وبنسمات الهواء المنعشة التي محت آثار الحرارة المتبقية من النهار.

قرب النهر ، غادر كولين شارع ماركت ووصل في نهاية المطاف إلى موقف السيارات الخاص بالمطعم .وعلى الفور ، ترجّل من السيارة ومشى إلى باب سيارة الراكب ليفتحه لماريا ، ثم مد يده ليساعدها على النزول ويوصلها إلى المدخل. وحالما وصلا إلى الداخل ، فوجئ عندما لاحظ أن المكان أقل رسمية مما توقع. إذ كان المكان نظيفاً وغير مبهرج ، ويحتوي على طاولات بيضاء ، ويتمتع بإطلالة خلابة تساوي ملايين الدولارات .كان المطعم مزدحماً ؛ فقد احتشد الناس حول المقصف بانتظار شغور الطاولات في الداخل والخارج .وبعد أن تفقّد كولين الحجز مع المضيفة ، تبعها وماريا إلى طاولة في الزاوية ذات إطلالة

على نهر كيب فير تحبس الأنفاس .وكان ضوء القمر ينعكس على سطح مائه الذي راح يتحرك ببطء مُشكلاً وعاء سائلاً من الضوء بين ضفتين سوداوين كالفحم .وبينما كانت ماريا تحدق إلى الماء ، راح كولين يتأمل جانب وجهها الجميل ، ويشاهد شعرها الذي يتطاير مع النسيم .كيف أصبحت تعني له الكثير بهذه السرعة ؟!

وكما لو أنها قرأت أفكاره ، نظرت إلى عينيه وابتسمت له قليلاً ، قبل أن تمد يديها عبر الطاولة .فأمسك يديها بين يديه متعجّباً من نعومتهما ودفئهما.

سألته قائلة" :إنها ليلة رائعة ، ألا تظن ذلك ؟."

فأجاب قائلاً" :رائعة ."ولكنه أدرك أنه يقصدها هي .وفيما هو جالس مقابلها ، تولّد لديه شعور بأنه يعيش حياة مثالية لشخص آخر ؛ شخص يستحقها أكثر منه .وبحلول نهاية العشاء ، وبعد أن مُسِحت كل الصحون وأُفرِغت كأسا الشراب وباتت الشموع ترتعش وتكاد تنطفئ ، اتضح له أنه أمضى حياته برمتها وهو يبحث عن ماريا ، وأن الحظ لم يحالفه إلا مؤخراً فقط ؛ عندما عثر عليها.

الفصل الثاني عشر

ماريا

كان المستودع يقع في حي مهدّم في أطراف البلدة .وكان التلميح الوحيد الذي يوحي بأنه يخدم غرضاً آخر مختلفاً عن المستودعات المهجورة الأخرى القريبة منه هو عشرات السيارات المركونة بشكل خطر على الجانب الآخر من المبنى ، بعيداً عن الطريق الرئيس.

ولم يبدُ أن حالته السيئة تهم أحداً .فبالإضافة إلى الحشد المتواجد في الداخل ، كان هناك صفّ طويل من الناس الذين لا يزالون ينتظرون دورهم للدخول ، ومعظمهم تقريباً من الرجال .وكان الكثيرون منهم يجرّون معهم برادات صغيرة مليئة بالشراب بلا شك ، وبعضهم يرتشفون الشراب من كؤوس بلاستيكية أو يقتربون ببطء من المدخل والموسيقى التي تصدح في الداخل. وما لم تكن الفتيات على موعد مع الشبان ، ما كان يتوجب عليهن الانتظار في الصف .وهكذا ، راحت ماريا تراقب الجموع بينما أخذت مجموعة تلو أخرى تشق طريقها بمرح نحو الباب .وقد ارتدت جميع الفتيات كنزات ضيقة وتنانير قصيرة ، وانتعلن أحذية ذات كعوب عالية ؛ متجاهلات المحيط المليء بالقمامة والتصفير والمعاكسات.

وقف كولين إلى جانبها باسترخاء وتصرف بكل هدوء .وعندما وصلا إلى الباب ، قابلهما رجل ضخم الجثة يضع نظارة شمسية ويجمع تعرفة الدخول .راح الحارس يتفحص كولين من أعلى رأسه إلى أخمص قدميه وهو بلا شك يحاول أن يقرر ما إذا كان متقيّداً بالقوانين ، ثم فعل الشيء نفسه بالنسبة إلى ماريا قبل

أن يأخذ النقود التي قدّمها له كولين كارهاً ويومئ برأسه باتجاه الباب.

في الداخل، صادفتهما جمهرة كبيرة من الأجساد المتمايلة على أنغام الموسيقى الصادحة .وكان المكان يضج بحيوية وطاقة بالكاد يمكن احتواؤهما. ولم يكن يبدو على أحد أنه يأبه بالأرضية الإسمنتية الملطخة بالزيت، أو بالديكور البسيط، أو بالإضاءة السيئة .فالشبان كانوا محتشدين حول برادات المشروبات وهم يشربون ويصيحون ليستطيع الآخرون سماعهم، كما كانوا يحاولون لفت انتباه أي فتاة يصادف أنها تمر بهم .وكما هو الحال في معظم النوادي الليلية، كان عدد الرجال يفوق عدد النساء، وبدا معظمهم في العقد الثاني والثالث من أعمارهم .وقدرت ماريا أن الغالبية العظمى منهم من العمال الذين يسعون وراء ليلة سبت مليئة بالمرح .وكان هناك كما علقت سيرينا من قبل عدد من الشبان الذين يبدون مخيفين أيضاً؛ بأجسادهم المليئة بالوشوم، ورؤوسهم التي يضعون عليها عصبات تمثل عصابات متعددة، ويرتدون بناطيل واسعة يمكنها بسهولة أن تخفي سلاحاً تحتها .بطبيعة الحال، كان من الممكن أن يصيبها ذلك بالتوتر، ولكنّ الجو العام أوحى لها بأن معظم الناس يركزون ببساطة على قضاء وقت ممتع .وفي الوقت نفسه، وجدت نفسها تتفحص المكان بحثاً عن مخارج الطوارئ المحتملة في حال وقوع متاعب.

وجدت كولين بجانبها يتفحص المكان بدوره، ثم اقترب من أذنها وقال: "هل تودين أن تقترب.ي من الموسيقى أكثر؟."

فأومأت برأسها .وعلى الفور، بدأ كولين يقودها متّجهاً إلى داخل المستودع .حشرا نفسيهما، وهما حريصان على ألا يرتطما بأحد، وشقّا طريقهما نحو منطقة الرقص في الجانب البعيد من المبنى؛ حيث تصدح الموسيقى هناك

بصوت أعلى .وعلى طول الطريق ، حاول بعض الشبان أن يستحوذوا على انتباه ماريا ، وطلبوا منها أن تعطيهم اسمها ، أو علقوا على جمالها ، أو حاولوا لمسها. ولكنها خوفاً من أن تعطي كولين أي سبب يجعله يشعر بعدم الراحة ، قامت بمجرد العبوس في وجوههم بصمت.

كانت حلبة الرقص منفصلة عن بقية المستودع بحاجز مؤقت مصنوع من الألواح الخشبية المثبتة مع بعضها بعضاً بالمسامير فوق براميل معدنية. ومباشرة في الجهة المقابلة لها ، وقف مشغل الأغاني ومعداته كلها مرتبة حوله على طاولة يمكن طيها .وقد أحاط به من الجانبين مُكبّرا صوت حجم الواحد منهما بحجم الثلاجة .وكانت الموسيقى صاخبة جداً ؛ لدرجة أنها جعلت ماريا تشعر بصدرها يرتجف .وعلى الأرض ، شاهدت الشبان والفتيات يتحركون متمايلين ؛ ما حرّك لديها دفقاً من الذكريات ، من الوقت الذي كانت فيه حياتها تبدو أكثر حرية وخلواً من القلق.

وعندما اقتربت من كولين ، استطاعت أن تشم رائحة العطر الذي وضعه في وقت سابق.

"هل أنت مستعد لهذا ؟."

فقال وهو يتحرك نحو السياج" :نعم."

وقبل أن تدرك ذلك ، وجدا نفسيهما محاطين بالراقصين .وفيما هي على وشك أن تخبر كولين بما يجب عليه فعله ، أمسك فجأة يدها اليمنى بيده اليسرى ، ووضع يده اليمنى على كتفها اليسرى .ومن هناك ، بدأ يقودها وخطواته تتحرك مع خطواتها بانسجام ، بينما الموسيقى تصدح قربهما .عندها ،

فتحت عينيها على وسعهما مندهشة .وعندما قادها في استدارة نفّذها بشكل مثالي ، تبعتها استدارة أخرى مباشرة ، شعرت أنها مصدومة للغاية ؛ حيث عجزت عن قول أي شيء على الإطلاق .عندها ، رفع كولين حاجبيه استمتاعاً ، وجعلها تضحك بصوت مرتفع .وشيئاً فشيئاً ، وبينما توالت الأغنيات ، بدأت تنسى نفسها وتتوه مع الموسيقى ومعه هو.

* * *

كانت الساعة تتجاوز منتصف الليل عندما غادرا المستودع المزدحم أخيراً وانطلقا بالسيارة عائدين إلى شقتها .لم يقل أي منهما الكثير ، وشعرا بالدفء وبالاحمرار وهما يعبران الشوارع الهادئة .وكما فعل طوال الساعات القليلة الماضية ، أمسك كولين يدها بلطف .وفيما هما يقتربان من شقتها ، تخيلت ما يمكن أن يحدث إن دعت كولين إلى الصعود .وكانا كلاهما يشعران بالخوف والبهجة في آن معاً من هذه الفكرة .فهما لم يعرفا بعضهما منذ وقت طويل ، ولم تكن واثقة مما إذا كانت قد أصبحت مستعدة للتعمق في علاقتها معه أكثر من ذلك أم لا .ومع ذلك ، توجّب عليها أن تعترف بأنها أرادت لهذه العلاقة أن تتعمق ، وأرادت لأمسيتهما هذه ألا تنتهي أبداً .وعلى الرغم من مشاعرها المتناقضة ، قادته إلى موقف السيارات خلف شقتها.

وبعد أن أقفل الباب ، صعدا الدرج معاً وكل منهما ملتزم الصمت .وعندما وصلا إلى الباب ، راحت تبحث عن مفاتيحها ويداها ترتعشان قليلاً ، ثم فتحت الباب .مرّت عبر غرفة الجلوس ، وأنارت المصباح قرب الأريكة .ولكنها عندما التفتت إلى الوراء ، وجدت أن كولين قد توقّف عند عتبة الباب .لا بد أنه شعر بارتباكها وأراد أن يعطيها الفرصة لكي تنهي هذه الليلة .ولكنّ شيئاً ما سيطر

عليها ، فابتسمت وهي تدس خصلة من خصلات شعرها خلف أذنها.

وقالت بصوت يبدو خشناً وغريباً على مسمعيها" :هيا ، تفضل ."فأغلق الباب خلفه بهدوء ، وراح يتأمل غرفة الجلوس بأرضيتها الداكنة المصنوعة من خشب الصنوبر ، والحلي المعمارية التي تشبه التيجان ، والأبواب الفرنسية التي تطل على الشرفة الصغيرة .ورغم أنها شكّت في أنه على الأرجح لا يأبه لكلا الأمرين ، إلا أنها شعرت فجأة بأنها مسرورة لأنها أمضت فترة الصباح كلها وهي ترتب الشقة ؛ لدرجة أنها نفضت الحشيات التي تزين الأريكة.

"شقتك جميلة."

"شكراً لك."

فاقترب قليلاً ، وراح يتفحص الصور المحاطة بأطر فوق الأريكة ، ثم سألها" :هل التقطت هذه الصور بنفسك ؟."

فأومأت برأسها وقالت" :في وقت مبكر من هذا الصيف."

راح يتفحصها بصمت ، ولا سيما اللقطة القريبة لأحد طيور العقاب وهو يصطاد سمكة بمخالبه ، فيما قطرات الماء تحيط به .وقال وهو يبدو متأثراً بشكل واضح" :إنك بارعة جداً."

"ليست لديك أية فكرة عن عدد اللقطات الفاشلة التي تطلبها الأمر حتى أصل إلى هذه اللقطات .ولكن ، شكراً لك ."وعندما وقفت قربه ، استطاعت أن تشعر بالحماسة التي تشع من جسده ، وقالت" :هل تود أن تشرب شيئاً ما ؟ لدي زجاجة شراب في الثلاجة."

"سآخذ نصف كأس فقط ؛ فأنا لست ممن يحبون تناول الشراب كثيراً. وإن كان لديك بعض الماء ، فذلك سيكون رائعاً أيضاً."

تركته وذهبت إلى المطبخ ، وأخرجت كأسين فارغتين من الخزانة .وفي الثلاجة ، عثرت على الزجاجة التي كانت قد فتحتها في الليلة السابقة .فصبت كأسين من الشراب ، وأخذت رشفة من كأسها قبل أن تُخرج كأساً أخرى لتصب له الماء.

"هل ترغب في أن أضيف بعض الثلج ؟."

"بالطبع ، إن لم يكن هذا مزعجاً لك."

"أظن أنني أستطيع أن أتدبر لك بعض الثلج."

أعطته كأس الماء أولاً ، وشاهدته وهو يشرب الماء حتى آخر قطرة ، ثم أخذت الكأس الفارغة منه ووضعتها على الطاولة قبل أن تشير إلى باب الشرفة قائلة:

"هل تمانع أن نخرج إلى الشرفة؟ فأنا أود أن أستنشق بعض الهواء المنعش."

فوافقها الرأي وهو يمد يده نحو كأس الشراب قائلاً" :هذا يبدو جيداً ."ثم فتح الباب ، وخرجا معاً إلى الشرفة .شعرت بالهواء المنعش بارداً على بشرتها ، بينما الضباب يبدأ بالتشكل في الجو .وكانت حركة السير خفيفة والأرصفة تبدو فارغة .فيما أضواء الشارع تلقي بضوء أصفر عليهما .ومن أحد المقاصف في الزاوية ، استطاعت ماريا أن تسمع صوتاً خافتاً لموسيقى البوب التي ترجع إلى أيام الثمانينيات.

أشار إلى الكرسيين الهزازين الموضوعين في الخارج وسألها" :هل تجلسين هنا على الإطلاق ؟."

"ليس بما فيه الكفاية .وهذا أمر محزن نوعاً ما ؛ لأن وجود الشرفة كان من بين الأسباب التي جعلتني أشتري الشقة في المقام الأول .أظن أن الفكرة التي خطرت ببالي حينها هي أنني سأخرج إلى هنا بعد العمل .ولكن عادة لا ينتهي الأمر بهذه الطريقة .ففي معظم الليالي ، أتناول عشاء سريعاً إلى طاولة الطعام أو على المكتب في غرفة النوم الإضافية وأنا أحمل جهاز الكمبيوتر ."ثم هزت كتفيها وتابعت" :إنه الدافع الذي يتعلق بمحاولة التصدر مرة أخرى .ولكن سبق لي أن أخبرتك عن هذا الأمر ، أليس كذلك ؟."

"لقد تحدّثنا عن الكثير من الأمور."

"هل يعني هذا أنك بدأت تسأم مني ؟."

فالتفت نحوها وعيناه تعكسان ضوء المساء وقال" :كلا."

"أتدرك ما الشيء المثير للاهتمام الذي أراه فيك ؟ ."فالتزم كولين الصمت من دون أن يقول شيئاً ، وبعد لحظات استطردت قائلة" :أنك لا تشعر بالحاجة إلى تفسير المنطق الذي تجيب به عن الأسئلة .فأنت تصل إلى هدفك مباشرة ، والشيء الوحيد الذي تتوسع في شرحه هو ما أطلب منك شرحه .إنك رجل قليل الكلام."

"حسناً."

فمازحته قائلة" :هذا هو بالضبط ما أعنيه .ولكن لا بأس ، فأنت تثير فضولي .لماذا لا تحبّ أن تستفيض في الإجابة ما لم يُطلب منك ذلك بشكل

محدد ؟."

"لأن هذا أكثر سهولة ويستغرق وقتاً أقل."

"ألا تظن أن إشراكك الآخرين في عملية تفكيرك يساعدهم على فهمك بشكل أفضل ؟."

"هذا إن افترضنا أنهم يريدون أن يفهموني بشكل أفضل .فلو أرادوا ذلك فعلاً ، فسيطلبون مني أن أشرح .وعندئذ ، سأفعل ذلك."

"وماذا إن لم يطلبوا ذلك ؟."

"إذاً ، هم على الأرجح لا يأبهون لمنطقي في المقام الأول ، بل يريدون وحسب أن يعرفوا الجواب .فعلى سبيل المثال ، إن سألتُ شخصاً ما :كم الساعة الآن ؟ فأنا لا أريد منه أن يسرد لي تاريخ صناعة الساعات ، ولا أكترث لمعرفة من أعطاه ساعة يده ، أو ثمنها الباهظ ، أو ما إذا كانت هدية بمناسبة الكريسمس ، بل أريد أن أعرف الوقت ليس إلا."

"إنني لا أتحدث بهذه الطريقة ، بل أتحدث عن محاولة معرفة شخص ما ؛ أي تجاذب أطراف الحديث."

"وهذا ما أعنيه أنا .ولكن ، ليس الجميع بحاجة -أو حتى يريدون -إلى معرفة سبب شعورك بالطريقة التي تشعرين بها حيال شيء ما .فبعض الأشياء من الأفضل أن تبقى طي الكتمان."

"أرجو المعذرة ، ألست أنت الذي سردت لي قصة حياتك بالكامل في الليلة الأولى التي التقينا فيها على الشاطئ ؟."

"أنت طرحت الأسئلة وأنا أجبت عنها."

"وهل تظن أن هذا ينجح ؟."

"إنه ناجح بالنسبة إليّ ، وليست لدينا مشكلة في الكلام."

"ولكنّ سبب هذا هو أنني أطرح الكثير من الأسئلة."

"نعم."

"حسناً ، إنه شيء جيد أفعله وإلا فسينتهي بنا المطاف كأحد أولئك الأزواج المسنين الذين أراهم في المقاهي ، والذين بالكاد يتفوهون بكلمة واحدة لبعضهم بعضاً أثناء تناول الفطور .وبالطبع ، هذا على الأرجح مناسب من وجهة نظرك .إذ يمكنني أن أتخيلك بكل سهولة وأنت تمضي يومك كله من دون أن تقول أي شيء لأي كان."

"أحياناً يحصل ذلك."

"وهذا غير طبيعي."

"حسناً."

أخذت رشفة من شرابها ولوّحت له بيدها وقالت" :المزيد من التفاصيل من فضلك."!

"إنني لا أعرف بالفعل ما تعنينه بكلمة طبيعي .وأظن أن كل شخص لديه تعريفه الخاص لهذه الكلمة .وعادة ، يتم تحديدها من خلال الثقافة والعائلة والأصدقاء والشخصية والخبرة والأحداث وآلاف الأشياء الأخرى .فما هو طبيعي بالنسبة إلى شخص ما ليس طبيعياً بالنسبة إلى شخص آخر .فبالنسبة إلى بعض

الناس مثلاً، القفز من الطائرات أمر يدل على الجنون المحض .أما بالنسبة إلى الآخرين ، فالحياة لا تستحق أن يعيشوها من دون ذلك."

عندها ، أومأت برأسها مذعنة للفكرة .ومع ذلك...

"لا بأس .من دون أن أطرح عليك أي سؤال ، أريد منك أن تخبرني عن كيفية شعورك بالفعل حيال شيء ما ؛ شيء غير متوقع وخارج عن سياق الموضوع بالكامل ، شيء لا أتوقع منك أن تقوله .وبعد ذلك ، توسع به من دون أن تجعلني أطرح عليك أي سؤال."

"لماذا ؟."

فقالت وهي تنكزه بيدها" :جارِني فحسب ؛ من أجل المرح فقط."

راح يدير كأس الشراب بين أصابعه قبل أن يرفع نظره إلى عينيها ويقول: "إنك فتاة مدهشة .فأنت ذكية وجميلة ، وينبغي أن يكون من السهل بالنسبة إليك أن تقابلي شخصاً آخر ليس له ماضٍ كماضيّ ، ولم يرتكب الأخطاء نفسها التي اقترفتها أنا .في الحقيقة ، كل ما يجرى يجعلني أتعجب مما أفعله هنا ، أو من سبب دعوتك لي لدخول بيتك .فأنا أكاد أفكر في أن كل شيء حيالك خيالي ، ولا يمكنه أن يكون حقيقياً ، وأنه سينهار فوق رأسي في لحظة واحدة. ولكن ، حتى لو حصل ذلك ، فلن يغير هذا من حقيقة أنك أضفت شيئاً مهماً إلى حياتي ؛ شيئاً لم أدرك حتى من قبل أنها تفتقر إليه ."وصمت كولين قليلاً. وعندما تحدث مجدداً ، تابع بصوت أكثر هدوءاً" :لقد بدأت تعنين لي أكثر مما أظن أنك تدركين .فقبل أن أقابلك ، كنت أحظى بإيفان وليلي ، وكنت أظن أن هذا كافٍ .ولكنه ليس كذلك ، ليس بعد الآن ، وليس بعد العطلة الأسبوعية

الماضية .فتواجدي معك يجعلني أشعر بأنني هش من جديد ، وأنا لم أشعر بأنني هش منذ أن كنت طفلاً .لا يسعني القول إن هذا يعجبني دائماً ، ولكن البديل سيكون أسوأ ؛ لأنه يعني ألا أراك مرة أخرى."

أدركت ماريا أنها كانت تحبس أنفاسها طوال الوقت .وعندما أنهى كلامه ، شعرت بالدوار قليلاً بعد أن صدمها رده ، وحاولت أن تبقي نفسها ثابتة.

ومن ناحية أخرى ، ظلّ كولين ينضح بالثقة بالنفس .وكان ذلك أكثر من أي شيء آخر هو ما جعلها تستعيد توازنها.

وأخيراً ، اعترفت قائلة" :لست واثقة مما يجب عليّ قوله."

"لا يجب عليك أن تقولي أي شيء .فأنا لم أقل لك ذلك لأنني أردت منك رداً ، بل قلته لأنني رغبت في ذلك."

لفّت كلتا يديها حول كأسها وسألته بخجل" :هل تسمح لي بأن أطرح عليك سؤالاً؟ عن شيء آخر؟."

"بالطبع."

"لماذا تصرفت وكأنك لا تعرف أي شيء عن رقصة السالسا؟."

"عندما تحدثنا حول الأمر لم أكن أعرف شيئاً عنها .ولكنّ ليلي أمضت الأسبوع برمته وهي تعطيني دروساً .وهذا هو ما فعلته ليلتَي الخميس والجمعة."

"أتعلمت الرقص من أجلي؟."

"نعم."

أشاحت بوجهها بعيداً، وأخذت رشفة من شرابها محاولة أن تخفي دهشتها، ثم قالت" :شكراً لك .وأظن أنه ينبغي لي أن أشكر ليلي أيضاً."

فابتسم ابتسامة سريعة وقال" :هل تمانعين إن أعدت ملء كأس الماء؟ فأنا ما زلت أشعر بالعطش قليلاً."

"بالطبع لا."

تنحّى كولين جانباً، وراحت ماريا تهز رأسها متسائلة عن الوقت الذي سيتوقّف فيه كولين عن إثارة دهشتها، أو إن كان هذا سيحدث يوماً.

لم يتحدث معها لويس بالطريقة التي تحدث بها كولين قط .وفيما هي متكئة على السياج، فوجئت وهي تفكر في أنه من الصعب عليها أن تتذكر ما أعجبها فيه فعلاً .فمن الخارج، كان يبدو جذاباً وذكياً، ولكنّ شخصيته اتسمت بالغرور والغطرسة .وقد اعتادت في أغلب الأحيان على التماس الأعذار لتصرفاته معها .وإن سألها أحد عن مشاعرها، كان رد فعلها يأتي دفاعياً .وعندما فكّرت في الماضي الآن، أدركت أنها كانت تسعى بشكل يائس للحصول على رضاه .ولم يشعر هو بذلك وحسب، بل لطالما استغل ذلك لصالحه؛ فلم تكن علاقتهما سليمة .هذا ما أدركته الآن .وعندما حاولت أن تتخيله وهو يتصرف ككولين؛ مثل الاتصال بها وتقديم الزهور وتعلم الرقص، لم تستطع ذلك .رغم كل شيء، لقد أحبت لويس بحرارة ما زال بوسعها أن تشعر بها في بعض الأحيان.

في وقت مبكر من الأمسية، وبينما كانت ترقص مع كولين، وجدت نفسها تفكر في أن الليلة لا يمكنها أن تصبح أفضل من ذلك .أما الآن، وفي لحظة واحدة، باتت الليلة أفضل بكثير .ففيما هي تصغي إليه وهو يعبّر عن

مشاعره بدون خوف أو ندم ، شعرت بأنها عاجزة عن الكلام ، وتساءلت عمّا إذا كانت قادرة على القيام بالمثل .على الأرجح كلا .ولكن مجدداً ، كولين ليس مثل معظم الناس .فقد كان يقبل نفسه بكل أخطائه وعيوبه ، ويسامح نفسه على الأخطاء التي ارتكبها في حياته .والأهم من ذلك ، بدا عليه أنه يعيش اللحظة الراهنة في حياته ؛ من دون أي اعتبار للماضي أو للمستقبل.

وكان الاكتشاف الأكبر بالنسبة إليها هو مدى العمق الذي استطاع به كولين التعبير عن مشاعره ؛ ربما حتى أكثر عمقاً مما فعلت هي .وفيما هي تنظر إليه وهو يجلس مقابلها إلى مائدة العشاء ، أو وهو يرقص على حلبة الرقص ، أو حين كانت تسمع كلماته منذ قليل ، أدركت أنه إن لم يقع في حبها بعد فقد أوشك على ذلك .ومثلها تماماً ، بدا راغباً في أن يستسلم للقدر المحتوم ؛ وهي فكرة جعلت يديها ترتعشان .وبينما كان كولين يخطو خلفها خارجاً إلى الشرفة ، أخذت نفساً عميقاً وهي تستمتع بموجة الحنين التي غمرتها حياله .اتكأ على السياج بجانبها ، وراحت أنفاسهما تصعد وتهبط بشكل متناغم وثابت .أخذت رشفة أخرى من شرابها ، فسرى الدفء عبر حلقها ومعدتها وأطرافها.

راحت تتفحص وجهه من الجانب ، وفكرت مجدداً في الطريقة التي يغلّف بها الهدوء الخارجي مشاعره المضطربة في داخله .شعرت بعضلات بطنها تنقبض ، وانحنى فمها على شكل ابتسامة ناعمة.

"هل كنت تعني ما قلته لي قبل قليل ؟."

لم يجب عليها في الحال .وبدلاً من ذلك ، أخفض رأسه ، ثم انحنى ليواجهها.

"لقد عنيت كل كلمة قلتها."

نظرت إليه ، ووجدت تعبير وجهه مفعماً بالأمل ، فشعرت بأنها تسلّمه مشاعرها بالكامل .مدت يدها إليه ، وارتعشت وهي تستمتع بشعورها لوجودها قربه.

* * *

بعد لحظات على استيقاظها في الصباح ، شعرت ماريا بالوهج الخافت لأشعة شمس الخريف المبكرة ، وعادت إليها ذكريات الليلة الماضية بسرعة. وحين نظرت إلى جانبها ، وجدت كولين مستلقياً على جنبه وهو يبدو صاحياً ويقظاً تماماً.

همس قائلاً لها" :صباح الخير."

فقالت" :صباح الخير .منذ متى وأنت مستيقظ ؟."

"منذ ساعة تقريباً."

"لماذا لم تعاود النوم ؟."

"لم أشعر بأنني متعب .وبالإضافة إلى ذلك ، كنت أستمتع نوعاً ما بالنظر إليك."

"إن هذا ينطوي على شيء من غرابة الأطوار ، أليس كذلك ؟."

"حسناً."

فابتسمت وقالت" :حسناً ، بما أنك كنت تراقبني ، آمل أنني لم أفعل أي

شيء مثير للإحراج ، ولم أصدر أي أصوات غريبة."

"لم تفعلي أي شيء ، بل كنت مستلقية في مكانك وأنت تبدين خارقة الجمال."

"إن شعري مشعث ، ويجب عليّ أن أنظف أسناني."

"الآن !حالاً؟."!

"لماذا؟ ما الذي يخطر ببالك؟."

فابتسم لها ابتسامة ناعمة ، ولم تعد هناك حاجة إلى المزيد من الكلمات.

* * *

وفي وقت لاحق ، استحم كل منهما وارتدى ملابسه .جفّفت ماريا شعرها ، ووضعت القليل من مستحضرات التجميل ، بينما اتكأ كولين على طاولة الحمام بجانبها وهو يحتضن فنجاناً من القهوة بين يديه.

سألها" :هل أنت ذاهبة إلى مكان ما؟."

"سأذهب لتناول فطور متأخر مع والديّ."

"يبدو هذا جيداً .ومع ذلك ، سيتوجب عليّ أولاً أن أغيّر ملابسي .متى الموعد؟."

"عند الساعة الحادية عشرة."

"أعتقد أننا لن نذهب معاً."

"على الأرجح ، هذه ليست فكرة جيدة .إذ سيكون من الصعب بالنسبة

إليّ أن أهيئهما لزيارتك ؛ لأنهما في هذا الوقت سيطرحان الكثير من الأسئلة."

"حسناً."

وضعت ماريا الماسكرا في مكانها على الطاولة ، ثم أمسكت بيده وقالت: "هل يزعجك ذلك ؟ أو يخيفك مثلاً ؟."

"كلا."

فاعترفت قائلة" :حسناً ، من المؤكد أنه يخيفني ."وعدّلت زينتها ثم قالت: "في حقيقة الأمر ، إن الأمر برمته مخيف للغاية."

أخذ كولين رشفة من القهوة وقال" :ماذا ستخبرينهما عني ؟."

"آمل أن أضطر إلى إخبارهما أقل قدر ممكن ؛ فأي تفصيل أتفوه به قد يؤدي إلى طرحهما المزيد من الأسئلة التي سيتوجب عليك أنت بعد ذلك أن تجيب عنها وليس أنا."

"وما الذي تأملينه بالنسبة إلى اليوم ؟."

"بالنسبة إلى أمي ، أن يمضي اليوم من دون دموع .وبالنسبة إلى أبي ، ألا يطلب منك مغادرة البيت."

"هذا ليس سقفاً عالياً جداً لطموحك."

فقالت" :ثق بي .إنه أعلى مما تظن."

الفصل الثالث عشر

كولين

أوقف كولين السيارة أمام بيت والدَي ماريا بالضبط قبل الساعة الحادية عشرة .ولم تكن لديه أية فكرة عن كيفية سير المحادثة بين ماريا ووالديها .وفيما هو يترجل من السيارة ، فكّر في أنه لا حاجة إلى التخمينات ؛ لأنه سيكتشف ذلك بنفسه عما قريب.

لو أن ليلي كانت موجودة لسألها عما ينبغي له أن يأخذه معه لحضور فطور عائلي ، ولكنها كانت قد خرجت مع إيفان إلى دار العبادة عندما وصل إلى البيت .وفي نهاية المطاف ، ما كان ذلك على الأرجح ليقدم له أي نفع على أية حال .فوالدا ماريا كغيرهما من الناس لديهما آراؤهما الخاصة .ولم تكن مجرد هدية مكونة من سلة من الكعك لتغير من حقيقة الأمر في شيء.

ومع ذلك ، فيما كان يدخل من الباب ، تمنّى أن تكون ماريا محقة .ففي وقت مبكر ، حين كان في طريقه إلى البيت ، راح يفكر بها فعلياً بلا توقف ؛ سلسلة من الصور ، الواحدة تلو الأخرى ، وكل واحدة ساحرة أكثر من التي سبقتها .كانت هذه هي التجربة الأولى بالنسبة إليه ؛ الأولى من نوعها .أخذ نفساً عميقاً وهو يذكِّر نفسه بأنه على الرغم من أنه لن يخجل من أية أسئلة قد تُطرح عليه ، فمن الممكن أن تأتي أجوبته في إطار مختلف تماماً ، ومع ذلك تبقى صادقة.

دقّ على الباب ، فانفتح على الفور تقريباً وظهرت سيرينا .لاحظ مرة أخرى

شدة التشابه بينها وبين شقيقتها الكبرى ؛ رغم أنها بدت أكثر توتراً من المعتاد ، وهذا ما وجد أنه إشارة غير مبشرة بالخير.

قالت" :أهلاً بك يا كولين ."وتنحت جانباً لتسمح له بالدخول ، ثم قالت: "لقد رأيتك وأنت تقترب من البيت .تفضل بالدخول."

"شكراً لك .كيف مضى عشاؤك في الليلة الماضية ؟."

فأجابت" :رائع .ولكن ، ينبغي لي أن أكون من يطرح عليك هذا السؤال."

"لقد قضينا وقتاً ممتعاً."

فغمزته سيرينا وقالت" :أنا واثقة من ذلك .إن ماريا في المطبخ مع أمي." وأغلقت الباب خلفه ثم قالت" :إنني مندهشة لأنك تمكنت من إقناعها بالذهاب للرقص."

"لماذا ؟."

فأجابت قائلة" :إن لم تكن تعرف بعد ، فأنا أعتقد أنه يجب عليك أن تقضي المزيد من الوقت معها .ولكنني سأعطيك تلميحاً صغيراً :لو كنت مكانك فلن أسهب في شرح تفاصيل ما جرى في الليلة الماضية ؛ ولا سيما أي شيء ربما حدث بعد الرقص .فالجو هنا متوتر أصلاً ، ولديّ حدس ينبئني بأن والدَيّ يظنان أنك إرهابي."

"حسناً."

راحت تثرثر قائلة" :ربما كنت أبالغ في كلامي ، ولكن من يدري فعلاً ؟ !لم أصل إلى هنا إلى أن أنهى الثلاثة حديثهم .وبالكاد رد والدي التحية علي .وكل ما

أعرفه بالفعل هو أن والدي لم يبتسم ، وأن والدتي ظلت ترسم رمز النصارى الديني على صدرها على الرغم من أن العشاء ليلة البارحة مع المدير مضى على خير ما يرام ...وهذا لا يعني أن تحدّياتي الصغيرة مهمة في الوقت الحاضر .على أية حال ، قررت أنه من الأفضل أن أكتفي بانتظارك في غرفة المعيشة."

بحلول ذلك الوقت ، كانا قد وصلا إلى المطبخ ، فشاهدا ماريا تقف خلف مقلاة يغلي فيها الزيت ، بينما كانت أمها تخرج صينية صغيرة من الفرن. وفاحت في الجو رائحة اللحم والقرفة.

نادت سيرينا قائلة" :لقد وصل كولين."

التفتت ماريا نحوه ، فلاحظ أنها ترتدي مئزراً فوق ملابسها ، وقالت بشيء من الضيق" :أهلاً كولين .لا بد أنك تتذكر أمي ، أليس كذلك ؟."

عندها ، رسمت كارمن ابتسامة مزيفة على وجهها .ورغم أن كولين ربما تخيل ذلك ، إلا أنها بدت له أكثر شحوباً مما كانت عليه قبل يومين ، فقال: "صباح الخير سيدة سانشيز ."فقد فكّر في أن التوجّه إليها بشيء من الرسمية يشكل على الأرجح مناورة بارعة.

فأومأت برأسها وهي تبدو قلقة بشكل واضح وقالت" :صباح الخير ."ثم عاودت الالتفات إلى الصينية ووضعتها على رف حديدي.

فاقتربت منه سيرينا وقالت" :لقد قررت أمي أن تعد فطوراً أمريكياً خصيصاً من أجلك :لحم وبيض وخبز فرنسي محمص ومعجنات .وهذا بالطبع قبل أن تخبرها ماريا عنك."

أخذت ماريا بضع قطع من اللحم من المقلاة ووضعتها على طبق مغطى

بمنديل على جانب الموقد .وقالت" :سيرينا ، هل يمكنك أن تحلّي محلي للحظات ؟."

فقالت سيرينا ببهجة" :يسرني ذلك ، ولكن فقط إن تسنى لي أن أرتدي هذا المئزر الظريف."

عندها ، تقدمت ماريا نحوهما وهي تخلع المئزر ، ثم أعطته لسيرينا كما لو أن تبادل الأماكن بينهما أمر طبيعي .فافترض كولين أن هذا طبيعي في المطبخ. وعلى الفور ، راحت سيرينا تثرثر مع أمها بالإسبانية وهي ترتدي المئزر.

لاحظ كولين عن كثب التوتر في الطريقة التي راحت ماريا تتحرك بها .فقد حيّته بسرعة ، وهي حريصة على إبقاء مسافة بينهما ، ثم قالت" :هل عانيت من صعوبة في العثور على البيت ؟."

فأجاب قائلاً" :استعنت بجوجل ."وألقى نظرة خاطفة من فوق كتفه .كان من الصعب بالنسبة إليه ألا يلاحظ الطريقة التي قطّبت بها كارمن جبينها .وكان من الفطنة بمكان حيث لم يطرح أي سؤال .وبدلاً من ذلك ، لجأ إلى الصمت ، فقالت ماريا بصوت منخفض والقلق مرتسم على وجهها.

"هل تمانع التحدث إلى والدي قبل أن نتناول فطورنا ؟."

"حسناً."

ثم قالت" :وأيضاً "...ثم صمتت.

فقال" :إنه والدك .لن أنسى ذلك."

أومأت برأسها بحركة تكاد لا ترى بالعين ، ثم قالت" :سأبقى هنا وأساعد

أمي في المطبخ .والدي جالس إلى الطاولة في الشرفة الخلفية .هل تريد أن تشرب القهوة ؟."

فأجاب كولين" :إنني بخير."

"ماذا عن الماء ؟."

فكرر كلامه" :إنني بخير."

"حسناً ."وتراجعت خطوة إلى الوراء وقالت" :إذاً ، أظن أنه من الأفضل لي أن أعود إلى المطبخ."

راقبها كولين وهي تتراجع إلى الخلف مروراً بثلاجة مزينة بعشرات الصور والرسائل والتذكارات الأخرى قبل أن تستدير .فمضى نحو الباب .وحالما فتحه ، التفت فيلكس نحوه .لاحظ كولين فوراً أن سيماء الغضب تبدو عليه أقل مما توقع ؛ رغم أن الشعور بالصدمة وخيبة الأمل بدا واضحاً عليه ، وكذلك عدائيته. وكان يضع على حضنه كلبة بيضاء صغيرة تغط في نوم عميق.

أغلق كولين الباب خلفه ، ومشى نحو فيلكس ونظره ثابت عليه .وعندما اقترب من الطاولة ، مد يده ليصافحه.

"صباح الخير يا سيد سانشيز .قالت لي ماريا إنك تود التحدث إلي."

نظر فيلكس إلى يد كولين الممدودة إليه قبل أن يمد يده كارهاً لمصافحته .ظل كولين واقفاً بانتظار أن يدعوه فيلكس للجلوس إلى الطاولة. وفي نهاية المطاف ، أومأ فيلكس نحو أحد الكراسي ، فجلس عليه كولين ، وشبك يديه معاً ووضعهما أمامه وهو ملتزم الصمت .إذ لم تكن هناك أي جدوى

من تجاذب أطراف الحديث معه ، أو الادعاء بأنه لا يعرف ما يريد مناقشته معه.

لم يكن فيلكس على عجلة من أمره للبدء بالحديث ، بل أخذ وقته وهو يتفحصه ، وأخيراً قال" :لقد قالت ماريا إنك كنت تعاني من متاعب مع القانون. هل هذا صحيح ؟."

أجاب كولين" :نعم ."وخلال نصف الساعة التالية ، باح بالقصة كاملة بتفاصيلها وأجزائها كما فعل مع ماريا في الليلة الأولى على الشاطئ .ولم يحاول أن يخفي ماضيه بكلمات معسولة ، أو أن يضلل فيلكس .فذلك هو ماضيه .وكما حدث مع ماريا ، ظهرت صدمة فيلكس بشكل واضح في بعض الأوقات ، وضغط عليه للحصول على المزيد من التوضيح .وعندما سرد كولين في نهاية المطاف ما حدث في أول مدرسة داخلية التحق بها ، وبحلول الوقت الذي أنهى فيه كلامه ، بدا فيلكس أقل حدة مما كان عليه عندما انضم إليه كولين في بداية الأمر. ولكن ، بدا من الواضح أيضاً أنه بحاجة إلى المزيد من الوقت ليفكر في كل ما سمعه من حقائق .ولا داعي للتفاجؤ هنا ؛ فقد كان فيلكس والد ماريا ، ويحق له التدخل في حياتها إلى حد كبير.

"إنك تدّعي أنك تغيرت .وأودّ أن أصدقك ، ولكنني لست واثقاً من أنني أستطيع ذلك."

فأومأ كولين برأسه وقال" :حسناً."

"ماذا سيحصل إن تعرضت للاعتقال مرة أخرى ؟."

"لا أنوي حدوث ذلك."

"وتلك هي المشكلة .فالناس نادراً ما ينوون ذلك."

فلم يقل كولين شيئاً .في الواقع ، لم يكن هناك أي شيء ليقوله.

ظل فيلكس يدلل الكلبة الصغيرة الجالسة في حضنه ، ثم قال" :إن تعرضت للاعتقال فعلاً ، فما الذي سيحدث ؟."

"لن أراها ، سأنهي كل شيء .فإن أسوأ شيء بالنسبة إليها هو أن تظن أنه عليها الانتظار."

بعد لحظة ، أومأ فيلكس برأسه إيماءة صغيرة وهو يشعر بالرضى ، ولكنه كان لا يزال غير واثق مما إذا كان يجدر به تصديق ذلك أم لا ، ثم قال" :إن ألحقت الأذى بابنتي يوماً أو عرّضتها للخطر"...

ولم يكمل كلامه ، إلا أنه ما من حاجة إلى ذلك ؛ فقد أدرك كولين ما أراد فيلكس سماعه .ولأنه صحيح ، لم تكن لديه أية مشكلة في قول ذلك.

"لن يحدث ذلك."

"أيمكنني اعتبار هذا وعداً منك ؟."

"نعم."

وفي تلك اللحظة ، مدّت ماريا رأسها وهي تبدو متوترة بشكل واضح ، ولكنها في الوقت نفسه كانت تشعر بالراحة لأنها لم تسمع أي صراخ ، وقالت: "هل أوشكتما على الانتهاء ؟ فالفطور جاهز."

عندها ، أطلق فيلكس زفرة عميقة وقال" :لقد أنهينا ، فلنأكل."

* * *

بعد أن فرغوا من تناول طعامهم، بدأت سيرينا والوالدان بتنظيف الصحون، بينما تلكأت ماريا خلفهم مع كولين .وسألته ماريا حين أصبحا بمفردهما" :ماذا قلت له ؟."

فأجاب كولين" :الحقيقة."

"كلها ؟."!

"نعم."

فبدت ماريا مذهولة وقالت" :إذاً، لقد مضى الأمر بشكل أفضل بكثير مما توقّعت."

وكانت ماريا محقة ؛ فقد مضت وجبة الفطور بشكل سارٍّ نسبياً، بينما ظلت سيرينا تثرثر عن منحتها الدراسية، وعن ستيف وأصدقائها الكثر .وراح فيلكس وكارمن يطرحان الأسئلة بين الحين والآخر، حتى إنهما طرحا على كولين بضعة أسئلة ؛ رغم أنها كلها كانت تتعلق بالعمل أو الكلية .وعندما ذكر موضوع الفنون القتالية، لاحظ أن وجه كارمن قد شحب لونه.

فقالت ماريا" :ومع ذلك ...أظن أنك محق .فمن الأفضل أن تبوح بكل شيء منذ البداية."

فكّر كولين في سره في أن هذا يصحّ أحياناً ولكن ليس دائماً .فقد بدا فيلكس ودوداً، ولكن لم يكن هناك أي شغف أو ثقة واضحة في أسلوبه. وسيتطلب منه الحصول على ثقته به أو عودة الشغف إلى حديثه معه بعض الوقت ؛ إن كان هذا ممكناً أصلاً، ولكنه لم يقل شيئاً .وبدلاً من ذلك، مدّ يده إلى الباب.

سألها" :هل تودين أن تذهبي لركوب لوح التزلج في وقت ما لاحقاً ؟."

"ما رأيك بأن نفعل شيئاً مختلفاً بدلاً من ذلك ...مثل ركوب الدراجة المائية .يمكننا أن نستأجرها من الشاطئ .هل يبدو هذا ممتعاً بالنسبة إليك ؟."

عادت إلى ذاكرته صورتها بملابس الشاطئ فقال" :في الواقع ، يبدو هذا رائعاً."

* * *

وفي وقت لاحق من عصر ذلك اليوم ، التقيا على شاطئ رايتسفيل ، وأمضيا بضع ساعات في ركوب الدراجة المائية ، قبل أن يعود كولين إلى البيت ليتمرن تمريناً سريعاً .وبعد ذلك ، طهيا العشاء معاً في بيت ماريا ، ثم أمضيا معاً سهرة ممتعة طوال الليل.

سرعان ما حل يوم الاثنين ، ولكنهما أمضيا في ذلك الأسبوع الكثير من الوقت معاً .فقد قابل كولين ماريا لتناول الغداء مرتين .وفي أمسية الأربعاء ، أمضت ماريا الوقت في كرابي بيتس وهي تمسك علبة كولا للحمية وتعمل على مذكرة قانونية لبارني ، فيما جهاز الكمبيوتر المحمول الخاص بها مفتوح أمامها على المقصف .وإلى جانب مناوبات كولين في العمل ومحاضراته ، وبضع ساعات كان يقضيها في التمرين ، والغداء العائلي ، استغل الشاب والفتاة كل دقيقة ليقضياها معاً .فقد ذهبا إلى أسواق المزارعين وإلى الحيد البحري ؛ وهي من الأماكن التي لم يخطر لكولين أن يزورها يوماً في حياته.

وخلال كل ذلك الوقت ، استسلم كولين بشكل كامل للمشاعر التي تولدت لديه تجاهها .فلم يعرها الكثير من التفكير ، ولم تعد تثير قلقه ، ولم

يحاول أن يفهمها .وبدلاً من ذلك ، استمتع بالمشاعر التي كانت تنمو في أعماقه كلما ضحكت ، وبجاذبيتها عندما تقطّب حاجبيها وتركز على شيء ما ، كما استمتع بالشعور بيدها في يده وهما يتمشيان ويتحدثان ومحادثاتهما تنتقل من الجادّ إلى التافه.

وفي ليلة السبت ، استلقت ماريا على سريرها ورفعت قدميها عالياً وهي تقضم بعض حبات العنب ، فوجد كولين صعوبة في إبعاد نظره عنها ، لذا راح يتأملها بإعجاب ؛ إلى أن ألقت عليه بمرح حبة عنب.

"كفّ عن التحديق إليّ .إنك تجعلني أصاب بالإحراج."

مد يده إلى حبة العنب ووضعها في فمه ثم قال" :لماذا ؟."

"ربما لأنني كاثوليكية ونحن لم نتزوج بعد ؟."

فضحك وقال" :لقد سألتك أمك عمّا إذا كنت كاثوليكياً ، أليس كذلك ؟ أعني عندما التقينا على الغداء في المرة الأولى."

"هل تفهم اللغة الإسبانية ؟."

"ليس بالفعل .فقد درستها في المدرسة الثانوية ، وبالكاد نجحت بها. ولكنني سمعت اسمي ، ثم سمعتها تقول كلمة كاثوليكي باللغة الإسبانية عندما اقتربت من الطاولة .ولم يكن من الصعب عليّ أن أترجم الكلام .ولكن نعم ، فقد نشأت كاثوليكياً ، وأقيم لأجلي الاحتفال الديني .ولكنني توقفت عن الذهاب إلى دار العبادة بعد أن تم إرسالي إلى المدرسة ، لذا لست واثقاً مما يجعلني هذا عليه الآن."

"ومع ذلك ، ستظل مسرورة بك."

"جيد."

"كيف تمكنوا من تثبيتك إن توقفت عن ارتياد دار العبادة ؟."

"بالتبرعات حسب ما أعتقد .وهو تبرع كبير على الأرجح ؛ لأن رجل الدين سمح لي بالالتحاق بمنهج حفظي في صيف أحد الأعوام .ورغم أنني لم أنجز معظم العمل ، إلا أنه تم السماح بتثبيتي في العام التالي على كل الأحوال."

"ذلك نوع من الغش."

"ليس نوعاً من الغش بل هو الغش بعينه .وبالإضافة إلى ذلك ، لقد حصلت على عربة سباق مقابل ذلك .وكان ذلك أمراً لطيفاً."

"عربة سباق."!

"ورغم الفائدة التي قدمتها لي ، فقد خربتها خلال بضعة أسابيع ، وامتنعت عن التحدث إلى والديّ طيلة الصيف لأنهما رفضا أن يشتريا لي واحدة جديدة."

فقالت بسخرية" :كم أنت لطيف."!

"لم أخفِ قطّ حقيقة معاناتي من المشاكل في طفولتي."

فابتسمت وقالت" :إنني مدركة لذلك ، ولكنني في بعض الأحيان أتمنى لو أنك تفاجئني بطريقة جيدة عندما تتحدث عن سنوات طفولتك."

فكر في الأمر قليلاً ثم قال" :لقد ضربت مرة صديق أختي الكبرى .هل هذا

يحتسب بما أنه كان وغداً كبيراً ؟."

فقالت" :كلا ، إنه لا يحتسب."

ابتسم وقال" :هل تريدين أن تتناولي الغداء معي غداء ؟."

"إنني أود ذلك ، ولكنني وعدت جيل من قبل .فقد أرسلت لي رسالة نصية في وقت مبكر ، ونسيت أن أذكر لك هذا .ومع ذلك ، أنا متفرغة لتناول عشاء متأخر."

فقال" :لا أستطيع ذلك .إذ يجب عليّ الذهاب إلى العمل."

"أتعني أننا قد لا نرى بعضنا بعضاً غداً ؟ !ما الذي سأفعله ؟."

ورغم نبرة الدلال في صوتها ، أو حقيقة أن تلك العطلة الأسبوعية الطويلة والرائعة أوشكت أن تصل إلى نهايتها ، إلا أنه لم يجب عن سؤالها .وبدلاً من ذلك ، ظل يحدّق إليها بكل إعجاب ، ويراها مثالية في كل شيء ، ثم همس لها قائلاً" :كم أنت مدهشة وجميلة."!

فارتسمت على شفتيها ابتسامة كبيرة ولطيفة ومحببة ، وقالت" :حقاً."!

فردد كلامها قائلاً" :حقاً ."وظل يتأملها ، ولم يستطع أن يتخلى عن شعور انتابه بأن الرحلة الطويلة على وشك أن تنتهي .وكان يدرك ما يعنيه ذلك .ورغم أنه وجد صعوبة في تخيل هذا الشعور حتى قبل شهر واحد ، إلا أنه لم يعد هناك أي سبب يدعوه لإنكاره الآن .لذا ، اقترب منها ، ومرر أصابعه على شعرها بلطف ، وأطلق نفساً عميقاً ، وأخيراً همس قائلاً" :إنني أحبك يا ماريا ."وشاهد دهشتها المفاجئة وهي تتلاشى تدرجياً فيما هي تستوعب ما قاله للتو.

وفيما يده لا تزال على شعرها ، أمسكت بها بيدها ، وهمست قائلة" :آه يا كولين ، وأنا أيضاً أحبك."

الفصل الرابع عشر

ماريا

في الصباح الباكر ، أخبر كولين ماريا أنه يريد أن يخرج للتمرين قبل أن يذهب إلى المحاضرة .ورغم أن الشمس لم تكن قد بزغت بعد عندما غادر ، إلا أن ماريا ظلّت تتقلب على فراشها وهي غير قادرة على الاستغراق في النوم مجدداً .وأخيراً ، نهضت من السرير وهي مصمِّمة على إنجاز بعض العمل المهمَل منذ وقت طويل.

حضّرت القهوة واستحمت وارتدت ملابسها .وبكل نية حسنة ، فتحت جهاز الكمبيوتر الخاص بها لتنجز بعض العمل خلال ساعة ونصف الساعة قبل أن تغادر إلى المكتب .ومع ذلك ، عندما جلست ، لم تستطع أن تتخلى عن شعور راح يتنامى داخلها ؛ شعور غير واضح بأن هناك خطباً ما .ورغم أنها راحت تنقّب بين مشاعرها ، إلا أنها عجزت عن تحديد السبب وراء ذلك الشعور المبهم. وتوقيت هذا الشعور جعل الشك يخامرها بأنه شيء له علاقة بكولين .فعلاقتها معه بدت أشبه بدوامة ؛ رغم أنها بكل تأكيد لم تندم عليها .فقد وقعا في الحب ، ولم يكن هناك أي خطأ في ذلك ، بل كان ذلك شيئاً طبيعياً يحدث للناس الآخرين كل يوم .وعلى اعتبار كل الوقت الذي أمضياه معاً لمعرفة بعضهما بعضاً ، لم تجد ذلك كله غير متوقع.

إذاً ، ما الذي يقض مضجعها بحق الله ؟

أعادت ملء فنجان القهوة ، ثم نهضت وابتعدت عن الطاولة ودخلت

الشرفة .أخذت تتأمل المدينة الساحلية وهي تعود إلى الحياة شيئاً فشيئاً .وكان هناك ضباب خفيف يطفو فوق الرصيف ويجعله مبهماً بعض الشيء .وفيما هي ترتشف القهوة ، تذكرت وقوفها في المكان نفسه في الليلة التي أتى فيها كولين إلى بيتها لأول مرة .ورغم أن ذلك رسم ابتسامة على شفتيها ، فقد ترافقت الذكرى مع وخزة قلق لا يمكن إنكارها.

حسناً .إذاً ، ربما ليست مشاعرها تجاه كولين بسيطة ومباشرة كما أرادت أن تتظاهر .ولكن ، ما الذي جعلها بالضبط تشعر بالقلق إلى هذا الحد؟ هل سبب ذلك أن علاقتهما باتت حميمة إلى حد ما؟ أم بسبب الكلمات التي قالاها لبعضهما بعضاً في الليلة الماضية؟ أم بسبب حقيقة أن والديها لم يستحسنا علاقتها به؟ أم لأنها قبل شهر فقط لم يكن بإمكانها حتى أن تتخيل الوقوع في حب شخص مثله؟

واعترفت لنفسها قائلة :هذا يلخّص الموضوع بأسره إلى حد كبير .ولكن ، ما سبب القلق الذي تشعر به في هذا الصباح؟ !وبدا لها أنه من السخف التفكير في أن مجرد قول كلمة" أحبك "سيخلّ بتوازنها بهذا الشكل ؛ إذ لم يشكل ذلك أي منطق .أنهت تناول قهوتها ، وقررت أن تتوجه إلى العمل باكراً وهي على يقين من أنها مضطربة من الأمر برمته.

ومع ذلك ، لم يتلاشَ ذلك الشعور طوال فترة الصباح .وإن حدث أي شيء ، فهو أنه ازداد وضوحاً وقوة .وبحلول الساعة العاشرة ، حتى معدتها باتت مضطربة قليلاً .وكلما حاولت أن تقنع بنفسها بأن القلق حيال كولين ليس منطقياً ، بات من الصعب عليها أن تركز على عملها .وفيما راحت الساعة تتكتك باتجاه فترة الغداء ، كل ما كان بوسعها التفكير فيه هو أنها بحاجة إلى التحدث

إلى جيل.

* * *

أخبرت ماريا جيل بكل شيء يشغل بالها -بما في ذلك شعورها -فيما كانت تشاهد صديقتها وهي تنقل عدة قطع من السوشي من الطبق الرئيس إلى طبقها ، وذلك قبل أن تنقض عليها كلّها .أما هي فقد وضعت قطعة واحدة في طبقها قبل أن تدرك أنه ليست هناك أي فرصة لكي تجبر نفسها على أكلها. وبحلول الوقت الذي أنهت فيه كلامها ، شاهدت جيل تومئ برأسها.

وأخيراً ، قالت جيل" :دعيني أستوضح هذه المسألة برمتها .لقد قابلتِ شاباً ، وأصبحتِ على علاقة حميمة معه من دون أن يمضي وقت طويل على خروجكما معاً .ثم عرّفته على والديك ، ولم يعجبا به .وأخبرته أنك تحبينه .وبعد ذلك ، في صباح هذا اليوم ، ها أنت تبدئين فجأة بالتساؤل حيال كل شيء .هل لخصت لك كل شيء بشكل صحيح ؟."

"إلى حد كبير."

"ورغم ذلك ، لست واثقة من سبب شعورك هذا."!

عندها ، تغيّرت ملامح ماريا وقالت" :لم أفهم."!

"الأمر بسيط ، فقد نفّذت لتوك نسخة الكبار من مشية العار."

"أرجو المعذرة."!

"مشية العار ، من الكلية !تفرطين في تناول الشراب ، وتتعرفين على شاب ما وتظنين أنه مثالي .وعندما يحل الصباح وتستيقظين ، لا تصدقين ما

حدث !وبعد ذلك، تمشين عائدة إلى حرم الجامعة، حيث تمضين الوقت متسائلة عمّا كنت تفعلينه وأنت لا تزالين ترتدين ما ارتديته في الليلة الفائتة."

"أعرف ما تعنيه عبارة مشية العار .ولكنّ الأمر ليس كذلك."

استخدمت جيل عودَي الأكل لتلتقط آخر قطعة من اللفائف، ثم قالت: "ربما ليس على وجه التحديد .ولكنني سأكون متفاجئة إن لم تتأرجح مشاعرك من أحد الحدود القصوى إلى الحد التالي .وهذا ما يحصل لمعظم الفتيات خلال مشية العار، إذ يبدأن بالتساؤل :هل حدث هذا فعلاً؟ هل كان جيداً كما أتذكر؟ ما الذي فعلته؟ إن الوقوع في الحب أمر مخيف .ولهذا السبب يُقال عنه الوقوع في الحب وليس الطفو نحو الحب مثلاً .فالسقوط مخيف، أما الطفو فهو شيء حالم نوعاً ما ."وهزّت رأسها بأسى لدى رؤيتها طبق ماريا، ثم قالت" :لقد أكلت كل الطعام، وسألومك أنت عندما أقف على الميزان."

"بتعبير آخر، هل تعتقدين أن ما أمر به أمر طبيعي؟."

"سيتملّكني قلق أكبر إن لم أجدك تشككين حيال كل شيء .فإن لم تفعلي ذلك فهذا يعني أنك مجنونة."

"هل حدث هذا مع بول؟ أعني، هل حدث معك هذا عندما وقعت في حبه في أول الأمر؟."

"بالطبع .فذات يوم، بات هو كل ما أستطيع التفكير فيه .وفي اليوم التالي، رحت أتساءل إن كنت أرتكب أكبر خطأ في حياتي .وهناك سر صغير سأطلعك عليه :أحياناً، لا يزال هذا يحدث معي .فأنا أعرف أنني أحبه، ولكنني لست واثقة من أنني أحبه بما فيه الكفاية لأواعده إلى الأبد .فأنا أريد أن أتزوج

وأنجب أطفالاً ، أو طفلاً واحداً على الأقل .وبالمناسبة ، والداه لا يحبانني إلى هذا الحد .وأنا أكابد لحل هذه المشكلة أيضاً."

"لماذا لا يحبانك ؟."

"يظنان أنني أتكلم كثيراً ، وأنني شديدة التشبث برأيي."

"أنت تمزحين."!

"أعرف ذلك .هل هذا منطقي ؟."

فضحكت ماريا قبل أن تستعيد جديتها مجدداً وتقول" :أظن أن هذا صعب ؛ لأن كل شيء يتعلق ب.ي وبكولين يبدو فقط ...غريباً .لقد كان كل شيء مع لويس منطقياً وواضحاً .ففي البداية ، جمعت بيننا علاقة صداقة .وحتى بعد أن تواعدنا ، لا بد أن فترة ستة أشهر قد مضت قبل أن أعترف له بحب.ي. كما كان والداي معجبين به ، وكان من عائلة طيبة .ولم يكن هناك أي شيء حيال ماضيه يمكن حتى التشكيك فيه."

"إن لم تخني ذاكرتي ، أعتقد أنك قلت لي إن سيرينا لم تكن معجبة بلويس على الإطلاق .وفي النهاية ، اتضح أنه رجل وغد وأناني."

آه ، نعم .ذلك" .ولكن"...

"لويس كان حبك الأول ، ولا يمكنك أن تقارني ما حدث عندئذ بما يحدث الآن."

"هذا هو ما قلته للتو."

"إن المعنى الذي أقصده يغيب عن ملاحظتك .فما أقصده هنا هو أن

الحب الأول منطقي دائماً ؛ لأنك لا تعرفين ما هو أفضل من ذلك .فكل شيء جديد ، وأي أجراس إنذار يخفت صوتها لمجرد أن كل شيء حديث .في البداية على أية حال .أما الآن ، فأنت أكبر سناً وأكثر حكمة ، وتحتاجين في حياتك إلى شخص أكبر منك سناً وأكثر حكمة أيضاً .أنت بحاجة إلى شخص لا يمارس الألاعيب .ومع كولين ، ما ترينه هو ما تحصلين عليه .كما أنك تثقين به وتستمتعين بوقتك معه .أو على الأقل ، هذا هو ما تقولينه لي."

"ألا تظنين أن الأمر يسير بسرعة أكثر مما ينبغي ؟."

"مقارنة بماذا ؟ إنها حياتك .نصيحتي لك هي أن تذهبي مع التيار ، وأن تتعاملي مع الأمور كل يوم بيومه .وسأقول لك مجدداً :ما تشعرين به اليوم طبيعي تماماً."

"إنني أفضّل ألاّ يتملكني هذا الشعور على الإطلاق."

"ومن الذي يرغب في ذلك؟ !ولكن ، يتملكني هاجس بأن شعورك سيتحسن حالما تتحدثين إليه مجدداً .فهذه هي الطريقة التي تسير بها الأمور عادة."

راحت ماريا تدفع قطعة السوشي الوحيدة في أنحاء الطبق .وأخيراً ، بدأت تشعر بأول وخزة للجوع ، وقالت" :آمل أنك محقة."

"بالطبع أنا محقة .فالحب يجعل كل شيء معقداً .ودائماً تصبح المشاعر جامحة في البداية ، ولكن عندما يكون الأمر حقيقياً ، ينبغي أن تتمسكي به بكل ما أوتيت من قوة ؛ لأننا كلتينا كبيرتان بما فيه الكفاية لنعرف أن الحب الحقيقي لا يصادفنا في الحياة كل يوم."

* * *

بعد الغداء مع جيل ، تحسّن شعور ماريا بالفعل .ربما لم تصبح طبيعية بشكل كامل ، ولكنها على الأقل استعادت توازنها مجدداً .وكلما فكرت في الأمر ، أدركت أن جيل محقة حيال كل شيء تقريباً .فالوقوع في الحب مخيف بما فيه الكفاية لكي يجعل أي شخص يبدو فاشلاً في البداية .فقد مضت فترة طويلة منذ آخر علاقة لها ؛ لدرجة أنها نسيت كيف يفترض أن يكون الشعور به.

وكانت جيل محقة أيضاً عندما أكدت لماريا بأن التحدث إلى كولين سيساعدها في التخفيف من حدة شكوكها .فقد اتصل بها بعد الساعة الرابعة وهو في طريقه إلى العمل .ورغم أنهما لم يثرثرا لوقت طويل ، إلا أن مجرد سماعها صوته خفّف من التوتر في عنقها وكتفيها .وعندما سألها عمّا إذا كانت متفرغة في الأمسية التالية ، وعمّا إذا كان بوسعهما أن يمضيا بعض الوقت معاً ، أدركت أنها أرادت من كل قلبها أن يحدث ذلك.

وقد جعلت فكرةُ إمضاء الوقت مع كولين بعد العمل اليومَ التاليَ يمضي بسرعة أكثر من المعتاد .حتى إن بارني الذي كان يمرّ بمكتبها أو يتصل بها عشرات المرات ليعطيها تحديثات أخيرة حول مسائل متعددة ، لم يستطع أن يثبط من معنوياتها .وعندما رُنّ الهاتف في منتصف فترة العصر ، ردّت بشكل تلقائي متوقعة أن تسمع صوت بارني ، غير أنها تفاجأت بصوت جيل.

أعلنت صديقتها قائلة" :لا بد أنه يتظاهر وحسب."

واستغرق منها الأمر لحظة لتميّز الصوت" :جيل."!

"إذاً ، إما أنكما تخاصمتما في الليلة الماضية وهو الآن يسعى للحصول

على السماح منك ، أو يحاول أن يجعل بقية الرجال يظهرون بمظهر سيئ."

"عمّ تتحدثين ؟."

"عن كولين ، وعن باقة الورد التي أرسلها إليك للتو."

"هل أرسل لي ورداً ؟."

"ما الذي تظنين أنني أتحدث عنه ؟ إن عامل التوصيل بانتظارك."

ألقت ماريا نظرة خاطفة نحو هاتفها ولاحظت الرقم فسألتها" :لماذا تتصلين من هاتف الموظفة غوين في الردهة ؟."

"لأنه صادف أنني كنت واقفة وأتحدث إلى غوين عندما دخل عامل التوصيل ، فأصررت على أن أتصل بك بنفسي لأن هذا بدأ يصبح سخيفاً .هل تعرفين كم مرة أرسل لي بول ورود اً إلى المكتب ؟ ولا مرة .وإن لم تأتي إلى هنا في الحال ، فقد آخذ هذه الباقة وأدوس عليها لأنها تجعلني أشكك في كل علاقتي برمتها مجدداً .وصدقيني ...أنت لا تريدين أن يؤنبك ضميرك بسبب هذا."

فضحكت ماريا وقالت" :لا تدوسي عليها ، هل اتفقنا ؟ سأصل إليك في الحال."

وعندما وصلت إلى الردهة ، لمحت جيل واقفة بجانب عامل التوصيل ، وهو شاب يعتمر قبعة بيسبول .وشاهدت بأم عينها أنه يحمل باقة من الورود الزهرية .وقبل أن تتمكن من توجيه الشكر له ، سلّمها العامل الباقة ، واستدار في الحال ليمضي في طريقه .وبعد لحظة ، أغلق باب الردهة وراءه وكأنه لم يكن

هناك قط.

علّقت جيل على ذلك قائلة" :يا له من فتى ساحر !لم يستطع حتى أن يتجاذب أطراف الحديث ، بل ظل يردد اسمك كلما طرحت عليه سؤالاً .ولكن ، يجب عليك أن تعترفي بأن الباقة مذهلة."

فلم يسع ماريا إلا أن توافقها الرأي.

إذ كانت البراعم مغلفة بغصينات ناعمة خضراء ، وكانت الورود إما مغلقة أو على وشك أن تتفتح .انحنت لتشم رائحتها ، وأدركت أن بائع الزهور كان فطناً بما يكفي لكي يشذب الأشواك .علّقت قائلة" :لا أصدق أنه فعل هذا ."وراحت تتنشق عبير الورود الرقيق والعذب.

قالت جيل وهي تهزّ رأسها" :هذا أمر يبعث على الحزن تقريباً .فلا بد أن لديه مشاكل خطيرة تتعلق بتقديره الذاتي ، لأنه يسعى دائماً لنيل استحسانك."

"لا أظن أن كولين يعاني من مشاكل في تقديره لذاته."

"إذاً ، لا بد أنه فقير .ينبغي لك على الأرجح أن تقطعي علاقتك به قبل أن يزداد الوضع سوءاً .إنك بحاجة إلى شخص مثل بول ؛ أي رجل يفكر دائماً وأبداً بنفسه فقط."

عندها ، حدّقت ماريا إلى صديقتها وقالت" :هل أنهيت كلامك ؟."

"هل وصل إليك الإحساس بأنني أشعر بالغيرة ؟."

"نعم."

"إذاً ، نعم .لقد أنهيت .وأفهم من هذا أنكما تحدثتما وعادت الأمور إلى

طبيعتها مجدداً ؟."

"في الواقع ، لقد وضعنا خططاً لليلة ."ومدت الباقة نحو جيل قائلة" :هل بإمكانك أن تحمليها قليلاً بينما أفتح البطاقة ؟."

"ولم لا ؟."

أخرجت ماريا البطاقة لتقرأها ، ثم رمشت بعينيها قبل أن تقرأها مجدداً ، فيما بدأ جبينها يتجعد.

فسألتها جيل" :ماذا كتب فيها ؟."

"أتساءل إن كانوا قد وضعوا البطاقة الخطأ ؛ فما كُتِب هنا غير منطقي."

"ماذا كتب فيها ؟."

فتحت ماريا البطاقة ، وقرّبتها من جيل لتقرأها قائلة" :تقول الرسالة: ستعرفين كيف هو الشعور."

عندها ، جعّدت جيل أنفها وقالت" :أهي نكتة خاصة بينكما أو ما شابه ؟."!

"كلا."

"إذاً ، ما الذي يُفترض بها أن تعنيه ؟."

فأجابت ماريا وهي تزداد حيرة مع مرور كل دقيقة" :ليست لدي أية فكرة."

أعادت جيل الباقة إلى ماريا وقالت" :إن هذا شيء غريب لكي يكتبه ، ألا

تظنين ذلك ؟."

فأذعنت ماريا قائلة" :من المؤكد أنه غريب."

"ربما ينبغي لك أن تتصلي به وتسأليه عن معناها."

ففكرت ماريا في سرها :ربما .ثم استدركت قائلة" :ولكنه على الأرجح في الصالة الرياضية."

"وما المشكلة إن كان هناك ؟ !الا بد أنه يحمل هاتفه معه .أتعرفين ما قد يكون ذلك ؟ ربما ارتكب بائع الزهور خطأ وثبّت البطاقة الخطأ مع الباقة ، أو كتبها بشكل خاطئ."

فوافقتها ماريا الرأي قائلة" :أظن أن هذا ممكن ."ورغم أنها حاولت أن تقنع نفسها بأن هذا صحيح ، إلا أنها تساءلت إن كان أي من الاحتمالين صحيحاً.

* * *

وبعد أن وضعت الزهور في الزهرية التي جاءت مع الباقة الأولى من الزهور ، ظلت ماريا تتفحّص البطاقة إلى أن اتخذت قرارها أخيراً وقالت :ما المشكلة ؟ !ثم أخرجت الهاتف المحمول من حقيبتها ، وطلبت رقم كولين.

وعلى الفور ، قال كولين" :أهلاً .إنك لا تتصلين ب.ي لتلغي موعد الليلة ، أليس كذلك ؟ ."وسمعته وهو يتنفس بمشقة أثناء تمرّنه ، كما سمعت صوت الموسيقى وصوت أناس يركضون على أجهزة المشي الكهربائية.

"كلا .إنني أتطلع قدماً إلى ذلك .هل اتصلت بك في وقت غير مناسب ؟."

"كلا ، على الإطلاق .ما الأخبار ؟."

"أردت وحسب أن أطرح عليك سؤالاً عن الرسالة."

"أية رسالة ؟."

"الرسالة المكتوبة على البطاقة التي وصلت مع باقة الورود اليوم .فقد كُتب على البطاقة :ستعرفين كيف هو الشعور ، ولست واثقة مما تعنيه بهذا الكلام."

استطاعت أن تسمعه وهو يتنفس في الجهة الأخرى ويقول" :لست أنا. فأنا لم أرسل لك اليوم وروداً أو أي بطاقة."

عندها ، شعرت ماريا بوخزة مفاجئة في مؤخر عنقها .ستعرفين كيف هو الشعور ؟ فقد فكرت في أن الكلام غريب بما يكفي حين ظنّت أن كولين هو من كتب تلك العبارة ، ولكنها ليست منه هو !وهذا ما يجعل الملاحظة...

غريبة ، بل مثيرة للشك.

قال كولين بعد فترة صمت" :ما الذي يُفترض بهذا الكلام أن يعنيه ؟."

"لا أعرف .ما زلت أحاول أن أكتشف ما يعنيه."

"ألا تعرفين من الذي أرسلها ؟."

"ليس هناك اسم على البطاقة."

لم يقل كولين أي شيء ، وحاول أن يُخفي مخاوفه الخاصة .غير أنها غيّرت الموضوع وقالت" :أعرف أنه يجب عليك أن تعود إلى تمرينك ، وينبغي أن أعود

إلى عملي .ولكن ، متى ستأتي الليلة ؟."

"ماذا عن الساعة السادسة والنصف؟ كنت أفكر في أن نتوجّه إلى ريفروك ، ثم نقرّر ما سنفعله لاحقاً بناء على ما سيحدث معنا هناك .فأنا في مزاج يدعوني للحركة وليس للجلوس ساكناً .ويمكننا أن نتناول أي طعام ونحن هناك."

"هذا يبدو مثالياً .فأنا مزروعة على الكرسي طوال الأيام القليلة الماضية. والذهاب في نزهة سيراً على الأقدام هو ما أحتاج إليه."

وحين أنهيا المكالمة ، راحت تتخيل الشكل الذي يبدو عليه وهو في الصالة الرياضية ...وبعد ذلك ، لمحت باقة الورد والبطاقة مجدداً .لم يكن هناك أي اسم على البطاقة.

ستعرفين كيف هو الشعور.

تفحّصت البطاقة مجدداً وهي تتساءل في سرّها إن كان بوسعها الاتصال ببائع الزهور لكي تعرف منه من الذي أرسل باقة الورود ، وعندها فقط أدركت أن المغلف والبطاقة ليس عليهما أي شيء يشير إلى المرسل.

* * *

راحا يمشيان يداً بيد في ريفروك ؛ المتنزه المعروف على طول نهر كيب فير .ولأن الوقت كان منتصف الأسبوع ، لم تكن الشوارع مزدحمة .ورغم دفء الجو ، إلا أن النسيم الشمالي بدأ موحياً بإمكانية هبوط الحرارة إلى درجات أكثر برودة في الأسبوع التالي .وللمرة الأولى منذ أشهر ، كانت مسرورة لأنها ترتدي بنطال جينز.

قال كولين" :تبدين شاردة."

فهزّت رأسها وقالت" :إنني أحاول فقط أن أكتشف هوية الشخص الذي قد يفكّر في إرسال الورود إليّ."

"ربما كان لديك معجب سري."

"باستثنائك أنت ، أنا لم أقابل أي شخص مؤخراً .كما أنني لا أخرج كثيراً أيضاً ؛ فأنا إما أزور والديّ ، أو أذهب لركوب لوح التزلج ، أو أبقى في بيتي."

"باستثناء الوقت الذي تكونين فيه في العمل."

فردت قائلة" :لا أحد في العمل سيفكّر في أن يرسل لي الورد ."ولكن ، حتى فيما كانت تقول الكلمات ، خطرت صورة كين في ذهنها .ولكن ، هل يُعقل أن يفعل ذلك!؟ غير أنها تابعت" :بالإضافة إلى ذلك ، الرسالة لا تعكس بالفعل محاولة شخص ما أن يجعلني أشعر بأنني مميزة ، بل العكس تماماً."

"وماذا عن أحد الزبائن ؟."

فأذعنت قائلة" :أظن أن هذا ممكن ."ولكنها عانت من صعوبة في تصديق ذلك.

عندها ، ضغط كولين على يدها وقال" :بطريقة أو بأخرى ، ستعرفين من هو."

"أتظن أنه رجل ؟."

"ألا تظنين ذلك ؟."

فأومأت برأسها وهي بكل تأكيد واثقة من ذلك ؛ رغم عدم وجود أي دليل حقيقي ، ثم قالت" :إن الرسالة ...تزعجني."

كانت تأمل أن يقول شيئاً ما يشعرها بالتحسّن .ولكن ، بدلاً من ذلك ، خطا بضع خطوات قبل أن يلقي عليها نظرة خاطفة.

وقال" :إنها تزعجني أنا أيضاً."

* * *

ساهمت تمضيتها الوقت برفقة كولين نوعاً ما في التخفيف من حدة قلقها ، أو على الأقل منعتها من الاسترسال في التفكير في هوية الشخص الذي يمكن أن يكون قد أرسل لها الورود وكتب لها الرسالة .لم يكن لديها أي تلميح ، ولو بسيط يدلّ على هوية الرجل ؛ بخلاف كين .ورغم وجود الكثير من الأسباب التي تجعلها تكره ذلك الرجل ، إلا أنها لم تستطع أن تتخيله يفعل شيئاً من هذا القبيل.

وفيما هي تمشي مع كولين ، راحا يتحدّثان في أمور شتّى ، وينتقلان من موضوع إلى آخر .وفي نهاية المطاف ، توقّفا لشراء كوزين من المثلجات .وقد فاجأها كولين حين طلب واحداً لنفسه .تناولا المثلجات وهما واقفان عند السياج الذي يطل على البارجة الحربية يو أس أس نورث كارولاينا التي شاركت في عملية عسكرية مكثفة خلال الحرب العالمية الثانية ، ثم أحيلت إلى التقاعد بشكل رسمي .والآن ، ها هي موجودة في الضفة الأخرى من نهر كيب فير. تذكّرت أنها قامت بجولة فيها أثناء رحلة ميدانية ، كما تذكرت ذلك الشعور بالضيق الذي سبّبته لها ممراتها الضيقة وغرفها الصغيرة .وتعجّبت من كيفية

تمكّن البحارة من البقاء على متنها أشهراً من دون أن يفقدوا عقولهم.

سارا على طول ريفروك ، فيما الشمس تغرب ببطء مضفيةً وميضاً ذهبياً على ماء النهر .وبعد ذلك ، راحا يتجوّلان متمهّلين ، ومتوقّفين عند أي محلات تجارية تجذب انتباههما .وبحلول الوقت الذي بدأ فيه القمر يسطع في الأفق ، توقّفا أخيراً لتناول العشاء .جلست إلى الطاولة مقابل كولين ، ووجدت نفسها تأمل أن يتمكن والداها من معرفة هذا الجانب فيه ؛ الجانب الذي يجعلها تشعر بالراحة والطمأنينة حين تكون معه .أرادت أن يرى والداها مدى سعادتها وهي برفقته .وفيما كانا في طريقهما عائدين إلى شقتها ، دعت كولين لتناول الفطور مجدداً ؛ رغم أنها لم تكن واثقة من أن والديها مستعدان لزيارة أخرى منه.

وبينما كانا يقضيان أمسيتهما معاً تلك الليلة ، راح يهمس باسمها ، ويعبّر لها كم باتت تعني له ، فاستسلمت لمشاعرها بالكامل ، ونسيت نفسها في اللحظة ، ونسيت نفسها معه .وبعد ذلك ، استلقت على سريرها ، وغطّت في نوم عميق .وخلال تلك الليلة استيقظت مرتين ؛ إحداهما بعد منتصف الليل بقليل ، والثانية قبل الفجر بقليل .وفي السكون ، راحت تحدق إليه وهي لا تزال مندهشة لأنهما أصبحا ثنائياً .غير أنها كانت متأكدة أكثر من أي شيء آخر أن كلاً منهما هو من يحتاج إليه الآخر بالضبط.

* * *

عندما دخلت مكتبها صباح الأربعاء ، كان أول ما خطر ببالها هو أنه يجب عليها أن تتخلص من البطاقة ، فمزّقتها إلى قطع ورمتها في سلة المهملات .وبعد ذلك ، جلست وراء جهاز الكمبيوتر في المكتب .وفيما كانت تراجع رسائلها ،

تأكّدت ممّا إذا كان أحد زبائنها قد ذكر أمر إرسال الزهور إليها ، ولكنها لم تعثر على أي شيء يشير إلى ذلك.

وبعد ذلك ، ذهبت إلى غرفة الاجتماعات حيث كان بارني بانتظارها .ولم تتسنَّ لها فرصة العودة إلى مكتبها إلاّ قبيل الظهر .وحين دخلت مكتبها ، وجدت في صندوق الوارد ملفاً آخر أرسله لها بارني عبر البريد الإلكتروني ، مرفقاً برسالة تقترح عليها أن تبدأ به مباشرة لأنه بحاجة إلى ملخص عن الموضوع بحلول يوم الغد .مما يعني أنه يجب عليها أن تتناول الغداء بسرعة في مكتبها مجدداً .ألقت نظرة خاطفة نحو الورود ، وأدركت أنها لا تريد أن تراها في مكتبها. لذا ، أخذت الباقة وحقيبتها وغادرت المبنى ، ثم انعطفت حول الزاوية في طريقها إلى حاويات القمامة.

ألقت بالباقة في الحاوية .وفيما هي تهمّ بالتوجه إلى سيارتها ، تملّكها شعور مفاجئ بأن شخصاً ما يراقبها .غير أنها لم تتمكن من العثور على أحد ما بالقرب منها .لذا ، حاولت التخلص من ذلك الشعور في البداية ، ولكنه ازداد قوة .وبينما هي تنقّب في حقيبتها باحثة عن مفتاح السيارة ، ألقت نظرة خاطفة نحو المبنى.

وهناك بالضبط ، شاهدت كين واقفاً قرب نافذة مكتبه.

عاودت النظر إلى حقيبتها مجدداً متظاهرة بأنها لم ترَه .تُرى ، ما الذي يفعله هناك!؟ ومنذ متى وهو واقف أمام النافذة!؟ كل ما استطاعت ملاحظته هو شخص آخر في مكتبه ، وأنه وقف قرب النافذة وظهره باتجاه الشخص الآخر. ولكن ، إن كان واقفاً عند النافذة عندما خرجت ، فلا شك في أنه شاهدها وهي

ترمي الزهور في الحاوية .ولم يكن هذا جيداً .فإن كان هو من أرسل تلك الورود ، فعلى الأرجح لا بد أنه سيستشيط غضباً .ولو لم يرسلها ، فسيفترض أنها وكولين سينفصلان عن بعضهما بعضاً .وفي كلتا الحالتين ، تملّكها القلق من أن كين قد يشعر بالحاجة إلى المرور بمكتبها مجدداً للمزيد من المناقشات حول كونها لاعبة جيدة في الفريق.

عندما فتحت باب السيارة أخيراً ، باغتتها دفقة هواء حارة من الداخل الذي سخّنته أشعة الشمس .وحالما شغّلت المحرك ، شغّلت مكيف الهواء. قررت أن تقود سيارتها إلى سوق الخضار العضوية التي يوجد فيها مطعم يقدّم سلطة مدهشة .وحالما خرجت من موقف السيارات ، تفقّدت المبنى عبر مرآة الرؤية الخلفية مفترضة أن كين ربما غادر.

ولكنه كان واقفاً هناك ، ولم يترك النافذة .ورغم وقوفه بعيداً عنها ، إلا أنها لم تستطع أن تتخلى عن الشعور بأنه يراقبها طوال الوقت.

* * *

وحين عادت من المطعم ، ركنت سيارتها في المكان نفسه الذي تركته منذ قليل ، وقررت أن تترك النوافذ مفتوحة قليلاً لتسمح بتبريد داخل السيارة. لاحظت أن سيارة كين قد غادرت الموقف .وإن كان للتاريخ أي دلالة ، فهذا يعني أنه لن يعود حتى الساعة الواحدة والنصف أو نحو ذلك .لذا ، شعرت بالراحة ، وحاولت أن تنهمك في عملها .وبين الورد والرسالة والآن كين ، شعرت أنها جاهزة لجمع أشيائها والذهاب إلى البيت .ربما كان بوسعها أن تتظاهر بأنها مصابة بالصداع ، وأن تغادر في وقت باكر ...ولكن ، ما الهدف من ذلك ؟ فبارني

يتوقع منها إنهاء العمل .وحتى في البيت ، أدركت أنها ستظل مهووسة بالتفكير في مجريات اليوم.

ستعرفين كيف هو الشعور.

عن أي شعور يتحدث ؟

ربما لأنها رفضت عروض كين ، قرّر أن يجعل حياتها العملية أكثر بؤساً!

وإن كان ذلك صحيحاً ، فما الذي يعنيه ؟

حاولت أن تُبعد تلك الأسئلة عن رأسها وهي تكتب مذكرة قانونية لزبون تعرّض للإصابة لدى سقوطه ، ويريد مقاضاة السوق التجارية .وكان إنهاء هذا العمل سيستغرق منها طوال فترة العصر .وفيما هي تبدأ بكتابة الملاحظات ، أخذت تفكر في أن كل مهنتها قد تحوّلت إلى لعبة ضخمة ، الهدف منها هو الكد في العمل لساعات طويلة ؛ ما يجعل المحامين وحدهم المستفيدين ، والذين يضمنون الفوز.

كانت وجهة نظر ساخرة .ولكن ، كيف يمكنها أن تشرح لنفسها السبب في أنها دائمة الانشغال ، رغم حقيقة أن العدالة بعيدة كل البعد عن السرعة ؟ فقد كانت لا تزال تعمل على قضايا تم رفعها منذ أعوام .أما القضية التي كلّفها بارني بها ، فلم تكن لديها أية فرصة في الوصول إلى المحكمة قبل ثمانية عشر شهراً على الأقل ؛ هذا إن تمت الأمور بشكل سلس ، وهو أمر مستحيل عملياً بما أن الأمور لا تتم بسلاسة إطلاقاً .إذاً ، لماذا أراد منها بارني إنجاز المذكرة بحلول الغد ؟ ما الشيء الملح حيالها ؟

تخيّلت كين وهو يراقبها ، وقررت أنها لن تسمح له بأن يفاجئها مجدداً إن

مر بها على افتراض أنه يريد أن يناقش معها مستقبل مهنتها مرة أخرى .وهكذا ، تعمّدت أن تُبقي باب مكتبها مفتوحاً على وسعه ؛ رغم أن الضجة في المكتب المجاور لها كانت تشتت انتباهها .فبهذه الطريقة ، إن قرر كين زيارتها فجأة ، فستكون لديها بضع ثوانٍ إضافية لتهيئ نفسها.

كان بإمكانها مشاهدة مكان ركن سيارة كين من النافذة .وكان الرجل يقود سيارة حمراء من طراز كورفيه .وعند الساعة الواحدة والنصف تماماً ، وصل وركن سيارته .توقعت منه أن يمر بها حالما يدخل المبنى ، ولكنه لم يأتِ ؛ الأمر الذي أشعرها بالراحة .حتى إنه لم يأتِ في وقت لاحق ليزور المحاميات المتدربات. وعندما ظل بعيداً عن الأنظار حتى الساعة الخامسة ، ذكّرت نفسها بألا تبقى حتى وقت متأخر ، فأغلقت جهاز الكمبيوتر المحمول ، وجمعت نسخ الأوراق من ملفاتها ودستها داخل حقيبتها .وأخيراً ، استرقت النظر من نافذتها ، وتفقّدت المرأب مرتين بشكل سريع ، ثم أدركت أن سيارة كين قد غادرت.

أياً يكن !ومع ذلك ، من يدري ما هي المفاجآت التي قد يحملها الغد ؟

وفيما هي في طريقها مُغادِرة المكتب ودّعت جيل ، ثم توجّهت إلى السيارة .وكالعادة ، ذهبت إلى مقعد الراكب أولاً لتضع حقيبتها على المقعد .غير أنها حالما فتحت الباب ، صدرت منها شهقة غير مقصودة.

فقد شاهدت باقة الزهور التي بدأت تذبل بفعل الحرارة مصفوفةً على شكل مروحة على طول الكرسي ؛ كما لو أنها تسخر منها.

* * *

جلس كولين مقابلها في غرفة المعيشة ، وأسند مرفقيه على ركبتيه .وكانت

ماريا قد اتصلت به مباشرة بعد أن رمت الزهور في حاوية القمامة ، فوجدته بانتظارها عند الباب ما إن وصلت إلى البيت.

قالت وهي لا تزال تشعر بأنها متوهجة ومرتعبة" :لا أفهم الأمر .ما الذي يريده كين ؟."

"إنك تعرفين ما يريده."

"هل يظن أن هذه هي الطريقة الفضلى للحصول على مبتغاه ؟ !أن يرسل لي زهوراً ورسائل غريبة بلا توقيع ، وأن يعيد وضع الزهور في سيارتي ليرعبني."!!

فقال كولين" :لا أملك جواباً عن هذا السؤال .وأظن أن السؤال الحقيقي هو ما الذي ستفعلينه حيال الأمر ؟ ."وظلّ ينظر إلى عينيها من دون أن يتحرك. ولكنّ التوتر الذي بدا على وجهه جعلها تدرك بوضوح أنه منزعج من المسألة برمتها بقدر انزعاجها هي.

"لا أعرف إن كان هناك أي شيء يمكنني فعله ؛ فالرسالة غير موقَّعة .كما أنني لم أرَه بعينيّ وهو يُعيد وضع الورود في سيارتي .ولهذا ، لا أستطيع أن أثبت أي شيء."

"هل أنتِ متأكدةٌ من أنه كين ؟."

"ومن قد يكون غيره ؟ !فأنا لم أرَ أحداً آخر بالقرب من المكان."

"هل أنت واثقة من هذا ؟."

فتحت فمها لتجيب عن سؤاله ، ولكنها سرعان ما أغلقته مجدداً ؛ لأن البديل لم يخطر ببالها .إذ إن عدم مشاهدتها شخصاً آخر في المكان لا تعني أنه

في الواقع ليس هناك أحد آخر .ولكنّ الفكرة بدت مرعبة بالنسبة إليها ، لذا حاولت تجنّب التفكير فيها.

فقالت" :إنه هو .لا بد أنه كذلك ."ولكنّها أدركت في سرّها أنها تحاول أن تقنع نفسها لا أكثر.

الفصل الخامس عشر

كولين

أمضى كولين ليلته عند ماريا .فرغم أنها لم تطلب منه أن يبقى ، إلا أنه أدرك أنها لا ترغب في مغادرته .فقد ظلت في حالة متوترة طيلة الأمسية ، ولم تتمكن من وضع أي طعام في فمها ، واستطاع أن يشعر بأفكارها تشرد بعيداً. وبعد أن استغرقت في النوم أخيراً ، بقي مستيقظاً وهو يحدق إلى السقف ؛ محاولاً أن يجمع قطع الأحجية معاً .وكانت قد أخبرته ما يكفي عن كين ليرسم صورة جيدة له .لذا ، ظلّ يقاوم الحافز الذي يحثّه على الذهاب لزيارة ذلك الرجل .كانت تهمة التحرش الجنسي تهمة سيئة بما فيه الكفاية ، ولكنّ كين كان رجلاً متنمراً على حد سواء .وأدرك كولين استناداً إلى تجربته الخاصة مع أناس من ذلك النوع أنهم لا يتوقفون عن إساءة استخدام سلطتهم ما لم يجبرهم أحد على ذلك ، أو يبثّ الرعب في قلوبهم.

ومع ذلك ، أوضحت له ماريا أنها لا تريد منه أن يتحدث إلى كين أو أن يقترب منه ؛ حتى إن كان سيفعل ذلك من أجل مصلحتها ، فتفهّم كولين رغبتها .فالرجل محامٍ معروف ، ومجرد توجيه التهديد إليه قد يكون كافياً للزج بكولين خلف قضبان السجن .ولم يكن لديها أي شك في أن مارغوليس والقضاة المحليين سيحرصون على ذلك.

ومع ذلك ، فالوضع جعلهما يزدادان حيرة كلما تحدثا عنه أكثر .إذ إن الرسالة بالإضافة إلى حقيقة وضع الورود في السيارة قد أضفتا على الأمر صفة التهديدَ ، وجعلتاه يبدو شخصياً .ورغم معاناة كين من مشكلة في عدم قدرته

على التحكم بشهواته ، ورغم وقوفه عند النافذة ، إلا أن بقية الأحداث لم تبدُ منطقية .فما الهدف من الرسالة ؟ وكيف عرف كين أن ماريا ستقرر رمي الزهور في القمامة في تلك اللحظة بالذات ؟ وإن كان قد خطّط لوضعها في السيارة ، فلماذا استمر بالوقوف أمام النافذة رغم معرفته أن ماريا ستظن أنه المذنب بلا شك ؟ لا بد أنه أدرك أن إخافته ماريا يحتمل أن تدفعها إلى الإبلاغ عن تحرشه بها .وماذا إن لاحظ محامٍ آخر من المكتب أنه يخرج الورود من القمامة ويضعها في سيارة ماريا ؟ هل سيرغب فعلاً في التعرض لمخاطرة من هذا النوع!؟ فمعظم المكاتب لديها نوافذ.

وما الذي يعنيه كل هذا ؟ إن كان كين هو الفاعل ، فقد انزلق عن حافة العقلانية وراح يتخبط نحو الهاوية غير قادر على التفكير بوضوح .ولكن ، ماذا إن لم يكن كين الفاعل!؟

وفي الواقع ، هذا هو السؤال الذي أزعجه أكثر من أي شيء آخر.

عندما استيقظت ماريا في الصباح ، عرض عليها كولين أن يتبعها إلى العمل ، ولكنها قالت له إنها ستكون على ما يرام .ولم يدرك أنه بات متوتراً حيال الأمر برمته كما كانت هي في الليلة الفائتة إلا حين كان يقود سيارته عائداً إلى بيت إيفان .ورغم شدة غضبه ، إلا أنه حالما وصل إلى البيت ، ارتدى ملابسه الرياضية وخرج من الباب.

خرج للجري ، ووضع موسيقى مرتفعة وهو يجري بسرعة تتماشى معها ؛ إلى أن بدأ يشعر بأنفاسه تصبح مجهدة .وعندما استنزف التمرين كل غضبه ، بدأت الأفكار تتوضح في ذهنه شيئاً فشيئاً.

وقرر أن يفعل ما طلبته منه ماريا وينأى بنفسه عن كين .ولكنّ هذا لم يكن يعني أنه مستعد للجلوس مكتوف اليدين من دون أن يفعل أي شيء.

فقد رفض أن يسمح لأحد بأن يثير خوف ماريا ثم ينجو بفعلته.

* * *

سأل إيفان" :ألم يفكر أي منكما في الاتصال بالشرطة ؟."

كانا جالسين إلى الطاولة في مطبخ شقة إيفان بعد أن قدّم كولين لإيفان شرحاً وافياً حول كل ما حدث ، بما في ذلك ما ينوي فعله.

فهزّ كولين رأسه وقال" :لن تفعل الشرطة أي شيء."

"ولكن ، هناك شخص اقتحم سيارتها."

"سيارتها لم تكن مقفلة ؛ فالنوافذ كانت مفتوحة .ولم يُسرَق منها أي شيء .وليس هناك أي ضرر أُلحِق بالسيارة .وكما تعلم ، السؤال الأوّل الذي سيطرحونه هو :ما هي الجريمة ؟ وبعدئذ سيسألونها عمّن ارتكبها .وحينها ، كل ما سيكون بوسعها تقديمه لهم هو مجرد آرائها حيال ما جرى."

"وماذا عن الرسالة ؟ أليست هناك قوانين بخصوص مطاردة الناس ؟."

"إن الرسالة غريبة ، ولكن ليس هناك تهديد واضح فيها .وليس هناك دليل يثبت أن الشخص الذي أرسل الزهور هو نفسه الشخص الذي وضعها في سيارتها."

"إنني أحياناً أنسى أن لديك الكثير من الخبرة في هذا المجال ، ولكنني ما زلت غير واثق من سبب شعورك بأنه يجب عليك أن تحلّ هذه المشكلة."

"لا يجب علي ذلك ، وإنما أريد القيام بذلك."

"وماذا إن لم تعجب خطتك ماريا؟ ."وعندما امتنع كولين عن الإجابة ، لوّح إيفان بيده وقال" :أنت لا تنوي إخبارها ، أليس كذلك؟ أنت الذي تحب الصراحة في كل شيء."!

"ليس الأمر على ذلك القدر من الأهمية."

"لم تجب عن سؤالي بعد."

"بلى ، سأخبرها."

"متى ؟."

"اليوم."

"وماذا ستفعل إن طلبت منك العدول عن الفكرة ؟."

وعندما امتنع كولين عن الإجابة ، عدّل إيفان جلسته وقال:

"ستنفّذها على أية حال لأنك اتخذت قرارك مسبقاً .هل أنا محق في كلامي ؟."

"أريد أن أعرف ما يجري."

"إنك تدرك أن هذا هو ما فعلته في الماضي ، أليس كذلك؟ فأنت تفعل ما يحلو لك وتتسبب في ضياع مستقبلك."!

عندها ، هزّ كولين كتفيه وقال" :كلّ ما سأقوم به هو مجرّد إجراء مكالمات هاتفية .وسأتحدث إلى بعض الناس ؛ وهذا ليس مخالفاً للقانون."

"لا جدال في هذا .ولكنني أتحدث عما قد تقرر فعله في ما بعد."

"إنني أدرك تماماً ما سأفعله."

"حقاً."!

وعندما التزم كولين الصمت مجدداً ، استند إيفان إلى كرسيه ثم قال: "هل أخبرتك أن ليلي تريد أن نخرج نحن الأربعة معاً في هذه العطلة الأسبوعية ؟."

"كلا."

"إنها تفكر في ليلة السبت ، فهي تريد أن تقابل ماريا."

"حسناً."

"ألا ينبغي لك أن تتحدّث إلى ماريا أولاً ؟."

"سأتحدث إليها ، ولكنني واثق من أنها لن تمانع .ما الذي تفكران في فعله ؟."

"تناول العشاء ، وبعد ذلك سنعثر على مكان ممتع ما .أظن أن كل تلك الدروس قد وضعتها في مزاج مناسب للرقص."

"أتعني رقص السالسا ؟."

"إنها تقول إنني لا أتمتع بالإيقاع المناسب لهذه الرقصة .لذا ، سنختار نوعاً آخر من الرقص."

"هل سنذهب إلى أحد النوادي ؟."!

"بما أنه من الواضح أنك ذهبت في المرة الماضية إلى نادٍ من دون أن تتعرّض للمتاعب ، فبرأيها بإمكانك أن تفعل هذا مجدداً."

"حسناً."

"ومع ذلك ، لدي سؤال آخر ."وانتظر كولين بينما راح إيفان يحدق إليه من الجانب الآخر للطاولة ، وأخيراً قال إيفان" :ماذا سيحدث إن عثرت على الرجل المنشود ؟."

"سأتحدث إليه."

"أستفعل ذلك حتى لو اكتشفت أنه رئيسها في العمل ؟ ."وعندما امتنع كولين عن الرد ، هز إيفان رأسه وقال" :كنت أعرف أنني محق."

"محق بشأن ماذا ؟."

"ليست لديك أية فكرة عما تورط نفسك فيه."

* * *

ورغم أن كولين تفهّم شعور إيفان بالقلق عليه ، إلا أنه لم يفكر في أن مخاوفه يمكن تبريرها .فما هي درجة الصعوبة في محاولته معرفة ما إذا كان كين هو من أرسل الزهور أم لا؟ فكلّ ما يحتاج إليه الأمر هو إجراء بضع مكالمات هاتفية ، وطرح بعض الأسئلة المحددة ، وصورة ...الله وحده يعلم عدد الاستجوابات التي تعرض لها في حياته .لذا ، بات يعرف جيداً أن الحصول على الأجوبة غالباً ما يتعلق بالحضور والتوقع والتحدث بنبرة رسمية .فمعظم الناس يريدون أن يتحدثوا ، ومعظمهم لا يستطيعون السكوت ؛ حتى لو كان ذلك

لمصلحتهم .وفكّر في أنه إن حالفه الحظ فسيحصل على إجابة بحلول منتصف فترة العصر.

وفي مطبخ شقته ، فتح جهاز الكمبيوتر ، وقام ببحث سريع عن اسم كين مارتينسون ، فلم يجد أي صعوبة في العثور عليه .إذ كان الرجل كثير العلاقات ؛ أكثر مما توقّع كولين ، ولكنه عثر على عدد قليل وغير كافٍ من الصور .ولم يكن أي منها ما يريده ؛ فهي بعيدة جداً وضبابية .حتى إن الصورة الموجودة على موقع الشركة ، كان يبدو فيها أصغر من سنه الحقيقية بعشر سنوات .ففي ذلك الوقت ، كانت لديه لحية صغيرة ، ما بدل مظهره العام لدرجة ملحوظة .لذا ، قرر كولين أن يلتقط صورة له بنفسه ؛ إلا أنه لم يكن يملك كاميرا ذات دقة عالية وعدسة طويلة.

ولكنّ ماريا لديها واحدة.

اتصل بها على هاتفها الجوال ، وترك لها رسالة يسألها فيها عمّا إذا كانت متفرّغة لتناول الغداء .وبحلول الوقت الذي راسلته فيه نصياً لتطلب منه أن يقابلها عند الساعة الثانية عشرة والنصف كان في محاضرته .ولكن ، فيما كان يقرأ الرسالة النصية ، والأستاذ الجامعي يواصل محاضرته ، شعر بتوتره يتفاقم ، ويُحكم قبضته على عنقه أكثر من ذي قبل.

غير أنه أجبر نفسه على أخذ أنفاس عميقة وثابتة.

* * *

"أتريد أن تستعير الكاميرا ؟."

كانا جالسين إلى طاولة خارجية في أحد المقاهي الصغيرة بانتظار وصول

طعامهما .ورغم أن كولين لم يكن قد تناول الطعام منذ الليلة الفائتة ، إلا أنه لم يشعر بأنه جائع.

أومأ كولين برأسه وقال" :نعم."

"لماذا ؟."

"إنني بحاجة إلى صورة لكين."

فحدقت إليه بعينين متّسعتين وقالت" :أرجو المعذرة."!

"إن الطريقة الوحيدة لنتيقّن فيها من أنه الشخص الذي أرسل الزهور هي أن أعثر على بائع الزهور .ويمكنني عندئذ أن أُري بائع الزهور الصورة ، وأسأله إن كان كين الشخص الذي اشتراها."

"وماذا إن طلبها عبر الهاتف ؟."

"إن دفع ثمنها باستعمال بطاقة ائتمانية فسأحصل على اسمه."

"لن يخبروك بالاسم."

"ربما ، وربما لا .وما زلت أودّ أن أستعير الكاميرا."

فكّرت ماريا في الأمر ملياً ثم هزّت رأسها قائلة" :كلا."

"ولم لا ؟."

"في البداية ، إنه رئيسي .كما أنه يعرف شكلك .وإن رآك ، فلن تزداد الأمور إلا سوءاً بالنسبة إلي في العمل .وبالإضافة إلى ذلك ، لقد رأيت كين صباح اليوم ، وتولّد لدي إحساس بأن الأمر كله قد انتهى."

"هل رأيته ؟."

"لقد أتى للتحدث إليّ وإلى بارني بشأن إحدى القضايا في وقت مبكر من الصباح ، وأعلمنا أن القضية صارت في مرحلتها النهائية."

"لم تذكري لي هذا عندما اتصلت بك"...

"لم أكن أعرف أنه يجب علي ذلك."

شعر بأول لمحة من الإحباط تتسلل إلى نبرة صوتها.

"كيف تصرف ؟."

فصرّحت قائلة" :كان الأمر على ما يرام .تصرف بشكل طبيعي."

"ألم تشعري بالانزعاج عندما رأيته ؟."

"بالطبع انزعجت ؛ فقد كاد قلبي يقفز من صدري .ولكن ، ما الذي بوسعي فعله ؟ فقد كان بارني هناك .وبالإضافة إلى ذلك ، لم يحاول كين أن يتحدث إليّ على انفراد .ولم يقضِ أي وقت مع زميلاتي أيضاً .إذ لم يكن يشغله إلا العمل."

عندها ، شبك كولين أصابعه معاً تحت الطاولة وقال" :بوجود الكاميرا أو بدونها ، سأعرف من أرسل لك تلك الزهور."

"لست بحاجة إليك لتحل لي مشكلتي يا كولين."

"أعرف ذلك."

"إذاً ، لماذا ما زلت تتحدث عن الموضوع ؟."

أبقى كولين تعبير وجهه ثابتاً وهو يجيب" :لأنك ما زلت لا تعرفين بشكل مؤكد إن كان كين هو من فعل ذلك .فكل ما تفكّرين فيه مجرّد افتراض."

"إنه ليس مجرد افتراض."

"هل سيكون من الخطأ أن نتأكد؟."

* * *

كان هناك وقت أدرك فيه كولين أنه لا يتوجب عليه أن يكترث حيال ذلك كله .إذ لم يكن هناك أي سبب يدعوه للتورط .وقد كانت ماريا محقة على أية حال ؛ لأن المشكلة مشكلتها هي .وبصراحة ، كان يعاني من مشاكل خاصة به بما يكفي.

ومع ذلك ، كان كولين يعتبر نفسه خبيراً في مجال الغضب .ففي المستشفى ، تعلم الفروق بين الغضب العلني والغضب الخفي .وفي حياته الخاصة ، كان ضليعاً بكلا الأمرين .فعندما اعتاد ارتياد المقاهي ، إن صادف أنه في مزاج مناسب للقتال ، بات غضبه علنياً وهدفه واضحاً ، بدون أي معانٍ خفية ولا خجل ولا ندم .ومع ذلك ، في الأسابيع القليلة الأولى في المستشفى ، لم يعد قادراً على التصرف بأي طريقة إن استشاط غضباً .فقد وضّح له الأطباء بشكل جليّ أنه إن أصبح عنيفاً ، أو حتى رفع صوته ، فسوف ينتهي به المطاف في وحدة العناية الفائقة .وهذا يعني احتجازه في غرفة مشتركة مع عشرات الناس الآخرين ، وتناوله عقار الليثيوم بشكل إجباري ؛ بجرعات تجعله يصبح مخدراً بينما يراقب الأطباء والممرضات كل حركة من حركاته .وكان ذلك آخر شيء يرغب في أن يحدث له .لذا ، بدلاً من ذلك ، عمل على كبت الغضب في داخله

محاولاً أن يبقيه خفيّاً .ولكن بعد فترة ، أدرك أن غضبه لم يختفِ ، وبدلاً من ذلك ، تحوّل من غضب علني إلى غضب خفي .وبشكل لا شعوري ، بدأ يستغل الناس .إذ أصبح يعرف الأزرار التي يجب عليه الضغط عليها ليثير غضب شخص ما ، وبدأ يضغط على تلك الأزرار إلى أن ينفجروا في نهاية المطاف .وواحداً تلو الآخر ، كان يتم إرسال الآخرين إلى قسم العناية الفائقة ، بينما ظل هو يلعب دور البريء ؛ إلى أن استدعاه طبيبه أخيراً ليناقشه حيال ما يفعله .وبعد ساعات لا حصر لها من العلاج في وقت لاحق ، فهم كولين أخيراً أن الغضب هو الغضب ؛ سواء أكان علنياً أم خفياً .وهو مدمر بشكل مماثل في كلتا الحالتين.

فكّر كولين في أن هذا ما أراد الفاعل أن يقوم به ، أي إثارة الغضب بنية الاستغلال .فأياً يكن الفاعل ، فقد أراد أن تسير ماريا في الاتجاه الخطأ كلياً. ورغم أنه ظلّ خفياً في الوقت الحاضر ، إلا أن كولين أدرك أن هذه مجرد البداية.

من وجهة نظر كولين ، إن هذا الأمر يجعل احتمال أن يكون كين هو المشتبه به ضئيلاً جداً .ولكنه لم يكن يملك إلا اسماً واحداً ، ولم يكن لديه أي خيار سوى أن يبدأ من هناك .وبعد أن سلمته ماريا كارهة مفتاح شقتها بعد أن فرغا من تناول الغداء ، قاد سيارته إلى الشقة ، وأخرج الكاميرا .شغّلها ليتأكد من أن البطارية مشحونة بشكل جيد ، وراح يتفحص إعدادات متنوعة فيها .كما تفقّد ميزة تقريب الصور ، ثم التقط بعض الصور من شرفتها قبل أن يدرك أنه يجب عليه أن يصوّر وجوهاً ليعرف مدى القرب الذي يجب أن يصور منه.

وبعد أن ترك المفاتيح داخل أصيص نبات قرب الباب كما وجّهته ماريا ، قاد سيارته إلى الشاطئ حيث لن يشك أحد في رجل يحمل كاميرا .لم يكن المكان مزدحماً ، ولكنه عثر على عدد كافٍ من الناس حوله ، وتمكّن من

الحصول على ما يحتاج إليه .وهكذا ، أمضى ساعة من الزمن وهو يلتقط الصور للناس من مسافات مختلفة .وفي نهاية المطاف ، استنتج أنه لا يمكنه أن يصوّر من مسافة تبعد أكثر من خمسين ياردة ، وهذا جيد ، ولكنه ليس رائعاً .فقد ظلّ من الممكن أن يتمكن كين من تمييزه .وفكر في أنه بحاجة إلى موقع ملائم لا يمكنه أن يراه فيه.

كانت المباني التاريخية على كلا جانبي المربع السكني الذي يقع فيه مكتب ماريا يبلغ ارتفاعها طابقين أو ثلاثة طوابق ، ولها سطوح مسطحة .وكانت السيارات مصفوفة على جانبي الشارع .ورغم وجود عدد من الأشجار ، إلا أنه لم تكن هناك أي واحدة كبيرة بما فيه الكفاية لكي يختبئ خلفها .ولم تكن حركة السيرة مزدحمة ، ولكنها كانت ثابتة .أدرك أن بقاءه متوارياً عن الأنظار وهو يختبئ في مكان ما لمدة ساعة أو أكثر وبيده كاميرا بكل تأكيد أمر غير وارد على الإطلاق.

رفع نظره وركّز على المباني التي مر بها لتوه ؛ تلك التي تقع مقابل مدخل المكتب ، فوجد أن المسافة جيدة والزاوية مثالية ، ولكن السؤال الذي يطرح نفسه هو :كيف يمكنه الصعود إلى هناك ؟ وهل يمكنه فعل ذلك ؟

عبر الشارع مجدداً على أمل أن يعثر على مخرج للحريق .غير أن المباني الحديثة المكونة من طابقين أو ثلاثة طوابق لم تكن تحتوي على مثل تلك المخارج .وحالما وصل إلى الزقاق الضيق الذي يقع خلف المربع السكني ، أدرك أنه شبه محظوظ .فرغم أن المباني التي تقع مباشرة مقابل مكتب المحاماة لم يكن من الممكن الوصول إلى أسطحها ، إلا أن المبنى ذا الطوابق الثلاثة الذي يقع بجانبها كان لديه سلم عتيق الطراز يرتفع عشر أقدام أو إحدى عشرة قدماً

ويصل إلى مكان مستوٍ ومعدني في الطابق الثاني .وجد أن الوصول إليه صعب ولكنه ليس مستحيلاً .ورغم أن زاوية الرؤية التي يسمح بها هذا المبنى لم تكن مثالية ، إلا أنه أدرك أن هذه هي فرصته الفضلى والوحيدة .سار على طول الزقاق ، ووضع حزام الكاميرا حول عنقه ، فيما دسّ الكاميرا تحت قميصه .ثم خطا بضع خطوات سريعة باتجاه الباب ؛ على أمل أن يستخدمه كلوح قفز لينطلق منه نحو الأعلى ويكسب بضع بوصات يعرف أنه بحاجة إليها لبلوغ السطح.

تمكّن من القيام بذلك بشكل صحيح ، وأمسك بالحلقة السفلية بكلتا يديه .ثم بحركة يد قوية ارتفع نحو الأعلى ، ثم صعد ووضع يده الأخرى على الحلقة التالية في الأعلى مكرراً العملية ، إلى أن وصل أخيراً إلى المكان المستوي .ولحسن الحظّ ، كان السلم مثبتاً إلى المبنى بشكل جيد .وبعد بضع لحظات ، وصل إلى السطح .وفي الشارع في الأسفل ، لم يبدُ أن أحداً قد لاحظ وجوده.

كان كل شيء يسير على ما يرام حتى اللحظة.

مضى في طريقه متّجهاً إلى الزاوية الأكثر قرباً من مكتب ماريا ، فوجد أن حافة السطح منخفضة ، ولا تعلو أكثر من ست بوصات .ولكن القليل من التخفّي أفضل من عدم التخفّي على الإطلاق .ولحسن الحظ ، كانت الحصى هناك ملساء ، ولا توجد أي حصاة كبيرة ؛ رغم أنها بدت مبعثرة هنا وهناك .عثر على كومة من قشور العلكة على الأرض ، فانبطح على بطنه ونفضها بعيداً عنه ، ثم وجّه الكاميرا نحو المكاتب واستقر في مكانه منتظراً .وما فاجأه هو أنه استطاع بالفعل أن يرى ماريا وهي تعمل في مكتبها خلف الطاولة .واستطاع

أيضاً أن يميز سيارتها ومن خلفها حاوية القمامة .فقد كانت سيارتها مركونة في المكان المعتاد نفسه .وعلى بعد بضعة أماكن ، شاهد سيارة كين.

بعد انتظار دام ساعة تقريباً ، بدأ الناس يتدفّقون خارجين من المكتب ؛ بمفردهم حيناً وفي ثنائيات أحياناً .وخرجت المساعدات أيضاً ، فلاحظ أنهن جذابات جميعاً كما ذكرت له ماريا .وبعد ذلك ، خرج بضعة رجال في العقد الرابع من العمر ، وكذلك صديقة ماريا جيل .ثم خرج بضعة أناس آخرين ، وتبعتهم ماريا بعد بضع دقائق .راح يتبعها بعدسة الكاميرا وهو يفكر في أنها تتحرك ببطء أكثر من المعتاد .وعندما وصلت إلى زاوية المبنى ، ألقت نظرة خاطفة حولها وهي بلا شك تحاول العثور عليه ، فراقب تقطيبة راحت تتشكل على جبينها ، قبل أن تتجه إلى سيارتها أخيراً.

حاول التركيز على المدخل مجدداً ، ومع ذلك لم يرَ أي أثر لكين .وحين كان قد بدأ يتساءل عمّا إذا كانت بداية هبوط الظلام ستجعل التفاصيل التي يريدها تصبح ضبابية ، دفع كين الباب أخيراً ، فحبس كولين أنفاسه ، وراح يلتقط عشرات الصور قبل أن يصل كين إلى موقف السيارات .ثم انقلب على جنبه ليتفحص الصور على أمل أن تكون صورة أو اثنتان جيدتين بما فيه الكفاية.

وكان الأمر كذلك.

انتظر إلى أن انطلق كين بسيارته قبل أن ينهض ويمضي في طريقه نازلاً عن السطح بالطريقة نفسها التي صعد بها .ومجدداً ، لم يبدُ له أن أحداً قد لاحظ وجوده .وبحلول الوقت الذي وصل فيه إلى سيارته ، كان الظلام قد بدأ يخيم

على المكان .توقّف في طريقه عند أحد المحلات ، واختار صورتين للتحميض قبل أن يتوجّه عائداً إلى شقة ماريا.

فقد وعدها بأن يعيد إليها الكاميرا.

* * *

قالت له في وقت لاحق والصور أمامها على طاولة المطبخ" :لا عجب في أنني لم أتمكن من العثور عليك .إذاً ، غداً"...

"سأبدأ بالاتصال ببائعي الزهور .وآمل أن أتمكن من اكتشاف الحقيقة."

"وماذا ستفعل إن اتضح أنه طلب الباقة عن طريق الهاتف ؟."

"سأخبرهم بالحقيقة ؛ أي أنك تتساءلين إن تم تثبيت البطاقة الخطأ على الباقة ، وسأقول إنك ترغبين في معرفة هوية المرسل."

"قد يرفضون إخبارك."

"ما سأطلبه هو مجرد اسم وليس رقماً .وأعتقد أن معظم الناس سيبدون رغبة في المساعدة."

"وعندما تكتشف أن الفاعل هو كين ، ماذا ستفعل ؟."

وكان ذلك هو السؤال نفسه الذي طرحه عليه إيفان ، وكان يفكر فيه ملياً منذ ذلك الحين ، لذا قال" :إن القرار حول ما سنفعله تالياً يعود إليك أنت."

عندها ، أومأت برأسها وقد زمّت شفتيها .وأخيراً ، نهضت مبتعدة عن الطاولة واتّجهت نحو باب الشرفة .وقفت هناك لوقت طويل من دون أن تقول

أي شيء ، فنهض كولين عن كرسيه وتبعها .وعندما اقترب منها ووضع يده على كتفها ، شعر بها كما لو أنها تنهار تحت لمسته.

"إنني متعبة وحسب من التحدث عن هذا الموضوع .حتى إنني متعبة من مجرد التفكير فيه."

"فلنخرج من هنا ، ولنفعل شيئاً ما يبعد الموضوع عن ذهنك."

"مثل ماذا ؟."

"ما رأيك بأن أفاجئك ؟."

* * *

راحت تحدق من نافذة سيارة الكامارو المركونة بين مجموعة من شاحنات الفان الصغيرة ، ولم تقم بأي حركة للترجل من السيارة ، ثم قالت مستغربة: "أهذه مفاجأتك!؟."

"فكرت في أنك ستجدين الأمر ممتعاً."

"لعبة الغولف المصغرة !هل أنت جاد ؟."

تفحّصت ماريا بنظرات شك واضحة الأضواء المبهجة التي تحيط بالمدخل .وخلف الأبواب الزجاجية ، استطاعت أن تميّز ممراً مقنطراً .وإلى اليسار ، كان هناك ملعب غولف بنسخة مصغرة تكتمل بطواحين هوائية تدور ؛ كجزء ممّا ظن كولين أنه جو اسكندينافي.

"ليست مجرد لعبة غولف مصغرة ، بل إنها لعبة غولف تضيء في الظلام."

"أعتقد أنك أخطأت وظننتني فتاة في الثانية عشرة من عمرها."!

"إنها وسيلة جيدة للتسلية وتشتيت الأفكار .متى كانت المرة الأخيرة التي لعبت بها ؟."

"قلت لك للتو !عندما كنت في الثانية عشرة من عمري .فقد احتفل كيفن روس بذكرى ميلاده هنا ، ودعا كل طلاب الصف السادس .وقد جاءت أمي أيضاً ، لذا لم يكن موعداً بالمعنى الحرفي للكلمة."

"ولكنه كان يوماً مميزاً .وبعد ذلك ، يمكنك أن تجرّبي متاهة الليزر."

"متاهة ليزر."!

"شاهدت الإعلان قبل بضعة أشهر حين كنت أمر بسيارتي من هنا .أظن أنها تشبه ذلك المشهد من فيلم" لتصبح ذكياً "مع ستيف كاريل ، حيث يجب عليك أن تحاولي عبور الغرفة من دون أن تخترقي الأضواء الليزرية ."وعندما لم تجب ، تابع قائلاً" :إنني أكره أن أفكر في أنك خائفة من أن أفوز وتخسري أنتِ ، وهذا كل ما في الأمر."

"لست خائفة من أن أخسر لصالحك أنتَ بالتأكيد .فإن لم تخنّي الذاكرة ، كنت الأكثر براعة من بين كل تلاميذ صفي."

"هل هذا يعني أنك موافقة ؟."

"هيّا."

* * *

في صباح يوم الجمعة ، استيقظ كولين مبكراً ، وخرج من البيت قبل

بزوغ الفجر .ركض بسرعة لمسافة ستة أميال ، ثم زار الصالة الرياضية ، قبل أن يدخل شبكة الإنترنت ليجمع أرقام الهواتف التي يحتاج إليها .وتفاجأ حين عرف أن حي ويلمنغتون يحتوي على أكثر من أربعين محلاً لبيع الزهور ، بالإضافة إلى متاجر بقالة تبيع الزهور على حدّ سواء .هذا يعني أنه سيكون مشغولاً جداً.

تملّكه شعور جيد حيال الليلة الفائتة .فرغم أن الأمر تطلب من ماريا بضع رميات محظوظة لكرة الغولف قبل أن تبدأ بالاسترخاء ، إلا أنه بحلول الوقت الذي أنهيا فيه اللعب ، كانت تضحك وحتى ترقص بعد أن حققت رمية ممتازة .وعندما شعرا بالجوع ، تخلّيا عن فكرة متاهة الليزر .لذا ، اصطحبها إلى كشك على الرصيف قرب الشاطئ متخصصٍ في بيع شطائر السمك .فتناولا الطعام ، ثم شربا بعد ذلك شراباً مثلجاً .سألها إن كانت راغبة في الخروج مع إيفان وليلي ، فأجابت بأنها موافقة بكل تأكيد .وعندما ودّعته متمنية له ليلة سعيدة ، بات متأكداً من أن تلك الأمسية هي كل ما كانت بحاجة إليه.

بدأ يُجري أولى مكالماته لدى تناوله الفطور ؛ على أمل أن يتمكن من إنهاء اللائحة بأكملها في غضون بضع ساعات .ولكنه فوجئ عندما أدرك أن الشخص الذي يريد التحدث إليه ليس متوفراً دائماً للتحدث إليه في الحال .وهذا يعني اضطراره إلى إجراء مكالمة ثانية أو حتى ثالثة على الرقم نفسه .ومع ذلك ، ذكر كل الشرح والأسئلة التي كان قد فكر في أنها قد تنجح في مساعدتهما على معرفة المرسِل ؛ وهي أن البطاقة الخطأ ربما تم تثبيتها على الباقة التي أرسلت إلى المكتب .ولحسن الحظ ، معظم الناس الذين تحدث إليهم أبدوا رغبتهم في تقديم المساعدة .وبحلول الوقت الذي أنهى فيه الاتصال بعدد قليل من المحلات ، وجد أن بداية فترة العصر قد حلت ، فتوصّل إلى الاعتقاد بأن

المحلات الأخرى ستقول الشيء نفسه الذي قالته سابقتها، أي أنهم ليسوا المحل الذي جمع تلك الباقة أو أوصلها.

وسرعان ما اكتشف أنه محق في اعتقاده .لذا، راح يتساءل عمّا يمكنه فعله الآن، وقرر أن يجرب الاتصال ببعض محلات الزهور خارج البلدة .وكان السؤال الذي يطرح نفسه هو :أي الاتجاهات يختار؟ وأخيراً، اختار الشمال، واتصل بكل بائعي الزهور في هامبستيد، ثم عثر على ثمانية عشر محلاً إضافياً تبيع الزهور في جاكسونفيل.

وعندما أجرى اتصاله السادس بمحلّ يدعى حديقة الزهور قرب بوابات كامب ليجون، وصل إلى مبتغاه .فقد قال له صاحب المحل إن الباقة من محله .كما تذكّر البائع الرجل الذي طلبها، وأضاف أنه كان طلباً، وأنه دفع ثمنها نقداً .وأكّد له أن المحل سيفتح في اليوم التالي .لذا، قرر كولين أن يتوجّه إلى هناك في كل الأحوال.

وفي وقت متأخر من تلك الليلة، وبينما كان يعمل في المطعم، وجد كولين نفسه يفكّر في حقيقة تكبد شخص ما كل هذا العناء ليحاول إخفاء هويته.

* * *

هبّت عاصفة رعدية في ليلة الجمعة، حاملة معها درجات حرارة أكثر برودة .وفي صباح السبت، بعد أن انتهى كولين من الجري والقيام ببعض الأعمال في الباحة الخلفية، قاد سيارته إلى محل حديقة الزهور في جاكسونفيل التي تبعد أكثر من ساعة بقليل .وفي المحل، أخرج كولين صورة كين وأراها

للرجل وسأله:

"ليس هذا هو الرجل نفسه ، أليس كذلك ؟."

أما المالك -وهو رجل مهيب في العقد السادس من عمره ويضع نظارة- فقد ألقى على الصورة نظرة سريعة ، ثم هز رأسه قائلاً" :إن الرجل في الصورة أكبر سناً بكثير .أما الرجل الذي اشتراها فهو ربما في أواخر العقد الثاني من عمره ؛ رغم أنني لم أتفحصه بشكل جيد."

"ألم تفعل ؟."

"بدا الرجل غريباً نوعاً ما ، وهذا هو السبب الوحيد الذي جعلني أتذكره. فقد كان يعتمر قبعة بيسبول ، وراح يحدق إلى المنضدة وهو يتكلم ، بل كان يتمتم نوعاً ما .وقد قال لي ما يريده ثم خرج فوراً .وبعد ساعة عاد إلى هنا ، ودفع ثمن الأزهار نقداً ثم غادر."

"هل صادف أن لاحظت إن كان وحده أم لا ؟."

فأجاب البائع" :لم أعر الأمر انتباهاً .ما حقيقة الأمر كله من فضلك ؟."

"كما ذكرت لك عبر الهاتف ، كانت هناك رسالة غريبة مكتوبة على البطاقة."

"لم يطلب مني أية بطاقة .وأتذكر ذلك أيضاً لأن جميع الناس يرغبون عادة في كتابة شيء ما .وكما قلت لك ، بدا لي رجلاً غريب الأطوار."

* * *

في عصر ذلك اليوم ، وأثناء ممارسته تمرينه في الصالة الرياضية ، ركّز

كولين بشكل مكثف على العمل الدفاعي والمصارعة .وما فاجأه هو أن دالي عمل معه بشكل حصري ، وراح يحثه ويتحداه بشكل أقوى من المعتاد .وقد كان دالي في ما مضى وحشاً عندما يتعلق الأمر بالقتال .وأكثر من مرة ، وجد كولين نفسه يحاول الدفاع عن حياته .وفي الوقت الذي انتهى فيه التمرين ، أدرك كولين أنه لم يفكّر في الرجل الذي يعتمر قبعة البيسبول ولو مرة واحدة.

كائناً من كان!

ومع ذلك ، عاوده الانشغال به حالما خرج من الحلبة .وقبل أن يصل إلى باب غرفة الملابس ، أتى دالي نحوه مهرولاً ، واستوقفه قائلاً له" :هل يمكنني التحدث إليك لبضع دقائق ؟."

استخدم كولين قميصه المبلل بالعرق ليمسح وجهه.

"ما رأيك في القتال في العطلة الأسبوعية القادمة ؟ في هافلوك ."وقبل أن تتسنى لكولين فرصة الرد على السؤال ، تابع دالي كلامه قائلاً" :أعرف أنك لم تقاتل منذ ثلاثة أسابيع .ولكن ، وردتني مكالمة في وقت مبكر من بيل جينسن. إنك تعرف بيل ، أليس كذلك ؟."

فقال كولين" :إنه المتعهد."

"إنك تعرف مقدار ما فعله لمقاتلينا على مدى السنوات ، بمن فيهم أنت. وهو الآن واقع في مأزق .على أية حال ، جوني ريس هو الذي سيقود الحدث. والشاب الذي كان يفترض أن يقاتله كُسِرت يده قبل بضعة أيام فاضطر للانسحاب .لذا ، إن ريس بحاجة إلى خصم جديد الآن."

وحالما ذكر دالي الاسم ، تذكّر كولين المحادثة التي جرت بينه وبين إيفان

أثناء تناول العشاء .إن الرجل يتحرك كالقط .وتابع دالي كلامه قائلاً" :إن جينسن يحاول أن يعثر على شخص ما ، واتضح أنك الشخص الوحيد الذي يندرج تحت فئة الوزن المناسبة ؛ ما يجعل الأمر يستحق الاهتمام .فهذه هي مباراة ريس الأخيرة قبل أن يتجه للاحترافية .وهو يتمتع بكل الميزات :فهو بطل سابق في الرابطة الوطنية لرياضة الجامعات في رياضة المصارعة ، كما أنه يتحسن في الضرب ، ولا يخشى شيئاً غالباً .وفي الواقع ، لقد نجح في الوصول إلى بطولة القتال النهائية في عام أو عامين ؛ وهذا هو السبب الذي جعل جينسن غير راغب في إلغاء المباراة .ولهذا السبب تحديداً ، ركّزت عليك في التمرين اليوم .فقد أردت أن أعرف إن كنت مستعداً لمواجهته."

"لستُ جيداً بما يكفي لمواجهة ريس."

"لقد جعلتني في حالة دفاعية أكثر من عدة مرات اليوم .ثق ب.ي ، أنت مستعد."

"سأخسر."

فاعترف دالي قائلاً" :على الأرجح .ولكنّها ستكون المباراة الفضلى التي سيخوضها ريس في هذه المرحلة من حياته ؛ لأنك أفضل مما تعتقد .أعرف أنني أطلب منك المخاطرة هنا ، ولكنّ هذا قد يساعدنا ويساعدك أنت أيضاً. فجينسن من نوع الأشخاص الذين لا ينسون الجميل إطلاقاً .وأنت ستساعدني في الحصول على بعض الشهرة ، أعني لصالتي الرياضية."

مسح كولين وجهه مجدداً وهو يفكّر في سرّه :لم لا؟

وأخيراً قال" :حسناً ."وعندما غادر الصالة الرياضية ، كان ذهنه مشغولاً

بجوني ريس .ومع ذلك ، وجد نفسه لا يشعر بأية حماسة ؛ وهذا أمر غريب. وبحلول الوقت الذي وصل فيه إلى منتصف الطريق إلى البيت ، لم يعد يفكر في المباراة الوشيكة على الإطلاق .فقد كان الشيء الوحيد الذي يشغل ذهنه هو الرجل الذي أرسل الزهور ، وكيف استطاع شخص آخر غير كين معرفة أن ماريا قد ألقتها في القمامة.

* * *

علّق إيفان قائلاً" :هذا يومك ."وكانا جالسين على الشرفة ، حيث راح كولين يشرب كأساً من الماء ، وإيفان يتناول شرابه المفضل .ثم تابع إيفان قائلاً: "ريس ، أليس كذلك ؟ إنه بارع تماماً."

"شكراً لك لتجنّبك ذكر الأمر المهم."

"آه ، أتعني ماريا والرجل الذي يطاردها ؟ أهذا ما تريد أن تتحدث عنه ؟." وصمت إيفان قليلاً قبل أن يتابع قائلاً" :حسناً ، هل خطرت لك فكرة أن كين ربما استأجر ذلك الرجل ليشتري الورود ويوصلها إلى ماريا ؟."

"إذاً ، ما الذي سيدفعه إلى شرائها من مكان يبعد عن المكتب مسافة ساعة ؟."

"ربما كان الرجل الذي استأجره من هناك."

شرب كولين جرعة كبيرة من كأس الماء ثم قال" :ربما .ولكنني لا أظن ذلك."

"لم لا ؟."

"لأنني لا أظن أن لكين علاقة بهذا الأمر."

راح إيفان يعبث بالملصق الموضوع على زجاجته ثم قال" :إن كان رأيي يشكّل مواساة لك ، فأنا أظن أنك محق .إن الفاعل ليس رئيسها في العمل. ولكن ، من الناحية الإيجابية ، كل تحقيقاتك السرية وانتظارك على السطح والصور التي التقطتها أتت بنتيجة في النهاية .وهذا يعني أنك لست أحمق ؛ رغم أنك لم تقترب حتى مجرد اقتراب من معرفة الفاعل."

"ولكنني عرفت شيئاً آخر."

"ما هو؟."

"أعتقد أن الشخص الذي كان يراقب ماريا قد فعل ذلك من المكان نفسه على السطح حيث التقطتُ الصور."

"وما الذي يدفعك إلى هذا الاعتقاد!؟."

"لأنني وجدت الحصى ممهدة في المكان الذي جلست فيه ، كما لاحظت وجود الكثير من قشور العلكة التي لم يطيرها الهواء .وهذا يعني أن هناك شخصاً ما تواجد في ذلك المكان مؤخراً .ومن تلك الزاوية ، تمكنت من رؤية مكتب ماريا من الداخل بكل وضوح .والشيء نفسه ينطبق على سيارتها وحاوية القمامة .إذاً ، في هذه الحالة ، من المحتمل أن الفاعل ظل يتجسّس عليها في ذلك المكان لساعات .لم أتمكن من وضع النقاط على الحروف إلا قبل أن أتحدث إليك بقليل."

وللمرة الأولى ، التزم إيفان الصمت .وأخيراً قال" :حقاً."!

"أهذا كل شيء ؟."

"ربما كنت محقاً وربما كنت مخطئاً .لذا ، ليست لديّ أيّة إجابة."

"والآن ، لدي مباراة قتالية في العطلة الأسبوعية القادمة."

"إذاً ؟."

"لدي أفكار أخرى."

"لماذا ؟."

"بسبب كل شيء يجري مع ماريا."

"إنك تتمرن لتقاتل ، وتحب القتال .وقد عرضت عليك مباراة قتالية لتخوضها الآن .فما علاقة هذا الموضوع بماريا ؟."

فتح كولين فمه ليتكلم ، غير أنه ما لبث أن التزم الصمت.

تابع إيفان كلامه قائلاً" :أتدري ماذا ؟ إنك دائماً تتكلم بصورة سلبية عن الطريقة التي تضعني بها ليلي كخاتم في إصبعها الصغيرة .ولكن ، من الواضح تماماً أنني قادر على جعل علاقتي العاطفية واضحة ومحددة أكثر مما تفعل أنت .ففي الوقت الحاضر ، أنت تحاول أن تعيش حياتك بناء على ما قد يحدث ، أو ما إذا كنت تستطيع حلّ مشكلة ماريا ؛ رغم أنها أوضحت لك أنها لا تريد منك أن تفعل ذلك .أتدري مدى الفوضى التي ستحدثها ؟ لقد أخبرتني أنها أرادت أن تشاهدك وأنت تقاتل ، أليس كذلك ؟ حسناً ، ادعُها لتأتي وتشاهدك ، ثم ادعُها لتناول العشاء بعد ذلك .حسناً !حلت المشكلة."

فابتسم كولين ابتسامة ساخرة وقال" :أظن أنك تريد مني أن أقاتل لأنك

واثق تماماً من أنني سأخسر."

"ماذا!؟ حسناً ، أعترف بذلك .إنك رجل مزعج للغاية لدرجة أنه قد يكون من الممتع مشاهدة شخص ما وهو يوسعك ضرباً ."وعندما ضحك كولين ، تابع إيفان كلامه قائلاً" :حسناً .إذاً ، انتهى الموضوع .هل أنت مبتهج حيال الليلة ؟."

"الليلة."!

"أنت وماريا !معي أنا وليلي !الدينا موعد ، أتتذكر هذا ؟ فقد حجزت طاولة من أجلنا في مطعم كابريس بيسترو عند الساعة السابعة والنصف .وبعد ذلك ، سنخرج إلى أحد النوادي حيث يعزفون موسيقى الثمانينيات."

"موسيقى الثمانينات."!

"هل يوجد صدى هنا؟ نعم، موسيقى الثمانينيات .إن ليلي من المعجبين بالمغنية مادونا ، وهذا ما تبقى من سنوات مراهقتها المتمردة حسب زعمها .إذاً ، هل سنذهب إلى هناك؟ إن كانت ماريا لا تزال راغبة في الذهاب طبعاً."

"ولم لن تكون كذلك ؟."

"ربما لأنك قضيت على مزاجها بما عرفته من معلومات."

"لم أخبرها بعد."

"أنت بطل العالم في الصراحة ، ولم تخبرها !إنني مصدوم."!

"أنوي أن أخبرها الليلة."

"إن فعلت ذلك ، فاحرص على عدم تضخيم الموضوع ومنحه حجماً أكبر من حجمه .فأنا لا أريد أن تثبط متعتنا في هذه الأمسية .وأؤكد لك أن الأمر قد حدث مرة واحدة ، وقد انتهى كل شيء."

فقال كولين" :أو ربما ليس كذلك."

الفصل السادس عشر

ماريا

ظل كولين ملتزماً الصمت منذ أن ذهب ليقلّ ماريا ، وهذا ما جعلها تصاب بالتوتر ؛ نظراً إلى كل ما كان يقوم به خلال اليوم .ورغم أنه لم يتطوع للبوح بأي شيء ، إلا أنها أدركت أنه يفكر في موضوع باقة الورد .وفيما كان يردّ على ثرثرتها ببرودة وتشتت ذهن ، شعرت بانقباض في صدرها .وبحلول الوقت الذي توقّفا فيه داخل موقف سيارات المطعم ، لم يعد بوسعها أن تسيطر على نفسها أكثر من ذلك.

"من أرسل الورود ؟."

عندها ، أطفأ كولين المحرك ، وأخبرها بما توصّل إليه من معلومات.

عبست وفكرت في الأمر قليلاً ثم قالت" :إن لم يكن كين هو الفاعل ، وإن كنت لا تظن أنه شخص استأجره كين ، فمن هو إذاً ؟."

"لا أدري."

فالتفتت نحو نافذة الراكب .ومن خلف الزجاج ، شاهدت زوجين مُسنين يمشيان نحو المطعم بوجهين مبتسمين كما لو أنه لا يوجد أي همّ في العالم.

قالت بصوت متردد" :لقد رأيت كين مجدداً يوم أمس أثناء اجتماعي مع بارني .وعدا عن حقيقة أنه كان يتصرف بشيء من تشتت الذهن ، إلا أن كل تصرفاته بدت مهنية تماماً .وفي الحقيقة ، بدا عليه أنه بالكاد يلاحظ وجودي ، وهذا ما يجعلني في حيرة من أمري."

إنه ليس كين .واستطاعت أن تدرك من صمت كولين أنه قادر على معرفة ما تفكر فيه.

فقال" :دعينا لا نقلق حيال الأمر الليلة ، هل اتفقنا ؟."

أومأت برأسها وهي تشعر بتشنج في كتفيها ، وقالت" :سأحاول ذلك ، ولكن من الصعب ألا أفعل."

فقال" :أعرف ذلك .ولكن ينبغي لك على الأرجح أن تأخذي دقيقة لتجهزي نفسك لليلي .صحيح أنني معجب بها كثيراً ، ولكن التعامل معها يتطلب بعض الاعتياد."

عندها ، أجبرت ماريا نفسها على الابتسام وقالت" :هذه مجاملة خرقاء ، أتدري ذلك ؟."

"خمّني ممن تعلمتها."

* * *

بعد دخول ماريا المطعم ، لم يستغرق منها الأمر أكثر من ثانية لتميّز ليلي .فحالما عبرت وكولين الباب وهما مهندمان بشكل مثالي ، اتجهت نحوهما فتاة شقراء جذابة بعينين كلون الفيروز ، وراحت تمشي نحوهما بكل رشاقة. كانت ترتدي ثوباً أنيقاً متوسط الطول ، وتتزيّن بعقد من اللآلئ .التفت كل الرجال في المطعم تقريباً للنظر إليها وهي تمر .أما إيفان الذي كان يرتدي ملابس أنيقة تشبه ملابس طلبة الجامعات ، فقد اقترب منهما وهو يمشي في أعقابها ، فلاحظت ماريا جو الثقة بالنفس الذي يحيط به .فمن الواضح أنه بدا مستريحاً حيال السماح لليلي بأن تكون محطّ الأنظار.

لم تغب ابتسامة ليلي عن شفتيها .وحالما اقتربت منهما ، أمسكت بيد ماريا بين يديها .وكانت يداها ناعمتين كملاءة أطفال مصنوعة من الحرير .قالت: "إنها لبهجة كبيرة بالنسبة إليّ أن أستمتع بصحبتك هذه الأمسية !فقد قال لنا كولين الكثير من الأشياء الرائعة عنك ."وبحلول ذلك الوقت ، وصل إيفان إلى جانبها فتابعت قائلة" :آه يا عزيزتي ، أين سلوكي الحسن!؟ اسمي ليلي .وهذا الرجل الوسيم خطيب.ي إيفان .من الرائع أن نقابلك يا ماريا."!

عندها ، قال إيفان بدفء حقيقي" :مرحباً بك .ومن فضلك ، اعذريني إن لم تسمح لي ليلي بالتفوه بكلمة واحدة خلال الأمسية."

فوبّخته ليلي قائلة" :صه يا إيفان .ليس هناك سبب لكي نعطي صديقتنا الجديدة انطباعاً خاطئاً عني ."ثم عاودت النظر إلى ماريا وقالت" :حاولي أن تسامحيه من فضلك .فهو لطيف جداً ، وأكثر ذكاء مما يحاول أن يُظهِر للآخرين ، ولكنه ارتاد جامعة ستيت ، وانتسب إلى جمعية أخوية خلال دراسته ، وتعرفين بالتأكيد ما يعنيه ذلك."

عندها ، اعترض إيفان قائلاً" :على الأقل ، كانت جامعتي مختلطة."

فأجابت ليلي قائلة" :وكما أكّدت له مراراً "...ثم نكزت ماريا وتابعت" :لن أعتبر هذا الأمر شيئاً سلبياً ضده."

ابتسمت ماريا رغماً عنها وقالت" :من اللطيف أن أقابلكما."

فالتفتت ليلي إلى كولين وهي لا تزال تمسك بيد ماريا وقالت" :يجب عليك يا كولين أن تعترف بأنك لم تكن منصفاً مع ماريا على الإطلاق عندما أخبرتني عنها !فهي تأخذ بالألباب بكل تأكيد ."!ثم استدارت نحو ماريا وقالت:

"لا عجب في أنك استحوذت على تفكير كولين في الآونة الأخيرة .ولا بد أن تعرفي أنك كنت موضوع النقاش في كل مرة تحدثنا فيها خلال الأسابيع الماضية .ومن المؤكد أنني أتفهم السبب الآن ."ثم تركت يدي ماريا وحيّت كولين قائلة" :إنك تبدو وسيماً هذه الأمسية .هل أنا من اشترى لك هذا القميص ؟."

فقال كولين" :شكراً لك .نعم ، أنت التي اشتريته."

"إنه قميص جيد ، ألا توافقني الرأي ؟ ولولا وجودي لكنت الآن ترتدي إحدى تلك الكنزات القطنية الفظيعة التي كتبت عليها شعارات."

"أحب تلك الكنزات."

فربتت على ذراعه وقالت" :أعرف أنك تحبها ، باركك الله .والآن ، هلا نتوجه إلى طاولتنا .لقد ظللت متوترة طوال اليوم ومتشوّقة لمقابلة ماريا ؛ لأعرف كل شيء عن المرأة التي استطاعت منذ الآن أن تجعلك خاتماً في إصبعها."

فاعترضت ماريا قائلة" :لست واثقة من أن هذا صحيح."

"إنه صحيح تماماً .فكولين -على الرغم من سلوكه الرزين -واضح حيال عن مشاعره حالما تصبحين على دراية بها .والآن ، هيا بنا."

وعندما التفتت إلى الطاولة ، هز كولين كتفيه لماريا كما لو أن لسان حاله يقول :لقد قلت لك .ومع أن ماريا أصبحت على معرفة بظاهرة الفتاة التي تظهر في المناسبات الاجتماعية الجنوبية الجميلة للمرة الأولى ، فقد انتقلت ليلي بالأمر إلى مستوى أعلى .في البداية ، ظنت ماريا أن ليلي تمثّل نوعاً ما ، ولكن

عندما خاضوا معاً محادثة متعددة المواضيع أثناء تناول العشاء ، بدأت تغيّر رأيها بشكل تدريجي .وما وجدته مثيراً للاهتمام هو أن ليلي -رغم أنها هي نفسها بارعة في الكلام -تستطيع أن تتكلم حيال أي شيء ؛ إذ بدت قادرة على معرفة القدر الذي تريده من المعلومات بمجرد الطريقة التي تصغي بها إلى الآخرين. فقد كانت لديها طريقتها الخاصة في الاقتراب إلى الأمام ، والإيماء برأسها في الوقت الملائم ، وإصدار أصوات تدل على التعاطف ، تتبعها أسئلة استكشافية. ولم يتولد لدى ماريا إطلاقاً الشعور بأن ليلي تحاول أن تفكر في الشيء التالي الذي تود قوله بينما ماريا لا تزال تتكلم .وما فاجأها هو أنها وجدت نفسها تخبر ليلي وإيفان عن باقة الورد التي وصلتها ، وما تلاها من أحداث .وعند ذلك ، ساد الصمت بينهم .ثم قامت ليلي بشكل فطري بوضع يدها على يد ماريا تعاطفاً.

وفي وقت لاحق ، وبينما كانت المرأتان ترتبان مظهرهما في الحمام بعد تناول العشاء ، نظرت ماريا إلى انعكاس صورة ليلي في المرآة وقالت" :أشعر بأنني استأثرت بالحديث .إنني آسفة بشأن ذلك."

"بالتأكيد ليس هناك أي سبب يدعوك للاعتذار .فلديك الكثير مما يدور في حياتك في الوقت الحاضر .وأنا أشعر بالإطراء لثقتك بنا."

أضافت ماريا القليل من أحمر الشفاه قبل أن يرق صوتها وتقول" :لم تتفاجئي بما فعله كولين ، أليس كذلك؟ أعني في ما يتعلق بالصورة ومتابعة المكان الذي أتت منه الزهور."

فأجابت ليلي" :كلا ، فهذه طبيعته .فعندما يحبّ شخصاً ما فهو يفعل أي شيء من أجله."

"يتملكني شعور في معظم الوقت بأنني ما زلت أحاول اكتشاف شخصيته."

فقالت ليلي" :هذا لا يفاجئني .وفي الوقت نفسه ، بعد صراحتك معي ومع إيفان ، يجب أن تعرفي أنه قبل العشاء كان ولائي كله يذهب بشكل كامل إلى كولين .وقد أردت أن أقابلك لأتأكد إن كان كل كلامه عنك ينطبق عليك."

"إنك تهتمين لأمره فعلاً."

فاعترفت ليلي قائلة" :إنني أحبه كأخ لي ، فهو مهم جداً بالنسبة إليّ. وأعرف أنك تفكرين على الأرجح في أنه لا يمكن لشخصين أن يكونا أكثر اختلافاً منا .فأنا في البداية لم أصدق ما كان إيفان يراه فيه .كل تلك الوشوم والعضلات والعنف في ماضيه "...فهزت ليلي رأسها وقالت" :لا بد أنني زرت إيفان أربع أو خمس مرات قبل أن أقول كلمة واحدة لكولين .وعندما فعلت ذلك أخيراً ، كان أول كلام خرج من فمي هو أنني أظن أنه ينبغي له العثور على مكان آخر ليعيش فيه .وهل تعرفين ما الذي قاله كولين لي ؟."

فقلّدت ماريا طريقة كولين في الكلام وقالت" :حسناً."

عندها ، ضحكت ليلي وقالت" :هل يفعل هذا معك أيضاً؟ باركه الله. حاولتُ كثيراً أن أجعله يقلع عن تلك العادة ، ولكن بلا جدوى .ولكنني مؤخراً بدأت أعترف بأنها تناسبه .في ما مضى ، أتذكر أنني شعرت بالإهانة بسبب إجابته هذه ، فاشتكيت إلى إيفان ، ووعدني بأن يتحدث إلى كولين ، وإنّما بشرط واحد ؛ وهو أن أتحدث أنا إليه أولاً .وهذا ما رفضت بالطبع القيام به رفضاً قاطعاً."

"ومن الذي انتهى به المطاف بكسر الجليد؟ أنت أم هو؟."

"كولين من فعل ذلك .فذات يوم، اشتريت لإيفان جهاز تلفزيون بمناسبة ذكرى ميلاده ، وكان موضوعاً في صندوق .وصادف أن رآني كولين وأنا أكابد في حمل الصندوق ، فعرض عليّ المساعدة على الفور ، وأدخله إلى البيت. ثم سألني إن كنت أريد أن أخرجه أم أن أبقيه في الصندوق ؛ وهو شيء لم أكن قد فكّرت فيه .فقلت له إن إيفان سيفعل ذلك ، ولكنه ضحك نوعاً ما وقال إن إيفان لن يعرف كيف يفعل شيئاً مماثلاً .والشيء التالي الذي أعرفه هو أنه توجّه فوراً إلى متجر للخردوات .وبعد عشرين دقيقة ، شرع بتركيب الجهاز على الحائط. وهذا ما جعلني أتساءل إن كان هناك شيء ما حياله يستحق أن أعرفه عنه .لذا ، بدأنا نتجاذب أطراف الحديث ، واستغرق الأمر مني ثلاثين ثانية من الحوار وطرح الأسئلة لأدرك أنه ليس كأي شخص قابلته من قبل في حياتي."

"قال كولين إنك نصحته بأن يعود لمتابعة الدراسة في الكلية ، وساعدته في دراسته."

"كان يجب على أحدهم أن يفعل ذلك .فالرجل المسكين لم يفتح كتاباً منذ سنوات ، ولكنه جعل الأمر سهلاً لأنه قرر أن يدرس مجدداً .فقد كان مصمماً على أن يبذل كل ما بوسعه ، كما أنه ذكي .وعلى الرغم من انتقاله من مدرسة إلى أخرى ، فلا بد أنه التقط شيئاً من العلم على طول الطريق."

"وهو صديق إيفان المفضل."

أخرجت ليلي منديلاً ورقياً من حقيبتها ، وربتت على أحمر شفاهها وهي تومئ برأسها ثم قالت" :نعم ، بكل تأكيد .إن والديّ مرعوبان تماماً من الفكرة.

وعلى حدّ علمهما ، إنه صديق إيفان وليس صديقي أنا .وهما يلمّحان بشكل مستمر إلى أنه يجب عليّ أن أبقى بعيدة عنه .في المرة الأولى التي قابل فيها والدي كولين ، أجفل من الخوف .أما أمي فقد اقترحت ألاّ تتم دعوته إلى حفل الزفاف ، ناهيك عن جعله مرافقاً لنا .وعندما أُخبرُهما أنه صديقي أيضاً ، يتظاهران بأنهما لم يسمعاني وأنا أقول ذلك .إنهما تقليديان في أسلوب حياتهما ، وسأظل دائماً طفلتهما الغالية ، باركهما الله."

"إن والدي ووالدتي ليسا مبتهجين لعلاقتي بكولين أيضاً."

"هذا أمر يمكن تفهّمه .ولكن ، على عكس والديّ ، أعتقد أن والديك سيمنحانه فرصة .وفي نهاية المطاف ، سيغيّران رأيهما .فقد فعلت أنا ذلك على أية حال .وحتى الآن ، في بعض الأحيان أعاني من صعوبة في فهم ذلك .وفي كل الأحوال ، أنا وكولين ليست لدينا قواسم مشتركة."

"أوافقك الرأي."

ابتسمت ليلي وهي تعدّل عقدها المصنوع من اللؤلؤ قبل أن تلتفت إلى ماريا وتقول" :ومع ذلك ، هناك شيء ما حيال صراحته التي تلامس القلب ، والتي تترافق مع عدم اكتراثه البتة حيال ما يعتقده الآخرون حياله ؛ وهذا يعجبني كثيراً."

لم يسع ماريا إلا أن تبتسم اتفاقاً معها.

وأضافت ليلي قائلة" :لا بد أنك تصدقينني عندما أخبرك بأنه أقل خشونة الآن مما كان عليه عندما قابلته أول مرة .فقد بذلتُ جهداً استثنائياً لتحقيق ذلك ."ثم غمزتها قائلة" :ولكن ، ليس هناك أي سبب لكي تشكريني .هل أنت

مستعدة ؟ فأنا واثقة من أن الشابين بدآ يتوقان لعودتنا."

"لا أظن أن كولين يتوق إليّ بتلك الطريقة."

فقالت ليلي" :إنه يتوق إليك .قد لا يعترف بذلك ، ولكنه يفعل."

* * *

قال كولين وهو في طريقه إلى سيارته" :لم أكن أتوق إليك ."وأمامهما كانت ليلي تمشي مع إيفان نحو سيارته من طراز بيروس ، وتابع" :بل كنت أتحدث إلى إيفان عن مباراتي القتالية."

"أتعني تلك التي ستحدث على شاطئ ميرتل ؟."

"كلا ، بل التي ستقام في العطلة الأسبوعية القادمة."

"أي مباراة ؟."!

فزوّدها كولين بالمعلومات ثم أضاف قائلاً" :سيحضرها إيفان ، وينبغي أن تحضري أنت أيضاً."

"هل ستحضر ليلي ؟."

فأجاب كولين" :كلا .فالقتال ليس بالفعل شيئاً محبباً لدى ليلي."

"إنني متفاجئة ؛ لأنه مفضّل لدى إيفان."

"إنه يحضر مبارياتي القتالية دائماً .فهو يستمتع بها."

"حقاً !الا يبدو من هذا النوع."

"وما هو النوع الذي تقصدينه ؟."

فمازحته ماريا قائلة" :نوع الأشخاص الذين يشبهونك ؛ أي عضلات مفتولة ووشوم .ولكنني أقصد بشكل رئيس أنه يبدو من الأشخاص الذين سيغمى عليهم ما إن يروا الدماء."

فابتسم وقال" :هل تريدين أن تأتي ؟."

"بالطبع .ولكن القاعدة نفسها تنطبق هنا .لا يُسمح لك بأن تتعرض للكثير من الضرب ، وإلا أعدت إلى ذاكرتي ذكرى تلك المباراة ؛ عندما التقينا أول مرة."

"حسناً."

"إنك تقول هذا الآن ، ولكن حسب الوصف الذي ذكرته عن جوني ريس ، قد لا تتمكن من ضمان ذلك."

فأذعن قائلاً" :لا ضمانات .عمّ تحدثتِ مع ليلي أثناء تواجدكما في الحمام ؟."

"بشكل رئيس ، تحدثنا عنك أنت."

"حسناً."

"ألن تطرح المزيد من الأسئلة ؟."!

"كلا."

"كيف يمكن ألا تكترث بما قلناه عنك ؟."

"لأنه أمر بينك وبين ليلي ، وهو ليس من شأني .وبالإضافة إلى ذلك ، لا

يمكن أن يكون ما تحدّثما به سيئاً جداً ، وإلا لما ظللت تمسكين بيدي الآن."

"ما نوع النادي الذي سنذهب إليه ؟."

"كل ما أعرفه هو أنهم يعزفون موسيقى ترجع إلى عقد الثمانينات .وهذا النوع من الموسيقى من الموسيقى المفضلة لدى ليلي .فقد قال لي إيفان إنها اعتبرت الاستماع إلى مادونا أسلوباً للتمرد في سنوات مراهقتها."

"ليس تمرداً خطيراً."

"ليس بالنسبة إليك وإليّ ، ولكن بالنسبة إلى والدَي ليلي !...إنني واثق من أنهما ظلا لسنوات يعصران أيديهما قلقاً .إنهما لا يحباننني كثيراً."

فقالت" :ربما ينبغي لك أن تدعوَهما إلى إحدى مبارياتك .فعلى الأرجح ، هذا سيغير رأيهما ."وسمعته يضحك وهو يفتح لها الباب ، واستمر بالضحك بينما هو يدور حول السيارة ليصل إلى مقعد السائق ليركب.

* * *

على الرغم من الصوت الصادح لموسيقى الثمانينات ، لم يكن المشهد في النادي يشبه أي شيء توقعته على الإطلاق .فبدلاً من رؤيتها نساء مطلقات ورجالاً صلعاناً في منتصف العقد الرابع من أعمارهم يحاولون أن يعيشوا شبابهم مجدداً ، كان النادي مليئاً بشكل رئيس بطلاب جامعيين .وكادت ماريا تتوقع أن تصادف سيرينا مع أصدقائها هناك .شاهدت مجموعة من فتيات الكلية وهن يرقصن في جماعات ، وبعضهن يغنين أو يحركن شفاههن مع الموسيقى.

اقترب كولين من أذنها وقال" :ما رأيك ؟."

فاعترفت قائلة" :أشعر أنني مسنة ، ولكن الموسيقى تعجبني."

أشار إيفان نحو المقصف ، فأومأ كولين برأسه قبل أن يمسك بيدها ويشقّا طريقهما معاً بين الطاولات والناس متّجهين إلى المقصف .وعندما تمكنوا أخيراً من الحصول على انتباه النادل ، طلب كولين كأساً من الماء -وهو شيء لا يدعو للدهشة -بينما طلب إيفان وماريا وليلي شرابهم المفضل .وفيما كانوا يتناولون شرابهم ، بدأت أغنية للمغنية مادونا ، فصفّقت ليلي بيديها بسعادة ، قبل أن تقود إيفان إلى حلبة الرقص .وفجأة ، خطر ببال ماريا أن تمسك بيد كولين وتتبعهما.

وهكذا ، مضت الأمسية بسرعة ، فيما راح الأربعة يرقصون على أنغام ثلاث أغنيات أو أربع على التوالي ، ويتوقّفون بين الحين والآخر للحصول على استراحة قصيرة .طلبت ماريا شراباً آخر رغم أنها لم تنهِ شرابها الأول بعد .فقد شعرت أنها مسرورة ومتوهجة بالحيوية .وللمرة الأولى خلال الأسبوع ، تمكنت بالفعل من الاستمتاع بوقتها.

وعند الساعة الحادية عشرة والنصف ، تمكّنوا أخيراً من حجز طاولة صغيرة .وفيما هم يأخذون استراحة ويتناقشون في ما بينهم حول الوقت الذي سيبقون فيه ، وصلت نادلة شابة حاملة صينية مليئة بكؤوس الشراب ، ووضعت كأس شراب أخرى أمام ماريا.

لوّحت ماريا لها وقالت" :لم أطلب هذا الشراب."

فشرحت النادلة وهي تكابد لتجعل صوتها مسموعاً فوق صوت الموسيقى: "لقد طلبه صديقك."

فرمقت ماريا كولين بنظرة حائرة وسألته" :هل طلبت لي كأساً أخرى من الشراب ؟."

وعندما هزّ رأسه نافياً ، التفتت إلى إيفان الذي بدا متفاجئاً بقدر كولين. وبدت ليلي مرتبكة أيضاً.

سألت ماريا" :إذاً ، من الذي طلبها ؟."

فأجابت النادلة وهي تلتفت نحو المقصف" :صديقك الذي يجلس عند المقصف ويعتمر قبعة .وقد طلب مني إخبارك أنه مستاء منك لأنك لم تحب.ي الورود التي أرسلها إليك."

وعلى الفور ، فغرت ماريا فمها .وفي لمح البصر ، شاهدت حركة مفاجئة عندما قفز كولين مبتعداً عن الطاولة ، ما تسبب في سقوط كرسيه إلى الخلف. وفي اللحظة التي تلت ذلك ، كانت ماريا هي الوحيدة التي تمكنت من تسجيل عدد من الصور الذهنية التي بدت لها كلقطات فوتوغرافية التقطها ذهنها في ضوء مبهم.

كولين يمشي خطوتين نحو النادلة وفكاه يصطكان ...ويقترب منها بسرعة شديدة لدرجة أنها تسقط صينية كؤوس الشراب من يدها...

إيفان وليلي ينهضان ، وكأسا شرابهما ينسكبان...

مرتادو المقصف يلتفتون نحوهم بسبب الفوضى التي حصلت.

كولين يطالب النادلة بأن تخبره بالضبط عن الشخص الجالس إلى المقصف وهو في حالة غضب عارم ، ويكرر السؤال...

النادلة تتراجع إلى الخلف مرتعبة...

الراقصون يبدأون بالاقتراب منهما...

إيفان يمشي خطوة نحو كولين ويداه مرفوعتان...

أما ماريا ، فقد ظلت مسمرة في مكانها على الكرسي ، وكلمات النادلة ترن في أذنيها :قبعة بيسبول .إنه مستاء منك لأنك لم تحب.ي الورود...

ها هو هنا الآن .لقد تبعها إلى هنا ، ولا بد أنه كان يتبعها طوال الوقت.

بات من الصعب عليها أن تتنفس ، فيما تلاحق شلال من الصور في ذهنها ، وانهار العالم داخلها.

رجال الأمن يشقون طريقهم عبر الحشد ، ويتحركون بسرعة مخيفة...

كولين يصيح مطالباً بمعرفة الرجل الذي طلب الشراب.

النادلة تتراجع إلى الخلف والدموع تتساقط من عينيها.

الناس المحيطون بهما بدأوا يقتربون منهما...

إيفان يقتحم المكان ويمسك بذراع كولين.

ليلي تتحرك بالقرب من ماريا.

شعرت ماريا بشخص ما يضع كلتا يديه على كتفيها ، ويبدأ بمساعدتها على النهوض عن كرسيها .لم تكن لديها الطاقة لتقاومه .وفجأة ، أدركت أن ليلي هي الشخص الذي ساعدها على النهوض ، واستطاعت أن تسمع كولين وهو يصيح ؛ رغم أن إيفان ظل يشد قبضته على ذراعه ، كما رأت النادلة تبكي رعباً ، والغرباء

يبدأون بالإحاطة بهم ، ورجال الأمن يقتربون من خلفهم.

قال غريب يرتدي قميصاً أزرق" :ما الذي يجري بحق الله ؟."!

قال كولين للنادلة" :كيف كان يبدو ؟."

قال غريب آخر له شعر إبري الشكل" :هدّئ من روعك !دعها وشأنها."!

النادلة وهي تذرف الدموع" :قلت لك إنني لا أعرف !كان يعتمر قبعة !لا أدري."!

غريب يضع وشوماً" :ما مشكلتك!؟."

إيفان" :يجب أن نذهب."

كولين" :أهو شاب أم مسن ؟."

النادلة" :لا أعرف !إنه في العقد الثاني أو الثالث !لا أعرف."!

إيفان" :الآن ، يا كولين !هيا بنا."!

وبحلول ذلك الوقت ، أمسكت ليلي بماريا بسرعة لتجرها مبتعدتين عن الطاولة .وشاهدت ماريا بطرفَي عينيها إيفان وهو يجذب كولين ويفقده توازنه ، فأتى رد فعل كولين تلقائياً .إذ أدار جسده ليُحرّر يده في الحال ، واستعاد توازنه سريعاً ويداه تتخذان وضعية القتال ، وبدا وجهه محمراً ومشدوداً ، فيما عضلات عنقه متشنجة .وللحظة ، بدا عليه أنه لا يميز هوية إيفان.

عندها ، صاحت ليلي قائلة" :كلا ، يا كولين ."!فيما خطا إيفان خطوة إلى الوراء ، وبدأ غضب كولين يتبدد في الحال.

وبحلول ذلك الوقت ، وصل رجال الأمن إليهم ، وشاهدت ماريا كولين وهو يضع يديه خلف ظهره ممسكاً معصمه الأيسر بيده اليمنى .أمسك رجل الأمن به وهو يبدو غاضباً ومتوتراً ؛ بالضبط كما كان كولين قبل لحظة واحدة.

فقال له كولين" :سأذهب معك ."ثم قال للنادلة التي كانت تنتحب: "إنني أعتذر .فأنا لم أقصد أن أخيفك."

ولكنّ أياً من النادلة أو رجل الأمن لم يأبها بذلك .فقد تمّ جرّ كولين إلى الخارج .وبعد دقائق قليلة ، وصلت سيارة الشرطة وأضواؤها الزرقاء تومض. وبعد قليل ، وصلت سيارة سيدان داكنة وتوقفت أمامهم.

* * *

سألت ماريا" :من ذلك؟ ."وكانت واقفة في الخارج مع إيفان وذراعاها مشبوكتان أمام صدرها بقلق .أما ليلي فكانت قد عادت إلى النادي قبل بضع دقائق .وفي موقف السيارات ، وقف كولين مع اثنين من الضباط وأحد رجال الأمن ، وإلى جانبهم رجل يرتدي سترة رياضية مهترئة ، ويمضغ عوداً من عيدان تنظيف الأسنان.

كشفت نبرة صوت إيفان عن قلقه عندما قال" :إنه المحقق مارغوليس ، وهو بانتظار كولين ليخفق مجدداً."

"لماذا؟."

"لأنه يظن أنه يجب أن يزجّ كولين في السجن."

"أهذا ما سيحدث الآن؟."

فقال إيفان" :لست أدري."

عندها ، اعترضت ماريا قائلة" :ولكنه لم يفعل أي شيء .حتى إنه لم يلمسها."

"الحمد لله على ذلك ، وإلا كان سيتمّ تقييد يديه بالأصفاد الحديدية .ولا يزال هذا الاحتمال ممكناً ما لم تنجح ليلي في استخدام سحرها الخاص."

"ما الذي تفعله ؟."

فأجاب إيفان" :إنها تحل المشكلة ، فهذا ما تفعله ليلي عادة."

بعد قليل ، خرجت ليلي من الباب الأمامي ، وتوقّفت لتصافح أحد رجال الأمن الذين جرّوا كولين إلى الخارج ، وابتسمت ببراءة وهي تقترب من الضابطين.

شاهدت ماريا مارغوليس وهو يرفع يده ليمنع ليلي من الاقتراب .ولكنّ ليلي تجاهلته ، وظلت تقترب منه إلى أن باتت على مسافة كافية لكي يصبح من الممكن سماع كلامها .وبعد بضع دقائق بدت طويلة ، راح إيفان وماريا يتساءلان بصمت عمّا تقوله ليلي .وفي نهاية المطاف ، تبع أحد الضابطين رجل الأمن عائدين إلى داخل النادي ، بينما بقي مارغوليس والضابط الآخر مع كولين .بدا من الواضح أن مارغوليس غاضب جداً ، ولكنه لم يقم بأي حركة لتصفيد يدي كولين .وجعلت أحداث نصف الساعة الأخيرة أفكار ماريا تروح وتجيء ككرة البينغ بونغ ، وتُحدِث فوضى عارمة في مشاعرها .فقد تمت مطاردتها إلى النادي ، ما يعني أنه تم اللحاق بها إلى المطعم على حد سواء ، وما يعني أيضاً أنه تمّ تعقبها إلى البيت.

لقد عرف الرجل عنوانها ، ولا بد أنه تبعها إلى هناك.

توقّفت عن التنفس ، وسمعت إيفان وهو يكلمها ، فبدا لها صوته كما لو أنه صادر من مكان بعيد.

"هل أنت على ما يرام ؟."

راحت تضغط على أعلى ذراعيها راغبة في أن يضمها كولين .ومع ذلك ، غضبت لأنه فقَدَ السيطرة على نفسه .أم تراها خشيت عليه ؟ لم تكن واثقة من ذلك.

لقد عرف الرجل عنوانها ، لذا لا بد أنه تبعها إلى هناك.

اعترفت قائلة" :كلا ."وأدركت أنها ترتجف ، فقالت مؤكدة" :لست على ما يرام."

وعلى الفور ، شعرت بإيفان يضع ذراعه حولها.

"إن الأمر فوضوي للغاية ، وهذا مؤكد .لو كنت مكانه أيضاً لتحطمت أعصاب.ي."

"ما الذي سيحدث لكولين ؟."

"سيكون على ما يرام."

"كيف عرفت ذلك ؟."

"لأن ليلي تبدو هادئة ، بينما يبدو مارغوليس مستاء."

تفحصت ماريا الاثنين مدركة أن إيفان محقّ ، ولكن هذه الليلة أفسدت

كل شيء.

بعد دقيقة، عاد الضابط الذي دخل النادي إلى جانب مارغوليس، وتحدّثا لبضع دقائق قبل أن يعود الضابطان إلى سيارتهما مرغمين .وبحلول ذلك الوقت، عادت ليلي إلى إيفان وماريا مسرعة، فترك إيفان ماريا ليحيط ليلي بذراعيه.

وقالت" :سيدعونه وشأنه بدون دفع أي غرامات."

سألت ماريا" :ما الذي فعلته؟."

أجابت ليلي" :لقد تحدثت إلى النادلة والمدير .وقد قلت لهما الحقيقة بكل بساطة؛ أي أن هناك من يطاردك، وأن كولين بالغ في رد فعله لأنك أصبت بالخوف، وظن أنك قد تكونين معرضة للخطر .وقد فوجئت عندما وجدتهما في غاية التعاطف، ولا سيما بعد أن أعطيت النادلة إكرامية كبيرة، ودفعت ثمن المشروبات التي تم سكبها على الأرض، وعرضت على المدير المزيد من المال بسبب إقلاقنا راحته."

فحدّقت ماريا إلى ليلي قائلة" :هل رشوتهما؟."

"لم أفعل شيئاً من هذا القبيل .ولكنني قمت وحسب ببذل كل ما بوسعي لأصحّح الوضع بطريقة ترضي جميع الأطراف .وبحلول الوقت الذي عاد فيه الضابط ليتكلم معهما، صمّما كلاهما على عدم فرض أي غرامات عليه .ومع ذلك، إنني أعترف بأن هناك لحظة مرّت لم أعد فيها واثقة من أن هذا سينجح مجدداً."

"مجدداً."!

فقال إيفان موضّحاً" :إنها ليست المرة الأولى التي يتعرض فيها كولين لحادث من هذا النوع."

* * *

راح مارغوليس يلاحق كولين بنظراته ، فيما كان هذا الأخير يقترب من مجموعة أصدقائه .بالنسبة إلى الآخرين ، على الأرجح ظهر كولين مسيطراً على نفسه كعادته ، ولكنها لاحظت شيئاً على تعبير وجهه يدلّ على فهمه أنه كان قريباً جدّاً من فقدان كل شيء .اقترب منها بينما ظل مارغوليس يتفحص وجوههم جميعاً ، فراح كولين يحدق إليه بلا قلق ؛ تماماً كما فعل كل من إيفان وليلي.

قال مارغوليس مزمجراً" :الثنائي الديناميكي يضرب ضربته مجدداً !كم كلّفكما الأمر هذه المرة ؟."

فكذبت ليلي بعذوبة قائلة" :ليست لدي أية فكرة عمّا تتحدث ."وبدت لهجتها مبتهجة كعادتها.

قال مارغوليس" :بالطبع لا تعرفين .أتساءل عمّا قد يفعله المدير والنادلة إن أجبرتهما على حلف اليمين ."وترك تعليقه معلقاً بينهم بكل مضامينه قبل أن يتابع قائلاً" :ولكن ، ليس هناك أي سبب لكي أفعل ذلك ، أليس كذلك ؟ والآن ، ها قد أنقذتما صديقكما الصالح كولين مجدداً."

قالت ليلي بتمهل" :ليست هناك أية حاجة لإنقاذه ، فهو لم يرتكب أي خطأ."

"هذا مضحك ؛ لأنني أتذكر حدوث الأمر نفسه في مناسبتين على الأقل ؛

حيث كنتما أنتما الاثنان موجودين."

عندها، تظاهرت ليلي بالارتباك وقالت" :هل تتحدث عن الحادثتين اللتين صادف أن كولين كان خارجاً معنا فيهما، وحيث لم يرتكب أي خطأ أيضاً؟."

"استمري بقول هذا الكلام لنفسك، ولكنك تؤجلين النهاية المحتومة ليس إلا .فكولين يعرف من هو .اسأليه وحسب، وسيخبرك بنفسه ."ثم التفت إلى كولين وقال" :أليس هذا صحيحاً يا كولين؟ فأنت تحب أن تقنع الجميع بأنك شريف؛ رغم أنك دائم الوقوف على حافة الانفجار."

شاهدت ماريا عينَي كولين تضيقان، بينما أدار مارغوليس رأسه نحو إيفان وقال" :يجب عليك أن تشكر إيفان لأنه كان موجوداً هنا لشدك بعيداً .ولكنّنا كلينا نعرف أننا سنمضي المزيد من الوقت معاً في المستقبل؛ عندما تعود إلى القفص، وأطلب من محامي المقاطعة أن يرمي المفتاح بعيداً."

فتدخّل إيفان قائلاً" :لم يلمس كولين أحداً."

نقل مارغوليس عود الأسنان من أحد جانبي فمه إلى الآخر، وقال: "كنت أفكر في خطوط الاعتداء .فقد قيل لي إن النادلة أصيبت بالرعب لأن كولين راح يصرخ في وجهها .ولديّ العشرات من الشهود الذين قد يشهدون على هذه الواقعة."

عندها، اعترضت ماريا قائلة" :لقد أراد فقط أن يعرف من أرسل لي كأس الشراب."

وحالما التقت نظرات مارغوليس نظراتها، شعرت بنفسها تجفل، فيما

قال" :آه ، هذا صحيح ، بسبب مطاردك المزعوم ، أليس كذلك؟ سأحرص على أن أراجع تقريرك ."فالتزمت ماريا الصمت ، وندمت على تدخلها.

"آه ، انتظري .ألم تكتبي تقريراً؟ هل تحدّثت إلى محامٍ؟."

فقالت ليلي" :إنها محامية."

"إذاً ، الأمر أكثر غرابة ، ألا تظنين ذلك؟ فكل ما يفعله المحامون هو كتابة التقارير؟ ."ثم التفت إلى ماريا وتابع" :ومع ذلك ، سأقول لك شيئاً .إن تمكّنت من اكتشاف الأمر فاسألي عني ، هل اتفقنا؟."

فما كان من كولين إلا أن زمجر قائلاً" :دعها خارج الموضوع."

فصاح مارغوليس قائلاً" :هل تملي عليّ ما أفعله؟."

أجاب كولين" :نعم."

"وإلا ماذا؟ هل ستضربني؟."

ظلّ كولين يحدق إليه لبضع لحظات ، ثم مدّ يده وأمسك بيد ماريا وقال: "فلنذهب ."ومضيا في طريقهما بينما إيفان وليلي في أعقابهما.

صاح مارغوليس من خلفهم قائلاً" :امضِ في طريقك ، وسأكون خلفك."

* * *

قال كولين" :بكم أدين لك؟."

فأجابت ليلي" :دعنا نقلق حيال هذا الأمر في ما بعد ، هل اتفقنا؟."

وكان الجميع قد عادوا إلى شقة إيفان ، وجلسوا على الشرفة الأمامية

ليناقشوا الموضوع .مضت الرحلة في السيارة بهدوء ، وكانت أفكار ماريا مشتتة ، حيث لم تقوَ على فتح أي حديث .ولم يكن كولين أيضاً في مزاج يسمح له بكسر الصمت .وحتى الآن ، شعرت ماريا بأنها مجرد متفرجة على أحداث حياتها الخاصة.

صاح إيفان قائلاً" :ما الذي فعلته الليلة!؟ لقد تحدثنا عن هذا الأمر من قبل !إن مارغوليس محقّ !فما الذي كان سيحدث لولا وجودي ووجود ليلي هناك ؟."

فأجاب كولين" :لست أدري."

"إنك تعرف بالضبط ما الذي كان سيحدث ."ومرّر إيفان يده في شعره ثم قال" :لماذا تستمر بفعل ذلك!؟ يجب عليك أن تتعلم السيطرة على نفسك."

"حسناً."

فصاح إيفان بغضب" :كفّ عن قول كلمة حسناً .فتماماً مثل ليلي ، لقد سئمتُ من قولك هذه الكلمة طوال الوقت !ظننت أننا مررنا بفترة سلام في السنة الماضية بعد أن سكب ذلك الرجل شرابه خطأ على ليلي."

عندها قال كولين بصوت متزن" :إنك محق ؛ فقد ارتكبتُ خطأ وفقدتُ السيطرة على أعصابي."

فصاح إيفان" :حقاً ."!ثم استدار وشرع بالتوجه نحو الباب الأمامي وهو يقول" :أياً يكن ، أنتما الاثنتان تعاملا معه الآن ، فأنا ما عدت قادراً على ذلك." وخبط الباب خلفه ؛ تاركاً الثلاثة وحدهم على الشرفة.

قالت ليلي" :إنك تدرك جيداً أن إيفان محق يا كولين."

"ما كنت لأؤذيها."

فقالت بصوت ناعم" :هذا لا يهم .فأنت ضخم وقوي ، وعندما تستشيط غضباً يستطيع الناس الشعور بالعنف الداخلي الذي يكمن في أعماقك .وقد راحت النادلة المسكينة تتراجع إلى الوراء وهي تبكي خائفة منك .وما كنت أنت لتتخلى عن الأمر إلى أن وضع إيفان كل قوته ليجذبك بعيداً عنها .ورغم ذلك ، إنني شبه واثقة من أنك أوشكت على ضربه."

عندها ، أطرق كولين ببصره إلى الأرض قبل أن يرفعه مجدداً .وللحظة ، بدا لماريا أن ثقته بنفسه قد تلاشت .وشاهدت على ملامحه شعوراً بالخزي والندم ، وربما لمحة من اليأس.

"لن يحدث هذا مجدداً."

فقالت ليلي" :ربما .ولكنك قلت هذا في المرة الماضية أيضاً."

ثم التفتت نحو ماريا ، واقتربت منها لتعانقها وهي تقول" :وأنا واثقة تماماً من أن هذا شيء ساحق بالنسبة إليك ، وهو بالتأكيد يشعرك بالخوف .فإن كان هناك من يتعقبني ويطاردني ، فسأكون الآن في تشارلستون مختبئة عند والديّ ؛ رغم معرفتي أنهما سيرسلانني إلى خارج البلاد .إنني أشعر بالأسى عليك لكل ما تمرين به."

فقالت ماريا" :شكراً لك ."وفجأة ، شعرت بأنها مرهقة ، وبالكاد ميّزت صوتها.

سألت ليلي" :هل تودان الدخول؟ ."ثم تراجعت إلى الوراء ، وهي تتابع كلامها قائلة" :إنني واثقة من أن إيفان بات أكثر هدوءاً الآن .يمكننا التحدث ومناقشة بعض الخيارات أو الأفكار ...أو يمكننا الجلوس فقط والاستماع إليك إن شعرت بالحاجة إلى قول أي شيء."

فقالت" :لا أعرف حتى ما أريد قوله."

تفهّمت ليلي مشاعرها .وبعد أن أغلقت الباب خلفها بهدوء ، بقي كولين وماريا وحدهما على الشرفة الأمامية.

تمتم كولين قائلاً" :إنني آسف يا ماريا."

"أعرف ذلك."

"هل تريدين أن أوصلك إلى البيت؟."

في كلا الاتجاهين ، بدت البيوت كلها مغمورة بالظلام.

فقالت بصوت منخفض وناعم" :لا أريد أن أذهب إلى البيت .فهو يعرف أين أعيش."

عندها ، مدّ كولين يده إليها وقال" :هيا بنا ، يمكنك أن تبيتي عندي."

غادرا الشرفة ، ومشيا إلى جانب البيت متّجهين نحو المدخل السفلي. وحالما دخلا البيت ، أنار كولين المصباح وسمح لها بالدخول .راحت تتأمل الغرفة حولها على أمل رؤية أي شيء يشتت الانقباض الذي ما زالت تشعر به في صدرها .وجدت الشقة معتدلة المساحة ، فيها مطبخ إلى اليمين ، وممر صغير مباشرة أمامها يؤدي بلا شك إلى غرفة النوم والحمام .وما فاجأها أن المكان بدا

مرتباً وخالياً من الفوضى ومن الأغراض المكومة على طاولة القهوة أو على الطاولات الأخرى .وبدت ألوان الأثاث حيادية ، ومن دون وجود أي صور أو أمور شخصية ؛ كما لو أن لا أحد يعيش فيها على الإطلاق.

"أهذا بيتك ؟."

فأومأ برأسه وقال" :في الوقت الحاضر .هل أحضر لك شيئاً تشربينه ؟."

"الماء فقط."

ملأ كولين كأسين في المطبخ وقدّم لها إحداهما ، فأخذت رشفة من الماء. وفجأة ، تذكرت أنها مطاردة .كما تذكرت غضب كولين وهو يطالب بالحصول على أجوبة من النادلة ، وعضلات جسمه مشدودة ومتشنجة .وعادت إليها تلك اللحظة التي أفقده فيها إيفان توازنه ، حيث رأت الوحشية والغضب الذي لا يمكن السيطرة عليه على تعابير وجهه.

سألها أخيراً" :كيف تشعرين ؟."

فحاولت أن تجبر نفسها على إبعاد تلك الصورة عن ذهنها .وأدركت أنها لا تستطيع ذلك فقالت" :لست بخير .لست بخير على الإطلاق."

* * *

لم يبدُ على أي منهما أنه يعرف ما يجدر به قوله حين كانا جالسين في غرفة المعيشة ، ولا في وقت لاحق بعد أن أويا إلى الفراش .وبدلاً من ذلك ، شعرت ماريا فقط أنها بحاجة إلى أن يتم احتضانها ، فوضعت رأسها على كتف كولين ، وشعرت بالتوتر الخفي الباقي في جسده.

أملت أنها ببقائها بجانب كولين ستكون بأمان.

ولكنها لم تشعر بالأمان ، ليس بعد الآن .وفيما هي مستلقية إلى جانبه راحت تحدق وسط الظلام ، وتتساءل إن كانت ستشعر بالأمان مجدداً.

* * *

في الصباح ، أوصلها كولين بسيارته إلى منزلها ، وانتظرها في غرفة المعيشة ريثما استحمت وغيّرت ملابسها ، ولكنه لم ينضم إليها لتناول الفطور في منزل والديها .فقد أدرك أنها في الوقت الحاضر بحاجة إلى البقاء بمفردها مع عائلتها ؛ في واحة من الاستقرار والأمان ، في حياة بدأت فجأة تنحرف عن مسارها الطبيعي الآمن .ثم أوصلها إلى سيارتها .وبينما كان يودّعها ، شعرت بنفسها تتراجع إلى الخلف قليلاً.

في بيت والديها ، بدا والداها غافلين عن حالتها .ولكنّ سيرينا شعرت بأن هناك شيئاً ما يزعج ماريا حالما دخلت البيت ؛ شيئاً لا تريد أن تشاطره مع والديها .لذا ، سايرتها سيرينا بشكل مثالي ، محافظةً على سيل من التعليقات فيما كانوا يطبخون الطعام معاً ويأكلون ، ومالئةً فترات الصمت بكلامها ، ومانعةً المحادثة من الانحراف نحو أي شيء جاد.

وبعد ذلك ، خرجت ماريا وسيرينا في نزهة سيراً على الأقدام .وحالما وصلتا إلى مسافة آمنة بعيداً عن البيت ، التفتت سيرينا إليها وقالت" :أفصحي عن الأمر ."!جلستا على مقعد تحت شجرة دردار بدأت أوراقها تتحول إلى اللون الذهبي ، فأخبرت ماريا سيرينا عن كل شيء حدث ، وعاشت مجدداً مشاعر الرعب التي عاشتها في الأيام القليلة الفائتة .وعندما بدأت تبكي ، أجهشت

سيرينا بالبكاء على حدّ سواء .فقد شعرت سيرينا تماماً مثل أختها بالاستياء والخوف .وكانت لديها أسئلة أكثر من الأجوبة ؛ أسئلة لم يكن بإمكان ماريا الإجابة عنها ، وما كان بوسعها سوى أن تهز رأسها بعجز وحيرة لدى سماعها إياها.

* * *

بعد الغداء ، توجّهت سيرينا ووالداها إلى بيت عم ماريا للمشاركة في اجتماع عائلي غير رسمي كغيره من الاجتماعات الأخرى التي لا حصر لها ، ولكن ماريا توسلت إليهم ليتم إعفاؤها من هذا الاجتماع ، مدعية أنها تعاني من الصداع وتريد أن تأخذ قيلولة .وبينما قبل والدها شرحها بدون أي سؤال ، خامر الشك والدتها رغم أنها لم تضغط عليها .وفي طريقها إلى الباب ، عانقت كارمن ابنتها ماريا بشكل أطول من المعتاد ، وسألتها عن كيفية سير الأمور مع كولين ، فجلب مجرّد ذكر اسمه أمامها سيلاً مفاجئاً من الدموع إلى عينيها .وفي طريقها إلى سيارتها ، فكّرت ماريا في سرّها :لقد فقدت صوابي بكل ما للكلمة من معنى.

حتى إنها وجدت أن التركيز الكافي لقيادة السيارة فقط مهمة صعبة بشكل غريب .وعلى الرغم من حركة المرور ، كل ما استطاعت التفكير فيه هو أن هناك شخصاً ما يراقبها وينتظر عودتها ...أو ربما يلاحقها الآن .ومن دون أي تفكير ، غيّرت مسارها تلقائياً ، والتفّت بسرعة متّجهة نحو شارع واسع ، فيما بصرها مثبّت على مرآة الرؤية الخلفية ، ثم انعطفت مرة أخرى قبل أن تمضي في طريقها أخيراً .ورغم أنها أرادت أن تكون أقوى ، وتضرّعت إلى الله ليساعدها على التحلي بالقوة ، إلا أنها وجدت نفسها تنحني فوق عجلة القيادة وتجهش بالبكاء.

من هو؟ وما الذي يريده منها؟ من هو ذاك الرجل عديم الوجه وعديم الاسم الذي يعتمر قبعة بيسبول؟ ولماذا لم تبحث عنه؟ كل ما تذكّرته عنه لم يتعدَّ خيالات وأجزاء من صور أو لا شيء على الإطلاق...

ولكن، ليس هذا فقط ما جعلها تشعر بالقلق وعلى وشك البكاء .ومن دون تفكير، شغّلت محرّك السيارة وتابعت القيادة .وفي نهاية المطاف، توجّهت في طريقها إلى مكان هادئ على شاطئ كارولاينا.

كان الطقس بارداً، وحمل النسيم برودة الشتاء القادم فيما كانت تمشي على الرمال .وراحت الغيوم البيضاء والرمادية تتحرك في السماء، فشعرت بأن هطول المطر وشيك .صارت الأمواج تتلاطم بإيقاع أكثر هدوءاً فيما هي تمشي. وأخيراً، بعد مضيّ وقت طويل، شعرت بأن أفكارها بدأت تستقر بما يكفي؛ حيث راحت تتوضّح في ذهنها شيئاً فشيئاً.

لم تشعر بأنها على حافة الانهيار لمجرد أنها تتعرض للمطاردة، ولا لمجرد أنها تعيش مجدداً المخاوف التي شعرت بها نحو كولين حين كان واقفاً مع رجال الشرطة وحياته معرضة للخطر .فقد لاحظت الآن أنها خائفة من كولين أيضاً. وبقدر ما جعلتها هذه الفكرة تشعر بالاشمئزاز، إلا أنها لم تستطع أن تتخلى عن هذا الشعور قط.

* * *

أيقنت أنها بحاجة إلى التحدث إلى كولين، فقادت سيارتها إلى بيت إيفان. وعندما فتح كولين باب شقته، لاحظت أنه كان يدرس إلى طاولة المطبخ الصغيرة .ورغم أنه دعاها للدخول، إلا أنها رفضت عرضه لأنها وجدت أن داخل

البيت بات يشعرها بالضيق والاختناق .وبدلاً من ذلك ، قصدا شرفة بيت إيفان ، وجلس كل منهما على كرسي هزاز ، بينما بدأ المطر يتساقط.

جلس كولين على حافة كرسيه وذراعاه مسنودتان على ساقيه وهو يبدو متعباً بعد أن بدأت الساعات الأربع والعشرون الفائتة تدق ناقوسها تاركة تأثيرها عليه .لم يفعل أي شيء ليكسر جدار الصمت .وللحظة ، لم تكن حتى ماريا واثقة من أين تبدأ حديثها.

غامرت قائلة" :إنني في غاية التوتر منذ الليلة الماضية .وإن لم تجد كلامي منطقياً ، فسبب ذلك على الأرجح يرجع إلى أن أفكاري ما زالت مشتتة ."ثم أخذت نفساً عميقاً وتابعت قائلة" :أعرف أنك كنت تحاول أن تساعدني ليس إلا ، ولكنّ ليلي محقة .ورغم أنني أصدقك عندما تقول إنك لم تكن تنوي أن تؤذي النادلة ، إلا أن الطريقة التي تصرّفت بها توحي بقصة مختلفة."

"كدت أفقد السيطرة على نفسي."

فقالت" :لا ، بل فقدت السيطرة بالفعل."

"لا أستطيع السيطرة على مشاعري .والشيء الوحيد الذي أستطيع السيطرة عليه هو سلوكي .وأنا لم أمسسها بأي سوء."

"لا تحاول أن تقلل من أهمية ما حدث."

"أنا لا أحاول التقليل من أهميته."

"وماذا سيحصل إن غضبت مني يوماً ؟."

"لن أؤذيك أبداً."

"ولكن تماماً مثل النادلة ، قد ينتهي بـي المطاف وأنا مرعوبة وباكية. وإن تصرّفت معي بالطريقة ذاتها ، فلن أرغب في التحدث إليك مجدداً على الإطلاق .ماذا عن إيفان"...

"لم ألحق بإيفان أي مكروه."

"ولكن ، لو كان شخص آخر هو الذي أمسك بك ، شخص لا تعرفه ، لما استطعت أن تكبح جماح غضبك ، وأنت تدرك ذلك ؛ بالضبط كما قال مارغوليس ."وحرصت على أن تنظر إلى عينيه مباشرة وهي تتابع كلامها قائلة: "أم تراك ستكذب عليّ للمرة الأولى وتقول إنني مخطئة ؟."

"لقد خفت عليك لأن الرجل كان هناك."

"ولكنّ ما فعلته لم يجعل الوضع أفضل."

"لقد أردت وحسب أن أعرف كيف يبدو شكله."

فقالت بصوت مرتفع" :ألا تظن أنني أريد ذلك ؟ ولكن ، ماذا كنت ستفعل إن كان الرجل لا يزال هناك ؟ كيف كنت ستتصرف لو كان جالساً بانتظار وصولك ؟ ما الذي كنت ستفعله حينها ؟ هل تعتقد بصدق أنك قادر على إجراء محادثة معقولة معه ؟ كلا بالتأكيد ، بل كنت ستبالغ في رد فعلك ، وستصبح في السجن."

"إنني آسف."

"لقد سبق لك أن اعتذرت ."وترددت قليلاً ثم تابعت" :بقدر ما ناقشنا ماضيك ، وبقدر ما ظننت أنني أعرفك ، فأنا أدرك الآن أنني لا أعرفك .ففي الليلة

الماضية ، لم أجد فيك الرجل نفسه الذي وقعت في حبه ، أو حتى الرجل الذي أواعده .وبدلاً من ذلك ، شاهدت شخصاً كنت في الماضي سأفضل بكل سرور أن أبتعد عنه."

"ما الذي تحاولين قوله ؟."

"لست أدري .كل ما أعرفه هو أنه ليست لدي الطاقة لأعيش في حالة قلق خوفاً من أن تفعل شيئاً غبياً وترمي بحياتك في التهلكة ، أو أن ينتهي بك المطاف وأنت تخيفني لأن شيئاً ما في داخلك قد انفجر فجأة."

"ليس من واجبك أن تقلقي بشأني."

لدى سماعها تعليقه ، احمر وجهها ، وتحرّكت كل مخاوفها وقلقها وغضبها وتصاعدت إلى الخارج كما لو أنها فقاعة هواء تتحرك عبر الماء.

"لا تكن منافقاً !ما الذي تظن أنه جرى في الليلة الماضية ؟ أو في الأسبوع الماضي برمته ؟ لقد اختبأت على سطح مبنى لتلتقط صوراً لرئيسي في العمل ، واتصلت بكل بائع زهور في المدينة ، وقدت سيارتك لمدة ساعتين لتري رجلاً غريباً صورة !لقد فعلت كل هذا لأنك قلق علي .والآن ، ها أنت تقول لي إنه ليس من المسموح لي أن أقلق بشأنك !لماذا يُسمَح لك أن تقلق بشأني ، ولكن لا يُسمح لي"...

"ماريا"...

غير أنها صاحت قائلة" :دعني أُنهِ كلامي .لقد قلت لك إن ما يحدث لي ليس مشكلتك !وطلبت منك أن تدع الأمر يمضي !ولكنك صمّمت على فعل ما تريد فعله ...وحسناً ، ربما تحدّثت إليّ حيال السماح لك بالتقاط الصور لأنك

أقنعتني بأنك تعرف ما الذي تفعله ...وأنك تستطيع السيطرة على ما يجري. ولكن ، بناء على ما جرى في الليلة الماضية ، من الواضح أنك غير قادر على ذلك !فقد كدت تعرّض نفسك للاعتقال !وما الذي كان سيحدث حينها ؟ هل لديك أية فكرة عما سيحدث لي ؟ وعمّا سأشعر به ؟."

ضغطت بأصابعها على عينيها محاولة أن تنظّم أفكارها .وفي تلك اللحظة بالذات ، سمعت هاتفها المحمول يرن ، فأخرجته من حقيبتها ، وميّزت رقم سيرينا ، وتساءلت عن سبب اتصالها .ألم تذكر شيئاً حيال ذهابها في موعد ؟

ردت على الهاتف ، وعلى الفور لاحظت نبرة الفزع في صوت سيرينا بينما تدفّقت الكلمات من فم أختها بسرعة باللغة الإسبانية.

قالت سيرينا وهي تنتحب قبل أن تتمكن ماريا من قول أية كلمة" :تعالي إلى البيت الآن."!

فشعرت ماريا بصدرها ينقبض وسألتها" :ما المشكلة ؟ هل أبي بخير ؟ ماذا جرى ؟."

"الأمر يتعلق بأمك وأبيك ...بسبب كوبو !لقد ماتت."!

الفصل السابع عشر

كولين

سيطر القلق على كولين لأنّ ماريا كانت شديدة التوتر؛ إذ كان من الصعب بالنسبة إليها الجلوس خلف المقود .لذا، أوصلها بواسطة سيارتها إلى بيت والديها، محاولاً أن يُحدّد مزاجها فيما هي تحدق إلى النافذة المبتلة بقطرات المطر المبعثرة .لم تستطع سيرينا إخبارها بالكثير من التفاصيل لكثرة نحيبها، ولم يعرفا شيئاً سوى أن كوبو قد ماتت .وحالما وصلا إلى مدخل السيارات، أسرعت ماريا إلى المنزل وكولين في أعقابها .كان والداها يعانقان بعضهما بعضاً على الأريكة وهما منهكان، وعيونهما محمرّة من كثرة البكاء، بينما وقفت سيرينا قرب المطبخ وهي تكفكف دموعها.

نهض فيلكس عن الأريكة حالما دخلت ماريا، فأجهشا كلاهما بالبكاء. وسرعان ما تكاتف أفراد العائلة وهم يعانقون بعضهم بعضاً ويبكون، بينما وقف كولين بهدوء عند مدخل الباب.

وعندما خفّت دموعهم، انهاروا جميعاً على الأريكة، بينما واصلت ماريا الإمساك بيد أبيها .كانوا يتحدثون باللغة الإسبانية، لذا لم يستطع أن يفهم معظم القصة، ولكنه سمع ما يكفي ليدرك أن موت الكلبة لم يكن منطقياً على الإطلاق.

* * *

وفي وقت لاحق، جلس مع ماريا على الشرفة الخلفية، فروت له كل ما

عرفته ، وهو ليس بالكثير .إذ ذهب كل من والديها وسيرينا إلى بيت أقاربهم بعد الغداء .ورغم أنهم في العادة كانوا يصطحبون الكلبة معهم ، إلا أنهم توقعوا حضور الكثير من الأولاد إلى هناك ، وقلقوا من أن تصاب كوبو بالهلع ، أو الأسوأ من ذلك أن تتعرض للأذى عن طريق الخطأ .وبعد ساعة ، عادت سيرينا إلى البيت لأنها نسيت هاتفها المحمول موصولاً بالشاحن على طاولة المطبخ. وعندما شاهدت سيرينا الكلبة ممدّدة قرب الباب الخلفي الذي تُرِك مفتوحاً ، ظنت أن الكلبة نائمة .ولكنها عندما وجدت أنها لم تتحرك قيد أنملة بحلول الوقت الذي همت فيه بالمغادرة نادتها ، غير أن كوبو لم ترد عليها ، لذا ذهبت لتتفقدها .وعندئذ فقط أدركت أن الكلبة قد نفقت .وعلى الفور ، اتصلت بوالديها اللذين ركبا سيارتهما في الحال واتجها إلى البيت ، ثم اتصلت بماريا.

"لقد كانت كوبو على خير ما يرام عندما غادروا .فقد تناولت طعامها ، ولم تظهر عليها أعراض المرض .ولم يكن هناك أي شيء قد يتسبب في اختناقها. فوالدي لم يعثر على أي شيء في حلقها .ولم يجد أي دماء أو قيء "...وأخذت نفساً عميقاً وهي ترتعش ثم تابعت" :يبدو الأمر كما لو أنها ماتت بلا سبب. ووالدي ...لم أره في حياتي يبكي بهذا الشكل .فقد أحضرا لها كل شيء ، ونادراً ما كانا يتركانها وحدها .إنك لا تستطيع أن تدرك كم أحبا تلك الكلبة الصغيرة."

فقال لها" :يمكنني أن أتخيل ذلك."

قالت" :ربما .ولكن ، مع ذلك ...يجب عليك أن تفهم أنه في القرية التي ينحدر منها والداي ، الكلاب تعمل أو تحرس القطيع أو تمضي الوقت مع مالكها في الحقل ، ولكنها لا تعامل كحيوانات أليفة .لم يفهم والدي قط علاقة الحب التي تجمع الأميركيين بكلابهم .وحين كنا صغيرتين توسّلنا إليه أنا وسيرينا

للحصول على كلب ، فعارض ذلك بشكل حاسم .ولكن عندما غادرتُ وسيرينا البيت ، بات هناك فجأة خواء كبير في حياته ...وفي وقت ما ، اقترح عليه أحد الأشخاص أن يقتني كلباً ، فأصبحت كوبو بمثابة طفلته ، ولكنها أكثر طاعة وإخلاصاً ."وهزت رأسها بهدوء للحظة ، ثم تابعت" :حتى إنها لم تبلغ أربع سنوات من عمرها !أعني ...أيمكن أن يموت كلب هكذا ببساطة ؟ !هل سمعت بشيء كهذا يحدث من قبل ؟."

"كلا."

توقعت سماع تلك الإجابة ، ولكنها لم تساعدها .وعادت أفكارها إلى السبب الذي أرادت من أجله أن تتحدث إليه فقالت" :بالنسبة إلى ما كنا نتحدث عنه في وقت مبكر يا كولين"...

"إنك محقة حيال كل شيء."

فتنهدت وقالت" :إنني أهتم لأمرك يا كولين وأحبك ، ولا أريد أي شيء أكثر من أن أكون معك ، ولكن"...

وظلت كلمة لكن معلقة بينهما بثقل في الهواء ، فقال" :لست الشخص الذي تخيلته"...

فقالت" :كلا .بل أنت بالضبط من تخيلته .فقد حذّرتني من قبل ، ولكنني ظننت أنني أستطيع أن أتولى الأمر .ولكن ، في الليلة الماضية ، أدركت أنني لن أستطيع فعل ذلك."

"ما الذي يعنيه هذا ؟."

دسّت خصلة من شعرها خلف أذنها وقالت" :أظن أننا في الوقت الحاضر يفضّل أن ندع الأمور تمضي بتمهل قليلاً، أعني في ما بيننا .وبعد كل ما يجري "...ولم تكمل كلامها ، غير أنه لم يتوجّب عليها ذلك.

"ما الذي ستفعلينه بشأن الرجل الذي يتعقبك ؟."

"لا أدري .من الصعب عليّ حتى أن أفكر بشكل منطقي في الوقت الحاضر."

"هذا هو مبتغاه .إنه يريدك أن تصبحي قلقة وخائفة ومتوترة بشكل دائم."

دفعت شعرها جانباً بيديها ، وراحت تدلّك صدغيها .وعندما تكلمت ، بدا صوتها متهدجاً" :في الوقت الحالي ، أشعر أنني عالقة في هذا الكابوس المريع. وكل ما أريده هو أن أستيقظ منه ...وبالإضافة إلى كل ذلك ، يجب عليّ أن أدعم والدي .إذ يريد والدي أن يدفن كوبو اليوم ، وهذا ما سيجعله عاطفياً أكثر ، وأمي أيضاً .وهذا المطر ...من بين كل العطلات الأسبوعية ، لماذا ماتت كوبو في هذه العطلة بالذات!؟."

استرق كولين النظر إلى الباحة الخلفية وقال" :ما رأيك في أن أساعدك في تجهيز الأمور ؟."

* * *

أحضرت له ماريا رفشاً من المرأب .وبعد القليل من الشد والجذب بين ماريا وفيلكس ، بدأ كولين يحفر حفرة في ظل شجرة البلوط ، والمطر يبلل قميصه .وتذكّر أنه فعل الشيء نفسه لكلبه بيني ؛ وهو كلب قزم ذو شعر طويل.

وقد كان الكلب ينام معه في سريره أثناء فترة وجوده في بيت والديه .وعندما كان يذهب إلى المدرسة ، اعتاد أن يشتاق إليه أكثر مما يشتاق إلى أفراد عائلته.

تذكّر كم وجد الأمر صعباً حين اضطر إلى حفر القبر في صيف عامه الثاني في المدرسة الداخلية .فقد كانت تلك الذكرى من بين الذكريات القليلة التي استطاع تذكّرها في ما يتعلّق بالسنة الأولى التي أرسله فيها والداه إلى المدرسة الداخلية .فمع كل قبضة تراب كان يرميها ، كانت تعود إليه الذكريات عن بيني وهو يركض فوق العشب ، أو وهو يطارد إحدى الفراشات .وأراد أن يجنب فيلكس ذلك الشعور.

ساعدته هذه المهمة أيضاً في الابتعاد عن ماريا بعض الشيء .فقد تفهّم رغبتها في الابتعاد عنه الآن ، رغم أنه لم يرغب في التفكير بالسبب .إذ أدرك أنه أفسد كل شيء فعلاً .ففي الوقت الحالي ، إنها على الأرجح تحاول اكتشاف ما إذا كان كولين يستحق المجازفة أم لا.

عندما انتهى كولين من حفر الحفرة تحت الشجرة ، حضر أفراد العائلة لدفن كوبو .وبدأ الأربعة جميعاً يبكون ويتبادلون العناق .وبعد أن عادوا جميعاً إلى الداخل ، راح كولين يرمي التراب في الحفرة مجدداً .عادت أفكاره إلى المتعقب وحقيقة مطاردته ماريا ، وتساءل عن الخطوة التالية التي سيقوم بها ذلك الشخص .وفي تلك اللحظة ، اتخذ قراره بأنه سواء أكانت ماريا تريده في حياتها أم لا ، فسيقف إلى جانبها إن احتاجت إليه في أي وقت كان.

* * *

سألته ماريا قائلة" :هل أنت واثق من ذلك؟ ."وكانت واقفة معه على

الشرفة الأمامية في منزل والديها ، ثم تابعت" :يسرني أن أوصلك إلى البيت."
وفي الداخل ، كانت كارمن وسيرينا تعدان العشاء .أما فيلكس -على حد علم كولين -فقد ظل في الشرفة الخلفية جالساً وحده ، وحاملاً طوق كوبو.

"سأكون على ما يرام .إنني بحاجة إلى الجري على أية حال."

"ولكنّ المطر لا يزال ينهمر."

"إنني مبتلّ منذ الآن."

"أليست المسافة بعيدة!؟ ألا تبلغ خمسة أميال أو ستة ؟."

فقال" :يجب عليك أن تبقي هنا مع عائلتك ."ومرّت بضع لحظات لم يتكلم فيها أي منهما .وأخيراً سألها" :هل يمكنني الاتصال بك ؟."

فرمشت بعينيها وهي تنظر إلى البيت قبل أن تلتفت إليه وتقول" :لم لا أتصل بك أنا ؟."

فأومأ برأسه ، ثم خطا خطوة إلى الخلف .ومن دون أن يتفوه بأية كلمة أخرى ، بدأ يجري.

* * *

لم تتصل به ماريا طوال بقية الأسبوع .وكانت تلك هي المرة الأولى في حياته التي يهتم فيها لأمر فتاة حيث يهمه ذلك ، أو يهتم فيها بما يكفي لكي يفكر فيها في لحظات غير متوقعة ، أو كلما رن الهاتف .وهذا ما لم يكن يحدث كثيراً.

لم يكن ليتصل بها ؛ رغم أنه أراد القيام بذلك أكثر من مرة .حتى إنه مدّ

يده بالفعل نحو الهاتف قبل أن يذكِّر نفسه أنها طلبت منه ألا يفعل ذلك .وسواء أقررت الاتصال به في نهاية المطاف أم لا ، فذلك القرار يعود إليها هي.

ولكي يمنع نفسه من التفكير في الأمر ، حاول أن ينهمك في العمل ، فأضاف مناوبة إضافية إلى عمله .وبعد محاضراته ، وقبل مناوباته ، كان يقضي وقته في الصالة الرياضية وهو يتمرّن مع دالي ومور.

كان دالي ومور متحمّسين أكثر منه بالنسبة إلى المباراة القادمة .فرغم أن مقاتلة شخص مثل ريس تشكّل فرصة نادرة لتقييم مستوى مهارته -سواء أربح أم خسر -إلا أن ذلك لم يكن يعني له الكثير على المدى الطويل .أما بالنسبة إلى دالي ومور ، فقد كانت مباراة جيدة ، ستشكّل كسباً غير متوقع بالنسبة إلى الصالة الرياضية .ولا عجب في أنهما أمضيا الساعتين الأوليين من يوم الاثنين وهما يراجعان أفلاماً تعرض مباريات ريس السابقة مع كولين ليدرسا ميوله ، ويقيّما نقاط قوته وضعفه.

ظل دالي يصر قائلاً" :إنه بارع ، ولكنه ليس رجلاً لا يهزم ."ووافقه مور الرأي .أصغى كولين إليهما بصمت وهو يحاول أن يُبعد عن ذهنه التعليقات التي اعتبرها شديدة التفاؤل أو التمني ، وخاصة أي عبارة تتضمن كلمتَي" ريس وأرض "في جملة واحدة .فقد كان ريس سيأكله حياً على الأرض.

ومن الناحية الإيجابية ، أظهرت الأفلام أن مهارات كولين في الضرب أفضل من ريس بقليل ؛ وبشكل رئيس الركلات .ففي تلك المرحلة من مهنته ، لم يصل مقاتل واحد إلى مستوى ريس في الركلات على الركبتين ؛ على الرغم من تقديم ريس فرص لا حصر لها .كما أن ريس يترك نفسه أيضاً معرضاً

للضربات على أضلاعه ؛ الأمر الذي يشكّل شيئاً مفيداً لكي يعرفه عندما يخطط لاستراتيجية معينة .ومع ذلك ، فالمشكلة تحصل عندما تبدأ المباراة بشكل فعلي .إذ إن الاستراتيجيات عادة ما تذهب أدراج الرياح .ولكن توجد -حسب قول دالي ومور -لدى كولين أفضل فرصة.

"لم يقاتل ريس أحداً لديه خبرة في خوض أكثر من ست مباريات أو سبع. وهذا يعني أن خصومه كانوا إما أقل مرتبة منه أو خائفون .أما أنت فلن تكون خائفاً منه ، وهذا ما سيزعزعه أكثر من أي شيء آخر."

كان دالي ومور محقين .فالقتال ، سواء أكان في المقاهي أو في الشارع أو حتى في الحلبة ، ليس شيئاً يتعلق بالمهارة وإنما بالثقة بالنفس والسيطرة على حدّ سواء .كما يتعلّق أيضاً بانتظار اللحظة المناسبة واستغلالها أحسن استغلال ، ويتطلب الخبرة عندما يكون التوتر في أقصى حدوده .وكولين قد خاض مباريات أكثر من ريس .فقد كان ريس رياضياً ؛ أي شخصاً يصافح منافسيه بعد انتهاء المباراة ، أما كولين فمن نوع الرجال الذين يضربون ويكسرون زجاجات الشراب فوق رؤوس الناس في النهاية ، والنية الوحيدة لديه هي إحداث أكبر ضرر وبأسرع وقت ممكن.

لتلك الأسباب ، من المنطقي أن يصبح ريس مصارعاً لا يهزم .ففي أفضل أيامه ، كان كولين يظن أن لديه فرصة واحد إلى أربعة في الفوز ؛ وذلك فقط إن تمكن من الصمود خلال الجولات الأولى .وقد أكّد له المدربان أن الركلات على الركبتين والضربات على الأضلاع ستضعف قوة ريس كلما طالت المباراة.

ووعداه قائلين" :الجولة الثالثة ستكون لك."

خلال أيام الثلاثاء والأربعاء والخميس، بدأوا بتخصيص مدة ساعة وخمس عشرة دقيقة كل يوم للضربات .فكان دالي يدخل الحلبة مرتدياً أحزمة مثبتة للركبتين وصدرة ، ويطالب كولين بتنفيذ الركلات على الركبتين والضربات على الصدر .وبشكل متزامن ، راح مور يدرّب كولين على الحفاظ على المسافة والتركيز على الأضلاع .وأصبحت نصائحهما حامية ومتطلبة .وخلال الدقائق الخمس والأربعين الأخيرة ، شرع كولين بالتركيز على حركات الأرض ومحاولة إتقان تقنيات الدفاع .ولكنهم جميعاً كانوا متيقّنين من أن ريس لديه أفضلية واضحة في هذا المجال .وكل ما يمكن لكولين أن يأمل به هو أن ينجو بحياته.

لم يسبق لكولين أن تدرّب في حياته لمواجهة خصم معين .وقد أثبت هذا الأمر أنه مُحبِط ؛ فقد أخطأ في الركلات ، ووجد نفسه في أغلب الأوقات بطيئاً جداً في الضربات على الأضلاع .كما سمح بأن يصبح مقيداً ؛ وهذا بالضبط ما يريده ريس .ولم يتمنَّ لو أن لديه بضعة أسابيع أخرى ليتدرب فيها فيما ضوء المصباح يرتعش فوقه رغم قتامته إلا حين حل يوم الخميس ، وفيما كان يخرج من الصالة الرياضية.

كان يوم الجمعة يوم راحة ؛ وهو اليوم الأول الذي يمتنع فيه كولين عن التدرّب منذ سنة .وقد كان بحاجة إلى الراحة فعلاً .فقد شعر بأن كل جزء من جسده يؤلمه .ونظراً إلى عدم وجود محاضرات يجب عليه حضورها ، أمضى فترة الصباح والعصر وهو ينجز بحثين للجامعة .وفي وقت لاحق في العمل ، وبسبب درجات الحرارة المنخفضة ، بالكاد حضر زبائن إلى المطعم ؛ حتى خلال ساعة الازدحام .وبحلول الساعة التاسعة مساء ، لم يعد هناك رواد قط ، فاستطاع كولين أن يستأثر بالمكان لنفسه .ولم يتلقَّ أي إكراميات تذكر .ومع ذلك ، كان

لديه الوقت الكافي ليفكر في العطلة الأسبوعية الفائتة، أو بشكل خاص بالسؤال الذي طرحته ماريا والذي ظل يقضّ مضجعه منذ ذلك الحين.

من بين كل العطلات الأسبوعية، لماذا لم تمت كوبو إلا في هذه العطلة بالذات؟ !لماذا؟

لم يكن هناك أي شيء يدلّ على أن الرجل الذي يطارد ماريا هو المسؤول عن موت كوبو، ولكن لم يكن هناك أي شيء آخر يدل على أن الفكرة غير معقولة .فإن كان الرجل يعرف أن تعيش ماريا، فمن المنطقي تماماً أنه يعرف أيضاً أن يعيش والداها .وقد ترك والدا ماريا باب البيت الخلفي مفتوحاً، وكانت كوبو على ما يرام عندما غادروا البيت .وبعد ثلاث ساعات، تم العثور على الكلبة ميتة بدون سبب واضح .وأدرك كولين أن الأمر لا يتطلب الكثير لكسر عنق كوبو أو خنقها حتى الموت.

ومن ناحية أخرى، من الممكن أن تكون الكلبة قد ماتت ميتة طبيعية؛ ولو أنها غير مفسرة.

وتساءل إن خطرت هذه الأفكار الرهيبة نفسها في بال ماريا .فلو حدث ذلك، لشكّت أيضاً في أن المطاردة قد انتقلت الآن إلى مستوى جديد .وتساءل إن كانت ستتصل به؛ وإن لم يكن اتصالها به كحبيب لها، وإنما كصديق وعدها بأن يقف إلى جانبها.

تفقد هاتفه.

ولكنها لم تتصل به.

* * *

أمضى كولين صباح يوم السبت محاولاً التقدم في قراءته ؛ رغم أنه بحلول الظهر لم يعد واثقاً حتى من السبب الذي يتعب نفسه من أجله .فالتوتر العصبي منعه من تذكر أي شيء ذي أهمية .ولم يشعر بالجوع أيضاً ، وكل ما استطاع إجبار نفسه على تناوله هو كوبان من شراب البروتين.

كان الشعور بتوتر الأعصاب جديداً بالنسبة إليه .فراح يذكّر نفسه بأنه لا يأبه حيال الفوز أو الخسارة .ولكنه في الوقت نفسه ، اعترف بأنه يكذب على نفسه .فإن لم يكن يهمه كيف يبلي داخل الحلبة ، فلماذا إذاً يهتم بكل شيء يتناوله أو يشربه؟ ولماذا راح يتدرب مرتين أو ثلاث مرات في اليوم؟ ولماذا وافق على قضاء الأسبوع بكامله وهو يجهّز نفسه لمواجهة جوني ريس ؟!

والحقيقة هي أنه لم يدخل الحلبة يوماً وهو يفكّر في أنه سيخسر المباراة. فالهواة هم الهواة ، ولكنّ ريس مختلف ؛ فريس قد يوسعه ضرباً إن قام بحركة خاطئة واحدة .ومن الواضح أن ريس أفضل منه.

ما لم تُحدِث استراتيجيته مفعولها المطلوب...

وفجأة ، شعر بدفقة غير متوقعة من الأدرينالين .ولم يكن ذلك جيداً ؛ لأن هذا يعني أنه سيصبح خائر القوى حتى قبل أن تبدأ المباراة .ومع ذلك ، توجّب عليه أن يُبعد ذهنه عن التفكير في المباراة .وكانت الطريقة الفضلى لتحقيق ذلك هي أن يخرج للجري ليصفي ذهنه ؛ حتى لو أراد منه مدرباه أن يحافظ على طاقته.

هذا سيئ للغاية ، ولكنّه جرى على أية حال.

* * *

بعد بضع ساعات ، جلس كولين وحده في غرفة تغيير الملابس بعد أن تمّ قياس وزنه وارتدى قفّازيه .وقد حرص دالي على أن كمية اللاصق الرياضي التي وُضعت على يدَي كولين مناسبة للمعايير .وفضّل كولين أن يرتدي سروالاً داخلياً واقياً من الصدمات ، بينما تم فحص حذائه من قبل المسؤولين .كانت هناك الكثير من القواعد ؛ حتى على مستوى الهواة .لم تتبقَّ إلا عشر دقائق على بداية المباراة ، لذا طلب من دالي ومور أن يتركاه وحده ؛ رغم أنه أدرك أنهما يريدان البقاء.

فقد أثار سلوكهما غضبه .ففي الدقائق القليلة التي سبقت المباراة ، كان كل شيء وكل الناس يثيرون غضبه ؛ وهذا بالضبط ما كان يريده .أخذ يفكر في ضربات الركبتين والأضلاع ، كما فكّر في إزعاج ريس ، وفي السيطرة على الجولة الثالثة .ومنذ تلك اللحظة ، جعل الأدرينالين كل عضلة من عضلاته مشدودة ، وحواسه عالية .ومن خلف الجدران ، استطاع سماع هدير الجمهور وهو يزداد قوة .لا شك في أن أحد المقاتلين يمارس قوته على الآخر ، وأن المباراة تصل إلى نهايتها ، وأن أحد المنافسين يتعرض للضرب المبرح.

أخذ كولين نفساً عميقاً.

حان وقت العرض!

* * *

كان الشيء التالي الذي عرفه هو أنه وجد نفسه وجهاً لوجه مع ريس في وسط الحلبة ، وكل منهما يتأمل الآخر مقيّماً حجمه ، بينما راح الحكم يسرد قواعد اللعبة وممنوعاتها .وفيما كانا يحدقان إلى بعضهما بعضاً ، بدأ العالم

حولهما يتقلص ، والأصوات تتضاءل وتختفي .وبعد ذلك ، تم تحرير المقاتلين ، وتوجّه كل منهما إلى زاويته .راح دالي ومور يصيحان مشجعين ، ولكن كولين لم يستوعب صوتيهما إلا بشكل غامض .وقرع الجرس ، فتقدم إلى الأمام.

سدّد كولين ركلة إلى ركبة ريس خلال الثواني العشرين الأولى ، ثم ركلتين أخريين بعد الركلة الأولى مباشرة .وعلى ما يبدو ، أتت الركلات الثلاث مباغتة لريس .وعندما ركل كولين ركبة منافسه للمرة الرابعة ، لاحظ أول ومضة من ومضات غضب ريس .وأتت ركلة خامسة للركبة بعد ذلك .عندها ، بدأ ريس يحافظ على المسافة بينه وبين كولين ، بعد أن تمكن من معرفة جزء من خطة كولين .وهكذا ، راحا يتبادلان اللكمات في الدقائق القليلة التالية .وتمكّن كولين خلالها من تسديد ثلاث ضربات نوعية إلى أضلاع خصمه ، وركلة قوية أخرى نحو ركبته .وأتت مهارات ريس في الملاكمة بالضبط كما توقعها كولين ، ولكنّ ضرباته كانت أقوى .وعندما سدّد ريس ضربة نحو صدغ كولين ، فقدَ كولين توازنه ، وانتهى به المطاف ممدداً على ظهره .عندها ، بدا من الواضح أن ريس قد تولى السيطرة على الحلبة .ولكن كولين تمكن من الدفاع عن نفسه بشكل جيد إلى أن قرع الجرس .وحينها ، كان كل من المقاتليْن يتنفس بمشقة وجهد.

بحسب قول دالي ، من الممكن أن تحتسب الجولة لصالح أي من المتنافسين ؛ رغم اعتقاده أن كولين قد حقق أفضلية على خصمه.

وأتت الجولة الثانية تقريباً على نمط الجولة التي سبقتها نفسه .فقد سدّد كولين ثلاث ركلات إلى ركبة خصمه ، ولاحظ أن ريس قد أجفل بشكل ملحوظ بعد الضربة الأخيرة .وسدد كولين ضرباته إلى أضلاع ريس كلما سنحت له

الفرصة .وبعد مضي ثلثي الوقت ، انبطحا على الأرض مجدداً ، حيث سدّد ريس بضع ضربات قوية إلى كولين الذي بذل ما بوسعه للدفاع عن نفسه .وفي الثواني العشرين الأخيرة ، أصاب مرفق ذراع ريس جسر أنف كولين ، ففتح جرحاً فيه ، وراح الدم يتدفق في عينه ما جعله يفقد التركيز .عندها ، استغل ريس الفرصة ، ولوى ساق كولين إلى أن كاد هذا الأخير يستسلم .وأدرك كولين وهو يعود إلى زاويته أنه بالرغم من عدم تعرّضه لهيمنة كاملة من خصمه ، إلا أنه قد خسر الجولة.

ولاحظ أيضاً أن ريس راح يعرج بشكل سيئ وهو يشق طريقه عائداً إلى زاويته.

وعند افتتاح الجولة الثالثة ، أقدم كولين على مهاجمة ركبة خصمه مجدداً ، ثم راح يكيل اللكمات إليه ، وبعد ذلك عاود ركل الركبة عدة مرات .وفي الركلة الأخيرة ، أجفل ريس بشدة ، وانطوى على نفسه بشكل لا إرادي ، فتقدم منه كولين ، وهاجمه على أضلاعه بشدة .حاول ريس من موقعه أن ينقض على كولين ، ولكن كولين رفع ركبته ، وشعر بها ترتطم بجبهة ريس .وللمرة الأولى ، سقط ريس على ظهره ، وبدا واقعاً في مأزق خطير للغاية.

هجم كولين على ريس بأقسى ما استطاع ، وراح يضربه بقبضتي يديه وكوعيه .لم يكن ريس قد وقع في هذه الوضعية من قبل قط ، واستطاع كولين أن يشعر به وهو يصاب بحالة من الهلع .استمر كولين بضربه وكيل اللكمات له بكل قوته .وحين تلقى ريس ضربة قوية على فكه ، بات جسده في حالة ضعف وارتخاء ، فسدد له كولين ثلاث ضربات أخرى تركته في حالة مصعوقة .عندها ، استغل كولين الفرصة .وبينما اقتربت الجولة من نهايتها ، ارتكب ريس خطأ

تكتيكاً ، ما جعل كولين قادراً تقريباً على حسم المباراة .ولكن ، فيما كاد كولين ينهيها بحركة لوي للذراع ، تمكّن ريس من تحرير نفسه بطريقة ما .راحت الثواني الثمينة تمر قبل أن يناور كولين ريس ليلوي ذراعه مجدداً .وبينما بدأ كولين بالضغط عليها للتو ، دق الجرس ، وقفز الحكم ليتدخل منهياً المباراة.

نهض كولين رغماً عنه ، فرأى دالي ومور يضربان قبضات أيديهما .ففي ذهنيهما ، كان من الواضح من كسب المباراة .ريس ، فقد تجنّب النظر إلى عيني كولين.

ومع ذلك ، فالحكام لم يسجلوا النقاط بتلك الطريقة .فعندما ارتفعت يد ريس بعلامة النصر ، أدرك كولين أنه تلقى لتوه أول هزيمة له ، وصافح ريس. ثم اقتحم دالي ومور الحلبة ، وبدأ الحشد يصيح ويهتف.

شعر كولين أنه خائر القوى ، فغادر الحلبة وتوجّه نحو غرفة الملابس وحده وهو يشعر بخيبة الأمل بشكل طفيف ، ولكن من دون أن يكون متفاجئاً كثيراً.

* * *

علّق إيفان قائلاً" :إن كان ذلك يشكّل لك أية تعزية ، فإنك لا تبدو بحال سيئة بقدر ما حدث في المباراة الماضية ."وكما أصبحت العادة بالنسبة إليهما بعد مباريات كولين ، خرجا إلى مطعم ناء على الطريق ، وراح إيفان يراقب كولين وهو يتناول طعامه .تابع إيفان كلامه قائلاً" :هناك فقط ذلك الجرح على جسر أنفك ، ولكن لا شيء آخر .فأنت بحال جيدة ، وهذا بالتأكيد يعتبر تحسناً واضحاً."

"لقد نطحني برأسه."

"ربما يكون قد غش في المباراة ، ولكن رغم ذلك كان القرار عادلاً تماماً الليلة .إنك تدرك أنك أوسعته ضرباً ، أليس كذلك؟ وقد أدرك الجمهور هذا أيضاً ، وكذلك الحكم .هل رأيت تعبير وجهه عندما أعلنوا عن فوز ريس ؟."

"كلا."

"لم يستطع تصديق ذلك ، حتى إن مدرب ريس بدا مصعوقاً."

استخدم كولين شوكته ليقطع قطعة من كعكته وأدخل لقمة في فمه ، ثم قال" :حسناً."

"لو أن المباراة استمرت لمدة عشرين ثانية أخرى لقضيت على ريس ، أو حتى لمدة عشر ثوان .لم تكن هناك أية وسيلة تساعده على منع حركة لي الذراع تلك التي قمت بها لأنه كان قد انتهى بحلول ذلك الوقت .فقد بات الرجل بالكاد قادراً على فعل أي شيء عندئذ."

"أعرف ذلك."

"إذاً ، لماذا لست مستاء أكثر؟ إن المدربين غاضبان ، وينبغي أن تغضب أنت أيضاً."

فأجاب كولين" :لأن المباراة قد انتهت ، ولم يعد هناك ما يمكنني فعله."

"يمكنك أن تسجل اعتراضاً."

"كلا."

"إذاً ، على الأقل كان ينبغي لك أن تضرب ريس عندما بدأ يؤدي تلك الرقصة الغبية بعد أن تم إعلان النتيجة .هل رأيت ذلك ؟."

"كلا."

"لا بد أن نتيجة المباراة كانت غير شريفة ؛ فقد أرادوا لريس أن يُنهي مرحلته كهاوٍ من دون أية هزيمة."

"من تقصد بقولك هم ؟."

"لست أدري .الحكام والممول وأياً يكن ، ولكنّ ما أعنيه هنا هو أن النتيجة كانت محسومة ، وتم الاتفاق عليها مسبقاً."

"محسومة !تبدو لي كشخصية من أحد أفلام العصابات."

"إنني أقول إنك مهما فعلت ، فريس كان سيفوز في هذه المباراة."

عندها ، هز كولين كتفيه وقال" :إن ريس يتوجه للاحتراف ، وقد حللت أنا بديلاً عن خصمه في اللحظة الأخيرة .لذا ، من الأفضل أن يُنهي هذه المرحلة بدون أن تتم هزيمته كهاوٍ."

"إنك تمازحني !وهل هذه المسألة مهمة ؟."

"ليس بشكل رسمي ، ولكنّ إنتاج مقاتل من هذه المنطقة يصل إلى بطولة المصارعة النهائية شيء جيد للجميع."

"إنك تجعل الأمر يبدو تجارياً وليس رياضياً."

"هذه هي الحقيقة."

فهز إيفان رأسه وقال" :حسناً ، فلتكن فيلسوفاً حيال الأمر .هل تظن أنك فزت ؟."

تناول كولين قطعة من البيض وقال" :نعم."

وبعد لحظة ، هز إيفان رأسه وقال" :ما زلت أظن أنه كان يجب عليك أن تضربه عندما بدأ يرقص تلك الرقصة .فقد أردت أنا أن أفعل ذلك."

"حسناً."

استند إيفان على كرسيه وقال" :حسناً إذاً .بما أنك راضٍ عن نتيجة المباراة ، فأنا مسرور لأنني تمكنت من مشاهدتك وأنت تتعرض للضرب ؛ ولا سيما بعد الهزيمة التي وقعت في الأسبوع الماضي."

"حسناً."

"وهناك شيء آخر أيضاً."

"ما هو ؟."

"لقد حضرت ماريا المباراة الليلة."

فرفع كولين رأسه وبدا متيقظاً في الحال.

"كانت مع فتاة أخرى قد يظنها المرء أختها التوأم ."وأضاف إيفان قائلاً: "حسناً ، ليست مثلها بالضبط ولكنها تشبهها كثيراً .تعرف ما أعنيه .وقد كانتا تجلسان في الجهة المقابلة من الحلبة ، في الصف الأخير ، ولكنها هي بلا شك."

"حسناً."

"ما الذي يجري بينكما!؟."

تناول كولين قطعة من النقانق وقال" :لست أدري."

الفصل الثامن عشر

ماريا

قالت ماريا لسيرينا وهما في طريق العودة إلى ويلمنغتون" :شكراً لك مجدداً لأنك رافقتني ."وأخذت قطرات المطر تتساقط بشكل خفيف ، ما جعل أضواء السيارات القادمة تلمع من بعيد.

فقالت سيرينا من حيث تجلس على مقعد الراكب ، ممسكة علبة مياه غازية بين ركبتيها" :لقد كانت هذه الأمسية من أكثر أمسيات السبت الممتعة التي قضيتها منذ وقت طويل .في الواقع ، أظن أنني أعرف أحد المقاتلين."

فقالت ماريا" :صه .لقد كنت أنت من دبّر لقاءنا."

"أنا لا أتحدث عن كولين ، بل عن أحد المقاتلين الآخرين .أظن أنني شاهدته في حرم الجامعة .بالطبع من حيث جلسنا ، لم يكن من الممكن أن أكون متأكدة .أخبريني مجدداً ، لماذا لم تحاولي الاقتراب أكثر ؟."

"لأنني لم أرغب أن يعرف كولين بوجودي هناك."

"ومجدداً ، ما سبب ذلك ؟."

فقالت ماريا" :لأننا لم نتكلم منذ العطلة الأسبوعية الماضية .سبق لي أن أخبرتك بكل ما حدث."

"أعرف ذلك .فقد صاح في وجه النادلة ، وحضر رجال الشرطة وأصبت بالذعر ...إلخ."

"إنني أقدر تعاطفك معي."

"إنني متعاطفة ، ولكنني أظن أنك ترتكبين خطأ."

"ولكنّك لم تقولي هذا يوم الأحد الماضي."

"حسناً ، لقد سنحت لي الفرصة للتفكير في الأمر ملياً .وأشكرك لأنك تركتني جاهلة في ما يتعلق بموضوع الرجل الذي يتعقبك."

بدا صوتها مفعماً بالسخرية ، ولكنّ ماريا لم تستطع أن تلومها فعلاً ، لذا قالت" :لم أكن أعرف بشكل مؤكد حتى ذلك الحين."

"وماذا حدث عندما اكتشفت ما يجري؟ !إن كولين محق بمحاولته الحصول على أجوبة."

"لقد فعل ما هو أكثر من ذلك بكثير."

"هل كنت ستفضّلين مواعدة رجل يقف مكتوف اليدين من دون أن يفعل أي شيء؟ أم كنت ستودين منه أن يتولى معالجة الوضع؟ لو كنت مكانه ، لصرخت على الأرجح في وجه تلك النادلة الغبية .أيعقل أن تعجز عن تذكر شكل شخص ما بعد دقائق قليلة من طلبه الشراب منها ؟."!

"لقد لاحظت في كولين جانباً لم يعجبني."

"وماذا في ذلك؟ هل تظنين أن أمنا لم تلاحظ في أبينا جانباً لا يعجبها ؟ أو العكس ؟ لقد لاحظت فيك جانباً لا يعجبني ، ولكنني لم أطردك من حياتي."

"أي جانب ؟."

"هل هذا مهم ؟."

"نعم."

"حسناً ، إنك دائماً تعتبرين نفسك محقة ، وهذا يزعجني."

"كلا ، لست كذلك."

"إنك تثبتين صحة وجهة نظري."

"لقد بدأت تزعجينني."

"يجب على أحد ما أن يجعلك تعودين إلى مسارك ويخبرك أنك مخطئة. وبالمناسبة ، أنت مخطئة في تصرّفك مع كولين أيضاً ، وينبغي لك أن تتصلي به ؛ فهو جيد معك."

"لست واثقة تماماً من هذا."

"إذاً ، ما سر إصرارك على ذهابنا لحضور مباراته الليلة ؟."

* * *

لماذا أصرّت على حضور المباراة الليلة ؟ !لقد ارتبكت وأخبرت سيرينا بأنها وعدت كولين بأنها ستفعل ذلك ، ولكن سيرينا اكتفت بمجرد الضحك ساخرة منها.

وقالت لها" :اعترفي وحسب بأنك لا تزالين معجبة به."

في الأسبوع الماضي ، أدركت ماريا أنها بحاجة إلى المزيد من المساحة لتفكر في الأمر .فمشاعرها المتضاربة حيال المتعقب وحيال كولين جعلتها

تشعر بالاضطراب تماماً ؛ وهو شعور ظل يزداد سوءاً بمرور أيام الأسبوع.

حتى إن الجو العام في العمل بدا غريباً بالنسبة إليها .فقد كان كين يدخل مكتب بارني ويخرج منه معظم الأسبوع وهو يبدو مشتت الذهن وقلقاً ؛ رغم أنه لم يتوجّه إليها ولو بكلمة واحدة .وبدا بارني متوتراً بشكل مماثل .ولم يأتِ أي منهما إلى مكتبه إطلاقاً خلال يوم الخميس .وعندما لم تأتِ لين إلى العمل على حد سواء يومَي الخميس والجمعة ، توقعت أن تثور ثائرة بارني عندما يرجع ، ولو كان ذلك لسبب واحد ؛ وهو أن لين لم تتصل وتذكر بأنها لن تأتي .ومع ذلك ، لم يفعل بارني أكثر من إضافة عمل لين إلى عمل ماريا من دون أي تفسير أو تعليق من قِبله.

غريب!

أما والداها ، فقد شكّلا مصدراً آخر للقلق .إذ ظل والدها مكتئباً وحزيناً على موت كوبو لدرجة أنه توقف عن الذهاب إلى المطعم ، وبدأت والدتها تقلق عليه .لذا ، تناولت ماريا العشاء معهما يومَي الثلاثاء والخميس ، وسيرينا يومَي الاثنين والأربعاء .وفي طريقهما إلى مباراة كولين ، اتفقتا معاً على أنه يجب فعل شيء ما ؛ رغم أنهما ما كانتا واثقتين تماماً من وجود أي شيء يمكنهما فعله.

كان يفترض أن تشتّت المباراة ذهنها ، أو على الأقل هذا ما حاولت أن تقوله لنفسها ، -ولسيرينا أيضاً .ولكن حالما صعد كولين إلى الحلبة ، شعرت بموجة كاسحة تغمرها ، وترافقت مع إحساس شديد بالندم.

ما الذي يعنيه كل هذا ؟!

* * *

بسبب حزن والديها ، كانت فكرة التوسل لإعفائها من حضور وجبة الفطور المعتادة يوم الأحد غير واردة على الإطلاق ؛ رغم أنها لم تشعر بأنها في حالة ذهنية مناسبة لتدعم أياً كان.

وهذا هو السبب الذي جعل رؤيتها سيرينا على الشرفة الأمامية وهي تكاد تنبض بالطاقة والترقب أمراً مفاجئاً .وحالما وصلت ماريا إلى مدخل السيارات ، أسرعت سيرينا نحوها.

"ما الذي يجري ؟."

فقالت سيرينا" :أعرف ما الذي يجب علينا فعله .وليست لدي أية فكرة عن سبب استغراق الأمر كل هذه المدة لأكتشفه ؛ باستثناء أنني حمقاء !ومن الجانب الإيجابي ، سنستعيد أنا وأنت حياتينا ...أعني ، إنني أحب أمي وأبي ، ولكن لا يمكنني الحضور لتناول العشاء هنا مرتين في الأسبوع ، بالإضافة إلى تناول الفطور معهما يوم الأحد .إذ يجب عليّ أصلاً أن أقضي الوقت معهما في المطعم ، وأنا بحاجة إلى بعض الوقت الخاص بي كما تعرفين."

"ما الذي تتحدثين عنه ؟."

"لقد فكرت في طريقة لمساعدة أمي وأبي."

ترجلت ماريا من السيارة وقالت" :كيف حالهما ؟."

"ليسا على ما يرام."

"إذاً ، ينبغي أن يكون ما تفكرين فيه مثيراً للاهتمام."

"كما قلت لك ، لدي خطة محددة."

* * *

تطلب الأمر بعض الإقناع، ولكن على الرغم من تحفظاتهما، لم يكن والدا ماريا من الأهل الذين يرفضون طلباً لأولادهم، ولا سيما عندما تكون الفتاتان متحدتين في توسلاتهما.

ركبتا سيارة والدهما ذات الدفع الرباعي وانطلقتا نحو جمعية هيومن. وعندما وصلتا إلى موقف السيارات الخاص بذلك المبنى المنخفض وغريب المظهر، لم يسع ماريا إلا أن تلاحظ كيف راح والداها يجران أقدامهما كارهين في كل خطوة يخطيانها .عندما طرحت سيرينا الفكرة في بادئ الأمر، اعترضت أمهما قائلة" :إن الوقت لا يزال مبكراً."

عندها، طمأنتها سيرينا قائلة" :سنرى وحسب ما هو المتوفر هناك .لا تضغطا على نفسيكما ."والآن، راحا يمشيان في أعقاب ابنتيهما متحركين ببطء ومتّجهين نحو الباب.

همست ماريا في أذن سيرينا وقالت" :لست واثقة تماماً من أنها فكرة حسنة .ماذا سنفعل إن لم يكن لديهم كلب يعجبه؟."

فردّت سيرينا همساً" :أتتذكرين أنني أخبرتك بأن ستيف يتطوع بالعمل هنا؟ حسناً، بعد أن أخبرته عن كوبو، ذكر ستيف أن هناك كلباً قد يكون مثالياً تماماً .حتى إنه وافق على أن يقابلنا هنا."

"هل خطر ببالك قط أن تحصلي له على كلب من فصيلة كوبو نفسها؟ ومن المكان نفسه الذي أحضرته منه؟."

فأجابت سيرينا" :بالطبع خطر ببالي، ولكنني لم أرغب في جعلهما

يفكران في أنني أريد أن أجعل كلباً آخر يحل محل كوبو."

"أليس هذا هو ما نفعله بالضبط ؟."

"كلا ، إن كان نوعاً مختلفاً من الكلاب."

لم تكن ماريا واثقة في منطق سيرينا ، بينما بدت أختها متأكدة بشكل واضح مما تقوم به ، ولكنها لم تقل أي شيء .أما ستيف الذي بدا عليه التوتر ، فقد حيّاهم عند الباب حالما دخلوا المكان .وبعد أن حيّته سيرينا ، عرفته على والديها ، ثم قادهما بحماسة إلى بيوت الكلاب في مؤخر المبنى.

وفي الحال ، بدأت الكلاب تنبح ، وتردد صدى صوتها بين الجدران .مشوا ببطء مروراً بالبيوت الأولى ، ولاحظوا عدداً من فصائل الكلاب ، ولاحظت ماريا شعور والديها باللامبالاة.

بعد قليل ، توقّف كل من سيرينا وستيف أمام أحد الأقفاص الأصغر حجماً ، فصاحت سيرينا قائلة" :ماذا عن هذا الكلب؟ ."فتوجّه فيلكس وكارمن نحوها وهما يتحركان كارهين ؛ كما لو أنهما يرغبان في التواجد في مكان آخر. ومشت ماريا في أعقابهما.

ألحّت عليهما سيرينا قائلة" :ما رأيكما ؟."

شاهدت ماريا في القفص كلباً صغيراً باللون الأسود والبني ، له وجه يشبه وجه الدب يجلس على خلفيته من دون أن يُحدث أي صوت على الإطلاق. وتوجّب على ماريا أن تعترف بأنه ألطف كلب شاهدته في حياتها.

شرح لهم ستيف عن فصيلة الكلب ، وأخبرهم أنه كلب هجين من نوعين

مختلفين ، وقال إنه لطيف للغاية ويتراوح عمره بين السنتين وثلاث سنوات.

فتح ستيف القفص ، ومد يده ليمسك بالكلب وقدمه إلى فيلكس قائلاً: "هل تمانع بأن تحمله قليلاً إلى الخارج؟ فلا بد أنه سيحبّ تنشق بعض الهواء النقي."

حضن فيلكس الكلب بقليل من التردد ، فيما اقتربت كارمن منه بفضول. وشاهدت ماريا الكلب الصغير وهو يلعق أصابع أبيها قبل أن يتثاءب تثاؤباً كبيراً.

وفي غضون دقائق قليلة ، وقع فيلكس في حب الكلب الصغير وكذلك فعلت كارمن .وهكذا ، وقفت سيرينا وهي تشاهدهما ، وأمسكت بيد ستيف ، وبدا واضحاً أنها مسرورة من نفسها.

ولم تستطع ماريا أن تلومها على ذلك.

لا عجب في أنها كسبت المنحة الدراسية ؛ فقد كانت باهرة للغاية في بعض الأحيان.

* * *

عندما عادت ماريا إلى العمل يوم الاثنين ، كان جو التوتر السائد في المكتب واضحاً تماماً .فقد بدا الجميع في حالة استنفار ، والموظفات المتدربات كن يتهامسن في ما بينهن من فوق حواجز مكاتبهن الصغيرة ثم يلتزمن الصمت كلما اقترب منهن أحد المحامين .وفي تلك الأثناء ، عرفت ماريا أن كل الشركاء مجتمعون في غرفة المؤتمرات منذ وقت مبكر من الصباح ؛ وهذا إن دلّ على شيء فهو أن شيئاً هاماً للغاية يتم التحضير له.

وظلّت لين غائبة لليوم الثالث على التوالي من أيام العمل .لم تكن لدى ماريا أية فكرة عما يفترض بها فعله بعد أن أهمل بارني ترك أي تعليمات لها ، لذا مدت رأسها إلى مكتب جيل.

وقبل أن تتمكن من التفوه بكلمة ، بدأت جيل تهز رأسها وتتكلم بصوت مرتفع ، حيث يمكن سماعها في الممر.

أعلنت قائلة" :ما زال موعدنا لتناول الغداء قائماً بالطبع .لا يسعي الانتظار لسماع ما حدث في عطلتك الأسبوعية .تبدو مدهشة."!

* * *

وبينما ظل الشركاء خلف الأبواب المغلقة ، جلست ماريا أخيراً على كرسي مقابل جيل في مطعم قريب.

"ما الذي يجري اليوم بحق الله ؟ !يبدو أن هناك شيئاً خطيراً ومنذراً بالشر يحدث ؟ ما الذي يتحدث عنه كل الشركاء ؟ لا يبدو أن أحداً يعرف أي شيء."

فأخرجت جيل نفساً عميقاً وقالت" :إن الأمر قيد السرية التامة الآن... ولكنني واثقة من أنك لاحظت غياب مساعدتك ؟."

"هل لها علاقة بما يجري اليوم ؟."

تمتمت جيل" :يمكنك قول ذلك ."ثم التزمت الصمت عندما أتى النادل ليأخذ طلباتهما ، وانتظرت إلى أن غادر قبل أن تتكلم مجدداً وتقول" :سنعرف كل شيء ، ولكنني سأجيب بما يمكنني الإجابة عنه .بشكل رئيس ، أردت أن أتناول معك الغداء لأنني أردت أن أعرف منك شيئاً ما بشكل سري."

فقالت ماريا" :نعم ، بالطبع"...

"هل أنت مسرورة من العمل في الشركة ؟."

"إنني أبلي بشكل حسن .لماذا ؟."

"لأنني أتساءل عمّا إذا كنت تفكرين يوماً في ترك العمل هنا والعمل معي في شركتي الخاصة."

شعرت ماريا بأنها مصعوقة للغاية ، حيث عجزت عن الإجابة.

وأومأت جيل برأسها وقالت" :أعرف أنه قرار كبير .ولا يجب عليك أن تعطيني جواباً في الوقت الحالي ، ولكنني أريد منك أن تفكري في الأمر ؛ ولا سيما الآن على اعتبار ما يجري."

"ما زلت لا أفهم ما يجري .انتظري لحظة ...هل ستتركين العمل ؟."

"كنا نعمل على وضع خططنا منذ فترة قبل أن تبدئي بالعمل هنا."

"كنا."!

"سأعمل مع المحامية ليزلي شو .إنها محامية توظيف تعمل مع المحامين سكانتون وديلي ومارسدين .لقد ارتدنا كلية الحقوق معاً .وهي رهيبة وذكية للغاية وحاذقة في ما يتعلق بقانون العمل .أرغب في أن تقابليها إن كنت على استعداد للتفكير في الأمر ، أو ربما ستأتين للعمل معنا .لا بد أنك ستعجبين بها ، ولكن إن لم تكن لديك رغبة في المغادرة ، إذاً آمل أن تنسي أنني قلت لك أي شيء على الإطلاق .ففي الوقت الحاضر ، إننا نحاول أن نبقي هذا الأمر طي الكتمان قدر المستطاع."

وعدتها ماريا بينما لا يزال وقع الصدمة مؤثراً فيها" :لن أقول أي شيء. وبالطبع ، إنني راغبة في مقابلتها ، ولكن ...لماذا تفكرين في ترك العمل ؟."

"لأن شركتنا واقعة في ورطة مثل ورطة سفينة التايتانك عندما ارتطمت بالجبل الجليدي .ولن تكون الأشهر القليلة القادمة جيدة على الإطلاق."

"ما الذي تعنينه ؟."

"إن الموظفة لين على وشك أن ترفع قضية في المحكمة ضد شريكنا الإداري كين بتهمة التحرش الجنسي .وأظن أن هناك موظفتين وربما حتى ثلاث موظفات سيقاضينه على حد سواء .وهذا هو الموضوع الذي يشغل الشركاء ويجعلهم يجتمعون طوال اليوم ؛ لأن الأمر سيتحول إلى فضيحة وسيصبح الوضع سيئاً للغاية .ومما سمعته ، لم تفلح جهود الوساطة بشكل جيد في الأسبوع الماضي."

"أي وساطة ؟."

"يوم الخميس الماضي."

"هذا يفسّر سبب غياب لين وبارني وكين .لماذا لم أسمع شيئاً عن هذا ؟."

"لأن لين لم تتقدم بالدعوى بشكل رسمي بعد."

"إذاً ، ما سبب جهود المصالحة ؟."

"لأنه تم تحذير كين حيال الأمر قبل بضعة أسابيع ، ما جعله يبذل قصارى جهده ليكون حسن السلوك .لا بد أنك لاحظت أنه يتصرف بأحسن سلوك منذ ذلك الحين .إنه مرعوب !وأنا واثقة من أنه يتوقع من الشركة أن

تفاوض للحصول على تسوية ما .ولكن لا شك في أن الشركاء الآخرين يرفضون ذلك .فهم يريدون لكين أن ينهي القضية ، ولكن ليس لديه المال الكافي لذلك."

"أيعقل أنه لا يملك مالاً؟."

"بوجود زوجتين سابقتين !!وبالإضافة إلى ذلك ، هذه ليست المرة الأولى التي يحدث فيها هذا ، ولكن تمت تسوية القضية .ولهذا السبب اعتدت أن أسألك عنه ، أي لأنك شابة وجذابة وتعملين في المكتب ، وهذا هو كل ما يتطلبه الأمر في ما يتعلق بكين .إن ذلك الرجل لا يفكر إلا بشهواته .وستدّعي لين بالطبع أن الشركاء جميعاً متآمرون معه ؛ لأنهم يعرفون بالضبط أي نوع من الرجال هو ، ومع ذلك لم يقوموا بأي إجراء ضده .إن الشركة ربما مهددة بدفع بضعة ملايين من الدولارات ...ولنقل إن الكثير من الزبائن لن يسرهم أن يتعاملوا مع شركة يعرف عنها التحرش الجنسي الفاضح .وهذا ما يعيدني إلى سؤالي الأول :هل أنت مستعدة لفكرة الانضمام إليّ وإلى ليزلي في شركة جديدة ؟."

شعرت ماريا بالارتباك وقالت" :ليست لديّ أي خبرة في مجال قانون التوظيف"...

"أتفهّم هذا ، ولكنني لست قلقة .فأنت ذكية ومندفعة وستتعلمين بسرعة أكثر مما تتخيلين على الأرجح .إن التحذير الوحيد لديّ هو أننا على الأرجح لن نتمكن من دفع راتب مماثلاً لراتبك الحالي منذ البداية ، ولكنك ستحظين بساعات عمل أكثر راحة .وبمجرد انضمامك إلينا يوماً ما ستخطين الخطوة

الأولى نحو التحول إلى شريكة."

"متى تفكرين في تقديم استقالتك ؟."

فقالت" :بعد يوم الجمعة بأربعة أسابيع .فقد سبق لنا أن استأجرنا مكتباً على بعد بضعة مربعات سكنية من هنا وفرشناه ، كما أنهينا كل المعاملات الورقية الخاصة به."

"إنني واثقة من أن هناك الكثير من المحامين المؤهلين أكثر مني .فلماذا اخترتني أنا ؟."

فابتسمت جيل وقالت" :ولم لا أختارك ؟ !نحن صديقتان .وقد تعلمت شيئاً واحداً في هذه المهنة ، وهو أن العمل يكون أكثر متعة عندما تعملين مع أشخاص تحبينهم وتمضين أيامك معهم .وقد نلت ما يكفيني من كين وبارني لحياة كاملة ، وشكراً جزيلاً لذلك."

"إنني ...أشعر بالإطراء."

"إذاً ، هل ستفكرين في الأمر ؟ على افتراض أنك وليزلي قد اتفقتما ؟."

"لا أرى سبباً يمنعني من ذلك .كيف تبدو ليزلي ؟."

* * *

خرج الشركاء أخيراً من غرفة الاجتماعات حوالي الساعة الثالثة عصراً وكلهم يبدو عليهم التجهم .فتوجّه بارني في الحال نحو مكتبه وهو في مزاج غير ملائم للكلام ، والأمر نفسه ينطبق على الشركاء الآخرين .فقد توجّهوا واحداً تلو الآخر إلى مكاتبهم وأغلقوا الأبواب .عندها ، قررت ماريا كمعظم الموظفين أن

تخرج في وقت مبكر .وفيما هي في طريقها ، لاحظت أن بقية زملائها يتصرفون بتوتر وخوف في آن معاً.

اتصلت بها جيل بعد أن تحدثت إلى ليزلي ، وأكّدت موعداً سيجمعهن هن الثلاث معاً لتناول الغداء يوم الأربعاء .عندها ، وجدت ماريا حماسة جيل معدية ، ولكن الاضطراب الحاصل في الشركة تسبّب بشعورها بشيء من الخوف .إذ إن تغييرها وظيفتها وتغييرها مجال تدريبها مجدداً والبدء في شركة جديدة بدا أمراً ينطوي على مجازفة بالنسبة إليها ؛ رغم أن بقاءها في شركتها بدا أكثر مجازفة.

أدركت أن ما تريده بالفعل هو التحدث إلى شخص ما بخلاف سيرينا ووالديها ، فركبت سيارتها ، ووجدت نفسها تتجه مروراً ببيت إيفان والصالة الرياضية بحثاً عن سيارة كولين ، قبل أن تتوجه مباشرة نحو شاطئ رايتسفيل.

وجدت المطعم في كراب.ي بيتس شبه فارغ .وعندما جلست على أحد الكراسي ، لاحظ كولين وجودها أخيراً ، وشاهدت تعبير وجهه المتفاجئ وهو يتحوّل تدريجياً إلى شيء أكثر تحفظاً.

قالت له بهدوء" :مرحباً يا كولين .من الجيد أن أراك."

"إنني متفاجئ لأنك هنا."

راحت تحدق إليه وهو واقف خلف النضد ، وفكرت في سرّها بأنه أكثر الرجال الذين قابلتهم في حياتها وسامة ، وشعرت بوخزة الندم نفسها التي تملكتها ليلة السبت.

فتنهدت وقالت" :ولكنني لست كذلك."

* * *

بدا المطعم مكاناً مناسباً للكلام بوجود حاجز بينهما وانهماك كولين بالعمل؛ ما منع المحادثة بينهما من أن تصبح جادة بسرعة كبيرة .أطلعها كولين بإيجاز على ما جرى في مباراته مع ريس ، وعلى إصرار إيفان أن المسألة برمتها مدبرة .وأخبرته ماريا عن الكلب الذي ساعدت والديها في الحصول عليه ، بالإضافة إلى الأزمة التي تطيح بالشركة التي تعمل فيها ، وعن فرصة عملها الجديدة مع جيل.

وكما هو التصرف النموذجي من قبله ، استمع إليها كولين من دون أية مقاطعة .وكالعادة ، توجّب عليها أن تجرّ التفسيرات والأفكار منه بصعوبة. ولكن ، عندما حان وقت مغادرتها ، طلب من أحد الندل أن يحل محله لبضع دقائق لكي يتمكن من إيصالها إلى سيارتها.

لم يحاول أن يتقرب منها ، ففعلت ذلك بنفسها .وفيما هي تشعر بالدفء المألوف قربه ، وجدت نفسها تتساءل عن السبب الذي جعلها تشعر بأنه من الضروري الابتعاد عنه في المقام الأول.

وعندما عادت إلى البيت ، بدأ إرهاق اليوم يدق ناقوسه عليها ، فاستغرقت في النوم بسرعة .واستيقظت على رسالة نصية من كولين يشكرها فيها على مرورها بمكان عمله ، ويخبرها فيها بأنه قد اشتاق إليها.

* * *

يوم الثلاثاء ، لاحظت ماريا أن المزاج في المكتب أسوأ مما كان عليه يوم الاثنين .وبينما بدا على الشركاء أنهم مصممون على التصرف بشكل عملي

وعادي ، إلاّ أن كتمان المعلومات التي يعرفونها كان أمراً مضنياً بالنسبة إلى الجميع .ولم يكن هناك شك في أن معظم العاملين في المكتب يتوقعون الأسوأ .وبدأت الشائعات بالانتشار ، فسمعت ماريا همساً عن بعض حالات التسريح للموظفين .ولأن الكثير من العائلات تعاني من وطأة الرهونات ، فهذا يعني أن حياة الموظفين قد تصبح أكثر تعقيداً بكثير.

بذلت ماريا قصارى جهدها لتُبقي نفسها منهمكة في عملها ، بينما ظل بارني هادئاً ومشتت الذهن .وجعلت ضرورة التركيز على العمل الساعات تمضي بسرعة كبيرة .وعندما غادرت المكتب في نهاية اليوم ، أدركت أنها لم تفكر في متعقّبها على الإطلاق.

وتساءلت إن كان هذا جيداً أم سيئاً.

يوم الأربعاء ، كانت دعوة الغداء مع ليزلي وجيل أفضل من كل توقّعات ماريا ؛ فليزلي من نواحٍ عديدة تكمّل صديقتها المفضلة في المكتب بطريقة مثالية .وقد وجدتها امرأة حيوية ومرحة ، ولكنها أيضاً متبصرة وحكيمة .وبدت فكرة العمل جنباً إلى جنب معهما رائعة بالنسبة إليها ، حيث لم تستطع أن تتخيل أنها حقيقية .وبعد الغداء ، عندما مرت جيل بمكتبها لتخبرها أن ليزلي قد تحمست حيال الاجتماع بشكل مماثل ، شعرت ماريا بموجة من الراحة. ناقشت جيل معها عرضها الأساسي بما في ذلك الراتب ، والذي كان بشكل ملحوظ أقل من راتبها الحالي ، ولكن في تلك المرحلة ، لم تكن ماريا تأبه لذلك. فقد قررت أن تعدّل نمط حياتها بناء على دخلها.

وقالت لجيل" :إنني متحمسة للغاية ."وتساءلت عن القدر الذي ينبغي لها

أن تكشفه عن الرجل الذي يتعقبها ، أو عن حقيقة أنها وكولين قد عادا إلى بعضهما بشكل خجول .ثم أدركت أنها لم تذكر حتى في المقام الأول حقيقة أنهما انفصلا عن بعضهما بعضاً.

فالكثير من الأشياء قد حدثت في الوقت نفسه.

وفي تلك الأثناء ، في مكاتب شركة مارتينسون وهيرتسبرغ وهولدمان ، بدأت الغيمة السوداء التي هبطت على الشركة تزداد حلكة وسواداً بشكل ثابت. وفيما كانت هي وجيل تقتربان من مكتبها ، اقتربت منها جيل ، وحذّرتها قائلة: "لا تتفاجئي إن سمعت خبراً مهماً للغاية يوم غد."

وبالفعل ، في صباح يوم الخميس انتشر الخبر في أنحاء الشركة ؛ وهو أن لين قد رفعت الدعوى القضائية ضد كين إلى هيئة تكافؤ فرص التوظيف. ومجدداً ، لم يأتِ إلى الشركة .ورغم أن التقرير كان يفترض أن يكون سرياً في مكتب محامين على قدر كبير من السلطة ولديهم معارف للاتصال بهم ، إلا أن الخبر سرعان ما أصبح منتشراً على أجهزة كمبيوتر الجميع .فانضمت ماريا إلى الحشد ، وقرأت التهم التي وجهتها الهيئة إلى كين ، والتي كشفت عن كل التفاصيل الشنيعة .فقد ذكر التقرير بكل صراحة وتحديد وغالباً بلغة دقيقة محاولات كين العديدة غير المرغوب فيها ؛ بما في ذلك وعوده بالترفيع الوظيفي وزيادة الراتب مقابل خدمات جنسية معينة من الفتاة .فراح الموظفون بعد أن تم التأكيد على أسوأ مخاوفهم يتنقلون في الأنحاء وهم في حالة ذهول وصدمة.

لاذت ماريا وجيل بالفرار من المكتب متوجّهتين لتناول الغداء في موعدهما المعتاد ، وناقشتا الوقت المناسب الذي ستقرران فيه الاستقالة من

الشركة .وبدت ماريا ميّالة إلى فكرة إعلام بارني في وقت مبكر وليس في وقت متأخر لكي لا يقع في ورطة ؛ أي ربما قبل بضعة أيام.

قالت ماريا" :إنّه كثير المتطلبات ، ولكنه أيضاً منصف تماماً .وقد تعلّمت منه الكثير ، وليست لديّ الرغبة في جعل الأمور أسوأ بالنسبة إليه."

"إنها وجهة نظر معقولة ومتبصرة ، ولكنها قد تعود عليك بنتيجة سلبية. أتساءل إن كان ينبغي لنا أن ندع الأمور تستقر أولاً."

"لماذا ؟."

"لأنه حالما نعلن أننا سنغادر ، فقد يؤدّي هذا إلى خروج جماعي للمحامين الآخرين ؛ الأمر الذي قد يؤدي إلى تدهور الشركة نحو الهاوية .فحين نعلن الخبر سيفعل الآخرون الشيء نفسه ، وعندئذ سيغادر الزبائن .وحتى إن الناس الراغبين في الصمود قد يتركون العمل."

"إنني واثقة من أن الكثير من الناس قد بدأوا منذ الآن يفكرون في خياراتهم."

"وأنا واثقة من ذلك أيضاً .فقد كنت سأفعل ذلك ، ولكنّ هذا لا ينطبق على الاستقالة الفعلية."

وفي النهاية اتفقتا على الموعد ، أي قبل أسبوعين من يوم الجمعة ؛ ليسمح هذا لبارني بالحصول على الوقت الكافي لإيجاد بديلين لهما .ومن هناك ، انتقلت المحادثة إلى نوعية الشركة التي تودّان تأسيسها ، ونوعية القضايا التي ستتوليانها ، وكيف ستنميان قاعدة زبائنهما ، وأي من الزبائن قد يتبعهما إلى هناك ، وعدد الطاقم المساعد الذي سيحتاجان إليه في البداية.

يوم الجمعة ، انفجرت قنبلة أخرى في المكتب عندما سرت شائعة في ممرات المكتب بأن هيذر مساعدة كين ، وغوين موظفة الاستقبال قد قدمتا شكاوى وإفادات مدمرة كإفادة لين .ومجدداً ، حبس الشركاء أنفسهم خلف الأبواب المغلقة وهم بلا شك يسدّدون نظرات قاتلة باتجاه كين.

وهكذا ، واحداً تلو الآخر ، بدأ أفراد الطاقم والموظفون يغادرون المكتب ؛ بعضهم عند الساعة الثالثة والآخرون عند الرابعة .وبعد أن أصيبت بالإرهاق من العمل ، قرّرت ماريا أن تنضم إليهم .فعلى أية حال ، كانت تنوي أن تقابل كولين في وقت لاحق ، وكانت بحاجة إلى بعض الوقت لتسترخي أولاً.

* * *

علّق كولين قائلاً" :لا يسعني أن أتخيل كم بدا أسبوعك غير واقعي."

"لقد كان مريعاً .فالكثير من الناس يشعرون بالغضب والخوف ، وجميعهم مندهشون مما جرى .إذ ما كانوا يتوقعون أن يحدث شيء من هذا القبيل ."كانا جالسين في مطعم بايلوت هاوس مجدداً .ورغم أنهما تحدثا عبر الهاتف عدة مرات ، إلا أن كلاً منهما كان يحاول أن يشق طريقه للعودة إلى العلاقة الطبيعية .وكانت تلك هي المرة الأولى التي تقابل فيها ماريا كولين منذ زيارتها له في كراب.ي بيتس .وبدا وهو مرتدٍ بنطاله الجينز وقميصه القطني الأبيض بكمّيه المرفوعين حتى المرفقين جذاباً ، وحتى أفضل ممّا بدا عليه يوم الاثنين ، ففكرت في أنه من الغريب كيف يمكن للفراق لوقت قصير أن يفعل الكثير.

"وماذا عن جيل ؟."

"إنها منقذة حياتي .فمن دون عرضها ، ما كنت لأعرف كيف أتصرف. فالشركات لا توظّف أحداً في هذه الأيام .وكنت على الأرجح سأقع ضحية وضع سيئ للغاية .فبعد أن قدّمت ثلاث موظفات شكاوى لهيئة تكافؤ فرص التوظيف ، من المؤكد أنه حتى لو عثرت الشركة على طريقة للصمود ، فالشركاء جميعاً سيصبحون في حالة مالية سيئة للغاية ، وسيصبح الحال قاتماً لعدة سنوات قادمة."

"وهذا على الأرجح يعني أنهم مستاؤون."

"بل بالأحرى هم غاضبون .إنني واثقة من أنهم جميعاً لا يودّون شيئاً أكثر من خنق كين حتى الموت."

"أليس لدى الشركة تأمين ضد أشياء من هذا القبيل ؟."

"ليسوا واثقين من أن التأمين سيغطي هذه القضية .فمن الواضح أنه كان يخرق القانون حسب الشكاوى .وهناك تسجيلات ورسائل عبر البريد الإلكتروني ورسائل نصية .كما أن إحدى الموظفات المساعدات تدّعي أن لديها شريط فيديو."

"هذا ليس جيداً."

فوافقته ماريا الرأي" :كلا .وهناك الكثير من الناس الأبرياء الذين سيتعرضون للأذى بسبب ما يجري .لا يسعني أن أعبّر لك كم أشعر بأنني موفورة الحظ."

"حسناً."

"لا تبدأ بقول هذا."

فابتسم وقال" :حسناً."

* * *

أمضيا الليلة التالية وهما يُعيدان استكشاف بعضهما بعضاً .وفي الصباح ، لم تعد ماريا تشعر بأي ندم عندما تتخيل نفسها في علاقة طويلة الأمد معه ؛ فقد بدت الفكرة مثيرة بشكل غريب .وبعد أن أمضيا يوم السبت معاً وهما يُطيّران طائرتين ورقيّتين على الشاطئ ، استمر شعورها بالسعادة بالنمو.

وفي ليلة الأحد، تناولت العشاء مع جيل وليزلي أثناء انهماك كولين بالعمل .وبعد أن انتهت مناوبته ، التقيا في بيته ، وكان إيفان وليلي هناك .وظل الأربعة يتحدثون معاً حتى الساعة الثالثة والنصف من بعد منتصف الليل .لم يستطع كولين وماريا أن يبقيا مستيقظين لحظة واحدة ، فأويا إلى الفراش في الحال.

ورغم أنها دعته لتناول فطور يوم الأحد مع والديها ، إلا أنه توسّل إليها واعتذر عن قبول دعوتها ، طالباً منها أن تعفيه من ذلك ، ومتذرّعاً بأنه مضطر إلى الدرس من أجل عدد من امتحاناته القادمة قبل أن يعمل في مناوبة أخرى في تلك الأمسية .وعندما وصلت إلى بيت والديها ، شعرت بالسرور حين علمت أن سموكي -وهو الاسم الذي اختاره والداها للكلب الجديد -بات يملك طوقاً جديداً وسريراً وألعاباً متعددة مرمية في أنحاء غرفة المعيشة ، ولكنه بدا أكثر سعادة عندما يجلس في حضن والدها .وفي المطبخ ، لم تستطع كارمن الكف عن الترنم .أما سيرينا ، فقد أسهبت في الحديث عن ستيف أكثر مما تحدثت

عنه من قبل قط .وأخيراً ، اعترفت مذعنة أمام استجواب أمها" :حسناً ، ربما بدأت علاقتنا تتخذ منحى جاداً قليلاً."

وحين جلسوا إلى مائدة الفطور ، حان دور فيلكس ليسألها عن ستيف. وكل ما كان بوسع ماريا فعله هو الابتسام .وبين مهنتها وعائلتها والآن كولين ، كانت الأمور في حالة تصاعدية .وفيما هم ينظفون الطاولة ، أدركت ماريا مجدداً أنها لم تعد مهووسة بالرجل ذي قبعة البيسبول بسبب ما يجري معها من أحداث ، ولكن أيضاً لأنها لم تعد ترى أي دليل على وجوده مؤخراً.

أرادت أن تفكر في أنه استسلم وتخلى عن مطاردتها وإزعاجها ، ولكن بقدر استمتاعها بهذا الإنقاذ المؤقت ، إلا أنها لم تصبح مستعدة بعد للتصديق بأن الأمر قد انتهى بشكل كامل.

فقبل ظهور قوس القزح عادة تضرب عاصفة هوجاء.

* * *

كان الطقس بارداً حيث لا يسمح بممارسة رياضة ركوب لوح التزلج .وبما أن كولين كان مشغولاً ، أمضت ماريا معظم فترة العصر والمساء وهي تحاول أن تستدرك ما فاتها من عمل المكتب .وبعد غياب لين وعمل بارني بأقل من طاقته القصوى ، جعلتها حقيقة أنها ستغادر المكتب في غضون ثلاثة أسابيع تشعر بالذنب ، ولكن ليس بما يكفي لجعلها تعدل عن الفكرة ، وإنما بما يكفي لجعلها تلتزم بالجلوس أمام الكمبيوتر إلى أن أصبحت الوثائق ضبابية والكتابة لا جدوى منها.

وعندما استيقظت ماريا في صباح اليوم التالي ، تساءلت عن الأسبوع

القادم ، وإلى أي حد سيكون المزاج العام في المكتب سيئاً ، وإن كان شخص آخر سيتّخذ القرار بالاستقالة .كان معظم الشركاء مشتتي الأذهان مثل بارني وكين ، وهذا على الأرجح يعني أن العمل بات متراكماً في كل الأقسام .وتوظيف أشخاص جدد سيصبح عملاً صعباً حالما تتسرب مشاكل الشركة إلى الخارج .ولا شك في أنها تسربت وانتهى الأمر.

أما الآن ، فقد قررت ماريا أن تجعل مغادرتها الشركة أقل ألماً بالنسبة إلى بارني قدر المستطاع .وفيما كانت تضع حقيبتها على كتفها وتأخذ حقيبة العمل ، لمحت عيناها شيئاً على مساحة الأرجل عند الباب.

واستغرقت لحظة لتستوعب ما شاهدته ، قبل أن تنقطع أنفاسها.

فقد شاهدت وردة ذابلة تحوّلت أوراقها إلى اللون الأسود ومعها رسالة صغيرة.

ستعرفين كيف هو الشعور.

شعرت بأنها تحلم ، وظلّت قدماها مسمّرتين في مكانيهما عند عتبة الباب قبل أن تدرك أن هناك المزيد .فعلى السياج قرب الدرج ، وجدت وردة متعفنة ثانية تكاد تسقط تحت وزن بطاقة أخرى ، فأجبرت قدميها على التقدم إلى الأمام ، وخطت فوق الوردة على مساحة الأرجل مقتربة من البطاقة لتقرأ ما كتب عليها:

لماذا كنت تكرهينها ؟

كان موقف السيارات أمام بيتها مهجوراً والأرصفة فارغة ، ولم ترَ أي سيارات لا تعرفها .شعرت أن فمها قد أصبح جافاً فيما كانت تقفل الباب خلفها

وترفع الوردة عن مساحة الأرجل .كما أخذت الوردة المثبتة على السياج وأجبرت نفسها على نزول الدرج وعيناها تتفحصان سيارتها.

وكما خشيت تماماً، وجدت إطارات سيارتها مثقوبة .وعلى الزجاج الأمامي ، وجدت مغلفاً مدسوساً تحت مساحة الزجاج.

وفي وقت لاحق ، شعرت بالدهشة من مدى الهدوء الذي تولّت به أمر هذه الاكتشافات ، ومن وضوح أفكارها .فعندما مدت يدها إلى المغلف ، فكرت في بصمات الأصابع ، وتذكرت أنه من الأفضل لها أن تقرأ الرسالة من دون أن تدمر أي دليل ، لذا أمسكت المغلف من أطرافه .وفي تلك اللحظة ، لم تشعر حتى بأي فزع ، فقد سيطر عليها شعور بالغرق البطيء ؛ وكأنها تميّز القدر المحتوم .فبطريقة ما ، أدركت أن هذا سيحدث لا محالة.

كانت الرسالة مطبوعة على الكمبيوتر على صفحة واحدة من الورق غير المسطر من النوع الذي قد تشتريه من أي متجر للوازم المكاتب .ومع ذلك ، لاحظت أن السطر الأخير مكتوب باليد ، بخط فوضويّ يشبه خط الأطفال.

أتظنين أنني لا أعرف ما فعلته ؟ أتظنين أنني لا أعرف من الذي يقف وراء كل شيء ؟ أتظنين أنني لا أستطيع أن أنظر إلى داخل عقلك وأعرف ما فعلته ؟ لقد سفكت دماء الأبرياء.

إن قلبك مليء بالسم والدمار !أنت وسمّك لن تنجوا بفعلتكما .ستعرفين كيف هو الشعور ؛ لأنني أنا الذي أسيطر عليك الآن.

أنا البريء الوحيد الباقي الآن.

فلتنظري إليّ كما أنظر إليك!

وعندما أنهت قراءة الرسالة ، قرأتها مجدداً وهي تشعر بأن جسدها يؤلمها. وكانت الوردة الذابلة لا تزال على الزجاج الأمامي للسيارة ، فمدت يدها إليها ورفعتها ، وضمّتها إلى الوردتين الأخريين في باقة شنيعة.

استدارت مبتعدة عن السيارة ، وهمّت بالعودة إلى شقتها وأطرافها ثقيلة من فرط الرعب .وحينها أدركت أن العلامات كانت واضحة ، وأنها تجاهلتها بكل مهارة .ومرة واحدة ، عادت الذكريات في صور مبهرة أمام عينيها :جيرالد لوز يتعرض للاستجواب على يد الشرطة .تخيلته بشعره المفروق بشكل أنيق وأسنانه البيضاء ، وتخيلت كاسي مانينغ بوجها الفتي المتشنج من فرط الخوف. كما تذكرت صورة آفري والد كاسي المتأكد بشكل مخيف من نوايا لوز ، والذي سيطرت عليه حدة حارقة ، وأم كاسي إلينور الصامتة والمرعوبة طوال الوقت. وأخيراً ، ليستر المتوتر الذي يقضم أظفاره ؛ الأخ الذي أرسل لها رسائل مريعة بعد موت كاسي.

تلك الرسائل الفظيعة التي عكست شدة غضبه المتصاعد ؛ تماماً مثل رسائل لوز إلى كاسي وهو في السجن.

إنها الخطوة الأولى في النمط...

وفيما كانت تصعد الدرج متّجهة نحو باب شقتها ، بدأ هاتفها يرن ؛ سيرينا. غير أنها تجاهلت المكالمة لأنها شعرت أنها بحاجة إلى التحدث إلى كولين .فقد أرادت منه أن يُشعرها بالأمان الآن ، إذ شعرت بأنها معرضة للخطر .طلبت رقم هاتفه بيدين مرتعشتين ، متسائلة عن الوقت الذي سيستغرقه ليصل إلى شقتها.

النمط...

كان مارغوليس قد طلب منها أن تأتي إليه بالتقرير ، وقد أرادت أن يتواجد كولين للغرض نفسه .إذ يتوجّب عليها أن تخبر مارغوليس عن جيرالد لوز وعن كاسي مانينغ ؛ المرأة التي قتلها لوز .وأرادت أن تخبره عن عائلة مانينغ وعن كل شيء حدث لها مؤخراً .ولكنها أرادت أكثر من أي شيء آخر أن تخبره بأنها تعرف بالضبط من هو الذي يتعقبها ، وما ستكون عليه نهاية اللعبة التي سيلعبها.

الفصل التاسع عشر

كولين

منذ أن بدأ كولين دوامه في الكلية لم تفته محاضرة واحدة قط ، ناهيك عن أن يفوته يوم دراسي كامل .وذات مرة ، كاد اليوم الدراسي يفوته عندما رفض محرك سيارته أن يقلع ، فاجتاز المسافة إلى الكلية سيراً على الأقدام ، حاملاً حقيبة ظهر مليئة بالكتب الدراسية ، ووصل قبل حلول موعد المحاضرة ببضع دقائق.

ومع ذلك ، كان ذلك اليوم هو الأول .فحالما اتصلت به ماريا ، أسرع إلى شقتها وقرأ الرسالة .وبينما اتصلت ماريا بمارغوليس ، اتصل هو بقاطرة لتقوم بنقل سيارتها .وفيما كانا ينتظران وصول القاطرة ، أعدّ كولين لماريا فنجاناً من الشاي ، ولكنها استطاعت فقط أن ترتشف بضع رشفات قبل أن تدفع الفنجان بعيداً عنها.

وحالما غادرت القاطرة ، أوصل كولين ماريا إلى مخفر الشرطة .ذكرت ماريا اسمها للضابط الجالس خلف طاولة المكتب الأمامية ، ثم جلست وكولين على كرسيين في الردهة الصغيرة ، ملاحظين الإيقاع الثابت ولكن المتمهل في المخفر .استغلت ماريا الفرصة لتترك رسالة لبارني تعلمه فيها بأنها لن تتمكن من الحضور لبعض الوقت .على الأرجح ، كان مارغوليس في مكان ما في أنحاء المخفر ، غارقاً بين المعاملات الورقية بسبب حوادث العطلة الأسبوعية. وبصفته محققاً ، كان يتعامل مع جرائم كثيرة .ولا بد أنه شعر بالندم لأنه تحدّى ماريا طالباً منها أن تتصل به إن أرادت أن تقدّم بلاغاً بسيطاً .فالتعقب -إن ثبت

أن ما يحدث لماريا يرقى إلى ذلك المستوى -أدنى من مستوى دفع مرتبه. وحقيقة وجود كولين مع ماريا جعلت الأمر برمته أكثر إثارة لانزعاجه من دون شك .جعلهما ينتظران حوالي الساعة ونصف الساعة قبل أن يأتي أخيراً حاملاً ملفاً ورقياً .ورغم أنه صافح ماريا ، إلا أنه لم يحاول مصافحة كولين ، ولم يكن كولين ليصافحه لو فعل ذلك .فلا حاجة إلى الادعاء بأنهما يستلطفان بعضهما بعضاً.

طلب مارغوليس أن يتحدث إلى ماريا على انفراد ، فأصرّت على أن يظل كولين حاضراً .عندها ، أومأ مارغوليس برأسه والكراهية تنضح منه ، ثم دخل الثلاثة إحدى غرف الاستجواب .وبعد أن أمضى كولين وقتاً كافياً في عدد من مخافر الشرطة على مدى السنوات ، أدرك أن غرفة الاستجواب من الأماكن القليلة التي تحظى بالخصوصية ؛ مهما حدث خلال فترة الصباح الحافلة .لذا فكّر كولين في أن تصرّف مارغوليس هذا لطيف ؛ رغم أنه اعتبره بشكل عام رجلاً وغداً .وبعد أن أغلق الباب وسمح لهما بالجلوس إلى الطاولة ، وضع مارغوليس الملف الذي كان يحمله جانباً ، وطرح عدداً من الأسئلة العامة عن اسم ماريا وسنها وعنوانها وأشياء من هذا القبيل ، فيما انهمك بتدوين المعلومات في التقرير .وبعد ذلك ، بدأت ماريا بصوت متهدج ولكن بأسلوب منظم تسرد على مسمعيه القصة نفسها التي روتها لكولين على الشاطئ عن كاسي ماينغ وجيرالد لوز ، بالإضافة إلى ما حدث معها مؤخراً ، ثم سلّمته الرسالة التي عثرت عليها مثبّتة على زجاج سيارتها الأمامي.

قرأ مارغوليس الرسالة ببطء من دون أن يقول أي شيء .وأخيراً ، طلب أن يحتفظ بنسخة عنها .وعندما وافقت ، نهض عن كرسيه وغادر الغرفة ، ثم عاد

وبحوزته نسخة عنها.

قال ووجهه لا يدل إلا على القليل مما يفكر فيه" :سنحتفظ بالرسالة الأصلية في الملف ، إن لم تمانعي ذلك ."ثم جلس على كرسيه مجدداً وقرأ الرسالة للمرة الثالثة قبل أن يتابع قائلاً" :هل أنت واثقة من أن ليستر مانينغ هو من كتب هذه الرسالة ؟."

فقالت ماريا" :نعم .وهو الرجل نفسه الذي يطاردني."

"أهو شقيق كاسي مانينغ ؟."

"إنه شقيقها الأصغر."

"ولماذا تظنين أنه الفاعل ؟."

"لأن بعض الكلام المذكور في الرسالة وصلني منه سابقاً."

"متى ؟."

"بعد موت كاسي .فقد استعمل نمط الكلام نفسه في الرسائل التي أرسلها إليّ سابقاً."

"مثل ماذا بالتحديد ؟."

"دماء الأبرياء ، وأن قلبي مليء بالسم."

عندها ، أومأ مارغوليس ودوّن ملاحظة أخرى ، ثم قال" :أتقصدين الدفعة الأولى من الرسائل أم الثانية ؟."

"أرجو المعذرة ؟."

"لقد قلت إن الرسائل قد تغيّرت عندما بدأت تصل مرة أخرى ، وإنها باتت أكثر تهديداً وإخافة."

"الثانية."

"وكيف تعرفين أنه هو من أرسل الرسائل ؟."

"ومن قد يكون غيره ؟."

تفحّص مارغوليس الرسائل وقال" :لقد قال آفري مانينغ إن الفاعل قد يكون صديق كاسي."

"لم يكن هو."

"وكيف تعرفين ؟."

"بحسب الشرطة ، فهو ليس مشتبهاً به محتملاً .إذ دمّرته جريمة قتل كاسي ، ولكنه لم يُلقِ باللوم عليّ .حتى إنه أنكر معرفته ب.ي."

"وهل تحدثت إليه ؟."

"كلا."

دوّن مارغوليس ملاحظة أخرى ثم قال" :أتتذكرين اسمه ؟ أو كيف التقى كاسي ؟."

عندها ، زمّت ماريا شفتيها وقالت" :أظن أنه كان يُدعى مايكل أو مات أو مارك ...شيئاً من هذا القبيل .وكلا ، لا أعرف كيف التقى كاسي .ولكن ، لماذا نتحدث عنه ؟ !إن ليستر هو الذي يتعقّبني !بالضبط كما كتب تلك الرسائل في

تشارلوت."!

"ألم تخبريني بأن ليستر قد أنكر كتابته تلك الرسائل عندما حققت معه الشرطة ؟."

"بالطبع أنكر كتابتها."

"ألم يخطر ببالك أن الفاعل قد يكون ذلك الرجل المدعو مايكل؟ صديقها ؟."

"ولماذا قد يفعل ذلك ؟ فهو لم يكن حتى يعرفني .وقد أخبر الشرطة بأنه لم يفعل ذلك."

"وكذلك فعل ليستر."

"هل تصغي إليّ ؟ !إن ليستر مجنون ، والرسائل جنونية .ولا يتطلب الأمر الكثير من الجهد لجمع الأمرين معاً."

"أما زلت تحتفظين بأي من الرسائل الأصلية ؟."

فهزّت ماريا رأسها نافية والإحباط يبدو عليها ، ثم قالت" :لقد تخلّصت منها عندما انتقلت إلى هنا .إذ فضّلت ألا تبقى لي أية علاقة بها .ربما لا تزال شرطة تشارلوت تحتفظ بنسخ منها ، ولكنني لست واثقة من هذا."

"عندما تقولين رسائل ، فما الذي تعنينه بذلك ؟."

"مجرد جملة أو جملتين."

"إذاً ...لم تكن مثل هذه."

"كلا .ولكنني أقول مجدداً إنه استخدم الكلمات والعبارات نفسها .وهناك رسالتان قصيرتان ينطبق عليهما هذا النمط تماماً."

"بتعبير آخر ، هذه الرسالة مختلفة."

"بشكل واضح."

راح مارغوليس ينقر بأصابعه على التقرير المفرود أمامه ثم قال" :حسناً ، لنفترض أنه ليستر .عندما تقولين إن رسائله موحية بالتهديد ، فما الذي تعنينه بذلك ؟ هل قال إنه سيؤذيك بطريقة ما ؟ أو يسبب لك الضرر ؟."

"كلا .ولكن من الواضح أنه كان يلومني على موت أخته .وفي الواقع ، إن العائلة برمتها قد ألقت اللوم عليّ في النهاية."

"ما رأيك في تلك العائلة ؟."

فقالت" :إنهم ببساطة ...غريبو الأطوار .وأقصد سلوكهم بشكل عام."

"كيف ذلك ؟."

عندها ، التفت كولين نحوها مدركاً أنه لم يسمع ماريا من قبل تتحدث عنهم بالتفصيل.

"الأب آفري مانينغ يعمل طبيباً نفسياً .ومنذ أول لقاء بيننا ، صرّح بأنه يعتبر نفسه خبيراً في السلوك الإجرامي .ولم يسمح لكاسي بأن تلتقيني بمفردها قط ، وكان موجوداً دائماً ، واعتاد أن يهيمن على المحادثات .وحتى في المستشفى عندما حاولت أن أسمع القصة من كاسي ، راح يجيب بالنيابة عنها. وقد وصل الأمر إلى حد أنني طلبت منه مغادرة الغرفة ، ولكنه رفض ذلك ،

وانسحب إلى زاوية الغرفة واعداً بالتزام الصمت أثناء حديثها .وحتى عندئذ ، تولّد لدي إحساس بأن كاسي كانت تتوخى الحذر الشديد في اختيار كلماتها ؛ كما لو أنها تحاول أن تقول الأشياء كما يريدها هو بالضبط .وأوحى لي الوضع بأنهما قد تدرّبا على كل الإفادة .أظن أن هذا هو السبب في أنها عمدت إلى زخرفة قصصها في بعض الأوقات."

"زخرفة."!

"لقد قالت لي كاسي إن لوز قد ضربها من قبل .ولو ثبتت صحة ذلك لكان الأمر مهماً للغاية ؛ لأننا كنا سنتمكّن من إلصاق تهمة أكثر خطورة به .وقد أخبرتني كاسي بأن لوز ضربها في موقف للسيارات ، وأن ليستر قد شهد على تلك الحادثة .وكانت كل من قصّتَي كاسي وليستر متطابقتين كلمة بكلمة .ولكن عندما حققنا في الأمر ، عرفنا أن لوز كان في ولاية أخرى في تاريخ الحادثة وتوقيتها ؛ ما يعني أن كليهما قد كذبا علينا .وعندما تحدثنا إلى كاسي حيال الأمر ، لم تتراجع عن موقفها ، وهذا ما جعل صفقة الالتماس ضرورية .وكان سيتوجب على محامي لوز أن يحظى بفرصة كبيرة معها إن توجب عليها أن تشهد."

"وماذا عن الأم ؟."

"إلينور .لقد قابلتها مرتين فقط ، ولاحظت أنها تقبع بشكل كامل تحت سيطرة آفري .ولست واثقة من أنها قالت أي شيء ، بل قامت بمجرد البكاء طوال الوقت."

استمر مارغوليس بتدوين الملاحظات فيما كانت تتكلم ، ثم قال" :دعينا

الآن نتكلم عن ليستر .كيف يبدو ؟."

"لقد التقيته مرتين فقط .وبدا في المقابلتين أشبه بشخصيّتين مختلفتين كل الاختلاف .ففي المقابلة الأولى ، لم ألاحظ فيه أي شيء خارج عن المعتاد. ففي الواقع ، لقد بدا الشخص الأكثر طبيعية بين أفراد المجموعة ، ولكنني عندما التقيته للمرة الثانية ، وبعد أن أعلمتهم بالتهم الموجهة ضد لوز ، تغيّر تغييراً جذرياً ، وشعرت تقريباً أنه خائف مني .وراح يتمتم قائلاً إنه لا ينبغي أن يكون هناك ، وإنه لا ينبغي لأحد من أفراد العائلة أن يقترب مني لأنني خطرة .وظل والده يأمره بالتزام الهدوء .وعندئذ ، جلس في مكانه وهو يتململ ويحدق إليّ كما لو أنني شبح أمامه."

"هل تعرفين اسم مستشفى الأمراض النفسية الذي تم إدخاله إليه ؟."

"كلا."

"ولكنّ الرسائل توقفت في نهاية المطاف ، أليس كذلك ؟."

"بعد أن انتقلت .ولكنه الآن يفعل ذلك مجدداً."

راح مارغوليس يدير القلم بأصابعه لبعض الوقت ، قبل أن يمد يده إلى الملف الذي أدخله معه إلى الغرفة ويقول" :بعد أن اتصلت ب.ي ، طلبت من شرطة تشارلوت أن يرسلوا لي عبر البريد الإلكتروني التقرير المتعلق بحادثة وفاة كاسي .وما زلت أنتظر تقرير اعتقال لوز المبدئي .لم تتسنَّ لي الفرصة للبحث فيه بالتفصيل ، ولكن مما قرأته ، من الواضح أن جيرالد لوز هو الذي قتل كاسي مانينغ .وبالإضافة إلى ذلك ، لست أنت من اتخذ القرار الذي يسمح له بطلب تهمة الجنحة في المقام الأول ، بل رئيسك هو الذي فعل ذلك ، هل كلامي

صحيح ؟."

"نعم."

"إذاً ، لماذا تظنين أن عائلة مانينغ قد ألقت باللوم عليك ؟ أو اعتبرتك خطرة كما فعل ليستر ؟."

"ربما لأنني أنا مَن تعاملوا معها .وكانوا يعولون عليّ لأقنع محامي المقاطعة بإدانة الرجل بتهمة أكثر خطورة .وفي حالة ليستر ، من الواضح أنه مريض .فكما قلت لك ، لقد انتهى به المطاف في مستشفى للأمراض النفسية."

أومأ مارغوليس برأسه وقال" :حسناً ، لنقل إنك محقّة حيال ذلك ، وان ليستر مانينغ هو بالفعل المسؤول عن كل شيء حدث لك ."واستند على كرسيه ثم تابع" :حتى عندئذ ، لست واثقاً من أن هناك أي شيء أستطيع فعله."

"ولم لا ؟."

"لأنك لم تريه بأمّ عينيك ، ولم يرَه أحد آخر .كما أنك لا تعرفين من اشترى الورود باستثناء أنه ليس رئيسك .ولم يرَ أحد ليستر وهو يضع الورود في سيارتك .وكل ما تعرفينه عن الرجل الذي طلب لك الشراب هو أنه شاب يعتمر قبعة بيسبول .فضلاً عن أنك لم تميّزي الرجل الذي أحضر لك الورود على أنه ليستر .وبتعبير آخر ، ليس لديك أي دليل على أن الفاعل هو ليستر بعينه."

"قلت لك إن الرسائل تستخدم العبارات نفسها."!

"أتعنين بالمقارنة مع الرسائل التي ما عدت تملكينها الآن ؟ مجدداً ، لا أقول إنك مخطئة .في الحقيقة ، أظن أن هناك إمكانية كبيرة في أن تكوني

محقة .ولكن بصفتك مدعية سابقة ، أنت تعرفين جيداً ما تعنيه عبارة" من دون أي شك منطقي ."وفي الوقت الحالي ، ليس هناك ما يكفي لاتهامه بموضوع التعقب."

"لقد كان يتبعني ويراقبني ويسجّل تحركاتي .والآن ، كتب رسالة أرعبتني ، وثقب إطارات سيارتي .وهكذا ، سبّبت لي أفعاله أذى عاطفياً كبيراً ؛ وهذا هو السبب لوجودي هنا .من الواضح أنه يتعقّبني ، وتلك جريمة يحاسب عليها القانون."

رفع مارغوليس أحد حاجبيه وقال" :حسناً ، أيتها الآنسة المدعية السابقة. ولكن ، إن أنكر كتابته الرسائل مرة ، فسينكر ذلك مجدداً .وماذا سيحصل بعد ذلك ؟."

"ماذا عن النمط ؟ ماذا عن الرسائل والزهور واللحاق ب.ي في الأنحاء والورود الذابلة ؟ إنه يقلد كل ما فعله لوز بكاسي."

"إن النمط مشابه ولكنه ليس مطابقاً .فقد أرسل لوز إلى كاسي رسائل عرّف بها عن نفسه ، بينما تلقّيت أنت رسائل قصيرة وغير موقعة .كما تجسّس لوز على كاسي أثناء تناول العشاء وحرص على أن تعرف أنه هناك ، بينما اشترى لك شخص ما شراباً في أحد النوادي وحرص على أن تبقى شخصيته مجهولة. وكانت كاسي تعرف أن لوز هو من أرسل لها الزهور ، بينما أنت لا تعرفين حتى بشكل مؤكد من أرسل لك الزهور."

"إن هذا مشابه بما فيه الكفاية."

"بالنسبة إليك ربما .ولكن في محكمة القانون الأمر مختلف."

"هل سيجعله حرصه على التخفي ينجو بفعلته؟ ألن تقوم حتى بالتحدث إليه؟."

"لا تسيئي فهمي، سأحاول التحدث إليه."

"ستحاول."!

"إنك تفترضين أنه لا يزال في المدينة، وأنني أستطيع العثور عليه .ومن ناحية أخرى، إن كان في تشارلوت أو في مدينة أخرى، فعلى الأرجح سأوكل أحد رجال التحري هناك بالمهمة."

"وما الذي ستقوله له إن تمكنت من العثور عليه؟."

"سأخبره بأنني أعرف ما ينوي فعله، وأنه من الأفضل له أن يكفّ عن ذلك أو ستتدخل السلطات لردعه ."وعندما بات من الواضح أن ماريا لم تتوقع منه أن يقول ما لديه، تابع مارغوليس قائلاً" :بتعبير آخر، إنني أصدقك .ورغم ذلك، لا يمكنني اعتقاله لأنك تظنين أنه اشترى لك وروداً، أو لأنك تظنين أنه اشترى لك شراباً، أو لأنك تظنين أنه وضع رسالة على سيارتك .فكلانا نعرف أن هذا لن ينجح .وفي نهاية المطاف، قد يجعل هذا الأمرُ الوضعَ يزداد سوءاً بالنسبة إليك."

فقالت له مندهشة" :أستميحك عذراً؟."!

عندها، هزّ مارغوليس كتفيه قائلاً" :لقد قدمت اتهاماً من قبل، فهدّدك الوالد بمقاضاتك ومقاضاة الشرطة .والآن، ها أنت تتهمينه مجدداً، ومن المحتمل أن يتقدم بشكوى إزعاج ضدك."

"هذا محض سخافة"!

"ولكنه ممكن."

"إذاً، ما الذي يفترض ب.ي فعله إن لم تكن ستفعل أي شيء لمساعدتي ؟."

عندها ، اقترب مارغوليس إلى الأمام وهو يشبك ذراعيه على الطاولة وقال: "لقد أخذت إفادتك ، والتقرير سيصبح الآن في الملف .وقد قلت لك إنني سأتحدث إليه على افتراض أنني تمكنت من العثور عليه ، أو أن شخصاً آخر سيفعل ذلك .وسأراجع الملفات المتعلقة باعتقال لوز وموت كاسي ، وسأكتشف ما يمكنني معرفته حول ليستر مانينغ ، وسأتحدث إلى شرطة تشارلوت وأطلب منهم التأكد من وجود الرسائل القديمة في ملف لديهم في مكان ما .وعلى اعتبار أنك لم تقدّمي لي شيئاً على الإطلاق كوسيلة لإثبات أنك تعرّضت للتهديد على الإطلاق ، وعلى اعتبار سوء حكمك الواضح في ما يتعلق باختيار صديقك ، إنني أقول إن هذا أكثر من كافٍ ، أليس كذلك ؟."

بدا وجه ماريا جامد الملامح كما لو أنه قناع ، وقالت" :ماذا عن صدور أمر بتقييده ؟."

"كل شيء ممكن ، ولكننا كلينا نعرف أنه ليس تلقائياً للأسباب نفسها التي ذكرتها سابقاً .ولكن ، لنقل إنه بأعجوبة ما سمح أحد القضاة بذلك ، فالقانون يقول إنه ليس سارياً ما لم يكن بالإمكان بالفعل إبلاغ ليستر مانينغ شخصياً بذلك ، وهذا ما أكرر بأنه قد يكون ممكناً وقد لا يكون كذلك."

"بتعبير آخر ، أنت تطلب مني التظاهر بأن هذا لا يحدث."

"كلا، بل أطلب منك أن تدعيني أؤدي عملي ."ومد يده إلى الملف ثم قال" :وسأعلمك بما سأتوصّل إليه من معلومات."

* * *

قالت ماريا وهما في طريقهما إلى السيارة وملامح وجهها منقبضة" :لا أعرف سبب ذهابي إليه في المقام الأول .ولكن، أتعرف ما الذي أغضبني بالفعل؟ ."ولم تكن بحاجة إلى سماع جوابه، إذ تابعت فوراً" :ما أغضبني هو أنه محق حيال كل ما قاله .وأنا أعرف أنه محق .فلو أحضر لي محقق قضية كتلك لرفضتها بلا تردد .إذ ليس لديّ أي إثبات حقيقي؛ رغم معرفتي علم اليقين بأنه هو الفاعل لا محالة."

"سيتفقد مارغوليس المسألة."

"وماذا في ذلك؟."

"قد يكون مارغوليس وغداً، ولكنه ذكي .سيدفع ليستر إلى قول شيء ما يجرمه."

"وهل تظنّ أن مارغوليس سيقنعه بأن يكفّ عما يفعله؟ !لقد ظننت أن الأمر قد انتهى عندما انتقلت إلى هنا، ولكن حتى هذا لم يُنْهِهِ .إنه يعرف أين أعيش .وعلى حد توقّعي، إن ليستر هو الذي قتل كوبو؛ وربما دخل بيت والديّ."!

وكانت تلك هي المرة الأولى التي يسمعها فيها تربط بين موت كوبو وكل شيء حدث معها .وقد جعل خوفها الواضح قلبه ينقبض في صدره.

لا بد أن كل ذلك سيتوقف .ليفعل مارغوليس ما يريد فعله ، ولكن الآن لم يكن هذا جيداً بما يكفي بالنسبة إلى كولين .وفكر في أن الوقت قد حان ليكتشف شخص ما بالضبط ما ينوي ليستر فعله في تلك الأيام.

* * *

بعد أن أوصل كولين ماريا بالسيارة إلى عملها ، وضع سماعتَي الأذنين ، وشغل مقطعاً موسيقياً ، وجلس أمام الكمبيوتر إلى طاولة مكتبه.

ليستر مانينغ.

سواء أكان ذلك يشكل دليلاً أم لا ، فحصوله على اسم ساعده على تركيز أفكاره .وأراد أن يكتشف أكبر قدر ممكن من المعلومات يستطيع اكتشافه عن الرجل.

ومع ذلك ، المشكلة الوحيدة التي واجهته هي أنه من دون سهولة الوصول إلى قاعدة بيانات الحكومة أو التقارير الرسمية ، ليس هناك الكثير مما يمكنه فعله .ولم يعثر في دليل الصفحات البيضاء على أي ذكر لأي شخص يدعى ليستر مانينغ في ولاية كارولاينا الشمالية ، كما لم يتمكن من العثور على رقم هاتف محمول .واكتشف أن هناك شخصين باسم ليستر مانينغ في موقع فيسبوك ؛ أحدهما يعيش في مدينة أورورا بولاية كولورادو ، والآخر في مدينة ماديسون بولاية ويسكونسن .ولم تظهر مواقع أخرى مثل انستغرام أو تويتير أو سنابتشات أي شيء ، ولا حتى البحث العام في محرك البحث غوغل باستخدام اسمه ومدينة تشارلوت مع إجراء تغييرات متنوعة.

عثر على مواقع أخرى حملت له الأمل بالعثور على المزيد من

المعلومات ؛ مثل رقم الهاتف وعنوان حديث وما شابه ذلك مقابل رسم مادي. وبعد تفكير عميق ، طبع أرقام بطاقته الائتمانية وجرب حظه .ولحسن الحظ ، ظهر له عنوان في تشارلوت.

وكان هناك المزيد من المعلومات حول آفري مانينغ ، بما في ذلك رقم هاتف في تشارلوت يذكر آفري مانينغ ، بالإضافة إلى العنوان نفسه الذي عثر عليه لليستر.

هل يعيش الأب والابن معاً ؟

أم هي معلومات قديمة ؟

كما كان هناك عدد من المقالات القصيرة حول الوالد ، وأحدثها يؤكد على ما تذكّرته ماريا عن مانينغ ؛ وهو أنه تم تعليق رخصته لمدة ثمانية عشر شهراً على ما يبدو بسبب سوء رعايته لعدد من المرضى .وكانت القضية الرئيسة تتضمن شابة أقدمت على الانتحار .وبحسب المقال ، أخفق مانينغ في التشخيص المناسب لإصابة المريضة بنقص الانتباه ، وفي مراقبة استخدامها لعقار أديرال .وادعى بعض المرضى الآخرين أن حالتهم قد ازدادت سوءاً بعد رعايته لهم .وإن كان تاريخ تعليق الرخصة دقيقاً ، إذاً آفري مانينغ لا يزال غير قادر على ممارسة مهنته.

أمر مثير للاهتمام!

وكانت هناك صورة له تظهره كرجل في منتصف العقد الخامس من عمره ، له شعر أشقر خفيف ، وعينان زرقاوان فاتحتان جامدتان ، ووجه هزيل .من وجهة نظر كولين ، كان من الممكن لأي شخص أن يظنه أحد حفاري القبور.

ولم يستطع كولين أن يتخيل جلوسه مقابل ذلك الرجل لمدة ساعة ليبوح بكل ما في داخله من مشاعر على أمل الحصول على التعاطف منه.

وذكر مقال آخر عمل مانينغ مع نزلاء السجن .وورد في المقال اقتباس لمانينغ يقول فيه إن الكثير من السجناء غير مقبولين اجتماعياً ، وإنهم تجاوزوا مرحلة إعادة التأهيل العملي .وقال إن الحجز الإنساني هو الحل العملي للأمراض الجنائية .بخلاف تعليق ماريا عن أن مانينغ يعتبر نفسه خبيراً في السلوك الإجرامي ، لم تذكر شيئاً عن عمله في السجون ، وتساءل إن كانت تعرف حتى أي شيء عن الموضوع.

وفي نهاية المطاف ، كشف له المزيد من البحث عن نعي إلينور مانينغ ، والذي لم يذكر أي شيء عن انتحارها ، ولكن ذلك لم يكن مفاجئاً .فمعظم الناس لا يريدون لتلك الحقيقة أن تنتشر بين الناس .وقد ذكر أيضاً أنها كانت أماً لثلاثة أولاد ، وأن ابنها وزوجها هما فقط اللذان عاشا بعدها .لقد سمع عن كاسي ، ولكن هل يوجد أخ آخر أو أخت أخرى ؟

وراجع عدداً من المقالات الأخرى حول آفري مانينغ قبل أن يعثر على الجواب .ففي مقابلة حول موضوع الاكتئاب ، ذكر آفري أن زوجته ظلت تصارع مرض الاكتئاب منذ وفاة ابنها ألكسندر تشارلز مانينغ في حادث سيارة عندما كان في السادسة من عمره.

ألكس وكاسي وإلينور.

الكثير من المآسي تضرب عائلة واحدة !وكان ليستر يلوم ماريا على إحدى تلك المآسي ، وربما على حالتي الوفاة الأخريين.

ولكن ، هل هذا كافٍ لكي يجعل ليستر يعذبها ويرعبها ؟

نعم .فالرسائل الأصلية جعلت ذلك واضحاً ، وكذلك النمط.

سواء أكان الترتيب الزمني صحيحاً أم لا ، فقد كانت ماريا تمر بالمخاوف نفسها التي عانت منها كاسي .وتماماً مثل ماريا ، كان كولين يعرف كيف انتهت قضية كاسي.

بعد أن خرجَ من السجن ، قابل لوز كاسي وجهاً لوجه.

فتقدمت كاسي بطلب تقييد للوز.

ولم تتمكن الشرطة من العثور على لوز.

وفي النهاية ، تعرضت كاسي للاختطاف والقتل.

ترى ، هل يشكّل ذلك جزءاً من خطة ليستر على حد سواء ؟!

بدت تلك قفزة ضخمة مما حدث لماريا حتى تلك اللحظة ، والخطوة الأخيرة .فالتعذيب شيء والقتل شيء آخر .ولم يكتشف كولين ما يكفي عن ليستر ليكون بإمكانه تخمين ما قد يفعله .ومع ذلك ، لم يكن ذلك يعني أنه يجب على ماريا أن تترك الأمور للمصادفة.

أمضى ساعة أخرى في البحث من دون التوصل إلى معرفة المزيد .وهذا كافٍ بالنسبة إلى الجزء السهل ، أي المعلومات التي يستطيع أي شخص العثور عليها ، وتساءل عما ستكون عليه خطوته التالية.

ما الذي عرفه عن ليستر ؟ وما الذي بوسعه أن يفترضه عنه ؟

لا بد أن ليستر يملك سيارة ، أو استخدم سيارة في وقت ما.

ليس افتراضاً كبيراً بالطبع ، ولكنه تساءل عن نوع المعلومات التي يمكنه العثور عليها إن حصل على رقم السيارة .طبع بضع كلمات مفتاحية في محرك البحث فظهرت له بضع شركات تملك حرية الوصول إلى كل أنواع السجلات العامة ، بما فيها تسجيل السيارات وأرقام لوحاتها .كان استعمال ذلك الموقع باهظ التكلفة نوعاً ما ، ولكنه قد يفيد .لذا ، دوّن ملاحظة باسم الموقع في حال دعت الحاجة إلى ذلك.

هل هناك أي شيء آخر ؟

نعم .فقد فكر في أنه إن كان محقاً في افتراضاته ، فلا بد أن ليستر قد اختبأ على السطح في الطرف الآخر من الشارع مقابل مكتب ماريا .وبالنسبة إلى شقتها ، كان من السهل على ليستر أن يراقبها وهي تذهب وتأتي ؛ فقط لأن جدول يومها روتيني ويمكن توقعه .لذا ، لم يتوجب عليه مراقبتها لساعات .إذ كان بوسعه أن يراقبها من المقهى المقابل أو من سيارة مركونة .أما اللحاق بها إلى المطعم والنادي فهو أمر في غاية السهولة أيضاً.

وماذا ؟

بناء على المقابلة التي تمّت مع مارغوليس ، فكر كولين في أنه بحاجة إلى دليل يثبت أن ليستر يتعقب ماريا .وتساءل إن كان باستطاعته أن يقود سيارته إلى تشارلوت على أمل ربط الاسم بوجه ما ، أو ربما حتى الحصول على صورة له ؛ على افتراض أنه تمكن من العثور على ليستر .ولكن مجدداً ، حتى ذلك لن يكون كافياً .فقد اعترف بائع الزهور بأنه لم يلقِ نظرة فاحصة على الرجل .وشكّ

كولين في أن تتمكن النادلة من تمييزه .وحتى ماريا لم ترَه بشكل جيد عن قرب.

وأخيراً ، هناك كوبو .فموت الكلبة أيضاً يمكن تصنيفه ضمن نمط سلوك ليستر .وكلما فكر في الأمر أكثر وجد أنه من المرجح أن يكون ليستر هو الذي قتل كوبو ليؤذي ماريا وعائلتها .ولأنه يلاحق ماريا ، فقد عرف أن يعيش والداها. ولكن الأهم من ذلك هو أن سلوكه ذاك يدل على مراقبته للعائلة بشكل منتظم. وإلاّ فكيف عرف أن كوبو قد تركت وحدها في البيت!؟ فقد قالت ماريا من قبل إن فيلكس اعتاد أن يصطحب الكلبة معه إلى كل مكان وحتى إلى المطعم ، وإن والديها نادراً ما كانا يتركانها وحدها في البيت.

ولكن كيف ؟

كان للباحة الخلفية لمنزل عائلة سانشيز سور حماية .وفي ضاحية صغيرة من ذلك النوع ، كان من السهل أن يتم كشف غريب يختبئ في مكان ما.

إذاً ، كيف تمكن من مراقبتهم بالفعل ؟!

وبعد عشرين دقيقة ، انطلق كولين يقود سيارته في أنحاء الحي الذي يقطنه آل سانشيز ليحاول تركيب قطع الأحجية معاً.

وجد بيت والديها هادئاً .فعلى ما يبدو ، لم يكن هناك أحد في البيت .ومع ذلك ، شاهد أشخاصاً آخرين يتجولون في الأنحاء ؛ امرأة تهرول على الرصيف ، ورجلاً مسناً يشذّب الشجيرات في باحة منزله الأمامية ، ورجلاً يخرج من مرأب بيته متوجهاً إلى مكان ما.

انعطف كولين عند الزاوية ، ثم انعطف مجدداً متوجهاً إلى الشارع الذي

يقع بموازاة الشارع الذي يقيم فيه آل سانشيز .ووجد أن باحات البيوت الخلفية هناك تجاور بعضها بعضاً.

وكان الحي هناك في حالة صخب ؛ أي من نوع المجتمعات حيث الناس على الأرجح يراقبون بعضهم بعضاً.

لذا ، من المؤكد أنه ستتم ملاحظة ليستر لو أتى لمراقبة البيت من هذا المكان.

ما لم...

وخفّف من سرعة السيارة عندما اقترب من البيت الذي يقع خلف بيت آل سانشيز تماماً .وهناك أتاه الجواب بشكل واضح وضوح الشمس.

فقد لاحظ أن البيت الذي يقع مباشرة خلف بيت والدَي ماريا معروض للبيع.

والأهمّ من ذلك أنه بدا شاغراً تماماً.

* * *

تصرّفت ماريا بشكل متحفظ عندما ذهب ليقلها من العمل في تلك الأمسية .وكانت محادثتهما عابرة .وبدا من الواضح أنها تريد أن تتجنب الحديث عن ليستر أو مارغوليس.

أرادت أن تمضي ليلتها في بيت والديها ، لذا أوصلها إلى بيتها ، وانتظر في الخارج إلى أن حزمت حقيبة صغيرة تكفيها لليلة واحدة .وبعد ذلك ، أوصلها إلى محل تغيير إطارات السيارات لتأخذ سيارتها ، وانتظر إلى أن انطلقت في

طريقها إلى منزل والديها قبل أن يخرج من موقف السيارات أخيراً .رغب في اللحاق بها ، ولكنه ظن أن هذا لن يفعل شيئاً سوى زيادة شعورها بالتوتر .لذا ، طلب منها بدلاً من ذلك أن ترسل له رسالة نصية حالما تصل إلى بيت والديها. وبعد خمس عشرة دقيقة ، أعلمته أنها وصلت.

ورغم أنها لم تقل له ذلك ، إلا أنه خمّن أنها خلال المسافة التي اجتازتها إلى بيت والديها ظلّت تلقي نظرات خاطفة ومتكررة على مرآة الرؤية الخلفية ، متسائلة عمّا إذا كان ليستر يلاحقها.

* * *

انتظر كولين إلى ما بعد منتصف الليل ليعود إلى الحي ، وذهنه مشغول بليستر مانينغ.

وصل إلى هناك مرتدياً ملابس سوداء ، وركن سيارته على بعد بضعة مربعات سكنية ، ثم حمل ضوءاً كشافاً وبضعة مفكات ومخلاً صغيراً .ولكن ، إن كان ليستر قد دخل البيت عدة مرات ، وما لم يكن خبيراً في فتح الأقفال أو لديه مفتاح ، فقد خمّن كولين أنه سيتمكن من الدخول من النافذة نفسها أو الباب نفسه الذي دخل منه ليستر .وربما ظل مكان الدخول مفتوحاً ما لم يلاحظ صاحب البيت ذلك .ولن تكون هناك وسيلة لكي يعيد ليستر إقفاله حالما يخرج من هناك.

وهكذا ، توجّب على كولين العثور على ذلك المدخل بأية طريقة.

وماذا إن صادف وجود ليستر هناك الليلة بعد أن أدرك أن ماريا لن تبيت ليلتها في شقتها ؟

رغم تلهف كولين لإنزال العقوبة به ، إلا أنه قرر الاتصال بمارغوليس في حال وجده هناك .فربما استطاع المحقق أن يدين ليستر بتهمة التعدي على أملاك الغير ، أو حتى باقتحام البيت بالإضافة إلى تهمة تعقب ماريا.

كان الشارع هادئاً وفارغاً .وعلى كلا الجانبين ، ومن خلال فتحات في ستائر البيوت المجاورة ، استطاع أن يرى ضوء أجهزة التلفزيون يرفرف بين الحين والآخر ، ولكنه ظنّ أن معظم الناس قد أووا إلى أسرتهم هذه الليلة.

وصل إلى البيت الشاغر .وعندما تفقد الباب الأمامي بسرعة ، وجد قفلاً على مقبض الباب ، ولم يجد أي نوافذ مفتوحة بشكل جزئي على الشرفة ، أو أي دلائل على التجسس .فدار إلى الجانب الآخر من البيت ، وقفز بهدوء من فوق السياج إلى الباحة الخلفية ، واستخدم الضوء الكشاف ليتفحص النوافذ واحدة تلو الأخرى باحثاً عن فتحة صغيرة أو عن أي علامات تدل على التجسس.

ولم يعثر على ضالته المنشودة إلا بعد أن وصل إلى الجانب المقابل من البيت.

فقد بدت نافذة إحدى غرف النوم التي تقع على ارتفاع خمس أقدام شبه مغلقة .وعثر على علامات على الإطار ، ما يعني أنه تم استخدام شيء ما لفتح الستارة .بدا التسلق إلى الأعلى بالنسبة إلى كولين أمراً سهلاً رغم المسافة البعيدة التي تفصل النافذة عن الأرض .ولكن ، ماذا عن ليستر؟ تفحّص الباحة الخلفية ، فلمح طاولة نزهات بلاستيكية قديمة مخصصة للأطفال .وبالنظر إلى آثار قوائم الطاولة على العشب المسطح المصفر ، لا بد أن الطاولة قد أزيحت من مكانها مؤخراً.

رائع!

باستخدام المفك فتح الستارة، ثم فتح النافذة أكثر بقليل، قبل أن يدفعها ويفتحها بيديه كلياً.

وبعد قفزة سريعة، تسلّق نحو الأعلى ووجد نفسه في الداخل.

راح يتمشى في أنحاء البيت المظلم، ولاحظ أن الأرضية تشبه أرضية بيت والدي ماريا، وأن له نوافذ في المطبخ، وغرفة عائلية تزود بإطلالة على الشرفة الخلفية لآل سانشيز لا يحجبها شيء .ولكنّ الإطلالة بدت مثالية جداً تقريباً، وتواجه كلا الجانبين .وأدرك كولين أن ليستر لن يود أن يلاحظه أحد.

لم يترك هذا إلا إمكانية واحدة.

اجتاز كولين الممر القصير، وانعطف إلى غرفة النوم الوحيدة الموجودة في الجانب الخلفي من المنزل .وعلى عكس النوافذ الموجودة في المطبخ وغرفة العائلة، كانت النافذة التي تطلّ على منزل عائلة سانشيز مزودة بستائر .شغّل الضوء الكشاف وراح يتفحص السجادة.

آثار قرب النافذة، وآثار أقدام!

لقد دخل ليستر مانينغ هذا البيت لا محالة.

وهناك إمكانية أن يعود إليه مجدداً.

* * *

لم يحدث إلا وهو يقود سيارته عائداً إلى البيت أن أدرك كولين أنه أهمل شيئاً مهماً.

أين ركن ليستر سيارته ؟

فكر في أنه من غير المحتمل أن يكون قد ركنها في مدخل سيارات البيت الشاغر ، أو في الشارع المقابل لبيت شخص ما .فذلك موقع مكشوف للغاية ؛ ولا سيما لأن الكثير من الناس يريدون أن يركنوا سياراتهم الخاصة أمام بيوتهم. وفي الوقت نفسه ، على الأرجح ما كان ليستر ليرغب في ركن سيارته في مكان بعيد جداً.

استدار كولين مجدداً ، وقاد سيارته عائداً إلى الحي وهو غير واثق مما يأمل العثور عليه ؛ إلى أن وصل إلى متنزه فيه حقل مكسو بالعشب ولعبة قضبان حديدية ومقاعد مثبتة تحت شجرة بلوط .وعلى الجانب الآخر من الشارع ، كانت هناك عشر سيارات مصفوفة أو اثنتا عشرة سيارة .وبمحاذاة المتنزه ، شاهد سبع سيارات أخرى .وأوحت له الساعة المتأخرة من الليل أنها تخص الناس الذين يعيشون في الطرف المقابل من الشارع ؛ أي مالكي عدة سيارات ليس لديهم متّسع من المكان ليركنوا فيه سيّاراتهم.

ومع ذلك ، إن وجود سيارة أخرى هناك من المرجح ألا تتم ملاحظته ؛ وهذا مثالي بالنسبة إلى ليستر .وكان متأكداً من أنه محق .لذا ، أخرج هاتفه من جيبه ، وراح يلتقط صوراً للسيارات الواقفة مع أرقام لوحاتها .فقد أراد أن يعرف أياً منها تنتمي إلى المكان .وفيما كان يفعل ذلك ، بدأت أفكاره تتوضح أكثر.

فقد أراد أن يعرف شكل ليستر.

وأراد أن يعثر على سيّارته ويعرف رقم رخصتها.

وأراد أن يكتشف إن كان ليستر يمكث في المنطقة .وإن كان ذلك

صحيحاً ، فأين ؟

وبعد ذلك ، قرّر أن يمضي بضعة أيام وهو يراقب المكان ليحاول معرفة كل شيء يمكنه معرفته عن الرجل.

* * *

سأله إيفان قائلاً" :وما هي النهاية ؟ ."وراح يحدق إليه عبر طاولة المطبخ ، فيما كانت ليلي نائمة في غرفة نومها.

"لقد قال مارغوليس إنه بحاجة إلى دليل .لذا ، سأحصل له على الدليل الذي يريده."

"هل أنت واثق من أنك لا تفعل هذا لأنك تريد أن توسع الرجل ضرباً ؟."

"نعم."

"نعم ، أتريد أن توسع الرجل ضرباً ؟ أم نعم ، لا تريد أن توسع الرجل ضرباً رغم أنك تريد ذلك ؟."

"لا أنوي الاقتراب منه."

"إنها فكرة جيدة لأنك تعاني من مشاكل خطيرة."

"نعم."

"وكيف تنوي بالضبط أن تعثر عليه ؟ هل ستقوم بمجرد الجلوس في المتنزه ومراقبة السيارات الغريبة ؟."

"على الأرجح."

"ألأنك تظن أن ليستر قد يركن سيارته هناك مجدداً ؟."

"نعم."

"وكيف ستعرف أي السيارات تنتمي إلى المنطقة وأيها لا تنتمي إليها ؟."

"بالمراقبة المستمرة."

ظل إيفان ملتزماً الصمت لبرهة ثم قال" :ما زلت أعتقد أن الفكرة ستكون أفضل إن سمحت لمارغوليس بأن يؤدي عمله بنفسه."

فأومأ كولين برأسه وقال" :حسناً."

* * *

وبعد بضع ساعات من النوم ، عاد كولين إلى حي آل سانشيز وبحوزته دفتر ملاحظات .ركن سيارته على بعد بضعة مربعات سكنية ، وتوجّه إلى المتنزه وراح يؤدي بعض التمارين الرياضية على حصيرة أحضرها معه من البيت أثناء فترة انتظاره.

كان الوقت مبكراً والشمس لم تشرق بعد .فوجد أن كل السيارات التي شاهدها في وقت مبكر قبل بضع ساعات ما زالت موجودة في أماكنها.

وبعد مرور ساعة أو نحو ذلك ، خرج أحد الأشخاص من أحد البيوت وركب إحدى السيارات وانطلق بها مبتعداً .فدوّن كولين ملاحظة حول طراز السيارة وماركتها ولونها على دفتر ملاحظاته .وبعد الساعة السابعة والنصف ، سادت موجة من النشاط ، ثم موجة أخرى بعد خمس وأربعين دقيقة .وأخذ شخصان آخران سيارتيهما بينما كان كولين يستعد للمغادرة للذهاب إلى محاضرته في

الجامعة ؛ ما ترك سيارة حمراء واحدة وهي سيارة ذات بابين من طراز هيونداي كانت تقف بمحاذاة المتنزه ، وسيارتين أخريين في الطرف المقابل من الشارع.

ربما لم تكن هذه المعلومات مفيدة ، ولكنه دوّنها على دفتره على أية حال.

وبينما كان في طريقه خارجاً من الحي ، انعطف إلى الشارع الذي يحتوي على البيت الشاغر .وكان الشارع فارغاً ، فقرر أن يقوم بمغامرة .لذا ، ركن سيارته على بعد بضعة بيوت ، وتوجّه إلى البيت بعد أن قفز من فوق السياج.

وعندما استرق النظر إلى هناك ، لاحظ أن الطاولة البلاستيكية لا تزال في المكان الذي تركها فيه قبل بضع ساعات بالضبط .وإن لم يكن ليستر موجوداً هناك ، إذاً السيارات الثلاث المتبقية من المرجح أنها ليست له ؛ أي فلنقل إنه تأكيد بنسبة 99 بالمئة.

وفي المحاضرة ، وجد نفسه لا يبدي اهتماماً كبيراً بما يتفوه به الأستاذ. وبذل جهداً كبيراً ليدوّن ملاحظات ملائمة .وبدلاً من ذلك ، راح يتساءل عمّا إذا كان يتوجب عليه أن يتعقب عنوان ليستر مانينغ المعروف الأخير في تشارلوت ، أو أن يستمر في مراقبة البيت الشاغر ، أو إن عادت ماريا للمبيت في بيتها إن كان ينبغي له أن يراقب المكان هناك.

فكر في أنها كلها خيارات جيدة ، ولكن من المستحيل بالنسبة إليه أن يتواجد في ثلاثة أماكن في الوقت نفسه.

وماذا إن اتخذ الخيار الخاطئ ؟

ظل عقله يدور حول المشكلة ، ولكن بلا جدوى.

* * *

بعد أن غادر حرم الجامعة ، عاد إلى حيّ آل سانشيز ، فوجد السيارة الحمراء من طراز هيونداي المركونة بمحاذاة المتنزه لا تزال موجودة في مكانها ، بينما اختفت السيارتان الأخريان.

بدت السيارة الوحيدة في غير مكانها الصحيح .ومرة أخرى ، وبينما كان في طريقه للخروج ، توقف عند البيت الشاغر واسترق النظر من فوق السياج ، ولكنه لم يلاحظ أي تغيير.

لم يكن ليستر موجوداً في البيت الشاغر ، وهذا ما بدا له أمراً منطقياً .إذ لم تكن ماريا أو أحد من أهلها موجودين في البيت.

* * *

قرر أن يبقى قريباً من ماريا خلال الأيام القليلة التالية قدر المستطاع .فإن كان ليستر لا يزال مصمماً على تنفيذ انتقامه منها ، فلا بد أنه سيعثر عليها في نهاية المطاف في أي مكان تتواجد فيه أو تنوي التواجد فيه .وهكذا ، يتوجّب على كولين أن يكون إلى جانبها على حد سواء.

اتصل بها ودعاها لتناول العشاء ، فوجدها تتحدث إليه عبر الهاتف بشكل أفضل مما كانت عليه في اليوم الماضي ، ولكنّ توترها كان لا يزال يبدو عليها. ذهب ليُقلها من بيتها ، وانطلقا إلى مطعم صغير يقع قرب الشاطئ ، حيث يمكنهما الاستماع إلى صوت الأمواج الذي يساعد على تهدئة الأعصاب.

ومجدداً ، تجنبت ماريا أي حديث عن ليستر ماننغ .وبدلاً من ذلك ،

ركزت كلامها على خططها وخطط صديقتها جيل من أجل الشركة الجديدة. فشكل التحدث عن مغامرتها الجديدة بالإضافة إلى احتساء بضع كؤوس من الشراب وسيلة كافية لتشتيت انتباهها ورفع معنوياتها.

وبعد أن عادا إلى بيت كولين ، راحا يثرثران مع إيفان وليلي قبل أن تمدّ ماريا يدها إلى يد كولين .وعلى الرغم من هدوئها النسب.ي ، بدا من الواضح بالنسبة إليه كل الأمسية أن ماريا لا رغبة لديها في العودة إلى شقتها.

* * *

وفي صباح الأربعاء ، تفقّد كولين المنزل الشاغر ، وحرص على المرور بجانب المتنزه ليستمر بمراقبة حركة السيارات التي تركن إلى جانبه .وعندما بدأ لتوه يفكر في أن ليستر إما قد تخلى عن موقع المراقبة من البيت ، أو ركن سيارته في مكان آخر ، لاحظ أن تغييراً قد حدث ؛ وهو أن السيارة الحمراء من طراز هيونداي المحاذية للمتنزه قد اختفت.

ربما لم يكن الأمر ذا أهمية ، ولكنه فكّر في أن الوقت قد حان ليتفقد لوحة السيارة ، ما أثبت في نهاية المطاف أنه مضيعة للوقت.

فقد كانت كغيرها من السيارات تخص أحد سكان المنطقة.

* * *

صباح يوم الخميس ، تناول كولين وماريا فطوراً مكوناً من بياض البيض ووجبة الشوفان وبعض الفاكهة في منزله ، فأخبرته بأنها ستتناول عشاءها مع جيل وليزلي ، وأنها تنوي أن تبيت ليلتها في منزل والديها.

وشرحت له قائلة" :إنهما قلقان عليّ ."ولكنّ كولين أدرك أنها ما زلت غير مستعدة للعودة إلى شقتها بمفردها ، ولا سيما لأنه يجب على كولين الذهاب إلى العمل .وقالت" :وأظن أنهما قلقان على سيرينا أيضاً."

"لماذا ؟."

"لأنني أخبرتهما أنني كنت أبيت لديها خلال الأيام القليلة الماضية .فنحن غير متزوجين ، ووالداي لديهما قيم تقليدية .أعرف أنك تستهجن فكرة الكذب ، ولكنني لا أستطيع أن أتحمل خيبة أمل أمي بالإضافة إلى كل ما يجري في الوقت الحاضر."

"لم أقل شيئاً."

"أعرف ذلك .ولكنني أعرف أيضاً أنك تفكر في أنه ينبغي لي أن أكون صادقة معهما."

فابتسم وقال" :حسناً ، هل وصلك أي خبر من مارغوليس ؟."

فهزت رأسها وقالت" :ليس بعد .ولست واثقة إن كان هذا خبراً جيداً أم سيئاً."

"قد يعني أنه لا يوجد أي خبر على الإطلاق."

فقالت" :وهذا يندرج تحت فئة الخبر السيئ .فهو لم يظهر بالتحديد الكثير من الثقة بالنسبة إلى تصميمه على مواجهة المشكلة .وحسبما أعتقد ، إنه لم يفعل أي شيء بعد."

عندها ، أومأ كولين برأسه معترفاً بأنه يفكر في الشيء نفسه .ولكنه لم

يرغب في أن يعبّر لها عما يفكر فيه ، لذا غيّر الموضوع وقال" :إن غداً هو يومك الكبير."

"لماذا ؟."

"ألن تقدمي إنذاراً بترك الوظيفة قبل أسبوعين من استقالتك ؟."

فابتسمت وقالت" :آه ، نعم .سأفعل هذا غداً ، ولكنّ هذا غريب ؛ لأنني نادراً ما أفكر في الموضوع ما لم أكن مع جيل ؛ فالأمر برمته غير واقعي .قبل بضعة أسابيع ، لم أكن لأتخيل قطّ بأنني سأستعد للانضمام إلى شركة ناشئة."

"ما رأي والديك في ذلك ؟."

"إن أمي متحمسة ، ولكنّ والدي يشعر بالتوتر ؛ فهو يعرف كم يصعب البدء بمشروع جديد .كما أنه أيضاً يحب أن يخبر الناس بأنني أعمل في شركة مارتينسون وهيرتزبرغ وهولدمان."

"حتى الآن."

فابتسمت ابتسامة خبيثة وقالت" :نعم ، حتى الآن."

"كيف هو المزاج العام في المكتب ؟."

فهزت كتفيها وقالت" :من الصعب تحديد ذلك .فهو لا يبدو سيئاً كما كان في الأسبوع الماضي ، ولكنه لا يزال سوداوياً .إن العمل يتراكم .وبدأت أسمع همسات بأن المزيد من الناس يفكرون في الاستقالة .فالإشاعات تنتشر ؛ الواحدة تلو أخرى .فيوم أمس ، سرت إشاعة بأن الشركة توشك على التوصل إلى تسوية حول القضية برمتها بكل الادعاءات ، ولكنّ هذا على الأرجح مجرد تفكير

إيجابي .فحين قرأتُ شكاوى هيئة تكافؤ فرص التوظيف اكتشفت أن كين أسوأ بكثير مما كنت أظن."

"هل أخبرتِ والديك عنه ؟."

"لا فرصة لذلك إطلاقاً .فلو عرف والدي بالأمر لثارت ثائرته .إذ إن الناس المتحدّرين من أصول لاتينية لديهم دماء حامية مثل دمائك في بعض الأحيان."

"إذاً ، من المرجّح أنك تصرّفت بشكل سليم بعدم إخباره."

"ربما .ولكنك لم تفعل أي شيء."

"إنك لست ابنتي."

فضحكت وقالت" :لا يزال غير واثق في ما يتعلق بك ؛ أعني بسبب ماضيك."

"حسناً."

"وأيضاً بسبب شخصيتك الحالية."

"حسناً."

"حتى إن هناك فكرة جنونية تراوده ؛ وهي أنك أنت من يطاردني."

"وما الذي قد يجعله يفكر في ذلك ؟."!

"لأنه ظنّ أنه شاهد سيارتك في الحي عندما خرج في نزهة مع الكلب صباح البارحة .أعرف أنه قلق بشأني ، ولكنه قد ينساق وراء مشاعره في بعض

الأحيان."

وكذلك أنا.

الفصل العشرون

ماريا

ودّعت ماريا كولين على عتبة بابه رغم أنه عرض عليها أن يتبعها إلى المكتب كما فعل طوال الأسبوع .غير أنها أكدت له أنها ستكون بخير ، وطلبت منه أن يتوجّه إلى جامعته لحضور محاضراته .وفي اللحظة التي قالت له فيها ذلك ، شعرت بأنها تصدق ما تقوله .ولكن بينما كانت تقود سيارتها إلى العمل وجدت نفسها تتساءل عمّا إذا كان ليستر يتعقبها .وللمرة الأولى منذ انتقلت إلى تشارلوت ، شعرت بدقات قلبها تتسارع بدون أي سبب .وفي غضون لحظات ، بات من الصعب عليها أن تتنفس وبدأت رؤيتها تصبح ضعيفة.

عندها ، تصرفت بشكل فطريّ ، ووجدت نفسها بطريقة ما تركن السيارة على جانب الطريق ، وهي تشعر بجسدها فجأة يصبح في حالة غريبة تماماً.

إذ شعرت بضيق في صدرها.

يا إلهي...

لم يكن ذلك طبيعياً.

لم تعد تقوى على التنفس.

فجأة ، زاغ بصرها وبدأت أفكارها تتوه.

لا بد أنها تصاب بنوبة قلبية وتحتاج إلى سيارة إسعاف.

وكانت ستموت على جانب الطريق.

بدأ هاتفها يرن ، ولكنها بالكاد استطاعت سماعه بشكل غامض وهو يرن عشرات المرات قبل أن يصمت .وبعد دقيقة ، سمعت صوت نغمة تنبيه الرسائل.

شعرت بعضلات صدرها تتشنج.

لم تعد تستطيع الحصول على ما يكفي من الهواء.

وظل قلبها ينبض بعنف ، وسيطر عليها الرعب وزاد من شعورها بأنها على وشك أن تموت.

عندها ، أسندت رأسها على عجلة القيادة بانتظار النهاية.

ولكن النهاية لم تأتِ.

وبدلاً من ذلك ، شعرت بأنها تموت رويداً رويداً على مدى الدقائق القليلة التالية ، إلى أن لم تعد تموت على الإطلاق.

وبمرور الوقت ، باتت قادرة على رفع رأسها عن عجلة القيادة ، وهدأ تنفّسها ، وعادت إليها رؤيتها السليمة .غير أن قلبها ظل ينبض بقوة ، ولكن بشكل أخف حدة مما كان عليه من قبل.

وبعد مرور بضع دقائق ، بدأت تشعر بالتحسن .لاحظت أنها لا تزال ترتجف ، ولكنها أصبحت بحال أفضل .ورغم أن ذلك بدا مستحيلاً ، إلا أنها أدركت أنها لم تصب بنوبة قلبية.

وبدلاً من ذلك ، أدركت أن نوبات الهلع قد عادت إليها.

* * *

مضت نصف ساعة أخرى حتى شعرت بأنها عادت إلى طبيعتها بشكل كلي .وبحلول ذلك الوقت ، كانت تجلس إلى مكتبها ، ولم يكن بارني موجوداً في الأنحاء ، ولكنه ترك لها مذكرة جديدة تتعلق بقضية مستشفى محلي رفعت عليه إحدى العائلات دعوى بسبب إصابة جرثومية تؤدّي في نهاية المطاف إلى موت المريض .وترك لها ملاحظة مكتوبة بسرعة يطلب منها فيها أن تعثر على القرارات القانونية اللازمة لدعم دفاعهم.

وفيما كانت تفكر ملياً بالبحث الذي تريد أن تبدأ به ، رن هاتفها المحمول ، فألقت عليه نظرة خاطفة .ثم نظرت عن كثب أكثر لتحرص على أنها ليست مخطئة .سيرينا ؟

نقرت على الزر لترد على المكالمة ، وقالت" :مرحباً ، ما الأخبار ؟."

"هل أنت على ما يرام ؟."

"لماذا ؟."

"لأنني اتصلت في وقت مبكر ولكنك لم تردي على مكالمتي."

قالت ماريا" :آسفة ."وعادت للتفكير في نوبة الهلع التي أصابتها ، ثم قالت" :لقد كنت في السيارة ."وكانت تلك هي الحقيقة ، رغم أنها ليست الحقيقة الكاملة .وتساءلت عمّا سيكون عليه رأي كولين حيال الأمر.

"كيف تسير الأمور في التحقيق ؟."

"لا شيء بعد."

"هل اتصلت بمارغوليس ؟."

"إن لم أسمع أي خبر منه اليوم ، فسأفعل ذلك."

"لو كنت مكانك ، فعلى الأرجح كنت سأتصل به في وقت أبكر."

"إنني واثقة من ذلك .إذاً ...ما الأخبار ؟."

"ماذا تقصدين ؟."

"إنك لا تتصلين أبداً في وقت مبكر كهذا .لماذا لست في محاضرتك ؟."

"ستبدأ المحاضرة في غضون بضع دقائق ، ولكنني أردت وحسب أن أخبر شخصاً ما .فقد تلقيت بالأمس رسالة عبر البريد الإلكتروني مفادها أنني واحدة من بين ثلاثة مرشحين نهائيين للمنحة الدراسية .أظن أن العشاء مع والدي ووالدتي قد أحدث تأثيراً إيجابياً بلا شك ...ومع ذلك ، فالرسالة لم تذكر الأمر بشكل مباشر .وأظن أنني قد أكون بالفعل في بداية خط السباق."

"بداية خط السباق."!

"نعم ، إن ستيف يشاهد الكثير من سباقات السيارات ويجعلني أشاهدها أيضاً."

"إذاً ، هل أصبحتما على علاقة جادة الآن ؟."

"لست أدري ...ولكنّ هناك شاباً ظريفاً للغاية أقابله في بعض محاضراتي ، غير أنه أكبر مني بقليل ، ويواعد أختي ، لذلك تلك ستكون مشكلة."

"إنها مشكلة بالفعل."

"إنني مسرورة لأنك وضعت كبرياءك جانباً وذهبت للتحدث إليه."

"ليست للأمر علاقة بكبريائي."

"سواء أكانت كبرياء أم لا ، من الجيد أنك فعلت ذلك."

"إنك مجنونة ، هل تدركين ذلك ؟."

فاعترفت سيرينا قائلة" :أحياناً .وهذا ينجح ...حتى الآن."

عندها ، ضحكت ماريا وقالت" :هذه أخبار جيدة ، أقصد أخبار المنحة الدراسية."

"لا أريد أن أبالغ في الحماسة الآن ، لذا لا تخبري أب.ي وأمي."

"لستُ أنا من أخبرهما في المرة الماضية."

فقالت" :أعرف ذلك .أما زالا يعتقدان أنك تبيتين معي في مهجع الطالبات ؟."

"نعم .وقد حان دوري الآن لأطلب منك ألا تخبريهما."

فضحكت سيرينا وقالت" :لن أقول شيئاً ، ولكنني واثقة تماماً من أن أمي تعرف أنك تقيمين عند كولين .وهي بالطبع تعمل بسياسة" لا تسأل ولن أخبرك ،"وهذا يعني أن الأمر لن يخرج عن نطاق السرية الليلة."

"الليلة."!

"نعم ، الليلة."

"وماذا يوجد الليلة ؟."

"أنت تمزحين ، أليس كذلك ؟ ذكرى ميلاد أمي ، وعشاء العائلة !الا تقولي

لي إنك نسيت."

"آه"...

"حقاً !هل تتفقدين منشوراتي على فيسبوك أو تغريداتي على تويتر؟ أعرف أن هناك الكثير مما يحدث في حياتك، ولكن كيف يمكنك أن تنسي ذكرى ميلاد أمي؟."

أدركت أنه يجب عليها أن تلغي دعوة العشاء مع جيل وليزلي، ولكنهما ستتفهمان الأمر، أليس كذلك؟ وقالت" :سأكون هناك."

"هل ستُحضرين كولين معك؟."

"إنه يعمل .لماذا؟."

"لأنني أتساءل عمّا إذا كان ينبغي لي أن أدعو ستيف."

"وما علاقة الأمرين ببعضهما؟."

"الأمر بسيط .إذ أعتقد أنه إن شغل والدي نفسه بالتحديق نحو كولين بغضب فلن يتمكن من استجواب ستيف .وأظن أنه سيبدو رائعاً بالمقارنة به."

عندها، زمجرت ماريا قائلة" :هذا ليس مضحكاً."

فضحكت سيرينا وقالت" :بل هو مضحك قليلاً."

"سأنهي المكالمة الآن."

"أراك الليلة."!

* * *

بعد أن أنهت ماريا مكالمتها مع سيرينا ، أدركت أنها تشعر بتوتر غريب فيما كانت تتوجه في طريقها إلى مكتب جيل .فهي لم ترغب في أن تشعر ليزلي بالإهانة ، ولكنّ ما حدث خطأ طبيعي .غير أنها لم ترغب في أن تشكك ليزلي بتوصية جيل بتوظيفها .وعندما ذكرت هذا الكلام أمام جيل ، ضحكت صديقتها بأعلى صوتها وقالت:

"هل تمازحينني ؟ إن ليزلي لا تأبه لهذه الأمور."!

"هل أنت واثقة من ذلك ؟."

"بالطبع أنا واثقة .إن اليوم ذكرى ميلاد أمك .إذاً ، ما الذي يفترض بك فعله ؟."

"كان يجب عليّ أن أتذكر من قبل."

علّقت جيل قائلة" :هذا صحيح ."فعبست ماريا .وما فاجأها هو أن هاتفها قد بدأ يرنّ في تلك اللحظة .ظنت أن سيرينا تتصل بها مجدداً فتجاهلت المكالمة ؛ قبل أن تدرك أنها لا تميّز الرقم.

سألتها جيل" :من المتصل ؟."

فأجابت ماريا" :لست متأكدة من ذلك ."وبعد أن فكّرت لبضع ثوانٍ ، ردت على المكالمة وهي تتضرّع ألا يكون ليستر هو المتصل.

"مرحباً."

لم يكن ليستر هو المتصل والحمد لله .استمعت إلى الصوت في الجهة الأخرى ، ثم قالت أخيراً" :نعم ، سآتي بكل تأكيد."

أنهت المكالمة ، ولكنها ظلت ممسكة بالهاتف وهي تفكر .ولا بد أن جيل قد لاحظت تعابير وجهها فسألتها" :أهناك أخبار سيئة ؟."

عندها ، فكرت ماريا في أن الوقت قد حان أخيراً لكي تخبر صديقتها عن تاريخها مع ليستر مانينغ ...ناهيك عن الأحداث التي وقعت خلال الأسابيع القليلة الماضية ، بما فيها تقلبات علاقتها مع كولين .لم تزعجها فكرة إخبار صديقتها جيل بكل شيء عن الماضي ، ولكن التطوع بالبوح بمعلومات شخصية إلى هذا الحد لرئيستها المستقبلية في العمل جعلها تشعر بأن ذلك ينطوي على مخاطرة ما ؛ حتى لو كانت جيل ستكتشف الحقيقة في نهاية المطاف.

"من المتصل ؟."

"إنه شرطي ؛ المحقق مارغوليس .لقد طلب مقابلتي."

"الشرطة !ما الذي يجري ؟."

"إنها قصة طويلة نوعاً ما."

عندها ، حدقت إليها جيل للحظات قبل أن تنهض عن كرسيها وتعبر الغرفة ، ثم أغلقت الباب واستدارت نحو ماريا وسألتها" :ما الذي يجري ؟."

* * *

وفي النهاية ، وجدت أن البوح بمكنونات صدرها لجيل أسهل مما تخيلت. وسواء أصبحت مديرتها المستقبلية أم لا ، فقد كانت جيل صديقتها الحميمة منذ وقت طويل .أمسكت جيل بيدها وهي تبدو قلقة بشكل واضح .وعندما أكّدت لها ماريا أن ذلك لن يؤثر على قدرتها على مساعدتها في إنشاء الشركة الجديدة ،

قامت جيل بمجرد هز رأسها.

وقالت" :في الوقت الحاضر ، لديك أمور أكثر أهمية لكي تقلقي بشأنها. يمكننا أنا وليزلي أن نتولى كل ما تبقى بنفسينا .يجب عليك أن تفعلي كل ما يلزم فعله ، وأن تأخذي كل الوقت اللازم لكي تعثري على طريقة وتضعي بها كل هذه المسألة خلف ظهرك إلى الأبد .وعلى أية حال ، لا يمكن القول إن الزبائن سيصطفون أمام بابنا في الأشهر الأولى من افتتاح الشركة."

"من الأفضل ألا يستغرق الأمر كل هذا الوقت .إذ لا أظن أنني سأستطيع أن أتولى كل شيء ؛ فقد انتابتني نوبة هلع صباح اليوم."

التزمت جيل الهدوء للحظة ، ثم قالت" :سأساعدك بكل ما أستطيع فعله .قولي لي فقط ما أنت بحاجة إليه."

وفيما كانت تغادر مكتب جيل ، أدركت ماريا أنه على الرغم من قلة الراتب ، إلا أن ترك العمل للانضمام إلى جيل لم يكن بالنسبة إليها الخيار الأفضل وحسب ، ولكنه أفضل خيار اتخذته في مهنتها حتى تلك اللحظة من حياتها ؛ وكانت متيقنة من ذلك.

ومع ذلك ، لم يساعدها البوح بسرّها في جعل بقية الصباح يمضي بسرعة ، كما لم يخفف من عبء عملها .إذ إن التساؤل حول ما يريد مارغوليس قوله لها جعل التركيز صعباً بالنسبة إليها ، وهذا ما منعها وحسب من متابعة عملها في البحث المتعلق بقضية المستشفى .وعندما تفاقم إحباطها ، وضعت عملها جانباً ، وأرسلت رسالة نصية إلى كولين.

فرد عليها بأنه موافق ، وأنه سيلاقيها في المخفر عند الساعة الثانية عشرة

والربع ظهراً.

فألقت نظرة خاطفة على ساعتها.

وبعد ذلك ، عادت إلى الدعوى وهي تدرك أنه عليها أن تراجعها عن كثب.

لا تزال هناك ساعتان تفصلانها عن موعدها مع مارغوليس.

وراح الوقت يمضي ببطء شديد.

* * *

عندما أوقفت سيارتها داخل موقف السيارات ، وجدت كولين بانتظارها خارج المخفر وقد وضع نظارة شمسية ، وارتدى بنطالاً قصيراً وقميصاً قطنياً. لوّحت له وهي تترجل من السيارة على أمل أن يخفي ذلك التوتر الذي تشعر به ، ولكنها ظنت أن كولين سيعرف على أية حال.

سلّم عليها بسرعة قبل أن يفتح لها الباب .وفيما كانت تتلفت حولها ، انتابها إحساس غريب بأنها اختبرت الشعور بالدخول إلى هنا من قبل .ومع ذلك ، وعلى عكس زيارتها الأولى ، لم يبقهما مارغوليس منتظرين لوقت طويل. إذ ما كادا يجلسان على كرسييهما حتى شاهداه يخطو نحوهما بخطوات واسعة قادماً من مؤخر المبنى .ومجدداً ، كان يحمل ملفاً بيده وأشار به إليهما ليتقدما.

وقال" :هيا بنا .سنتحدث في المكان الذي تحدثنا فيه من قبل."

ملست ماريا تنورتها وهي تقف ، ثم مشت بجانب كولين مروراً بآخرين يعملون خلف مكاتبهم ، ومجموعة من الناس المحتشدين حول آلة تحضير القهوة.

تمتمت ماريا قائلة" :هل ينبغي أن أشعر بالقلق ؟."

"كلا .فلنختصر القصة الطويلة ؛ لا أظن أن ليستر سيشكل أية مشكلة."

فألحت عليه قائلة" :ما الذي يعنيه هذا ؟."

عندها ، نقر مارغوليس بالقلم على الملف قبل أن يشير بإبهامه نحو كولين ويقول" :يبدو لي أنك ما زلت تمضين وقتك مع هذا الشاب الذي كان يعاني من مشاكل في طفولته .ولا أفهم سبب إصرارك على اصطحابه معك عندما نناقش قضيتك .فلا داعي لوجوده هنا."

فقالت ماريا" :إنني أريده هنا .ونعم ، نحن ما زلنا نمضي وقتنا معاً... بسعادة ، كما يمكنني أن أضيف."

"لماذا ؟."

أجابت وهي تدرك أن الأمر ليس من شأنه ، ولم تزعج نفسها بإخفاء سخريتها" :لأنه يعجبني."

عندها ، ابتسم مارغوليس ابتسامة ساخرة ولكن من دون حس فكاهة ثم قال" :قبل أن نبدأ ، دعيني أضع القواعد المبدئية .في البداية ، إن السبب وراء وجودك هنا هو ببساطة لأنني قلت لك إنني سأبحث في ادعاءاتك ، ولأنني قلت لك إنني سأبقى على تواصل معك .وبسبب تعرض إطارات سيارتك للتخريب ، بالإضافة إلى احتمال تعرضك للتعقب من قبل شخص ما ، هذا يدعونا لفتح تحقيق جنائي .وفي حالة كهذه ، التحقيقات الجارية عادة لا تتم مناقشتها .ومع ذلك ، لأن هناك احتمالاً بصدور قرار بعدم التعرض ، لذا اخترت أن أقابلك وأبقيك على علم بكل شيء أظن أنه ملائم .وتذكّري أيضاً أن ليستر مانينغ لم

يتم تبليغه ، لذا لديه كالجميع حقوق مؤكدة ومتوقعة بالسرية .بتعبير آخر ، سأخبرك ما أعتقد أنه مهم ، ولكنني لن أقوم بالضرورة بإخبارك بكل شيء أعرفه. وأريد أن أضيف بأن معظم ما قمت به هو عبر الهاتف .فقد توجّب علي الاعتماد على تحرٍّ صديق لي في تشارلوت في بضعة أمور .وبصراحة ، لست واثقاً إلى متى سأظل قادراً على الطلب منه أن يتحرّى حول بضعة أمور .فقد خرج عن سياق عمله مراراً ، وهو مثلي تماماً لديه قضايا أخرى لها أولوية كبيرة .هل تفهمين ما أقوله ؟."

"نعم."

قال" :جيد .أولاً ، سنناقش الطريقة التي اتبعتها في تحقيقاتي ، ثم سنتحدث عن جزء مما عرفته ."وفتح الملف وأخرج منه ملاحظاته" :كانت الخطوة الأولى تتمثل في الاطلاع على كل المعلومات الأساسية ، لذا استخدمت ملفات الشرطة المتعلقة بالموضوع ؛ وتلك تتضمن كل شيء له علاقة بالاعتداء الأول على كاسي مانينغ ، واعتقال جيرالد لوز وإدانته ، ووثائق المحكمة ، وأخيراً المعلومات التي تتعلق بجريمة قتل كاسي مانينغ .وبعد ذلك ، راجعتُ أول تقرير تقدّمتِ به عن الشخص الذي تعقبكِ ؛ ذلك الذي تقدمتِ به بعد أن تلقيتِ تلك الرسائل في تشارلوت .كما تحدّثت إلى الضابط المسؤول عن تلك القضية .ولم أشعر بأنني بتّ على اطلاع جيد نسبياً بكل شيء إلا يوم الخميس الماضي.

والآن ، في ما يتعلق بليستر مانينغ .إنني مخول بإخبارك بما يمكنك على الأرجح معرفته بنفسك من خلال بحث عادي في سجلات الشرطة ."وألقى نظرة خاطفة إلى الأسفل مرة أخرى ثم قال" :إنه في الخامسة والعشرين من عمره ،

وغير متزوج ، ومتخرج من المدرسة الثانوية .وهو لا يملك أي عقارات خاصة به ، وليست هناك سيارات مسجلة باسمه .ويصرح عن عنوانه ورقم هاتفه على أنهما عنوان والده وهاتفه .ورغم ذلك ، لست واثقاً كم من الوقت يُمضي هناك بالفعل."

أوشكت ماريا أن تطرح عليه سؤالاً ، ولكنّ مارغوليس رفع يده فوراً ليمنعها من الكلام.

"دعيني أنهي كلامي ، هل اتفقنا ؟ ستفهمين سبب قولي هذا في غضون بضع دقائق .والآن ، يمكنني أن أشاطرك المعلومة التالية لأنني أظن أنها مهمة بالنسبة إلى أمر التقييد لغير الأشخاص المرتبطين بك .ولكنني لن أعطي الكثير من التفاصيل المهمة لأنها قد تكون مهمة في أية قضية مستقبلية ، وقد لا تكون كذلك .هل اتفقنا ؟ ."غير أنه لم ينتظر سماع إجابة منها ، بل استمر قائلاً" :منذ وفاة كاسي ، عانى ليستر من بعض المشاكل مع القانون .وتم اعتقاله أربع مرات ، ولكن ليس بسبب أي شيء له علاقة بالعنف ، أو أي شيء خطير ، بل كانت لذلك علاقة بأمور ثانوية مثل التعدي على أملاك الغير ، والتخريب ، وأشياء من هذا القبيل .واتضح لاحقاً أن ليستر مغرم بالاختباء في البيوت الشاغرة .وفي كلتا الحالتين ، تم إسقاط التهمة عنه .لم أبحث في الأسباب ، ولكن في حالات كتلك ، يكون سبب ذلك عادة قلة الضرر الحقيقي الحاصل من جراء ذلك."

شاهدت ماريا كولين بجانبها يتحرك على كرسيه.

"خلافاً لذلك ، لم أتمكن من معرفة المزيد .لذا ، اتصلت بالدكتور

مانينغ ، والد ليستر ، وتركت له رسالة .والأمر الذي أدهشني هو أنني تلقيت اتصالاً منه في غضون بضع دقائق .فعرّفته بنفسي ، وقلت له إنني آمل التحدث إلى ابنه .ويمكنني القول إنني وجدته متعاوناً بشكل كامل ، وأكثر رغبة في تقديم المساعدة مما توقعت .ومن بين أشياء أخرى ، وقرابة نهاية محادثتنا الثانية ، منحني الإذن بأن أبوح لك بكل تفاصيل طبيعة مكالمتي معه .هل يفاجئك هذا ؟."

فتحت ماريا فمها لتجيب عن سؤاله ، غير أنها سرعان ما أغلقته مجدداً وهي غير واثقة مما تقوله .وأخيراً قالت" :هل ينبغي أن أتفاجأ ؟."

فقال مارغوليس" :لقد تفاجأت أنا ؛ ولا سيما بعد الطريقة التي وصفته لي بها .على أية حال ، عندما سألته إن كان يعرف أين يمكنني العثور على ليستر ، سألني عن السبب .فأجبته أن هذه مسألة تتعلق بالشرطة .ورد على سؤالي ، وأقتبس هنا كلامه ، فقال :هل للموضوع أية علاقة بماريا سانشيز ؟."

ترك مارغوليس الكلمات معلقة في الهواء للحظات ، ثم تابع كلامه قائلاً: "عندما سألته عن السبب الذي جعله يذكر اسمك ، قال إنها ليست المرة الأولى التي تتهمين فيها ليستر بتعقبك .وقال إنه بعد جريمة قتل ابنته ، قمت بتوجيه الاتهامات نفسها إليه في ما يخص رسائل مزعجة تم إرسالها إليك .وأصر على أن ابنه ليستر ليس مسؤولاً عنها ، وأنه يشك بشكل صادق بأن يكون مسؤولاً عن أي شيء تدّعينه الآن .وطلب مني أن أقول لك إنه رغم أنه يشعر فعلاً بأنك ارتكبت خطأ عندما اخترت اتهامات أقل خطورة ، إلا أنه مدرك تماماً أن جيرالد لوز هو المسؤول عن وفاة كاسي ، وأنه وابنه لا يلومانك على ما حدث."

"إنه يكذب."

تجاهل مارغوليس تعليقها وقال" :لقد قال لي إنه لا يتولى علاج أي مرضى في الوقت الحالي .وشرح أنه يعمل في ولاية تينيسي لنظام السجن الحكومي. وأكد أنه لم يتحدث إلى ليستر منذ أسابيع ، ولكن ليستر يملك مفاتيح البيت ، ويمكث بين الحين والآخر في الشقة فوق المرأب .ومن المرجح أن أتمكن من العثور على ليستر هناك .وعندما سألته عمّا يعنيه بقوله إنه يقيم هناك بين الحين والآخر ، التزم الصمت لبرهة .وعندما تكلم مجدداً ، تملكني شعور بأنني أصبت وتراً حساساً لديه .فقد قال لي إن ليستر هائم على وجهه نوعاً ما .وهناك أوقات لا تكون لديه فيها أية فكرة عن المكان الذي يبيت فيه .وأعتقد أنه يشير إلى عادة ليستر في المكوث في البيوت الشاغرة .وعندما ألححت عليه ، أضاف بأنه وابنه على خلاف نوعاً ما في هذه الأيام .وللمرة الأولى ، بدا صوته موحياً تقريباً بالاعتذار .وذكرني بأن ليستر شاب ناضج ويتخذ قراراته الخاصة ، وأنه كوالد ليس بإمكانه فعل الكثير له .وأضاف أيضاً أن ليستر إن لم يكن في الشقة الموجودة في المنزل ، فأفضل خيار لي هو محاولة العثور عليه في عمله ؛ في مكان يدعى آجاكس .وهو عبارة عن مركز خدمات للحراسة ، لديه الكثير من الزبائن التجاريين .لم يكن معه رقم المركز ، ولكن من السهل العثور على المكان .لذا ، قررت أن تكون خطوتي التالية هي التحدث إلى المالك واسمه جو هيندرسون."

رفع مارغوليس نظره عن ملاحظاته وسألها" :هل تتابعينني حتى الآن ؟."

وعندما أومأت ماريا برأسها ، تابع مارغوليس قائلاً" :عندما تحدّثت إلى السيد هيندرسون ، قال إن ليستر ليس موظفاً بدوام كامل أو حتى بدوام جزئي ،

بل هو يأتي بناء على اتصال هاتفي مسبق ؛ أي أنه شخص يغطي المناوبات عندما ينقص عدد أفراد الطاقم ، أو شيء من هذا القبيل."

"وكيف يمكنهم الاتصال به إن لم يكن يملك هاتفاً ؟."

"لقد طرحت السؤال نفسه ، فقيل لي إن الطريقة التي يتم بها الأمر هناك هي أنهم ينشرون مناوبات مفتوحة في قسم الموظفين في موقعهم على الإنترنت. وقال هيندرسون إن ذلك أسهل طريقة للوصول إلى لائحة من الناس وجعلهم يتفقدون المناوبات بدلاً من محاولة تغطيتها بأنفسهم .وتملكني شعور بأن هناك عدداً قليلاً تماماً من الناس الذين يتفقدون اللائحة بانتظام .وعلى أية حال ، ليستر يعمل هناك في بعض الأحيان ليلتين أو ثلاث ليال في الأسبوع .ولكنه في الأسبوعين الماضيين ، لم يأتِ إلى العمل على الإطلاق ، ولم يسمع منه السيد هيندرسون أي خبر .وقد وجدت هذا الأمر مثيراً للاهتمام ، لذا اتصلت بالبيت بضع مرات غير أن أحداً لم يجب .وفي النهاية ، أرسلت صديقي إلى هناك .وعلى حد علمه ، لم يتواجد أحد في البيت أو الشقة منذ أسبوع على الأقل .وقد عثر على نشرات في صندوق البريد ، وعلى صحف في الشرفة ؛ وغيرها من الأشياء .ولذلك السبب اتصلت بالدكتور مانينغ للمرة الثانية ، ومن هنا بدأت الأمور تصبح مثيرة للاهتمام نوعاً ما."

"لم تتمكن من الوصول إليه ، أليس كذلك ؟."

فقال" :بل على العكس .فمجدداً ، تركت له رسالة ثم تلقيت منه مكالمة في غضون دقائق .وعندما أخبرت الدكتور مانينغ بأن ليستر لم يذهب إلى العمل ولم يظهر في أي مكان في البيت أو الشقة منذ فترة ، تحولت دهشته إلى قلق ،

وسألني مرة أخرى عن الشأن الذي يخص الشرطة ، ولم أكن قد أخبرته بعد ، فذكرت له أنني أتابع قضية تتعلق بثقب إطارات سيارة ما .وعندها أصر على أن ليستر لا يرتكب عملاً مماثلاً .وقال لي إن ابنه ليس عنيفاً ، فهو يشعر بالرعب من التورط في النزاعات من أي نوع .واعترف بأنه لم يكن مستعداً لتقديم المعلومات حيال ليستر في المكالمة الأولى بقدر ما يجب .وعندما سألته عما يعنيه ، قال لي إن ليستر "...ومد مارغوليس يده إلى إحدى الصفحات في ملفه ، ثم تابع قائلاً" :قال إنه يعاني من مرض نفسي مضلِّل ؛ أي بشكل أكثر تحديداً: من أوهام اضطهادية من النوع غير الشاذ ."فرغم أن ابنه قد يتصرف بشكل طبيعي عادة لفترات طويلة ، إلا أن هناك أوقات يدخل فيها المرض مرحلة أكثر حدة ، وتدوم في بعض الأحيان لمدة شهر من الزمن .وفي حالة ليستر ، إن جذور هذه الحالة تعود إلى استخدام المخدرات غير القانونية بين الحين والآخر."

ثم رفع مارغوليس نظره عن الأوراق وقال" :لقد ذكر الطبيب المزيد من التفاصيل عن مرض ليستر ، أي أكثر مما أحتاج إلى معرفته في الواقع .ولكن بشكل أساسي ، يمكننا أن نستخلص من كلامه ما يلي :عندما يكون ليستر في حالة حادة ، أي عندما يتحول المرض من مجرد جنون اضطهاد بسيط إلى مضلّلات حقيقية ، عندها لا تعمل وظائف ليستر بشكل طبيعي تماماً .وفي تلك الأوقات ، يعتقد ليستر اعتقاداً قوياً بأن الشرطة تسعى للقبض عليه ، وألن لا شيء سيردعهم عن الزج به في السجن لبقية حياته .كما يصبح على قناعة تامة بأنهم يريدون إلحاق الأذى به ، وأنهم سيحرّضون بقية السجناء ضده .وهو يعاني من المضلّلات نفسها بشأنك أنت."

"هذا محض هراء .إن ليستر يتعقبني."!

"إنني أخبرك وحسب بما قاله لي الطبيب .قال لي أيضاً إن ليستر قد تعرض للاعتقال عدة مرات ، وإن هذا حدث في فترة المرحلة الحادة في مرضه ، ما جعله يقاوم الاعتقال .وقد اضطر رجال الشرطة حينها إلى استخدام أجهزة التسكين للسيطرة عليه .وأضاف الدكتور مانينغ أنه في مناسبتين مختلفتين تعرّض ليستر للضرب من قبل سجناء آخرين فيما كان محتجزاً .وبالمناسبة ، هذا يعود إلى ما قلته في وقت سابق عن شكي حول السبب الذي جعلهم يسقطون التهم عنه .فأنا أخمن أن ليستر لم يكن مترابط الكلام ، ولم يتطلب الأمر من الجميع الكثير من الوقت لاكتشاف ذلك."

وأطلق مارغوليس تنهيدة ثم قال" :ولكن ، لنعد إلى الدكتور مانينغ .فكما قلت لك ، لقد بدا قلقاً .وقال إنه إن لم يكن ليستر في البيت أو يعمل بشكل منتظم ، فمن المرجح أنه في حالة مرضية حادة ؛ وهذا يعني أيضاً أنه موجود في أحد مكانين ؛ إما مختبئاً في أحد البيوت الشاغرة في مكان ما ، أو في مستشفى بلينفيو ؛ وهو مستشفى للأمراض النفسية .فقد قام ليستر بمراجعة المكان عدة مرات في الماضي ، وازدادت وتيرة ذلك بعد أن توفيت والدته .وفي وصيتها ، تركت والدته حساب ائتمان كبيراً بما يكفي لتغطية نفقات علاجه ، وهو مكلف جداً بالمناسبة .لم أتمكن من الحصول على أي رد لدى اتصالي بالمستشفى ، لذا اتصلت بصديقي مجدداً ، وطلبت منه أن يتوجه إلى مستشفى بلينفيو بنفسه. وقد فعل هذا صباح اليوم ، أي قبل ساعة من اتصالي بك ، وأكّد لي أن ليستر مانينغ مريض مسجل هناك في الوقت الحالي .فقد دخل إلى هناك بشكل طوعي ، ولكنّ هذا كل ما استطاع المفتش إخباري إياه .إذ حالما عرف ليستر أن هناك تحرياً يريد التحدث إليه عن ماريا سانشيز ، أصابته حالة رعب ، واستطاع

صديقي سماع صوته حين راح يصرخ من آخر الممر .وكان الشيء التالي الذي عرفه هو أنه شاهد بعض موظفي حفظ النظام يهرعون بذلك الاتجاه .إن هذا مثير للاهتمام كما قلت ، ألا تظنين ذلك ؟."

لم تكن ماريا واثقة مما تقوله ، واستطاعت خلال فترة الصمت أن تسمع صوت كولين.

"متى تم إدخاله إلى المستشفى ؟."

فشاهدت نظرات مارغوليس تتحول نحو كولين.

"لست أدري .فلم يستطع صديقي اكتشاف ذلك .إذ إن السجلات الطبية سرية .وذلك النوع من المعلومات لا يمكن الكشف عنه بدون إذن شخصي من المريض نفسه ، وهذا بالطبع ليس من الممكن حدوثه .ليس الآن على الأقل. ولكنّ صديقي يعرف ما يفعله ، لذا سأل أحد المرضى الآخرين ، فقال الرجل إنه يظن أن ليستر موجود هناك منذ خمسة أيام أو ستة .وبالطبع ، استناداً إلى المصدر ، لا يمكن أن يعول المرء على هذه المعلومات على الإطلاق."

"بتعبير آخر ، من الممكن أن يكون ليستر هو من ثقب الإطارات وأرسل الرسائل."

"أو ربما كان في المستشفى .وإن كان هذا صحيحاً ، فمن الواضح إذاً أن الفاعل ليس ليستر."

غير أن ماريا أصرت قائلة" :لا بد أنه هو .فأنا لا أعرف من قد يكون غيره."

"ماذا عن مارك آتكينسون ؟."

"من ؟."

"صديق كاسي .لقد بحثت عنه أيضاً ، واتضح لي أنه مختفٍ ربما ، وربما ليس كذلك."

"وما الذي يعنيه هذا ؟."

"ما زلت أؤدي بعض العمل التمهيدي بشأنه ، ولكن إليك ما يمكنني قوله لك بصدد هذا الموضوع .لقد تقدّمت والدة مارك آتكينسون بتقرير مفاده أن ابنها قد اختفى قبل شهر من الزمن .ولكن بعد أن تحدثت إلى المفتش قبل أن أتصل بك مباشرة ، تحدثت إليها لأحصل على المزيد من المعلومات ، ولست واثقاً مما يجب أن أفهمه منها .فقد قالت لي إنه في شهر آب أرسل لها رسالة عبر البريد الإلكتروني يقول فيها إنه قابل فتاة عبر الإنترنت ، وإنه سيستقيل من وظيفته ويسافر إلى تورنتو ليقابلها شخصياً .ولم تكن لديها أية فكرة عمّا يمكنها أن تفهمه من ذلك ، ولكنه طلب منها في رسالته ألا تقلق .فقد قال لها إنه دفع إيجار شقته مسبقاً ، وإن فواتيره الأخرى يتم دفعها عن طريق الإنترنت .وتقول الأم إنها تلقت منه بضع رسائل مطبوعة على الكمبيوتر يقول فيها إنه في رحلة على الطريق مع تلك المرأة ، إحداها عليها ختم من ميتشيغان والأخرى من كنتاكي ، ولكنها بدت -وأنا هنا أقتبس كلامها -غامضة وغريبة وغير شخصية وليست ما اعتاد ابني أن يكتبه لي .وخلافاً لذلك ، لم تصلها أي مراسلات منه. وهي الآن تصر على أنه مفقود ، وتقول إنه لو لم يتعرّض لمكروه لكان حتماً سيتصل بها أو يرسل لها رسالة نصية ما .وحقيقة أنه لم يعد يفعل هذه الأمور تعني أن مكروهاً ما قد حصل له."

جعلت هذه المعلومات الجديدة رأس ماريا يدور من فرط الارتباك .وكل ما تمكّنت من فعله هو البقاء جالسة بثبات في مكانها .حتى إن كولين بدا في حيرة من أمره ولا يدري ماذا يقول.

نقل مارغوليس نظره من أحدهما إلى الآخر ، ثم قال" :إذاً ، هذا هو ما توصّلتُ إليه في القضية برمتها .وإن كنتما تتساءلان عن خطتي في الأيام القادمة ، فإنني سأتصل بالطبيب مجدداً ، وسأرى إن كان بوسعي أن أعرف منه الوقت الذي تم إدخال ليستر فيه إلى المستشفى ؛ لو أن ابنه منح الأطباء في مستشفى بلينفيو الإذن لإطلاعه على تلك المعلومة .وبالاعتماد على ما أعرفه هنا ، فقد أبحث في المسألة المتعلقة بمارك آتكينسون وقد لا أفعل .ولكن بصراحة ، هناك الكثير من العمل الشاق ، ولست أدري إلى متى أستطيع الالتزام بهذه القضية بعد الآن."

كررت ماريا كلامها قائلة" :إنه ليس آتكينسون بل ليستر."

"إن كانت هذه هي القضية ، إذاً فلا داعي للقلق في الوقت الحاضر."

"لماذا تقول هذا ؟."

فقال ببساطة" :لأن ليستر كما قلت لك موجود حالياً في المستشفى."

* * *

قالت ماريا لكولين وهما واقفان في موقف السيارات" :إن هذا غير منطقي على الإطلاق ."وراحت خيوط من أشعة الشمس تتسرب من بين الغيوم الخفيفة فيما تابعت كلامها" :فأنا لم أقابل مارك آتكينسون من قبل ، ولم أتحدث إليه مطلقاً .وعلى حد علمي ، لم أرَه قط .فما الذي قد يدفعه إلى مطاردتي؟ فهو لم

يكن حتى يواعد كاسي عندما دخل لوز السجن ، ولم يظهر في الصورة حتى وقت متأخر .هذا كله غير منطقي."!

"أعرف ذلك."

"وما الذي يجعل ليستر بحق الله يظن أنني أسعى لإلقاء القبض عليه ؟."!

"إنه تضليل."

أشاحت بوجهها ، ثم قالت بصوت أكثر هدوءاً" :إنني أكره هذا .أعني أنني أشعر بأنني بت أعرف معلومات أقل مما كنت أعرف قبل أن آتي إلى هنا اليوم. والآن ، ليست لديّ أية فكرة عما يفترض ب.ي فعله ، أو حتى إن كان يفترض ب.ي أن أفكر في هذه المسألة برمتها."

"وأنا بدوري لست واثقاً مما أفهمه من الأمر كله."

هزت رأسها وقالت" :هناك شيء ما نسيت إخبارك به .لقد اضطررت إلى إلغاء موعدي مع جيل وليزلي بسبب ذكرى ميلاد أمي .لذا ، سأكون في منزل والديّ الليلة أثناء تواجدك في العمل."

"هل تريدين أن تأتي معي إلى البيت بعد انتهاء مناوبتي ؟."

"كلا ، فالعشاء سيكون قد انتهى بحلول ذلك الوقت .إن والدي هو الذي سيُعدّ الوجبة الليلة ؛ فهذا هو الوقت الوحيد في السنة الذي يطبخ فيه ، ولكنه ليس أمراً مهماً .سنتواجد نحن الأربعة فقط."

"هل ستبيتين هناك الليلة أم ستتوجهين عائدة إلى شقتك ؟."

"إنني أفكر في العودة إلى بيتي .فعلى الأرجح ، لقد حان الوقت لفعل

ذلك ، ما رأيك ؟."

التزم كولين الصمت للحظة ثم قال" :ما رأيك بأن ألتقيك هناك ؟ ابقي في منزل والديك إلى أن أتصل بك بعد انتهاء مناوبتي."

"هل تمانع القيام بذلك ؟."

"على الإطلاق."

فتنهّدت وقالت" :إنني آسفة ، فحالما بدأت العلاقة بيننا تنجح ، بدأت كل تلك الأمور تحدث .أكره أنه يتوجّب عليك التعامل مع كل هذه المشاكل."

فقال لها" :ما كنت لأقبل بأي شيء آخر."

الفصل الحادي والعشرون

كولين

حالما وصل كولين إلى بيته ، أخرج الكمبيوتر من حقيبته ووضعه على طاولة المطبخ .فقد شعر بأنه مرتبك حيال المسألة برمتها ؛ تماماً مثل ماريا. وأنبأه حدسه بأنه يجب عليه أن يحاول معرفة أكبر قدر ممكن من المعلومات.

وكانت الخطوة الأولى تتمثل في فهم عقلية ليستر مانينغ ، أو بتعبير أصح: المضللات الاضطهادية من النمط غير الشاذ .فقد أراد أن يسأل مارغوليس المزيدَ عن الموضوع ، ولكن لم يكن من حقه أن يطرح الأسئلة .وتركت ماريا الموضوع يمضي بلا سؤال .ولكن لحسن الحظ ، عثر على العشرات من المقالات التي تتطرق إلى الموضوع ، فأمضى الساعة ونصف الساعة التالية وهو يحاول معرفة أكبر قدر ممكن من المعلومات.

تولّد لديه انطباع بأن هذا المرض مشابه لمرض فصام الشخصية .ورغم أن بعض الأعراض مثل الهلوسة والمضللات شائعة لدى مرضى كلا المرضَيْن ، إلا أن المريض يتم تشخيص حالته إما بفصام الشخصية أو بالمرض الضلالي .وغالباً ما يتضمن مرض الفصام عدم انتظام الكلام ، أو المضللات من النوع الشاذ ، والشاذ هنا تعني المستحيل ؛ أي اعتقاد المريض أنه قادر على الطيران ، أو قراءة أفكار الآخرين ، أو سماع أصوات يمكنها السيطرة على أفعاله .أما المضللات غير الشاذة -وهو ما يعاني منه ليستر -فهي على الأقل معقولة ، ولكنها غير صحيحة.

وفي حالة ليستر ، على افتراض أنه يعاني من المرض الضلالي ، يبدو من

المنطقي بعض الشيء أنه قد يعتقد أن الشرطة تسعى للقبض عليه .فبحسب آفري مانينغ ، لقد استخدم أفراد الشرطة أجهزة التهدئة عليه ، ووضعوه في السجن .وأثناء وجوده هناك ، تعرض للضرب على أيدي السجناء الآخرين .وفي النهاية ، تم إسقاط التهم عنه ، وهذا قد يؤكد اعتقاد ليستر بأنه ما كان ينبغي أن يذهب إلى السجن على الإطلاق.

كما كان جنون الاضطهاد لديه في ما يتعلق بماريا منطقياً أيضاً ؛ وهذا ما اعترف به كولين لنفسه ، ولو أن إمكانيته هي المعيار الوحيد .فماريا لم تخفق فقط في حماية كاسي ، ولكن إن لم يكن ليستر من كتب تلك الرسائل كما أكد والده الدكتور مانينغ ، فماريا قد أرسلت الشرطة في أعقابه من دون أي سبب ؛ ليس مرة واحدة ، بل مرتين الآن.

وكان مارغوليس محقاً أيضاً في أن الشخص الذي يعاني من المرض كقاعدة عامة يؤدي وظائفه بشكل طبيعي بالاعتماد على شدة المرض .وتتراوح المضللات ما بين شيء بسيط مثل الأفكار المبالغ فيها إلى ما يشبه الذُهان .وقد ذكر عدد من المقالات -بالضبط كما أخبر آفري مانينغ مارغوليس -أن المضللات ليست ثابتة بشكل صارم ؛ فمن الممكن أن تتغير حدّتها ، وقد تتفاقم بحسب استخدام عقاقير معينة.

ومع ذلك ، رغم أن كل شيء قرأه كولين بدا له منطقياً ، وبينما أدرك أن ليستر يُصدّق مضللاته فقط ، إلا أن هناك جوانب لمرضه لم تبدُ متلائمة بالنسبة إليه .فإن كان ليستر يشعر بالرعب من ماريا ، فهل سيرسل لها وروداً ؟ وهل سيشتري لها شراباً ؟ وإن كان الهدف من تلك التصرفات أن تشكّل عرض سلام من نوع ما ، فلماذا أرسل لها رسائل كتلك ؟ ولماذا سيطر عليه الغضب إن

كان كل ما أراده هو أن يدعه الناس وشأنه؟ ولماذا أتى إلى ويلمنغتون ليفعل هذا؟ أما كان سيودّ أن يحافظ على مسافة بعيدة عنها قدر المستطاع؟!

في بادئ الأمر، تساءل كولين عمّا دفع مارغوليس إلى إزعاج نفسه بالبحث والتدقيق في شخصية مارك آتكينسون، ولكنه بعد ذلك فكّر في أن مارغوليس ذكي بما فيه الكفاية لكي يميّز التناقضات نفسها ويتساءل عن كيفية التوفيق بينها .ولهذا السبب اتصل بوالدة آتكينسون .وهكذا، أصبحت القصة أكثر تعقيداً بكثير.

إنه مختفٍ ربما، وربما ليس كذلك!

رغم غموض تلك العبارة، كان مارغوليس دقيقاً تماماً في وصفه .وبعد بحث سريع، عثر كولين على صورة ملصق له من بين ملصقات الأشخاص المفقودين على موقع بينترست، ولا شك في أن والدة آتكينسون هي التي نشرتها .وخلافاً لذلك، لم يجد أي شيء آخر .وقد افترض أنه يستطيع القيام بنوع البحث نفسه الذي قام به من أجل ليستر مانينغ .ولكن، ما الهدف من ذلك؟ فبحسب مارغوليس، إن أي معلومات قد تكون مفيدة لن تكون دقيقة؛ مثل التاريخ الذي غادر به مارك إلى تورنتو أو اختفى فيه.

وإن لم يكن مختفياً، فهل هو مختبئ في مكان ما؟

استطاع كولين التخمين بأن مارغوليس قد اعتبر هذا الاحتمال وارداً .فقد لاحظ أن التوقيت اتفاقي للغاية، حيث لا يمكن أن يكون الأمر مجرد مصادفة. ولكنّ وجهة نظر ماريا بدت صحيحة أيضاً، فلماذا سيستهدفها؟ إذ بحسب قولها، هي لم تلتقِه في حياتها قطّ.

أغلق كولين الكمبيوتر، وعاد للتفكير في الأسئلة ملياً، قبل أن يتوصّل إلى نتيجة مفادها أن هناك طريقة واحدة يستطيع من خلالها تصفية ذهنه.

* * *

اجتاز مسافة الأميال الستة للوصول إلى الصالة الرياضية ركضاً، وأمضى ساعة في رفع الأثقال، وأنهى تمرينه بنصف ساعة من الضرب على الكيس الثقيل .ومن دون وجود دروس أو جلسات، كانت الصالة الرياضية هادئة نسبياً .لذا، اهتم به دالي عند الضرورة، وأمسك له الكيس لبضع دقائق، ولكنه خلافاً لذلك أمضى معظم وقته في مكتبه.

وبعد انتهاء تمارينه، ركض كولين عائداً إلى البيت، واستحم وارتدى ملابس العمل، ثم انطلق بسيارته إلى هناك .وفيما كان جالساً خلف المقود، ظل يفكر ملياً في الأسئلة نفسها التي خطرت بباله سابقاً .ربما كانت حواسه الدفاعية في أعلى مستوياتها، ولكن لسبب ما، لم يستطع التخلص من الإحساس بأن شيئاً سيئاً على وشك أن يحدث.

الفصل الثاني والعشرون

ماريا

بعد مقابلتها مع مارغوليس، توجّهت ماريا عائدة إلى مكتبها وذهنها مشغول بكل ما سمعته منه .توقّفت لتزور جيل وتطلعها على آخر المستجدات التي حصلت معها، ولكنها وجدت أن جيل لم تعد من استراحة غدائها .وهذا ما ذكّر ماريا بأنها لم تتناول أي طعام بعد، ولكنها مجدداً لم تستطع أن تفكر مجرد تفكير في وضع أي شيء في فمها.

وكل ذلك بسبب التوتر .وإن استمر الأمر على هذه الحال، فستضطر إلى شراء تشكيلة ملابس جديدة بقياس أصغر، أو إلى تعديل قياسات ملابسها الحالية؛ إذ بدأت تصبح واسعة عليها.

لاحظت أن بارني قد عاد إلى مكتبه أخيراً؛ رغم أنه أمضى الساعات الثلاث التالية خلف باب مكتبه المغلق وهو في اجتماع مع مساعدة تلو الأخرى. فافترضت ماريا أنه يجري مقابلات معهن بحثاً عن بديلة لللين؛ وهذا أمر مستعجل للغاية من وجهة نظر ماريا .لذا، رغم أنه كانت لديها بعض الأسئلة التي تريد طرحها عليه في ما يتعلق بقضية المستشفى، إلا أنها أدركت أنه ليس من الحكمة أن تزعجه الآن .وبدلاً من ذلك، بدأت تنظّم أسئلتها، وتدوّن الملاحظات على هامش الشكوى، إلى أن سمعت في نهاية المطاف طرقاً على بابها .وحين رفعت نظرها إلى الأعلى، شاهدت بارني واقفاً عند عتبة بابها.

قال لها" :مرحباً يا ماريا .هل تمانعين الحضور إلى مكتبي؟."

فقالت وهي تجمع أوراقها وتعيدها إلى الملف وقد شعرت بموجة من الراحة" :آه ، مرحباً بارني .الحمد لله لأنك أتيت .فقد كنت آمل أن أتحدث إليك حيال هذه الشكوى .فأنا أفكر في أن هناك بضعة أمور مختلفة يمكننا استغلالها ، وأردت أن أحرص على أنني واضحة حيال ما ننوي فعله قبل أن أبدأ فعلاً بالخوض فيه."

قال لها" :يمكنك أن تدعي هذه المسألة جانباً الآن ، فسوف ندرس هذه القضية في وقت لاحق .هلاّ تنضمين إليّ في مكتبي ؛ فهناك شيء ما يجب علينا مناقشته."

ورغم أسلوب بارني اللطيف بشكل ظاهري ، إلا أن هناك شيئاً ما في لهجته جعلها تلتزم جانب الحيطة والحذر وهي تنهض عن كرسيها .وأياً يكن ما أراد قوله لها ، فقد خطر ببالها فجأة أن الأمر لن يأتي بالخير.

مشى بارني في أعقابها متأخراً عنها خطوة واحدة ، حتى إنه تجنب الثرثرة العادية .ولم يقترب منها إلا بعد أن وصلا إلى الباب .ولأنه رجل مهذب في الصميم ، فقد فتح لها الباب ، وأشار إلى كرسي ذي مسند مرتفع ؛ وهو الأبعد عن النافذة التي تواجه مكتبه .ولم تلاحظ وجود شخص آخر يجلس على أحد الكراسي إلا بعد أن اقتربت منه .لذا ، تسمّرت في مكانها فجأة مندهشة.

كين.

وبحلول ذلك الوقت ، كان بارني يستدير حول طاولة مكتبه .ظلّت واقفة في مكانها رغم أن بارني بدأ يصب الماء في ثلاث كؤوس من إبريق على مكتبه.

حثّها على الجلوس على كرسيها قائلاً" :من فضلك ، ليس هناك أي شيء

يدعو للقلق .إننا هنا لمجرد القيام بمناقشة ودية وحسب."

فجأة ، فكرت في سرّها :ينبغي لي ببساطة أن أقول له شكراً لك وأخرج من الغرفة .ما الذي سيفعلانه؟ أسيطردانها؟ ومع ذلك ، عادت إليها عاداتها القديمة ؛ تلك التي تتعلق باحترام الأشخاص الأكبر سناً وإطاعة المدير .ووجدت نفسها تتصرف كمخلوق آلي وتجلس على مقعدها بكل استسلام.

سألها بارني" :هل ترغبين في الحصول على كأس ماء؟ ."ومن زاويتَي عينيها ، استطاعت أن تلاحظ أنه راح يتفحصها.

فقالت" :شكراً لك ."لا يزال بوسعها الخروج من الغرفة ، ولكن...

قال بارني" :إنني أقدر لك موافقتك على الانضمام إلينا ."وبدت لهجته أكثر ثقلاً من المعتاد ، وإيقاعه أبطأ بقليل .وتلك هي الطريقة نفسها التي يتحدث بها في قاعة المحكمة .وتابع قائلاً" :أنا واثق من أنك ربما تتساءلين عن السبب الذي جعلنا نطلب منك الانضمام إلينا .والآن"...

فقاطعته قائلة" :لقد قلت لي إن هناك شيئاً ما يجب علينا مناقشته ؛ وفهمت أنك تقصد أنا وأنت."

أجفل بارني قليلاً، وكانت دهشته من مقاطعتها كلامه واضحة ، ولكن للحظة فقط ، إذ سرعان ما قال" :أرجو المعذرة."!

"لقد قلت إنك تريد مناقشة أمر معي ، فظننتُ أنك تقصدنا نحن الاثنين فقط .ولم تقل لي إنه سيكون هناك شخص آخر هنا."

فقال بصوت هادئ" :بالطبع ، إنك محقة .فقد طلبت منك في الأصل أن

تنضمي إليّ .أعتذر عن خطئي في الكلام."

ترك لها المجال لترد عليه ، وهو يتوقع منها بلا شك أن تنفي حصول خطأ منه .ولكن كولين على الأرجح ما كان ليقول شيئاً لو كان مكانها ، لذا لم تفعل ذلك هي أيضاً ، وفكرت في أنها بدأت تتعلم منه.

باعد بارني بين يديه وقال" :أظن أنه ينبغي لنا التطرق إلى الموضوع مباشرة ؛ لكي لا نضيّع وقتك بالكثير من المقدمات .فآخر ما أريده لهذا الاجتماع هو أن يتخطى نهاية الدوام."

"حسناً ."وابتسمت لنفسها.

ومجدداً ، لم يكن هذا ما توقع منها قوله ؛ ولكنه كان بارعاً في غض الطرف ، فتنحنح وتابع قائلاً" :إنني واثق من أنك سمعت بالشائعات التي تدور في المكتب ، والتي تتعلق بادعاءات محتملة من قبل عدة موظفات ضد كين مارتينسون .وهي بالمناسبة ادعاءات ليست لها أي أسس حقيقية."

انتظر منها الرد على ما قاله ، ولكنها هذه المرة أيضاً لم تقل أي شيء.

فسألها قائلاً" :هل أنا محق في ما قلته ؟."

ألقت ماريا نظرة خاطفة نحو كين ، ثم نظرت إلى بارني مجدداً وقالت: "إنني لست واثقة من ذلك."

"ألست واثقة من أنك سمعت الشائعات ؟."

فقالت" :بل سمعتها."

"إذاً ، ما الشيء الذي لست واثقة منه ؟."

"لست واثقة من أن الادعاءات ليست لها أسس حقيقية."

"إنني أؤكد لك يا ماريا أنها ليست صحيحة."

انتظرت بضع ثوانٍ ثم قالت" :حسناً ."وفكرت في أن كولين سيكون فخوراً بها .والأهم من ذلك، هو أنها بدأت تدرك كيف أن استخدامها كلمة "حسناً "قد غيّر مسار القوة في الغرفة .أو على الأقل، لقد أرسل الرسالة التي تريدها؛ حتى لو لم يعجب ذلك بارني .ولم يعجبه ذلك بالتأكيد، ولكنه كان محترفاً بما يكفي لإخفاء الأمر .فقد تابع الكلام ببطء، معتمداً النبرة التي يستخدمها في قاعات المحكمة.

"لأن السيد مارتينسون مديرنا الإداري، تنوي الشركة بكل قوة أن تناضل في وجه هذه الادعاءات بأية طريقة تجدها مناسبة؛ وهذا يتضمن الدعوى القضائية .وبالطبع -كما تعرفين بشكل جيد -عندما تكون السمعة على المحك، فإن قضايا من هذا النوع تتم تسويتها عادة لتجنّب الإجراءات القانونية الطويلة وذات التكلفة الباهظة التي تشتت الانتباه .وفي ما يتعلق بهذا الأمر بالذات، إنّ تسويتي المحتملة لن تدل على صحة الادعاءات، وإنما ستوفّر الوقت والمال والمشقة التي ستجلبها هذه الاتهامات .ومن الواضح أن أية تسوية -إن حدثت- ستكون قيد السرية التامة."

عندها، أومأت ماريا برأسها وهي تفكر في سرها :أرجو أن تصل إلى لب الموضوع .لماذا استدعيتني إلى هنا؟

"إنني واثق من أنه لا يجب عليّ أن أذكر أمامك سمعة السيد مارتينسون الممتازة وأؤكد على ذلك .فبالنسبة إلى أناس يعرفونه حق المعرفة؛ أناس مثلي

ومثلك ، نحن نعرف أنه لطالما حافظ على مصلحة الشركة وجعلها في قائمة أولوياته ؛ ولذلك كان حريصاً في أفكاره وتصرفاته ، كما نعرف أنه قام بتضحيات هائلة .وببساطة ، ليس من المعقول أن يفعل أي شيء يعرض الشركة أو سمعته الشخصية للخطر .والادعاءات الموجهة ضده -كما يمكنني أن أضيف -منافية للعقل .فخلال مهنته كمحامٍ التي امتدت قرابة ثلاثة عقود ، لم تحدث أي ادعاءات ضده بالتحرش الجنسي بأي حال من الأحوال ، ولم ترَ النور في المحاكم .وها هي ثلاثة عقود من العمل الشاق معرضة للخطر الآن ؛ لأن الناس في هذا العالم جشعون."

لم ترَ الادعاءات نور الشمس في المحكمة ببساطة لأنه تمّت تسويتها.

"فلسوء الحظ ، كلما كان هناك مبلغ من المال ، كان هناك أشخاص يعتقدون أنه يحق لهم الحصول عليه .وفي بعض الحالات ، قد يكذب الناس. وفي حالات أخرى ، قد يشوّهون الحقيقة بقصص تناسب مفكّرتهم الخاصة .وفي أوقات أخرى ، يسيء الناس تفسير التصرفات التي يجدها الآخرون جميعاً تقريباً غير مسيئة .إنني أعتقد أن جزءاً من كل من الحالات الثلاث هو ما يحدث هنا ، وهذا ما أدى إلى حالة فوضى عارمة .فبعض الناس -أي أسماك القرش الجشعة تلك -يشمون الآن رائحة الدماء في الماء ، وهم حريصون على الحصول على حصتهم ؛ لأنهم يعتقدون أن ذلك من حقهم .ولكنّ دستورنا العادل لا يقول إنه يُسمَح لك بالحصول على ملكية الآخرين لمجرد أنك تعتقد أنها ينبغي أن تكون لك طوال الوقت .إن الطمع شيء فظيع .وقد شاهدتُ الناس الطيبين يصابون بالأذى بسببه ؛ حتى من بين أقاربي ومعارفي .فجيراني ، وهم أناس طيبون ويرتادون دار العبادة ، أتسمعين هذا؟ تم تدميرهم على أيدي أناس جشعين.

ولكن في هذه الأيام المظلمة ، إنني أشعر بالشفقة عليهم أكثر من الغضب. فحياتهم فارغة ، وهم يظنون أنه بوسعهم ملء ذلك الفراغ بنقود يختلسونها من جيوب الآخرين .ومع ذلك ، فسمعة السيد مارتينسون لا تزال على المحك ، وكذلك اسم شركتنا .وأشعر بأنني مسؤول ، بل من واجبي أن أضمن أن السيد مارتينسون والشركة يتلقيان أقوى دفاع ممكن."

فكرت ماريا في أنه بدا بارعاً جداً ؛ حتى وهو يشوّه الحقيقة بنفسه. واستطاعت الآن أن تفهم السبب الذي يجعل هيئة المحلفين معجبة به.

"وبالطبع ، إنني واثق من نزاهتك ، وأدرك أن لديك رغبة قوية مثلي في المحافظة على سمعة شركتنا .ولكن ، يجب عليّ بالفعل إخبارك أنني خائف يا ماريا ، خائف على الناس الذين يعملون هنا ؛ على زملائك وأصدقائك والعائلات الشابة التي تعاني من الرهونات والفواتير الباهظة ، وعلى أطفال تلك العائلات وصغارها .كما أشعر بالمسؤولية تجاههم ، ما يجعلني أستغل كل المهارات التي منحني إياها الله القدير على أمل أن تسود العدالة والطيبة والصواب بدلاً من الخطأ والطمع والجشع .ولكنني أقول لك مجدداً إنني رجل مسن ، وبعيد عن الطرائق التي تسير بها الأمور في هذه الأيام .إذاً ، ما الذي أعرفه ؟."

وعندما أمسك بارني عن الكلام بعد أن لعب ورقة الرجل شديد القلق ، شعرت ماريا أنها على وشك أن تصفق له استحساناً .ولكنها بدلاً من ذلك ، حافظت على ملامح وجهها متزنة وهادئة .وبمرور الوقت ، تنهّد بارني وتابع كلامه.

"إنني أعرفك يا ماريا ، وأعرف أنك تشاطرينني مخاوفي .وأنت امرأة صالحة ، حيث لا يمكنك ألا تشعري بالخوف من أجل كل أصدقائك وزملائك. وأعرف أنك ترغبين في مساعدتهم ؛ لأنك مثلي تماماً لا ترغبين في أن يتمّ إفساد العدالة .فشركتنا ، ونحن كلنا ، نحتاج إلى الوقوف وقفة رجل واحد أمام أولئك الجشعين المتوحشين الذين ضللوا أنفسهم ، واعتقدوا أنه يحق لهم الاستيلاء على المال الذي اكتسبناه بشق الأنفس ؛ رغم أنهم لا يفعلون أي شيء لكسبه بأنفسهم."

وهز رأسه قبل أن يتابع" :نحن نريد وحسب أن تظهر الحقيقة يا ماريا ، وذلك كل ما في الأمر .هذا هو كل شيء ببساطة ، والله شهيد على ذلك .ولهذا السبب أنت هنا ، أي لأنني بحاجة إلى مساعدتك."

ففكرت ماريا في سرها :ها هو يصل إلى لب الموضوع أخيراً.

"إننا نطلب منك الشيء نفسه الذي نطلبه من كل موظّفينا ؛ أي أن توقّعي على شهادة خطية تصرّحين فيها بالحقيقة ببساطة :أي أنك تكنين أقصى درجات الاحترام والتقدير لشخص السيد مارتينسون ، وأنك خلال فترة تثبيتك في الشركة لم تشهدي قط أو تسمعي أن السيد مارتينسون قد تورّط في أي شيء قد يمكن اعتباره من أية ناحية عملاً مُهيناً لأي موظف في الشركة .وفي حالتك ، وبالنسبة إلى موظفاتنا السيدات ، أنتنّ لم تشعرن بأي حال من الأحوال بأنه يتم التحرّش بكنّ جنسياً ؛ بأي طريقة أو في أي وقت."

للحظة ، لم تستطع ماريا إلا أن تحدق إلى كين ، ولاحظت أنه غاص أكثر في مقعده .وقبل أن تتمكن من التعليق ، تابع بارني كلامه:

"وبالطبع ، أنت لست مضطرة إلى فعل ذلك .ففي النهاية ، كل ما تختارين فعله عائد إليك بشكل كامل .وليس هناك أي سبب على الإطلاق للأخذ بعين الاعتبار كسب أي شخص آخر لقمة عيشه في هذه الشركة .وكل ما أريده منك صدقاً هو أن تفعلي الشيء الصواب."

أنهى بارني كلامه .وبحلول ذلك الوقت ، كانت عيناه تنظران إلى الأسفل ، وجسده في وضعية تدل على التواضع ، فبدا رجلاً مستقيماً وذا أخلاق في عالم لم يعد يفهمه ، رجلاً يتحمل عبئاً كبيراً نيابة عن شخص آخر .لا عجب في أنه نجح في مهنته إلى هذا الحد.

ولكنّ ماريا لم تستطع أن تجد كلمات مناسبة لتقولها .ورغم أسلوب بارني المقنع في الكلام ...إلا أنه كان يكذب ، وهو يعلم ذلك .وكانت متأكدة من أن بارني يعرف أنها تعرف أنه يكذب .ما يعني أن الأمر برمته مجرد لعبة .ولا شك في أنه أراد وجود كين في الغرفة كنوع من العقوبة له ؛ كما لو أن لسان حاله يقول: هل ترى المستوى الذي اضطررت إلى الانحدار إليه من أجل الدفاع عنك ؟ !أما بالنسبة إلى كين ، فقد بقي صامتاً طوال الوقت ، من دون أن ينبس ببنت شفة.

ومع ذلك...

هل يعتبر من الإنصاف بالنسبة إلى بقية موظفي المكتب الأبرياء جميعاً أن يتحملوا العقوبة بسبب رجل واحد أحمق ؟ وما هو مبلغ المال الذي تطالب به أولئك النسوة ؟ لقد أقدم كين على إزعاجها ونجت من ذلك .وفي غضون بضعة أسابيع ربما ، من المرجح أنها سترمي الموضوع برمته خلف ظهرها كلّياً. وبمرور الوقت ، قد يتحول الأمر إلى مجرد مادة للمزاح والنكات .لقد كان كين

رجلاً وغداً ، ولكنّ الأمر لم يصل به إلى حد التحرش بها فعلياً في الممر عندما خرجا من المؤتمر .فقد كان رجلاً يشعر بعدم الأمان ، بل كان مثيراً للشفقة ، حيث لم يتجرأ على الوصول إلى ذلك الحد ؛ معها على أية حال .ولكن ، ماذا عن الأخريات اللواتي أزعجهن!؟

لم تكن واثقة مما يجب عليها قوله ، وشعرت بالحاجة إلى التفكير في الموضوع ملياً ، فأخذت نفساً عميقاً وقالت" :دعني أفكر في الأمر."

فقال بارني" :بالطبع .إنني أقدر حكمتك .وتذكّري أن الجميع في الشركة- بمن فيهم أصدقاؤك وزملاؤك -يريدون منك فقط أن تفعلي الصواب."

* * *

عندما جلست ماريا أخيراً خلف طاولة مكتبها ، أجبرت نفسها على التحديق إلى الدعوى التي تم التقدم بها ضد المستشفى .ولكن بعد بضع دقائق ، وجدت نفسها تعيد التفكير في المحادثة التي دارت بينها وبين بارني منذ قليل ، وتفكر في الطرائق التي كان بإمكانها الرد فيها على كلامه .ووجدت نفسها تتساءل عما كان كولين سيفعله...

"ها أنت هنا."

رفعت ماريا نظرها إلى الأعلى وهي تائهة في أفكارها ، فشاهدت جيل واقفة عند مدخل الباب ، فقالت" :آه ، أهلاً."

سألتها جيل" :أين كنت اليوم؟ فقد مررت بك قبل قليل ، ولكنني لم أجدك في مكتبك."

فقالت" :لقد أراد بارني التحدث إليّ في مكتبه."

عندها ، قالت جيل وهي تغلق الباب خلفها" :قبل ذلك ، ما الذى جرى في مقابلتك مع التحري ؟."

وعلى الفور ، راحت ماريا تطلع جيل على آخر التطورات التي أخبرها بها مارغوليس .وتماماً مثل ماريا ، لم تعرف جيل ما يجدر بها التفكير فيه .فطرحت الأسئلة نفسها التي طرحتها ماريا ، وانتابها الشعور بالحيرة والارتباك نفسه.

وأخيراً قالت جيل" :لا أدري إن كانت هذه أخباراً جيدة أم سيئة .فالأمر بات أكثر إرباكاً مما كان عليه صباح اليوم."

ففكرت ماريا في سرها بأن هذا الأمر ليس مشكلتها الوحيدة.

"ما الذي تفكرين فيه الآن ؟."

"ما الذي تعنينه ؟."

"لقد تغير تعبير وجهك فجأة."

"آه ...كنت فقط أعيد التفكير في مقابلتي مع بارني."

"لماذا ؟."

"لقد كان كين هناك."

فأومأت جيل برأسها وسألتها" :أبسبب الدعوى القضائية ؟."

"بالطبع."

"دعيني أخمن .لقد تولى بارني الكلام طوال الوقت ، وصب عليك الكثير

من سحره الجنوبي ، وراح يطنب في الحديث عن فعل الصواب ، أليس كذلك ؟."

"إنك تعرفينه حق المعرفة."

"لسوء الحظ ، نعم أعرفه .إذاً ...ما الذي عرفته أنت ؟."

"إنهم يريدون منا أن نشكّل جبهة موحدة."

"حسناً ...ولكن ، ما الذي يعنيه ذلك بالضبط ؟."

"إنهم يريدون مني أن أوقّع على شهادة خطية أذكر فيها بشكل محدد أنني لم أرَ كين وهو يرتكب أي خطأ ، وأنه لطالما تعامل معي بكل مهنية ، وأنه لم يسبب لي أي إزعاج."

"هل طلب منك بارني التوقيع ؟ أم أصر على أن توقعي ؟."

"لقد طلب مني ذلك .وفي الحقيقة ، لقد وضّح لي بشكل لا يدع مجالاً للشك بأنه يريد أن ينبع الأمر مني شخصياً."

"هذا جيد."

"على ما أظن."

"أتظنين ؟."

وعندما امتنعت ماريا عن الرد ، نظرت إليها جيل وحثّتها قائلة" :لا تقولي لي إن هناك المزيد .هل هناك شيء لم تخبريني به صباح اليوم ؟."

"حسناً"...

"إذاً ، دعيني أخمن .هل قام كين بإزعاجك لبعض الوقت ؟."

فرفعت ماريا نظرها وقالت" :كيف عرفت ؟."

"ألا تتذكرين غداءنا؟ بعد أن خرجت لركوب لوح التزلج مع كولين ، ظللت أسألك عمّا إذا كانت الأمور في العمل تسير على ما يرام؟ إذ كنت أدرك أنك ذهبت إلى المؤتمر مع كين ، وقد أمضيت هنا وقتاً كافياً لكي أعرف بالضبط ما الذي قد يحاول فعله .ورغم أنك ظللت تقسمين إنّ كل شيء على خير ما يرام ، إلا أن بعض الشكوك قد ساورتني."

"ولماذا لم تقولي لي أي شيء ؟."!

فهزت جيل كتفيها وكأن لسان حالها يقول :هل تريدين مني حقاً أن أجيب عن هذا؟ ولكنها قالت" :إن سياسة المكتب مقرفة .ولهذا السبب قمت وليزلي مسبقاً بالتخلي عنها .وفي ذلك الوقت ، لم أرغب في جعل الفكرة تسيطر على ذهنك لو أن شيئاً لم يحدث .ولكنني أتذكر أنني فكرت في أنني محقة في شكوكي ، وهذا مريع بالطبع ، ولكنني كنت سعيدة نوعاً ما أيضاً .وأعرف كم يبدو فظيعاً أن تقول لك صديقتك هذا."

"ما الذي تعنينه بقولك إنك سعيدة ؟."

"لو كنت تحبين المكان هنا ، فقد لا تتلهفين لتجربة حظك معنا. وبالطبع ، في ذلك الوقت ، لم أكن أعرف أي شيء عن الدعوى القضائية المحتملة."

"يسرني اهتمامك بمصلحتي إلى هذا الحد."

"إنك امرأة قوية يا ماريا .وبصراحة ، أعتقد أنك أذكى من كين .وكنت أدرك أنك ستجدين طريقة مناسبة لتوقفيه بها عند حده."

"بالفعل ، فقد أخبرته أن صديقي يمارس رياضة الفنون القتالية العسكرية ، وأنه من النوع الغيور."

فضحكت جيل وقالت" :كما قلت لك ، أنت أشد ذكاء من كين .حسناً ، لنعد إلى ذلك الاجتماع مع بارني وكين .إذاً ، لقد طلب منك بارني أن توقّعي ، وأنت قلت له إنك بحاجة إلى الوقت للتفكير في الأمر ، أليس كذلك ؟."

عندها ، فغرت ماريا فمها مندهشة وقالت" :كيف يمكنك أن تعرفي ما قلته ؟."

"لأنني أعرف بارني .فهو أستاذ في تغليف الحقائق الواضحة ، وإظهار أنه مستقيم أخلاقياً ، ثم مزج الأمور في خلاط من الشعور بالذنب في حال شعر أنك لا تزالين مترددة .من المهم بالنسبة إليك أن تضعي كل هذا جانباً وتفكري في ما حدث بالفعل .بالمناسبة ، ما الذي حدث ؟."

فقدّمت لها ماريا شرحاً وجيزاً عمّا حدث في المؤتمر ، وهذا ما لم يثر أية دهشة لدى جيل .ولكن ، عندما أخبرتها عن اللقاءات التي تلت ذلك ، تجمدت جيل في مكانها.

وقالت" :رويدك قليلاً !إن الحديث عن زوجته التي لا تفهمه وكل تلك القصص أمر عادي ، ولكنك تقولين إنه لمس جسدك بالفعل ، أليس كذلك ؟."

"حسناً ، لقد لمس عظم الترقوة ...أو ربما تحته بقليل .ولم"...

"ولكنّ نيته كانت واضحة بالنسبة إليك؟ وأراد أن يتناول معك الغداء ويناقش موضوع العمل كفريق؟."

"نعم .ولكنني منعت الأمر من التطور أكثر من ذلك ...فهو لم"...

غير أن جيل قاطعتها قائلة وهي تمد يدها إلى مقبض الباب" :تعالي معي."

"إلى أين سنذهب؟."

"لمقابلة بارني وكين."

"دعي الأمر يمضي وحسب ...فأنا سأغادر من هنا على أية حال .وهو لم يلمس صدري بالفعل أو ما شابه"...

"حسناً، إن بارني لا يعرف التفاصيل .وأنا واثقة من أن نيته ليست حماية الشركة وحسب، وإنما ينوي أيضاً منعك من الانضمام إلى النساء الأخريات والتقدم بشكوى إلى هيئة تكافؤ فرص التوظيف."

عندها، هزت ماريا رأسها وقالت" :لن أتقدم بشكوى."

"هل أنت واثقة من أنك لا تريدين ذلك؟."

فكّرت ماريا في بارني والموظفين الآخرين في الشركة .ورغم أن محاولات كين معها كانت فظيعة وسبّبت لها التوتر، إلا أنه بالنسبة إليها، إن مجرد رمي الأمر كله وراء ظهرها والمضي قدماً شكّل خياراً مغرياً أكثر من مطاردة المشكلة."

"نعم، إنني واثقة من ذلك .فأنا سأغادر الشركة على أية حال."

"ولكن ، ألا تظنين أنه ينبغي أن يتحمل كين مسؤولية ما فعله؟ على الأقل ولو قليلاً؟ بسبب كل التوتر الذي سببه لك ؟."

"أظن ذلك .ولكن كما قلت لك ، لا أريد الذهاب إلى الهيئة."

فابتسمت جيل وقالت" :ولكنهما لا يعرفان ذلك."

"ما الذي ستقولينه ؟."

"ما ينبغي أن يُقال بالضبط .ومهما يكن ، دعيني أتولى الكلام كله ، ولا تتفوهي بكلمة واحدة."

* * *

وقبل أن تدرك ماريا ما يجري ، كانت جيل تمشي بخطى ثابتة نحو مكتب بارني ، فجرت ماريا خلفها محاولة مجاراة سرعتها في المشي .كان باب مكتب بارني مغلقاً ، غير أن هذا لم يثنِ جيل عمّا تعتزم القيام به ولو قليلاً.

أما بارني وكين اللذان كانا لا يزالان جالسين على الكرسيين نفسيهما اللذين كانا يجلسنا عليهما قبل بضع دقائق ، فقد بدوَا مجفلين من ظهور جيل المفاجئ.

بدأ بارني كلامه بالقول" :ما الذي يجري ؟ !نحن في اجتماع "...ولكنّ جيل خطت إلى داخل المكتب وماريا خلفها تماماً.

قالت جيل بصوت ثابت ومهني ولكن مفعم بالتصميم" :هلا تغلقين الباب يا ماريا ."فأدركت ماريا أنها لم تسمعها تتحدث بهذه الطريقة من قبل قط.

سأل بارني" :هل سمعتِ ما قلته يا جيل ؟."

"أظن أنه يجب عليك أنت أن تسمعني."

"من المفترض أن نجري مقابلة مع موظفة أخرى في غضون خمس دقائق."

"إذاً ، قل لها إن عليها الانتظار .إذ ستودّ بالتأكيد أن تسمع ما أريد قوله لك .إن الأمر يتعلق بالدعوى القضائية ، وهو يهمّكما كليكما."

ظل كين ملتزماً الصمت ، وشاهدت ماريا وجهه يشحب ، فيما حدّق إليها بارني قبل أن يمد يده إلى هاتفه .أصغت إليه ماريا وهو يفعل ما طلبته منه جيل .وبعد أن أعاد سماعة الهاتف إلى مكانها ، نهض عن كرسيه وقال" :دعيني أحضر لك كرسياً آخر."

غير أن جيل هزت رأسها بحدة وقالت" :سنظل واقفتين."

إن لم يكن كين قد فهم ما يعنيه هذا ، فلم يعد هناك أي شك لدى ماريا في أن بارني قد فهمه .إذ لاحظت ارتفاعاً طفيفاً في حاجبيه ، وفكرت في أنه يجري حساباً ذهنياً سريعاً .على الأرجح ، كان معظم الناس سيعاودون الجلوس على مقاعدهم ، ولكنّ بارني أدرك قيمة الحفاظ على التواصل البصري ، لذا ظل واقفاً بشكل مستقيم.

"هل قلتِ إن المسألة مهمة بالنسبة إلى الشركة ؟."

"في الواقع ، لقد قلت إن الأمر مهم بالنسبة إلى كل منكما .ولكن نعم ، في نهاية المطاف الأمر مهم بالنسبة إلى الشركة على حد سواء."

عندها ، قال بارني بتلك اللهجة المتمهلة" :إذاً ، أنا مسرور لأنك أتيت .فقد

كنا للتو نجري مناقشة مع ماريا حيال الادعاءات الكاذبة التي أثق بأنك على دراية بها .وأنا واثق تماماً من أن ماريا ستفعل الصواب من أجل كل من يشملهم الأمر."

فعارضته جيل قائلة" :لا ينبغي أن تتحلى بهذا القدر من الثقة .أولاً، لقد أردت أن تعرفا أن ماريا قد أعلمتني للتو بأن كين مارتينسون قد تورط بممارسة ما قد تعتبرها أية هيئة محلفين عمل تحرش جنسي ، وأنها تفكر بشكل جدي في رفع تقرير إلى هيئة تكافؤ فرص التوظيف كتمهيد لرفع دعوى قضائية."

عندها ، انفجر كين قائلاً" :هذا غير صحيح ."!وكانت تلك هي الكلمات الأولى التي تسمعه ماريا يتفوّه بها طوال اليوم.

غير أن جيل التفتت نحوه ، وقالت بنبرة صوت ثابتة" :لقد قلتَ لها إنه ينبغي لها أن تبذل جهداً أكبر لتصبح لاعبة في الفريق ، وإن بقاءها في زاويتك من الممكن أن يساعدها في الوصول إلى رتبة شريكة في الشركة ، كما أنك لمستها بيدك."

"لم أفعل شيئاً مماثلاً."!

"لقد لمستها بشكل غير ملائم على عنقها وصدرها."

"لقد ...لقد ...لمست كتفها فقط."

"إذاً ، أنت تعترف بأنك لمستها ، أليس كذلك؟ وتعترف أنك وضعت يدك عليها ؛ رغم أنه من الواضح أنها اعتبرت ذلك تصرفاً مسيئاً."

بعد سماعه كلماتها ، أدرك كين أنه من الأفضل له على الأرجح أن يُبقي

فمه مغلقاً ، والتفت نحو بارني .وإن كان بارني قد غضب مما قالته جيل ، فهو على الأقل لم يظهر ذلك.

"لم تدّعِ ماريا تعرضها لأي تحرش جنسي في مقابلتنا معاً اليوم .وفي الحقيقة ، لم تقل لي على الإطلاق أي شيء عن ذلك خلال الشهور التي عملت بها هنا."

"ولماذا ستفعل ذلك ؟ !فهي تعلم جيداً أنك ستحاول التستّر على أفعاله ؛ بالضبط كما فعلت عندما قمت بتسويات في قضايا التحرش الجنسي الأخرى."

عندها ، أخذ بارني نفساً عميقاً وقال" :إنني واثق من أن هناك سوء تفاهم من نوع ما .سنتمكن من معالجة هذا الأمر بشكل سلمي ، وليس هناك أي سبب للجوء إلى التهديدات."

"لم ألجأ إلى التهديدات .وفي الحقيقة ، ينبغي لك أن تشعر بالامتنان لأننا أتينا إلى هنا لكي لا تُفاجأ."

فوافقها الرأي قائلاً" :إنني متفاجئ .وأظن أنه يمكننا مناقشة المسألة بشكل حضاري أكثر إن جلسنا على الكراسي .فأنا أود أن أسمع ما تريد ماريا قوله."

"إنني واثقة من أنك تريد ذلك .لذا ، سأدعك تقرأ إفادتها بالتفصيل حالما تتقدم بها .أما الآن ، فسأتحدث بالنيابة عنها."

فتح كين عينيه على وسعهما ، ولكن بارني قام بمجرد النظر إلى جيل.

"هل تدركين أنك لا تستطيعين تمثيل ماريا لأسباب واضحة تتعلق

بصراع المصلحة ؟."

"إنني هنا بصفتي صديقتها."

"لست واثقاً من أن هذا يشكل أي فرق."

"إذاً ، دعنا نبدأ بهذا :أنا وماريا ، أعني كلتينا سنغادر الشركة .ولم تكن لدينا أية نية في إعلامك بهذا الأمر اليوم .ولكن ، على اعتبار أن ماريا يمكنها بشكل إضافي أن ترفع دعوى على سبيل الانتقام ، لذا ظننت أنه من الأفضل مناقشة الموضوع الآن."

للمرة الأولى ، لم يعرف بارني ما يجدر به قوله .إذ راح ينظر إلى ماريا ثم إلى جيل ، وأخيراً قال" :هل قلت إنكما ستغادران الشركة ؟."

"نعم."

"أين ستعملان ؟."

"هذه المسألة ليست موضوع نقاشنا .ففي الوقت الحاضر ، نحن نتحدث عن دعوى قضائية تعتزم ماريا التقدم بها .ونحن جميعاً نعرف أن الادعاءات التي قدّمتها لين والأخريات خطيرة .فهل يمكنك أن تتخيل مدى الثقل الذي ستكتسبه قضاياهن عندما تتقدم ماريا بقضيتها أيضاً ؟."

تمتم كين" :ولكنني لم أفعل أي شيء ."فاكتفى بارني بمجرد النظر إليه شزراً.

"هل تظن أن أحداً سيصدق هذا بعد كل ما يقوله الآخرون في المحكمة ؟ !ولكن بالطبع ، لن يصل الأمر إلى هذا الحد .فالجميع في هذه الغرفة

يعلمون أنه ستتم تسوية تلك القضايا ؛ فهذا ما يحصل دائماً تقريباً .ولست واثقة بأنه يمكنني قول الشيء نفسه بالنسبة إلى ماريا .فقد كانت في غاية الاستياء عندما تحدثت إليّ .ورغم أنني لن أكون مستشارتها في هذه القضية ، إلا أنني أظن أنها قد تختار المضيّ في هذه القضية إلى أقصى حد يمكنها الوصول إليه."

عندها ، عدّل بارني سترته وقال" :أفترض أنك هنا ليس لمجرد إعلامنا بشكل مسبق بأنك سترفعين دعوى أو ستغادرين ، بل أظن أنك هنا لأنك تريدين حل هذه المسألة."

"ولماذا تظن ذلك ؟."

"ليس هناك أي شيء يمكنكِ ربحه من مجرد إخبارنا مسبقاً بأنك تنوين تقديم تقرير لهيئة تكافؤ فرص التوظيف."

"ربما شعرت بمجرد بقايا من الإخلاص لهذه الشركة."

"ربما."

"أو ربما أردت لكين وحسب أن يعرف أنه بالإضافة إلى تدميره الشركة ومسح مدخراته الشخصية ، فعلى الأرجح سيتوجّب عليه أن يبيع سيارته السخيفة تلك بحلول الوقت الذي تحسم فيه ماريا المسألة معه."

فتذمّر كين بصوت منخفض ، فيما آثر بارني تجاهله.

"كيف يمكننا حلّ هذا الموضوع ؟."

"في البداية ، تريد ماريا إجازة لمدة ستة أسابيع هذه السنة."

"لماذا تريد إجازة لمدة ستة أسابيع فيما هي تعتزم مغادرة الشركة ؟."

"لأنها تريد ذلك ، ولأن كين مجرد وغد ، ولأنها بالأمس فيما كانت تمشي بجانب إحدى الحدائق شاهدت قوس قزح عليه قطرات مطر ، ولأن ماريا توجّب عليها أن تعمل في الأمسيات وفي العطلات الأسبوعية بسببك ، ولم تتح لها الفرصة للحصول على يوم إجازة أثناء عملها هنا .إن الهدف مما أقوله هو أنه لا يهم السبب ، فهي تريد ذلك وانتهى الأمر."

"إن الموظفين لدينا الذين لم يمضِ على توظيفهم سوى عام واحد لا يحق لهم الحصول على إجازة تتعدى الأسبوع الواحد."

"إذاً ، قم باستثناء هنا .وهي إجازة مدفوعة الراتب كما أؤكد لك ، وهذا المبلغ سيضاف إلى شيكها النهائي."

أوشك كين أن يتفوه بشيء ما ، ولكنّ بارني رفع يده ليمنعه ، ثم قال: "وهل هناك شيء آخر ؟."

"نعم .فبالنسبة إلى ضرورة تقديم إنذار بترك العمل قبل أسبوعين ، هذا ملغيّ .فاليوم آخر يوم لماريا هنا ، وهي لن تعود ، وستتقاضى أجراً عن الأسبوعين على حد سواء."

بدا بارني وكأنه قد تناول طعاماً فاسداً وسأل" :أهذا كل شيء؟ راتب شهرين."!

"ليس بالضبط .فبالنسبة إلى معاناتها النفسية ، إنها بحاجة إلى علاوة. لنقل إنها راتب ثلاثة أشهر يضاف إلى الشهرين السابقين."

عندها ، التزم بارني الهدوء ، وأخيراً سأل" :وما المقابل ؟."

"سيتوجّب علي التحدث إليها ، ولكنني واثقة تقريباً من أنك لن تسمع أي شيء منها حول سلوك كين المشين .ولن تكون هناك أي تقارير أو دعاوى قضائية ، وسننتهي من الأمر ويذهب كل منا في حال سبيله."

ظل بارني صامتاً وهو على الأرجح يفكر في مدى جدية ماريا حيال الموضوع برمته .ومع ذلك ، أدركت جيل بالضبط ما راح يفكّر فيه.

"إنها لا تدعي شيئاً يا بارني .فأنت تعرف كيف هو كين ، وتعرف ما فعله بالأخريات ، وتعرف أنه تحرش بماريا .والأهم من ذلك ، أنت تدرك تماماً أننا لا نتحدث عن مبلغ طائل من المال .فهي بشكل جوهري تقدّم لك هدية ؛ لأنها بقدر ما تحتقر كين فهي تكنّ لك الكثير من الاحترام."

"وماذا عن الشهادة ؟."

فحذّرته جيل" :إياك أن تأتي على ذكرها ، فماريا لن تكذب .ومع ذلك ، لن توقّع على شهادة خطية تُصرّح فيها بما حدث فعلاً .وهكذا ، سوف يصبح كل شيء طي النسيان."

"وماذا إن أُجبِرت على القسم من قبل المدعيات الأخريات ؟."

"عندئذ ، ستكون في كوكب المشتري .لذا ، لا داعي للقلق بهذا الشأن."

"أرجو المعذرة ؟."!

فابتسمت وقالت" :آه ، آسفة .أظن أنني ذهبت إلى عالم الخرافات والأساطير."

"الأساطير."!

"إننا كلينا نعرف حق المعرفة أنها لن تجبر على الشهادة وحلف القسم لأنك لن تسمح بوصول الأمور إلى هذا الحد، بل سينتهي بك المطاف وأنت تقوم بتسوية القضية .وسيتوجّب عليك ذلك وإلا كلّفك الأمر ثروة طائلة؛ حتى لو ربحتها."

ألقى بارني نظرة خاطفة على كين، ثم عاود النظر إلى جيل وقال" :هل تسمحين لي بأن أعرف ما هي مطالبك؟ بما أنك ستغادرين الشركة على حد سواء؟."

فأجابت جيل قائلة" :إنه مطلب واحد .وبالمقابل، سأنهي الأسابيع القليلة القادمة هنا بالضبط كما كنت أنوي أن أفعل؛ أي سأعمل مع الشركاء لأحرص على عدم ملاحظة الزبائن أي انتقال .وبعد ذلك، سأنتقل."

"وما هو هذا الطلب؟."

"أود منك أن تقيم لي حفل وداع صغيراً هنا في المكتب .لا أريد شيئاً فخماً، بل مجرد كعكة أثناء استراحة الغداء أو ما شابه ذلك، ولكنني أود أن أحظى بالفرصة لتوديع الجميع دفعة واحدة .فنحن جميعاً نعرف أنه من الأفضل أن نبقي مغادرتنا سرية قدر المستطاع .ولكن، يجب أن يعرف الشركاء الآخرون باستقالتي، غير أنني لا أريد أن أفتعل فراراً جماعياً يهرع فيه الموظفون الآخرون إلى مغادرة الشركة .فصدّق أو لا تصدّق، إنني آمل أن تتمكن من تسوية القضية، ومن رميها وراء ظهرك بأكبر قدر من السرعة والهدوء؛ لأن هناك الكثير من الناس الطيبين هنا في هذه الشركة."

رغم أن بارني ربما كان سيقدر مشاعر جيل، إلا أن ماريا شاهدته وهو

يجفل فيما كان يضع يده على ذقنه ، وقال" :إن دفع راتب خمسة أشهر لماريا مرتفع بعض الشيء .وأنا واثق من أن الشركاء سيصدمون من ذلك .ولو قلنا ثلاثة أشهر ، لتمكنت على الأرجح من"...

"لا تسِء فهم ما قلته ، ولا تعتبر الأمر فرصة للتفاوض ؛ لأننا لا نُفاوض .فما قدّمناه هنا عرضٌ يأتي مرة واحدة .فإما أن تقبله أو ترفضه .وهو ينتهي في اللحظة التي أخرج فيها مع ماريا من الغرفة لتبدأ بمعاملات التقدم للشكوى .بصراحة ، إنها تطلب أقل بكثير مما سيتوجب عليك إنفاقه على الأخريات .إذاً ، في الوقت الحاضر ، ينبغي لك أن تشكرها ، وليس أن تحاول تخفيض المبلغ."

أخذ بارني وقته قبل أن يجيب قائلاً" :رغم ذلك ، يتوجّب علي التحدث إلى الشركاء الآخرين .إذ لا يمكنني اتخاذ قرار من هذا النوع بمفردي."

"بالطبع يمكنك ذلك .وكلانا نعلم أن الشركاء سيحذون حذوك .لذا ، كف عن التلاعب .هل أنت موافق أم لا؟."

* * *

صاحت ماريا قائلة" :راتب خمسة أشهر ."!وكانتا واقفتين في موقف السيارات قرب سيارة ماريا .فقبل بضع دقائق ، وضعت ماريا بعض الأغراض الشخصية التي كانت تحتفظ بها في المكتب -وهي بشكل رئيس عبارة عن صور لعائلتها ، وبضع صور التقطتها أثناء ركوبها على لوح التزلج -في صندوق صغير حملته إلى الخارج ، ثم وضعته في صندوق السيارة .وبناء على طلب بارني ، لم تودّع أحداً في المكتب .ولم يبدُ على أحد أنه لاحظ أي شيء غير طبيعي في ما يتعلق بمغادرتها .وكانت جيل بانتظارها.

ابتسمت جيل وقالت" :هذا جيد جداً ، أليس كذلك ؟."

في حقيقة الأمر ، كادت تطير من الفرح .فلا مزيد من مضايقات كين ، ولا مزيد من العطلات الأسبوعية التي تحاول فيها تلبية متطلبات بارني .وهناك راتب خمسة أشهر سيدخل مباشرة في حساب ادخارها الشخصي .لم تحصل طيلة حياتها على شيء قريب من هذا .وما حدث لها بدا أشبه بربح بطاقة يانصيب من حيث لا تدري .وقالت" :ما زلت في حالة صدمة."

"كان بوسعي على الأرجح أن أحصل لك على المزيد."

"ذلك أكثر من كافٍ .حتى إنني أشعر بتأنيب الضمير لحصولي على هذا المبلغ."

"لا تلومي نفسك .فقد تعرضت للتحرش الجنسي ؛ سواء أصدقت هذا أم لا. ربما لا يكون الأمر واضحاً كما حدث مع الأخريات ، ولكنه حدث .وأنت تستحقين هذا التعويض .وصدقيني عندما أقول لك إن بارني في الوقت الحاضر يتنفس الصعداء بكل راحة ، وإلا ما كنّا لنقف هنا الآن ونحن نقيم هذا الاحتفال الصغير."

"شكراً جزيلاً لك."

"ليس هناك الكثير لتشكريني عليه .فلو أن الوضع معكوس ، لفعلت الشيء نفسه من أجلي."

"إنني لا أضاهي براعتك .فقد هاجمت بارني وانتصرت عليه."

فابتسمت جيل ابتسامة خبيثة وقالت" :هل تريدين أن أخبرك شيئاً

جنونياً ؟."

"وما هو ذلك ؟."

"إن ليزلي أكثر براعة مني بكثير."

جعلت الفكرة رأس ماريا يدور ، فقالت" :شكراً لك مجدداً لأنك منحتني هذه الفرصة."

"على الرحب والسعة .ولكنني أعرف بالضبط ما أحصل عليه."

أشارت ماريا إلى المبنى وقالت" :من الغريب أن أفكر في أنني لن أعود إلى العمل هنا غداً .والمرجح أنني لن أدخل عبر هذا الباب مجدداً .لقد حدث الأمر ...بسرعة."

"هذا ما يحدث عند الإفلاس ، أليس كذلك ؟ فهو يحدث ببطء شديد ، ثم يباغت المرء بشكل مفاجئ ؟."

فأومأت ماريا برأسها وقالت" :أظن ذلك .وعلى الرغم من كرهي لما يحاول بارني فعله في الوقت الحاضر ، إلا أنني ما زلت آمل أن يكون على ما يرام."

"إن بارني من نوع المحامين الذين لا يجب عليك القلق بشأنهم إطلاقاً ؛ فهو سيكون بخير مهما حدث .وبيني وبينك ، لن يفاجئني أن يترك الشركة هو أيضاً."

"ولماذا سيغادرها ؟."!

"لأنه يستطيع ذلك .هل كنت ستودين الاستمرار في العمل مع شخص مثل كين لو كنت مكانه ؟."

لم تجب ماريا على كلامها .ولكن مجدداً لم يتوجّب عليها ذلك ؛ فقد كانت جيل محقة .وبينما ظلت ماريا تحاول استيعاب مجريات يومها ، وجدت نفسها فجأة تفكر في أمر ليستر مانينغ ، والأشياء التي أخبرها إياها مارغوليس ، ثم شبكت ذراعيها وسألت جيل" :ما الذي كنت ستفعلينه لو أنك مكاني ؟ أقصد بخصوص ليستر ؟."

"لا أظن أنك حتى الآن تعرفين ما يكفي من المعلومات ليكون بإمكانك التوصل إلى أي استنتاجات .أعرف أن هذا على الأرجح لا يشكل أية مساعدة بالنسبة إليك ، ولكن"...

وأمسكت عن الكلام .غير أن ماريا لم تلمها على حيرتها ؛ فقطع الأحجية لم تصبح متطابقة بعد ؛ حتى بالنسبة إليها.

* * *

قادت ماريا سيارتها عبر الشوارع المزدحمة متّجهة إلى مركز تسوق مايفير. وفيما كانت تقود ، حاولت أن تستوعب فكرة أنها لن تتوجه إلى العمل في اليوم التالي أو حتى يوم الاثنين .والمرة الأخيرة التي حدث فيها هذا كانت بعد أن تركت عملها في تشارلوت...

هزّت رأسها محاولة إبعاد تلك الفكرة عن ذهنها ؛ فقد أدركت إلى أين ستؤدي بها بالضبط .وكان آخر شيء تريده في الوقت الحالي هو التفكير في ليستر مانينغ أو صديق كاسي أو أي شيء قاله لها مارغوليس ؛ لأن كل ذلك التفكير لن يؤدي إلى أية نتيجة مفيدة ، وكل ما ستحصل عليه من جرّاء ذلك هو الحيرة والارتباك.

تعجّبت في سرّها وهي تفكر في أنها تخلصت أخيراً من إزعاجات كين ، ومن العطلات الأسبوعية التي لطالما أفسدها لها بارني ، كما لم تعد مضطرة إلى التفكير في جبهة العمل الموحدة .وخامرها شك في أن الأمور قد تصبح حتى أفضل من ذلك .وشعرت أن هذا الأمر يستحق احتفالاً ، أو ربما بعض الإنفاق المبذر .وخطر ببالها أن تستبدل سيارتها بسيارة رياضية أكثر ، ما لم تكن شبيهة بسيارة كين .ولكن حالما دخلت تلك الفكرة رأسها ، أدركت أنها مجرد حلم وخيال .فقد كانت مقتصدة للغاية في إنفاقها ، ولم تكن لديها النية لمحاولة الشرح لوالدها عن سبب شرائها سيارة بدلاً من سداد قسط من ديون دراستها التي لا تزال مدينة بها إلى كلية الحقوق ، أو فتح حساب استثماري باسمها ، أو مجرد ادخار المال لأنها قد تحتاج على الأرجح إلى شراء حصة في الشركة الجديدة بعد بضع سنوات.

وفي غمرة أحداث ذلك اليوم ، تاهت عن ذهنها فكرة أنها تستطيع بالفعل أن تصبح شريكة في شركة محاماة يوماً ما وهي لا تزال في مطلع العقد الثالث من عمرها .من الذي كان سيتوقع ذلك ؟!

وبحلول الوقت الذي وصلت فيه إلى مايفير ، كان الظلام قد بدأ يخيم ، فأرسلت رسالة نصية إلى سيرينا تخبرها فيها أنها ستصل إلى البيت قبل السابعة مساء ببضع دقائق ، ولكنها طلبت ألا يؤجّلوا وجبة العشاء من أجلها.

وبعد ثوانٍ ، سمعت نغمة الرسائل ؛ إذ ردّت سيرينا على رسالتها بالقول: سأصل متأخرة أنا أيضاً .فأنا أكره أن تفوّتي أي جزء من المحادثة الذكية.

عندها ، ابتسمت ماريا ، وأرسلت رسالة نصية إلى والديها لتعلمهما بموعد

وصولها ، ثم توجّهت إلى محل لبيع الأدوات المنزلية .لطالما سبّب لها التفكير في شراء شيء مميز لأمها تحدياً صعباً .فكارمن كانت دائمة القلق حيال المال الذي ينفقه أحد عليها ، ولا سيما ابنتيها .ولكن ، بما أن شراء السيارة الجديدة أمر غير وارد على الإطلاق ، فكّرت ماريا في إنفاق مبلغ محترم لشراء بعض القدور والمقالي الجديدة .فعلى الرغم من عملها في المطعم وحبها للطبخ ، لم تفكر أمها قط في شراء أدوات طبخ جديدة .أما الأواني الحالية التي تملكها ، فقد اشترتها أثناء فترة دراسة ماريا في المدرسة الابتدائية ، أو ربما كانت أقدم من ذلك.

انتهت جولة التسوق بإنفاق باذخ أكثر مما خططت له بكثير .فأدوات الطبخ عالية الجودة باتت باهظة الثمن ، ولكنّ إحساساً رائعاً سيطر على ماريا بفضل ذلك .فوالداها قد أنفقا في الماضي الكثير من المال على تعليمها الخاص ، وعلى شراء سيارة مستعملة لها وهي في السادسة عشرة من عمرها ظلت تستعملها إلى أن حصلت على السيارة التي تملكها الآن ، وعلى أربع سنوات دراسية في الكلية ، ونصف تكاليف دراستها في كلية الحقوق. وبالمقابل ، لم تفعل هي لهما شيئاً من هذا القبيل من قبل .وأيقنت أن أمها ستقلق من ثمن الأدوات الباهظ ، فيما سيلتزم والدها الصمت .ولكنها كانت تستحقها.

وضعت الهدايا في صندوق السيارة بجانب صندوق أغراضها الشخصية من المكتب .ولحسن الحظ ، بحلول ذلك الوقت كان ازدحام السيارات قد بدأ يقلّ .وقبل أن تدير محرّك السيارة ، أرسلت رسالة نصية إلى سيرينا تخبرها فيها أنها ستصل في غضون خمس عشرة دقيقة .وبعد ذلك ، أدركت أنها لم تتصل

بعد بكولين لتخبره بما حدث في المكتب .وشعرت أنها لا يمكنها أن تحتفل مع أي شخص أفضل منه .وفكرت في أنهما قد يلتقيان في وقت لاحق في شقتها أو شقته ...من كان يدري أن الحصول على تلك النقود سيكون أمراً مبهجاً وممتعاً إلى هذا الحد؟

ولأنّها تعرف أنه على الأرجح سيكون مشغولاً بالعمل الآن ، أرسلت له رسالة نصية ، وطلبت منه أن يتصل بها حالما تتسنى له الفرصة .فعلى الأرجح ، سيعمل حتى الساعة العاشرة أو الحادية عشرة ليلاً ، ما سيمنحها الوقت الكافي بعد مغادرة بيت والديها لتعود إلى شقتها وتشعل بعض الشموع وتحتسي كأساً من الشراب .وفكّرت في أنهما سيسهران حتى وقت متأخر .ولكن ، إن لم تكن لديه محاضرة في الصباح ، وإن لم يتوجب عليها الذهاب إلى العمل ، فإذاً هذا لا يهم.

وضعت الهاتف على مقعد الراكب ، وتوجّهت إلى بيت والديها .وبعد أن انعطفت متّجهة إلى الحي ، تساءلت عن عدد المرات التي انعطفت بها في حياتها عند هذه الزاوية بالذات .على الأرجح ، عشرات آلاف المرات .وهذا ما أدهشها ، بالضبط كما أدهشها الحي نفسه .فرغم أن الناس راحوا يسكنون البيوت المجاورة وينتقلون منها ، ظلت البيوت نفسها بشكل عام غير متأثرة بمرور الزمن .وجلبت كل زاوية معها ذكرى عن أكشاك بيع الليموناضة ، أو التزلج على العجلات ، أو الألعاب النارية في يوم الاستقلال ، أو طلب الحلوى في يوم التنكر ، أو المشي إلى البيت مع الأصدقاء .فجأة بدأ هاتفها يرن ، الأمر الذي أوقف تدفّق الصور في مخيلتها .وعندما ألقت نظرة خاطفة على الهاتف ، شاهدت اسم كولين وابتسمت.

قالت" :مرحباً ، لم أعرف أنه يُسمَح لك بإجراء مكالمات هاتفية أثناء العمل."!

"لا يُفترض بي ذلك ، ولكنني شاهدت رسالتك وطلبت من النادل الآخر أن يحلّ محلّي لبضع دقائق .هل أنت على ما يرام ؟."

فقالت" :نعم ، إنني بخير .كدت أصل إلى بيت والدي ووالدتي."

"ظننت أنكِ وصلت إلى هناك منذ بعض الوقت."

فقالت" :لقد توجّب علي التّوجّه إلى السوق أولاً لأشتري لأمي هدية ، وهذا ما استغرق مني وقتاً طويلاً .ولكنك لن تخمن أبداً ما حدث معي اليوم."

"هل اتصل بك مارغوليس مجدداً ؟."

"لا .إن الأمر يتعلق بالعمل ."وأخبرت كولين بما حدث وهي تقترب من بيت والديها ، ثم أضافت قائلة" :وهذا يعني أنني أصبحت ثرية نوعاً ما."

"يبدو الأمر كذلك."

"لقد اشتريت لأمي بعض أدوات الطهي المدهشة."

"أنا متأكد من أنها ستحبها كثيراً."

"حالما تتخلى عن الشعور بالذنب فستحبها .ولكنّ السبب الذي جعلني أتصل بك هو أنني أحب أن تأتي الليلة لتسهر معي في شقتي."

"ألم نتّفق من قبل على أنني سآتي إليك ؟ وأنني سأتصل بك حالما أنتهي من مناوبتي ؟."

"بلى .ولكننا عندما قررنا ذلك ، لم أكن في مزاج يسمح لي بالاحتفال. والآن ، أريد أن أحتفل ، لذا أردت أن أحذرك مسبقاً."

"ممّ تريدين أن تحذريني ؟."

"حسناً ، الآن بما أنني أصبحت ثرية نوعاً ما ، فقد أطلب منك تنفيذ بعض الطلبات الهامة هذه الأمسية .ويجب أن تنفّذ كل ما أريده بحذافيره .هل أنت موافق ؟."

فضحك ، وأدركت أن الاقتراح قد أعجبه ، ثم قال" :حسناً."

نظرت أمامها ووجدت سيارة سيرينا مركونة أمام بيت والديها .وعلى كلا جانبي الشارع ، كانت الأرصفة مهجورة تماماً .وفي كامل المربع السكني ، بدت البيوت مضاءة من الداخل بالمصابيح والضوء الصادر عن شاشات التلفزة ، بينما يسترخي أفراد العائلات في آخر يومهم الطويل .قالت ماريا" :أياً يكن ما تفعله ، فلا تجعل الترقب لما سيحدث الليلة يلهيك عن التركيز على العمل .فأنا أكره أن تتعرض إلى المتاعب مع رئيسك."

"سأبذل ما بوسعي."

ركنت سيارتها خلف سيارة سيرينا وأطفأت المحرك ، ثم قالت" :وهناك شيء آخر .أتتذكر ما قلته لمارغوليس عندما سألني عن سبب استمراري في مصادقتك ؟."

"نعم."

وترجلت من السيارة وتوجهت نحو الصندوق وهي تتابع" :أردت فقط أن

تعرف أنني أعني كل كلمة قلتها له."

فضحك مجدداً وقال" :حسناً."

فتحت الصندوق وقالت" :لسوء الحظ ، سيتوجب عليّ إنهاء هذه المكالمة لأنني مضطرة إلى استعمال كلتا يدي لنقل كل شيء إلى الداخل."

"فهمت .على أية حال ، يتوجب عليّ العودة إلى العمل."

"آه ، قبل أن تذهب"...

وفيما كانت تنظر إلى الصندوق ، لمحت بطرف عينها حركة مريبة ما. وحين التفتت ، شاهدت رجلاً يجتاز الشارع بسرعة قادماً باتجاهها .مرّ جزء بسيط من الثانية لم تكن خلاله واثقة من ردة فعلها .فقد كان هذا مكاناً آمناً في حي لم تسمع فيه على الإطلاق عن سرقة أو خلاف منزلي خرج عن السيطرة ، ولم تشعر فيه بالخوف طيلة حياتها .فقد كانت على بعد أمتار قليلة من باب بيت والديها الأمامي ، في شارع شديد الأمان لدرجة أنها اعتادت أن تخيّم في الباحة الخلفية في ليالي الصيف الدافئة .ورغم ذلك ، إن مشية ذلك الغريب جعلت الشعر في مؤخر عنقها ينتصب فجأة ؛ لأنها أدركت بشكل فطري أن الرجل أياً تكن هويته لا ينتمي إلى هذا المكان.

جعل الظلام الدامس تمييزها شكله بشكل واضح أمراً مستحيلاً .ولكن في تلك اللحظة ، أضيء وجه الرجل المظلم بانعكاس الأضواء الصادرة من غرفة المعيشة في بيت والدها ، فلمحت لمعاناً معدنياً في يده وشكل مسدس ، واستولى عليها الخوف ولم تعد تقوى على الحراك أو تستطيع التنفس .وبالكاد استطاعت سماع كولين وهو يناديها باسمها عبر الهاتف بشكل خافت.

كرر كولين اسمها للمرة الثانية والثالثة ، وكان قلقه المتصاعد كافياً لإعادتها إلى وعيها أخيراً.

وأخيراً همست" :إنه هنا."

سألها كولين قائلاً" :من هناك ؟ ما الذي يجري ؟."

قالت" :إنه يشهر مسدساً."

"من الذي يشهر مسدساً ؟."

فقالت" :ليستر مانينغ .إنه هنا قرب البيت."

الفصل الثالث والعشرون

كولين

إن صدمته لدى سماعه ماريا تذكر اسم ليستر مانينغ جعلت الأدرينالين يتدفق في دمه فجأة ، ويسري في أوصال جسده ، ويفتعل رد فعل عنيفاً حثّه على التحرك بسرعة .وبالكاد استطاع كولين سماع ليستر وهو يصيح بشيء ما ثم انقطعت المكالمة.

ليستر.

وفي لمح البصر ، انطلق كولين مندفعاً من الغرفة الخلفية ، وهرع مروراً بالزبائن ، وراح يركض بشكل متعرج بين الطاولات والزبائن فيما ظلّ يضغط على زر إعادة الاتصال.

توجّه الهاتف مباشرة نحو البريد الصوتي.

إعادة الاتصال.

البريد الصوتي مجدداً.

ماريا في ورطة.

ومن خلفه ، سمع صوت النادل يناديه ، فيما النادلات ينظرن إليه بارتباك .غير أن كولين اندفع باهتياج وهو لا يلوي على شيء ، وخرج من المدخل بينما كان المدير يسأله عن المكان الذي يذهب إليه.

ليستر يشهر مسدساً.

أسرع كولين منعطفاً حول زاوية المبنى وقدماه تنزلقان على الرصيف المكسو برمل ناعم .وعندما استعاد السيطرة على سرعته ، راح يهرول صعوداً في الشارع وهو يفكر في أقصر طريق يؤدي إلى منزل والدَي ماريا.

وتمنى من قلبه أن يجد الطرقات خالية.

وأن تعمل سيارته في الحال.

أرجو أن تعمل بسرعة.

وقرر أن يتصل بالشرطة من السيارة.

انحرف حول زوجين مسنين ، وانطلق نحو الشارع كالصاروخ وسيارته في مرمى بصره.

وظلت اللحظات الثمينة تمر.

ربما وضعها ليستر في السيارة ، وانطلق بها كما فعل جيرالد لوز بكاسي.

كان اجتياز الطريق إلى بيت والديها يستغرق عشرين دقيقة.

ولكنه فكّر في أنه بوسعه أن يجعلها عشر دقائق أو أقل.

ربما ستكون ماريا قد اختفت قبل وصوله...

وعندما وصل إلى السيارة ، قفز إلى الداخل ، وأقحم المفتاح في المشغل وهو حريص على ألا يُغرق المحرك بالوقود فيما كان يدير المفتاح بقوة .دار محرّك سيارة الكامارو في الحال ، فابتعد كولين عن الرصيف وعيناه مثبتتان على السيارات أمامه.

حاول أن يسد الفجوة بين سيارته والسيارات التي تتقدمه .وألقى نظرات خاطفة على هاتفه .ورغم شدة انفعاله ، حاول أن يتصل برقم الطوارئ بإحدى يديه ، وسمع صوت عامل الرد على الهاتف وهو يسأله عن طبيعة الحالة الطارئة.

فقال له إن هناك رجلاً يُشهِر مسدساً في وجه امرأة تدعى ماريا سانشيز مهدداً إياها ؛ رجل يدعى ليستر مانينغ كان يطاردها منذ بعض الوقت ، وإنه قد باغتها الآن في بيت والديها.

لم يستطع أن يتذكر العنوان بسبب توتره ، ولكنه أخبر العامل باسمَي والدَي ماريا ، بالإضافة إلى اسم الشارع والشارع المقابل له .وعرّف عن نفسه وقال إنه في طريقه إلى هناك .وعندما ألحّ عليه العامل لكي يدع رجال الشرطة يتولون الأمر من دون أي تدخّل من قِبَله ، أنهى المكالمة.

وبعد ذلك ، أسرع بالسيارة على طول الطريق ، فيما مقدمتها تكاد تلامس مؤخر السيارة التي تتقدمه .وعندما وجد المسار المجاور مسدوداً بسيارة سوداء من طراز رانج روفر تسير على طول الشارع متقيدة بحدود السرعة ، عبرَ المسار الآخر واقترب من مجموعة من السيارات قبل أن يعود إلى الطريق ، وضغط على دواسة الوقود بقوة .وفي غضون ثوانٍ ، وصل إلى شاحنة صغيرة وشاحنة مقفلة تقودان جنباً إلى جنب ، فتجاوزهما في المسار الثاني مرة أخرى ، وهذه المرة من دون أن يخفف من سرعته إلا قليلاً.

وعندما وصل إلى المنعطف عند الجسر ، أدار عجلة القيادة بقوة ، فصدر عن العجلات صوت عالٍ.

وفيما كان يسرع متخطياً المزيد من السيارات على المسار الجانبي ،

تمكّن أخيراً من الوصول إلى امتداد طويل من الطريق لا تزدحم فيه السيارات كثيراً ، فزاد من سرعة السيارة حتى بلغت السرعة القصوى ، فيما الأدرينالين يزيد من حدة حواسه وهو خلف المقود ، وجسده يتجاوب مع حركة السيارة بتزامن مثالي.

وصل إلى سرعة ثمانين ثم تسعين ثم مئة ميل في الساعة .وشاهد إشارة ضوئية حمراء أمامه وأضواء الفرامل تومض بينما السيارات تبطء من سرعتها. ونظراً إلى عدم رغبته في تخفيف سرعته ، انعطف نحو مسار مخصص للدراجات.

اندفع من خلال فتحة عند التقاطع ثم واصل التقدم وهو يقود بشكل متعرج بين السيارات ، ويستخدم مسار الدراجات عندما تقتضي الضرورة .وعندما انعطف حول أحد المنعطفات ، وجد نفسه يسرع باتجاه صف طويل من السيارات .ومن دون وجود أي مكان يذهب منه ، عبر داخل موقف سيارات محطة للوقود بسرعة تصل إلى ثلاثين ميلاً في الساعة ، وجعل الناس يقفزون من أماكنهم ليفسحوا له الطريق.

لقد كان رجال الشرطة في طريقهم إلى هناك ...ولكنهم قد لا يصلون في الوقت المناسب.

وراحت الأفكار تتسارع في ذهنه وهو يتساءل عمّا إذا كان ليستر قد أجبر ماريا على ركوب السيارة أم ليس بعد .إلى أين قد يأخذها...

هل أطلق الرصاص عليها ؟

منعطف آخر ، هذه المرة إلى اليسار .وللمرة الأولى ، وجد نفسه مجبراً على إيقاف السيارة بالكامل عند تقاطع شديد الازدحام .فراح يضرب على المقود ، ثم

حبس أنفاسه وهو يقحم سيارته عبر عدة مسارات .وضغط سائق آخر على مكابح سيارته على بعد سنتمترات قليلة من سيارة كولين متجنباً الاصطدام به بأعجوبة.

وفيما هو يسرع بالسيارة على طول حي سكني بسرعة ستين ميلاً في الساعة ، راحت عيناه تتفحصان الطريق بحثاً عن الأطفال أو المارة الآخرين أو الحيوانات الأليفة ، والبيوت تمر به بلمح البصر.

اجتاز منعطفاً آخر ، فراحت الإطارات تصرخ مجدداً ، فيما مؤخر السيارة يتأرجح إلى اليسار ثم إلى اليمين بينما كابد كولين للسيطرة عليها .وفي هذا المربع السكني ، وجد الكثير من السيارات مركونة على كلا جانبي الشارع ، ما جعل الرؤية محدودة .لذا ، اضطر كولين إلى التخفيف من سرعة السيارة كارهاً. أمامه على مسافة قصيرة ، تمكن من رؤية زوجين يجرّان عربة أطفال على الرصيف ، وطفلاً يلعب الغميضة مع أبيه على الجانب المقابل من الشارع ، ورجلاً يأخذ كلبه في نزهة وهو يمسك به من رسنه الطويل...

اجتاز منعطفاً آخر ، وسلك شارعاً فارغاً تمكّن فيه من الرؤية بوضوح ، فزاد من سرعة السيارة مجدداً .وأخيراً ، استطاع أن يميز الحي الذي يقطن فيه آل سانشيز.

استغرقت منه الرحلة تسع دقائق.

بدأ ينعطف حول الزاوية الأخيرة بأقصى سرعة ، وكاد يصطدم بسيارة زرقاء من طراز كامري وهي تنطلق بسرعة في منتصف الطريق .عندها ، تنحى كولين بشكل تلقائي إلى اليمين كما فعل مع السيارة الأخرى ، فتأرجحت سيارته الكامارو وراحت إطاراتها تصرخ .وعندما مرت السيارتان من أمام بعضهما بفارق

سنتمترات قليلة ، بالكاد استطاع كولين أن يلمح الرجلين الجالسين على المقعد الأمامي ، واللذين كانت تعابير وجهيهما تدل على الفزع .غير أنه قبض على المقود بقوة ، وحاول استعادة السيطرة على السيارة بصعوبة شديدة.

كاد يصل ، وشاهد شارع آل سانشيز أمامه تماماً .لم يتبقَّ أمامه إلا منعطف واحد ، لذا لم يضغط على المكابح إلى أن كاد يصل إلى هناك.

كان الخوف يسيطر عليه الآن.

فراح يدعو الله متضرّعاً ألا يكون قد وصل بعد فوات الأوان.

استدار عند المنعطف ، وسمع صوت صفارة إنذار من خلفه .وعبر مرآة الرؤية الخلفية ، شاهد الأضواء الوامضة في أعلى سيارة الشرطة وهي تنعطف حول المنعطف نفسه الذي انعطف حوله للتو .فخفف كولين من سرعة سيارته قليلاً فقط ، ولكن سيارة الشرطة راحت تقترب منه مسرعة ، وسمع كولين صيحة صادرة عبر مكبر الصوت.

"توقف جانباً."!

غير أن كولين فكّر في سرّه :لا فرصة لحصول ذلك مهما حدث لي.

الفصل الرابع والعشرون

ماريا

لم تقوَ ماريا على إبعاد نظرها عن المسدس ...أو عن الشخص الذي يشهر المسدس.

ليستر مانينغ.

لقد أخطأ مارغوليس التقدير ؛ فليستر لم يكن في المستشفى.

ها هو ينتظرها هنا .وجعلتها هذه المعرفة تصبح مشلولة في مكانها. شاهدته وهو ينتزع الهاتف من يدها ، وتغيّرت تعابير وجهه إلى تعبير بالكاد استطاعت تمييزه.

صاح بصوت جعلها تقفز" :لا اتصالات ."!وكانت نبرة صوته نشاز ومنفعلة: "ولا شرطة."!

وفيما كان يتراجع إلى الوراء ، ازدادت حواسها حدة ، وبدأت تلاحظ كل شيء :الشعر المشعث ، والسترة الصوفية الرثة ، والقميص الأحمر الباهت ، وبنطال الجينز الممزق ، وبؤبؤَي عينيه الداكنين ، وصعود صدره وهبوطه بسرعة .وتسارعت الكلمات في ذهنها :المرض الضلالي ، المرحلة الحادة .إنه يعاني من المضللات الاضطهادية.

والمسدس .لقد كان يحمل مسدساً.

كان والدها ووالدتها في الداخل وكذلك سيرينا ، فشعرت بأن كل عائلتها

في خطر .كما كان المكان مظلماً ، ولم يكن أحد من الحي في الخارج...

فكرت في أنه ينبغي لها أن تركض بأقصى سرعتها عندما يقترب منها ، أو أن تهرول نحو الباب الأمامي وتغلقه خلفها ، ولكنها وقفت هناك كما لو أن ساقيها تنتميان إلى شخص آخر.

همس لها بصوت كالفحيح" :إنني أعرف ما فعلته."!

خرجت الكلمات من فمه بسرعة ، وبدت غير مفهومة تقريباً .وفيما هو مستمر بالتراجع ، شاهدت الهاتف يضيء وسمعته يرن .كولين !فأجفل ليستر ، وراح يحدق إلى الهاتف في يده ، ثم أنهى المكالمة بضغطة على الزر .شاهدت الهاتف وهو يضيء ويرن مجدداً ، فعبس ليستر وهو ينهي المكالمة الثانية ، وتكلم مع الهاتف كما لو أنه كائن حي .وصاح قائلاً" :قلت لا مكالمات !الا شرطة ."!ثم تمتم قائلاً" :فكّري بشكل صحيح .إن هذا غير حقيقي ."وراحت يداه ترتجفان وهو يسكت الهاتف ويقحمه في جيب سترته" .إنهم غير قادمين."!

راحت تتضرع في سرها راجية أن يكون كولين قد اتصل بالشرطة .ستصل الشرطة إلى هنا قريباً .سأتحمل إلى أن يصلوا .لن أتحول إلى ضحية أخرى مثل كاسي .إن تجرأ على لمسي ، فسأصرخ بأعلى صوتي وأقاوم كالمجانين.

ولكن...

لقد قال مارغوليس إن ليستر يستطيع أن يؤدّي وظائفه بشكل طبيعي في بعض الأحيان .فقد تمكن من العمل في وظيفة بنصف دوام .وعندما قابلته في الماضي ...بدا غريباً ، ولكنه لم يبدُ مريضاً نفسياً ؛ رغم أنها لاحظت حينها أنه يكابد بشكل واضح .ربما كان بوسعها التحدث إليه ...ولكن توجّب عليها أن

تلزم الهدوء.

بدأت بالكلام قائلة" :مرحباً ليستر ."وحاولت أن تُبقي صوتها ثابتاً ولطيفاً.

فلمعت عيناه ، وبدا بؤبؤاه الكبيران.

كلا ، إنهما ليسا كبيرين بل متوسّعين .هل يتعاطى المخدرات ؟

"مرحباً ليستر !أهذا كل ما لديك لتقوليه!؟."

"أريدك أن تعرف أنني آسفة لما حدث لكاسي"...

فقال بصوت عالٍ" :كلا ، كلا ، كلا .لا تذكري اسمها .فقد ماتت بسببك أنت."!

وعلى الفور ، رفعت يديها بشكل فطري متوقعة منه أن يهاجمها ، ولكنّ ليستر بدلاً من ذلك تراجع خطوة أخرى إلى الوراء .وفيما كانت تنتظر منه الاستمرار ، أدركت أن صوته بدا موحياً ليس بالغضب بل ...بالخوف ؟

أو بجنون الشك .وآخر شيء يجب عليّ فعله هو إثارته.

أطرقت بعينيها وضربات قلبها تتسارع بعنف ، واستطاعت سماع صوت أنفاسه .وطالت مدة الصمت بينهما إلى أن سمعته يتنشق ويقول" :كلا ،"وإنما بصوت أكثر نعومة .واستطاعت سماع صوت أنفاسه وهي تتباطأ أخيراً .ثم تحدّث إليها مجدداً بصوت مرتجف ، ولكنه أكثر هدوءاً.

وقال وهو يومئ نحو البيت" :إنهم بأمان ؛ أعني أفراد عائلتك .فقد رأيتهم من النافذة ، وشاهدت أختك حين دخلت البيت .وما سيحدث الآن يعود إليك أنت."

أجفلت لدى سماعها كلماته ، ولكنها التزمت الصمت .وظلت أنفاسه تتباطأ تدريجياً بشكل بدا أشبه بجهد متعمد ، فيما لم تغب نظرته عنها قط.

"لقد أتيت للتحدث إليك .يجب عليك أن تسمعي ما أقوله .ستصغين إليّ هذه المرة ، ألن تفعلي ذلك يا ماريا ؟."

"بلى."

فشرح لها قائلاً" :إن الأطباء يصرّون على القول لي إن هذا غير حقيقي ، فأقول لنفسي إنه غير حقيقي .وعندئذ ، أتذكر الحقيقة ؛ عن كاسي وأمي والشرطة وما فعلوه بنا .أعرف أنك أنت التي بدأت ذلك .يقول لي الأطباء إن هذا غير حقيقي ، وإنني أفتعله ، ولكنني أعرف الحقيقة .لذا أخبريني ، لقد كنت تتحدثين عني ، أليس كذلك ؟."

وعندما لم تجب عن سؤاله ، لاحظت أن العضلات في عنقه قد بدأت تنقبض.

"لا تزعجي نفسك بالتفوه بالأكاذيب .تذكّري أنني أعرف الجواب مسبقاً."

فهمست قائلة" :نعم."

"لقد تحدّثت إلى الشرطة عني مجدداً ، أليس كذلك ؟."

فقالت مرة أخرى" :نعم."

"ولهذا السبب أتى المفتش صباح اليوم ، أليس كذلك ؟."

تساءلت في سرها عن مكان كولين والشرطة ؛ إذ لم تكن واثقة إلى متى تستطيع إبقاء ليستر هادئاً.

"نعم."

عندها ، أشاح بوجهه مجفلاً وقال" :عندما قابلناك للمرة الأولى ، أردت أن أصدقك عندما قلت إنك تبذلين ما بوسعك ، وإن كاسي ستكون بأمان ، ولكنني أدركت أن كاسي بالنسبة إليك ليست مهمة ، بل هي مجرد اسم ومجرد شخص بلا هوية .ولكنها لم تكن بلا هوية ، فقد كانت أختي ، وكان من واجبك أن تحميها ، ولكنك لم تفعلي ذلك .وعندئذ"...

أغمض عينيه بإحكام ، ثم تابع قائلاً" :لقد اعتادت كاسي أن تعتني ب.ي عندما تكون أمي مريضة وطريحة الفراش لا تقوى على النهوض منه ...واعتادت أن تُعدّ لي حساء الدجاج بالشعيرية .وكنا نشاهد التلفزيون معاً ، كما كانت تقرأ لي الكتب .هل تعرفين ذلك ؟ لم تكن بلا هوية ."ومسح أنفه بظاهر يده .وعندما تابع الكلام ، بدا صوته طفولياً تقريباً" :حاولنا أن نحذّرك مما قد يحدث ، ولكنك لم تصغي إلينا .وعندما ماتت كاسي ، لم تحتمل أمي العيش بعد ذلك ، فانتحرت بسببك .هل تعرفين ذلك ؟ قولي الحقيقة."

فاعترفت قائلة" :نعم."

"إنك تعرفين كل شيء عنا ، أليس كذلك يا ماريا ؟ أنت تعرفين كل شيء عني."

"نعم."

"وقد أرسلت الشرطة في أعقاب.ي بعد أن ماتت كاسي ، أليس كذلك ؟."

لأنك أرسلت لي تلك الرسائل ، وبدأت تهددني" .نعم."

"وماذا عن صديقك؟ إنه صديقك ، أليس كذلك؟ ذلك الشاب الضخم في النادي .لقد رأيت كم استشاط غضباً لأنني أرسلت لك كأساً من الشراب .أراد أن يؤذيني ، أليس كذلك؟."

"نعم."

"وفي صباح اليوم ، أرسلتِ الشرطة للبحث عني مجدداً ، أليس كذلك؟."

لأنك ثقبت إطارات سيارتي !لأنك كنت تتعقبني!

"نعم."

عندها ، وقف بشكل مستقيم أكثر وقال" :هذا هو ما قلته للأطباء ...كل هذا ، ولكنهم لم يصدّقوني بالطبع .لا أحد يصدقني أبداً .ولكنك على الأقل صادقة معي .كنت أعرف ، ولكنني الآن تأكدت ...وأستطيع أن أعرف الفرق في كامل جسدي .أنت تفهمين ما أعنيه ، أليس كذلك يا ماريا؟."

كلا" .نعم."

"إن هذا يسيطر على المرء ، أعني الخوف .مهما حاولت جهدك أن تقاوميه ، فهو يسيطر عليك ويسحق الحياة فيك ؛ كما يحدث الآن .فأنا أعرف أنك خائفة مني ، كما كانت كاسي خائفة بعد أن خذلتها ."ونظر إليها منتظراً منها التأكيد على كلامه.

"نعم."

شاهدته وهو ينقر بالمسدس على طرف ساقه ويقول" :هل تتخيلين كيف هو الشعور حين تفقدين أختك وأمك؟ وحين تشاهدين الناس من أمثالك

يطاردون أباك ثم يطاردونك أنت ؟ تماماً مثلما حصل معي."

"لا أستطيع أن أتخيل مدى فظاعة ذلك."

فصاح فجأة" :بالطبع لا تستطيعين ذلك ."وفي تلك اللحظة ، سمعت صوتاً خافتاً صادراً عن صفارة سيارة شرطة قادمة من بعيد.

فجأة ، أجفل ليستر وصار أكثر انتباهاً بعد أن ميّز صوت صفارات السيارات القادمة وهي تصبح أعلى شيئاً فشيئاً ، فأعاد تركيز انتباهه على ماريا.

قال لها بصوت متهدج" :قلت لك لا شرطة !قلت لا شرطة ."!وتراوح موقفه بين الغضب وعدم التصديق فيما تقدّم منها خطوة" .لن أعود إلى هناك! هل تسمعينني ؟ لن أعود إلى هناك."!

عندها ، تراجعت ماريا إلى الوراء رافعة يديها وقالت" :حسناً"...

غير أنه صاح وهو يتقدم خطوة نحوها متابعاً كلامه" :إنهم يصعقونني بالكهرباء !ويضعونني في قفص مع حيوانات توسعني ضرباً ، ولا يفعلون أي شيء لمنعها من إيذائي !كلهم يضحكون عليّ ؛ فأنا بالنسبة إليهم مجرد لعبة! أتظنين أنني لا أعرف من أمرهم بفعل ذلك ؟."

يا إلهي ...إنه يفقد توازنه تماماً.

ثم صاح وهو يهتز من شدة الغضب" :أنت التي فعلت ذلك."!

تراجعت ماريا إلى الوراء محاولة أن تحافظ على مسافة بينهما ، وظلت عيناها مركّزتين على المسدس ، ثم عادتا إلى ليستر مجدداً .كان يتقدّم نحوها فيما هي تتراجع إلى الوراء ، وهكذا كاد ظهرها يصل إلى باب المرأب.

"أنتِ التي اتصلت بالشرطة !إنك تعودين دائماً ، ولكنني هذه المرة لن أدعك تنجين بفعلتك."!

لا بد أن سيرينا قد سمعته الآن ، أو والدي .لا بد أن أحدهم سيفتح الباب الأمامي في أية لحظة الآن ، وحينها سيلتفت ليستر إليهم ويطلق النار...

ورغم حالتها المضطربة وأفكارها المتسارعة ، أدركت ماريا أن السيارة الأولى قد اقتربت الآن ، ثم سيارة شرطة أخرى أبعد منها ، وكانت كلتاهما تقتربان منهما في طريقهما إليها .في تلك اللحظة ، اصطكت أسنان ليستر ، وبدت عيناه كما لو أنهما تحترقان بألم الخيانة ، وبدأت إصبعه تتحرك على زناد المسدس .وعلى الفور ، خطرت في بالها فكرة لحظية وسيطرت عليها.

هيا ، هيا ، هيا!

استدارت حول السيارة ، وراحت تهرول متّجهة إلى البيت .وفيما كانت تعبر الباحة ، سمعت ليستر يناديها باسمها متفاجئاً ، كما سمعت تذمّره وهو ينطلق نحوها ويتجاوز السيارة.

هيّا!

عشر ياردات وربما خمس.

بدأ الباب الأمامي ينفتح ، وتسرّب الضوء إلى الشرفة .وكانت ماريا واثقة من أنها تسمع صوته وهو يطاردها الآن.

اركضي!

بذلت كل جهدها للتقدم باتجاه الضوء ، واستطاعت أن تشعر بليستر وهو

يمد يده إليها .وفي ما بدا أشبه بالحركة البطيئة ، شاهدت سيرينا وهي تخطو خارجة إلى الشرفة.

سيقتلنا كلتينا...

وقفت سيرينا وسط بركة من الضياء أمام الباب المفتوح من دون أن تدرك ما يجري ، وراحت تحدق إلى ماريا بارتباك وهي تسرع باتجاه الشرفة.

هل ما يُلامس قميصي من الخلف أصابعه ؟

أجبرت نفسها على التقدم بسرعة أكثر ، وراحت تهرول بكل ما تملك من قوة.

صاحت سيرينا قائلة" :ماريا."!

وفي وقت لاحق ، أدركت ماريا أن سيرينا قد صاحت باسمها .كادت تصل.

وعندئذ ، وصلت.

أمسكت بسيرينا ، ودفعت نفسها وأختها عبر الباب المفتوح ، ثم أغلقت الباب خلفهما بقوة.

صاحت سيرينا مرتبكة" :ما الذي تفعلينه ؟."!

غير أنّ ماريا ما إن أقفلت الباب حتى قبضت على معصم سيرينا وشدّتها بعنف صائحة" :ابتعدي عن الباب ، فهو يشهر مسدساً."!

تعثّرت سيرينا حين شدّتها ماريا من يدها ، وكادت تسقط على الأرض.

"من الذي يشهر مسدساً ؟."!

"ليستر."!

جرَّت ماريا سيرينا إلى المطبخ ، وشاهدت أمّها واقفة قرب الموقد مُجفلةً مما يحصل بشكل واضح ، ولكنّ أباها لم يكن موجوداً .لذا ، راحت ماريا تتلفت من جانب إلى آخر باحثة عن والدها.

آه ، يا إلهي!

أين والدي ؟

سألتها سيرينا من خلفها" :تمهّلي قليلاً ...ليستر !هل ليستر هنا ؟."

فصاحت ماريا" :إنه في الخارج ."!وانتقل نظرها فجأة إلى الباب الزجاجي الجرار ؛ على أمل أن تجد والدها على الشرفة ، وقالت" :ليستر مانينغ !الرجل الذي يطاردني."!

سيقتحم الباب في أية لحظة...

سيقتلني ثم يقتلهم ويقتل نفسه...

كما فعل جيرالد لوز بكاسي...

وحين لمحت والدها جالساً إلى طاولة الشرفة والكلب سموكي جالس على حضنه ، غمرها شعور بالراحة.

راحت سيرينا تثرثر ، فيما بدأت أمها تطرح الأسئلة أيضاً ، ولكنّ ماريا لم تستوعب أياً منها.

وصاحت قائلة" :التزما الصمت وحسب !كلتاكما ."!وفتحت الباب الجرار ، ثم همست لوالدها قائلة له وهي تشير إلى الداخل" :ادخل إلى هنا."! فاستجاب في الحال ، وقفز على قدميه بعد أن حمل الكلب تحت ذراعه.

التزمت سيرينا وأمها الصمت ، فيما راحت ماريا تصغي السمع بيقظة ، محاولة تمييز أي صوت اقتحام أو تكسّر زجاج أية نافذة.

صمت مطبق.

حدّقت إليها سيرينا والخوف مرتسم على وجهها ، وكل من والديهما يتأمّلانها فاغري الفم.

لا شيء.

ووسط الصمت ، لاحظت ماريا ارتفاع صوت صفارات سيارات الشرطة مجدداً .فقد باتت عالية الآن ؛ حيث يمكنها سماعها من خارج البيت.

وأخيراً ، قالت سيرينا" :لا أفهم ."!وبات صوتها مرتجفاً بسبب الدموع ، ثم تابعت" :أين كان ليستر يطاردك ؟."

فأجابت ماريا" :في الباحة .لقد رأيته بنفسك .كاد يقبض عليّ."

ولكنّ سيرينا لم تفعل أي شيء سوى أنها هزت رأسها بحيرة وهي تقول: "لقد رأيتكِ وأنت تركضين ، ولكن لم يكن هناك أحد يطاردك .كما رأيت شخصاً ما يجري إلى آخر الشارع"...

"كان يشهر مسدسه ويطاردني."

فأصرت سيرينا قائلة" :كلا ، لم يكن يفعل."

وقبل أن تصبح ماريا قادرة على استيعاب كلمات أختها، ملأ صوت صفارات سيارات الشرطة المكان، وتلوّنت الجدران بوميض الضوء الأحمر والأزرق.

عندها، فكرت ماريا في سرها في أن الشرطة قد وصلت أخيراً، وحمَدَت الله.

وفي تلك اللحظة بالذات، انفتح الباب بعنف، فصاحت ماريا.

الفصل الخامس والعشرون

كولين

بعد التفكير في كل ما جرى ، قرّر كولين أنه لا يندم على كل ما فعله. ورغم أن الأدرينالين استنزف كل طاقته وتركه يشعر بأنه منهك القوى ومرتجف ، إلا أنه كان من الصعب عليه أن يتجاهل حقيقة أنه منبطح على بطنه ، ويداه مقيّدتان خلف ظهره ، فيما يحرسه اثنان من الضباط اللذان راحا يحدقان إليه بغضب .وتوقّع كولين أنه على الأرجح سيُسجَن لوقت طويل.

ربما كان ينبغي له أن يتوقّف عندما أمره رجال الشرطة بذلك.

وربما ما كان ينبغي له أن يتوقف خلف سيارة الشرطة التي وصلت إلى منزل سانشيز قبله بينما أخذ ذانك الضابطان يقتربان من الباب .وربما ما كان ينبغي له أن يتجاهل ما أمراه به ، وكان يجدر به أن يوقف اندفاعه نحو الباب الأمامي ويدعهما ببساطة يتوليان الموقف بنفسيهما .فلو اتّخذ قرارات مختلفة ، لما أشهر الضابطان سلاحيهما في وجهه على الأرجح ، ولما واجه موقفاً يتساءل فيه عمّا إذا كانا سيطلقان عليه النار أم لا.

أما الجانب الإيجابي ، فهو أنه لم يلمس أحداً من رجال الشرطة بعد أن ركل الباب ليفتحه .ولكنّ أياً منهم لم يكن في مزاج يسمح له بالاستماع إليه عندما حاول إخبارهم عن البيت الشاغر والمتنزه والأماكن التي قد يختبئ فيها ليستر .فقد ألقوا القبض عليه بتهمة السرعة الزائدة والقيادة الرعناء وتجاهل الاتجاهات ، ورفضوا أن يسووا المسألة بمجرد كتابة بضع مخالفات مرورية لإنهاء

الأمر ، بل وضعوه رهن الاعتقال ، وهذا يعني أن صفقته ستصبح ملغاة.

فكّر في أن محاميه سيبذلون جهدهم للدفاع عنه بالطبع ، ولا شك في ذلك .ولكنّ المرجّح أكثر هو أن القاضي الأصلي سيتم إعلامه بذلك .وذلك القاضي -كما برهن حين أصدر قراره في المقام الأول -كان عادلاً وعقلانياً ، ولكنه أيضاً كان واضحاً تماماً حيال توقعاته ، والمحكمة ستعرف ذلك .وبالإضافة إلى ذلك ، إن مارغوليس سيجادل بلا شك للزج به في السجن بشكل دائم مع المجرمين الخطيرين والعنيفين.

السجن.

لم يخشَ كولين أن يتم حبسه .فكقاعدة عامة ، كان يبلي حسناً في الأماكن التي تحكمها القوانين والقواعد حتى من دون حرية .وقد تعلّم كيف يلتزم بنفسه ، ويهتم بشؤونه الخاصة ، وينظر إلى الجانب الآخر عندما تقتضي الضرورة ، ويُبقي فمه مغلقاً .فبعد فترة ، يتحول الأمر كله إلى مجرد روتين. وهكذا ، أيقن كولين أنه سينجو .وفي نهاية المطاف ، سيخرج ويبدأ مجدداً ، ولكن...

لن تنتظره ماريا ، ولن يتمكن من أن يصبح مدرّساً.

رفض التفكير في هذه الأمور .وأدرك أنه في حال وُضِع في الموقف نفسه مجدداً ، فسيكرر كل ما فعله من دون تردد .فمطارد ماريا قد ظهر ، وقد أشهر في وجهها مسدساً ، لذا توجّب عليه أن ينقذ حياتها .هكذا ببساطة وحسب .فكيف كان بإمكانه أن يعرف أن ليستر سيكون قد انصرف بحلول الوقت الذي سيصل فيه هو؟

فكّر كولين في أن رجال الشرطة لو أصغوا إليه لتمكنوا من إلقاء القبض على ليستر، ولكنّ الدقائق الثمينة مرت وهم يقيّدون يديه بالأصفاد، ويتلون عليه حقوقه .ولم يحدث إلا بعد أن هدأت أعصاب رجال الشرطة أن تمكنوا أخيراً من سماع قصة ماريا التي روتها بشكل مضطرب، ثم ما قاله فيلكس عن أنه لا ينوي توجيه أي تهمة إلى كولين بخصوص الباب وإطاره المكسورين. وراحت كل من سيرينا وكارمن تبكيان بلا توقف .وبعد فوات الأوان، شاهد أخيراً اثنين من رجال الشرطة الأربعة يغادران في إحدى السيارات للبحث عن ليستر .وبعد ذلك، ومما فاجأه، طلبت ماريا من رجلَي الشرطة الباقيين الاتصال بالمفتش مارغوليس؛ وذلك عندما قوبلت توسلاتها للإفراج عن كولين بالتجاهل الكامل.

عندها، أغمض كولين عينيه على أمل أن يكون المفتش مشغولاً في مكان آخر.

وبعد لحظة، أعلن أحد رجال الشرطة بأن مارغوليس في طريقه إلى منزل آل سانشيز.

لا بد أن مارغوليس سيُسرّ غاية السرور بهذا الموقف، وسيبتسم إحدى ابتساماته الساخرة تلك وهو يُلقي على كولين خطابه المعهود الذي يذكّره فيه بأنه حذّره طوال الوقت من أنّ هذا الموقف آتٍ لا محالة .ومن المؤكد أنه أخذ يراجعه وهو في طريقه إلى منزل والدَي ماريا.

ولكن مجدداً لم يكن هناك ندم؛ لأن ماريا باتت بأمان، وكذلك أفراد عائلتها، وهذا كل ما يهمه .بالإضافة إلى ردع ليستر والحؤول دون ظهوره

مجدداً .أخبرت ماريا رجال الشرطة بأن ليستر قد ثارت ثائرته حالما سمع صوت صفارات الشرطة .فحتى تلك اللحظة ، كانت قد تمكّنت من إبقائه هادئاً من خلال التحدث إليه ، أو على الأقل من خلال السماح له بالتفوه بكل ما يدور في ذهنه الهائج ، وبموافقته ببساطة على كل ما يتفوه به .ولكن ، ماذا عن المرة التالية ؟ هل يمكن استرضاء ليستر بهذه البساطة ؟ أم تراه كان ينوي اختطافها وأخذها إلى مكان ما لا تستطيع الشرطة العثور عليها فيه ؟!

جعله التفكير في ذلك يشعر بالغثيان ، وأراد أن يركل نفسه لأنه أخفق في التأكد بنفسه من أن ليستر في المستشفى .كيف تمكّن من الخروج ؟ !فلو كان مصاباً بتلك الحالة عندما وصل المفتش صباح اليوم ، فلماذا لم يتم تقييده ؟ ترى ، أما زالوا يفعلون ذلك الآن ؟

وهناك شيء آخر راح يؤرقه :كيف عرف ليستر مانينغ أن ماريا ستأتي إلى بيت والديها ؟ ربما ذهب إلى المكتب والشقة ووجد أنها ليست هناك ، ولكن...

قاطع أفكاره ضوء سيارة ، وبعد ذلك سمع صوت اقترابها منه ، وسمعها تتوقف بالقرب منه ، وأصغى إلى صوت الباب وهو يُفتَح ثم يُغلَق بعد بضع ثوان.

مارغوليس.

* * *

قال مارغوليس وهو يجلس القرفصاء قربه" :هل انتابك يوماً ذلك الشعور بأن الكريسمس قد حل في وقت مبكر عن موعده الطبيعي ؟ ."ففيما كان يقترب من ماريا ، خطا خطوتين متّجهاً نحو كولين المقيد بالأصفاد والممدد على الأرض .وتابع قائلاً" :لأنني أظن أنه أتى في وقت مبكّر بالنسبة إلي."

ولكنّ كولين التزم الصمت، فأي شيء قد يقوله سيردّ في وجهه في الحال.

"فها أنذا فيما كنت في طريقي لتناول وجبة سريعة في أحد المطاعم، بعد عشر دقائق على مغادرتي المكتب، أتلقى مكالمة عاجلة تطلب حضوري إلى هنا .ومن الذي أجده هنا؟ !صديقي القديم كولين .يجب علي القول إنني لم أرَك بهذه الحالة الجيدة منذ وقت طويل ."لاحظ كولين انعكاس ابتسامة مارغوليس العريضة على حذائه شديد اللمعان .وتابع مارغوليس قائلاً" :ما الذي فعلته؟ هل تشاجرت مع صديقتك؟ أم تراك دفعت أباها وأمها عندما حاولا التدخل؟ أم طاردت أحد رجال الشرطة بعد أن أتوا وحاولوا تهدئتك؟ ."وبصق عود الأسنان من فمه، وتركه يهبط بشكل خطر على العشب بجانب وجه كولين، قبل أن يردف" :أيمكنك أن تكفّ عن الصمت وتخبرني بما حدث؟ لأنني سأكتشف كل شيء في غضون دقيقة على أية حال."

فأطلق كولين نفساً عميقاً وقال" :مخالفة مرورية."

عندها، أرجع مارغوليس رأسه إلى الوراء من فرط الدهشة وقال" :هل تمزح!؟ ."وعندما لم يجب كولين عن سؤاله، هز المفتش رأسه، وقال وهو يبتسم ساخراً" :يجب عليّ أن أعترف أنني لم أتوقع حدوث هذا .ولكن هيا، سأقبل الأمر كما هو .لذا، دعني أتحدث إلى صديقتك هنا، أعني إن كنت لا تزال تدعوها صديقة .ورغم أنك لم تصل إلى حد مد يدك عليها، إلا أنها لا تبدو لي من نوع النساء اللواتي يزرن رجالهن في السجن في كل عطلة أسبوعية ليدعمنهم. ولطالما كنتُ من النوع الذي يجيد الحكم على شخصيات الناس."

شاهده كولين وهو يقف .وعندما استدار وبدأ يقترب من ماريا ، تنحنح كولين وسأله:

"هل يمكنني النهوض الآن ؟."

فنظر إليه كولين من فوق كتفه لبضع ثوان ، ثم هز كتفه وقال" :لا أدري. هل تستطيع ذلك ؟."

عندها ، استخدم كولين رأسه ليسند نفسه ، ورفع وركيه ، وقرب ركبتيه إلى الأمام بحركة منزلقة واحدة ، ثم وقف على قدميه.

وحين تقدّم رجل شرطة خطوة إلى الأمام مقترباً من كولين ، لوّح مارغوليس بيده مبعداً إياه ، وابتسم ساخراً مجدداً ثم قال" :بحركات مثل هذه ، إنني واثق من أن جميع نزلاء السجن سيرغبون في الرقص معك .ولكن أخبرني شيئاً ، لماذا لا تنتظر هنا بينما أكتشف ما يجري ؟."

أشار مارغوليس إلى أحد الرجال ليقترب منه ، وشاهدهما كولين وهما يتحدثان بصوت منخفض .أشار الشرطي نحو ماريا بضع مرات ، فيما أومأ مارغوليس برأسه مشيراً إلى كولين .وبحلول ذلك الوقت ، خرج عدد من الجيران ووقفوا في مروجهم أو في الشارع ، وراحوا يمدّون رؤوسهم ليشاهدوا ما يحصل بشكل واضح .ولم يكن كولين الوحيد الذي لاحظ ذلك ، فقد لاحظ مارغوليس الأمر على حد سواء .وبعد نقاش وجيز مع أفراد العائلة ، توجه الجميع إلى الداخل باستثناء كولين .وما أدهش كولين هو أنّ مارغوليس أشار إليه للانضمام إليهم.

وفي غرفة المعيشة ، سردت ماريا القصة مجدداً من البداية ، بما في ذلك

وصف لملابس ليستر؛ وهذه المرة بأسلوب مترابط أكثر .وقف أفراد عائلتها خلفها وهم يبدون مستائين أكثر منها ، بينما وقف الشرطيان اللذان ألقيا القبض على كولين لحراسة الباب الأمامي .وشاهد كولين مارغوليس وهو يدوّن ملاحظاته ، فيما تدخلت سيرينا بين الحين والآخر .وحين أنهت ماريا سرد ما حصل ، طرح عليها مارغوليس أول سؤال.

"هل هددك بالمسدس بشكل مباشر؟."

"كان يحمله بيده."

"ولكنه لم يرفعه في الهواء أو يسدده نحوك ، أليس كذلك؟."

فسألته ماريا" :لماذا؟ هل يشكّل هذا أي فرق؟ !فقد أتى إلى البيت وبحوزته مسدس ، لذا يجب عليك أن تعتقله."

رفع مارغوليس يديه وقال" :لا تسيئي فهمي ، فأنا إلى جانبك .وبعد اعترافه بأنه أرسل الورد إلى مكتبك ، وطلب تقديم الشراب لك ، وبعد ما جرى اليوم ، ليس هناك شك في أنك ستتمكنين من الحصول على أمر بالتقييد .لا يسعني أن أتخيل أن أي قاضٍ سيرفض هذا الطلب ، وسأحرص على أن يتم تفعيله بأقصى سرعة .وقد طرحت عليك هذا السؤال لأنني أحاول أن أقرر إن كان قد خرق أي قوانين متعلقة بالسلاح بالإضافة إلى كل ذلك."

"إنه مريض عقلياً ، وهذا ما يجعل امتلاكه سلاحاً نارياً في هذه الولاية أمراً غير قانوني."

"ربما."

عندها ، ومضت عينا ماريا وقالت" :لقد كان في مستشفى للأمراض النفسية صباح اليوم ؛ هذا ما قلته لي بنفسك."

"ليس هناك أي سبب يجعلني أعتقد أنه لم يكن هناك .وثقي ب.ي ؛ فأنا سأتأكد بشكل لا يدع أي مجال للشك من أن المفتش محقّ حيال ذلك .ولكن ، عندما أتحدث عن المرض العقلي -وأنا أعني بشكل قانوني -فحتى هذه اللحظة لم أحصل على تقاريره الطبية .وفي الحالات التي تم اعتقاله فيها ، تم إسقاط القضايا .ولست واثقاً من أن حالته العقلية تم الفصل فيها بالفعل .وهناك أيضاً فرق بين دخول المستشفى بشكل طوعي ، وبين إدخال المريض إليه بشكل قسري."

قالت ماريا بعد أن بات شعورها بالإحباط واضحاً" :إنك تبالغ في التدقيق بالتفاصيل .فقد شرحت لك كيفية تصرفه .لقد رأيته يتحدث إلى الهاتف حباً بالله !إنه مضلّل ، وقد هدّدني باستخدام المسدس."!

"هل أنت واثقة من هذا ؟."

"هل أصغيت إلى كلمة واحدة مما قلته ؟."

عندها ، استقام مارغوليس في جلسته ، وبدا مظهر الدفاع عن النفس واضحاً عليه وهو يقول" :لأكون واضحاً معك ، لا شيء مما قلته يدل على أنه أشهر المسدس في وجهك أو أجبرك على فعل أي شيء .وعندما ركضتِ أنت إلى بيتك ، هرب هو بالاتجاه المعاكس."

مرت لحظة لم تقل فيها ماريا أي شيء ، ولكن كولين لمح شيئاً من التردد في عينيها.

"وماذا عن حقيقة أنه ثقب إطارات سيارتي وسرق هاتفي ؟."

"هل قال لك إنه ثقب إطارات سيارتك ؟."

"كلا ، ولكن "...ورفعت ماريا نظرها إليه وقالت" :لماذا تفعل هذا ؟ لماذا تختلق له الأعذار ؟ إذ يبدو لي أنك تبحث عن أي سبب يسمح لك بعدم اعتقاله."

"على العكس من ذلك ، فأنا أحاول العثور على تهمة تثبت عليه .إذ ليس هناك أي سبب يجعلني أعتقله إن لم أستطع إثبات التهم."

"لديه مسدس !ألا يعني لك هذا أي شيء ؟."

"سيعني شيئاً إن حاول إخفاءه أو هدّدك به .ولكن حسب أقوالك ، هو لم يفعل أياً من الأمرين."

"هذا ...محض جنون."

"هذا هو القانون .ولكن بالطبع ، إن اكتشفتُ أنه لا يملك رخصة لحيازة السلاح ، فهذا سيمكّنني من إلقاء القبض عليه ، ولكنه لن يكون كافياً لتوقيفه لوقت طويل ، ولا حقيقة أنه استولى على هاتفك أيضاً."

"وماذا عن ثقب عجلات سيارتي ؟."

سألها مارغوليس مجدداً" :وهل اعترف بذلك ؟."

"كلا ، ولكن"...

فتنهّد مارغوليس ثم قال" :أعرف أن هذا مثير للإحباط بالنسبة إليك ،

ولكنني حقاً أحاول مساعدتك .فأنا أبحث عن شيء ما قد يرقى إلى مستوى الاعتقال الفعلي في تهم خطيرة بما يكفي لإبقائه في السجن."

"حسناً إذاً ، لقد ارتكبت خطأ قبل قليل .فأنا أتذكر الآن أنه قام فعلاً بإشهار المسدس في وجهي .فقد ظل يوجّهه نحوي طوال الوقت."

عندها ، رفع مارغوليس حاجبه وقال" :هل تغيّرين قصتك ؟."

فقالت" :بل أصحّحها."

أومأ مارغوليس برأسه وقال" :حسناً ، قبل أن نمشي في هذا الاتجاه ، ينبغي أن تدركي أيضاً أن هذا الوضع برمته سيصبح أكثر تعقيداً مما تظنين."

"وما الذي يعنيه هذا ؟."

"لا أملك كامل الحرية لأشرح لك ، فالوقت لا يزال مبكراً في ما يتعلق بالتحقيقات .أما الآن ، فكل ما يجب أن تعرفيه بالفعل هو أنني أستكشف الكثير من الزوايا المختلفة."

عندها ، فكر كولين في سرّه :زوايا مختلفة!

رمقته ماريا بنظرة تساؤل ، ثم عاودت الالتفات نحو مارغوليس ؛ بالضبط في اللحظة نفسها التي قرع فيها أحدهم على الباب .وبعد بضع لحظات ، مدّ أحد رجلَي الشرطة اللذين خرجا للبحث عن ليستر رأسه من الباب المفتوح ، فاستأذن مارغوليس منهم وخرج من البيت قليلاً ، ثم عاد إلى ماريا والعائلة بعد قليل .انضم إليه رجلا الشرطة في الداخل وبقيا قرب الباب.

"يقول الشرطيان إنهما لم يتمكنا من العثور عليه .فقد فتشا الحي بأكمله

مرتين ، وتحدثا إلى بعض الناس الموجودين في الخارج ، ولكنّ أحداً لم يره."

عندها ، فتح كولين فمه غير أنه سرعان ما أغلقه مجدداً ، وحين لاحظ مارغوليس ذلك سأله:

"هل هناك شيء تريد قوله ؟."

فقال كولين" :أتساءل إن كانا قد تفقّدا المتنزه والمنزل في المربع السكني التالي الذي يحاذي هذا المنزل من الخلف."

فحدّق إليه مارغوليس وسأله" :لماذا ؟."

عندها ، أخبره كولين بما عرفه ، بالإضافة إلى شكوكه حيال البيت الشاغر ونشاطات ليستر في التجسس .وذكر له أيضاً شكوكه في ما يتعلق بالمكان الذي يركن فيه ليستر سيارته .وعندما استجوبه مارغوليس لمعرفة كيفية توصله إلى هذه المعلومات ، اعترف له كولين بأنه اعتاد أن يزور الحي في وقت متأخر من الليل ووقت مبكر من الصباح بهدف التحرّي ، وأنه أمضى بعض الوقت في البحث عن معلومات لها علاقة بلوحات السيارات .عندها ، بدا والدا ماريا مشمئزين .أما مارغوليس فلم تبتعد نظرته المتحجرة عنه طوال فترة كلامه.

"وهل تخبرني بهذا الآن ؟ !بأنك كنت تلعب دور المفتش الخاص طوال الوقت الماضي ؟."

فأومأ كولين نحو الشرطيين وقال" :لقد أخبرتُ الشرطيين فيما كانا يعتقلانني عن المكان الذي قد يكون ليستر قد اختبأ فيه .غير أنهما لم يُظهِرا أية رغبة في الاستماع إلي."

ساد الصمت للحظات ، وبدا الإحراج واضحاً على أحد رجال الشرطة.

عندها ، غامرت سيرينا وقالت بلطف" :ولكنه لم يجرِ باتجاه المتنزه ولا البيت."

فقال مارغوليس مستوضحاً" :أرجو المعذرة ؟."

فشرحت سيرينا وهي تشير نحو المطبخ" :إن المتنزه يبعد بضعة شوارع من ذلك الاتجاه .وما لم يعتزم أن يمشي في الطريق الطويل حول المربع السكني ، فهو لم يكن يجري باتجاه البيت الشاغر أيضاً ، بل بالاتجاه المعاكس تماماً."

استوعب مارغوليس هذه المعلومات قبل أن يستأذن ويذهب ليتناقش مع رجال الشرطة الآخرين على انفراد .وبعد قليل ، غادر اثنان منهم البيت ، ففكر كولين في سرّه في أنهم تأخروا أكثر من نصف ساعة.

عاد مارغوليس إلى ماريا وقال" :على افتراض أن ليستر قد أتى إلى هنا بواسطة السيارة ، وبما أنه ليست هناك سيارات مسجلة باسمه ، سيحاولون معرفة ما إذا كانت هناك سيارة مسروقة ، وإن كان بالإمكان ربطها بليستر بأية طريقة .بالطبع ، ربما يكون ليستر قد عاد وأخذ السيارة ، وربما هرب جرياً. ولكنّ المهم هنا الآن هو أنني واثق من أنك بأمان .هل تنوين العودة إلى بيتك ؟."

فأعلن فيلكس قائلاً" :بل ستبقى معنا ، وكذلك سيرينا."

عندها ، أشار مارغوليس بإصبعه إلى وراء ظهره وقال" :إن باب بيتكم الأمامي مكسور."

"لدي بعض ألواح الخشب في المرأب، وسأثبته بها .وغداً سأطلب تصليحه."

"هل لديك جهاز إنذار؟."

فقال" :نعم، ولكننا لا نستخدمه كثيراً."

"إذاً، استخدمه الليلة؛ حتى إن كنت مضطراً إلى تجاوز الباب الأمامي فقط .وثبّت الباب وأبقِ الستائر مسدلة على سبيل الاحتياط."

عندها، سألته سيرينا" :ماذا عن إمكانية حصولنا على بعض الحماية من الشرطة؟ أي أن يبقى أحدهم قرب باب البيت؟."

فأجاب مارغوليس" :لن أتمكن من تدبر ذلك .اختاري سبباً :قلة الميزانية، وعدم وجود ما يكفي من القوى العاملة، وتحديد الوقت الإضافي. حتى إن ذلك الأمر بالتقييد لم يتم التقدم به بعد، ولكنني سأتصل برئيسي، وأنا واثق تماماً من أنني أستطيع تدبر سيارة دورية لتمر من هنا كل بضع ساعات."

"وماذا سنفعل إن عاد ليستر إلى هنا؟."

"لا أظن أن هذا احتمال وارد."

"لماذا تقول هذا؟."

"لأنه خائف من الشرطة .وعلى حد علمه، سيتواجد شرطي هنا."

"ما لم يكن مجنوناً أو لا يأبه لأي شيء آخر."

فقال مارغوليس" :ولكنه هرب في وقت مبكر ."وحين أدرك كم يبدو

كلامه متعجرفاً ، تابع قائلاً" :أعرف أنك خائفة ومستاءة يا آنسة سانشيز ، وأتفهم شعورك ، وسأحرص على أن يقوم عدد من رجال الشرطة بجولات في الحي لمدة ساعة أو نحو ذلك .ومن يدري ؟ فقد يحالفهم الحظ ويعثرون عليه .وإن نجحوا في ذلك ، فسيحضرونه إلى المخفر ، وسأبقيه في غرفة التحقيق وأرى ما يمكنني فعله .وفي كلتا الحالتين ، غداً ستتقدمين بطلب التقييد .وفي المرة القادمة التي يقترب منك فيها سيصبح رهن الاعتقال ، وذلك الاعتقال سيدوم طويلاً."

لاحظ كولين المشاعر المتضاربة التي راحت ترتسم على وجه ماريا ، فيما ألقت هي نظرة خاطفة على رجال الشرطة الواقفين قرب الباب قبل أن تأخذ نفساً عميقاً وتقول للمحقق:

"هل تسمح لي بالتحدث إليك على انفراد ؟."

فكّر مارغوليس في الأمر قليلاً، قبل أن يومئ برأسه أخيراً ، ويُشير إلى الرجال الآخرين طالباً منهم المغادرة ، فخرجوا من الباب بهدوء .وفي الوقت نفسه ، دخلت سيرينا ووالداها المطبخ .وحالما خرجوا جميعاً ، تنهدت ماريا وقالت له" :ماذا عن كولين ؟."

فنظر مارغوليس إليه وقال" :ماذا عنه ؟."!

"كنت آمل أن تتحدث إلى الشرطي الذي اعتقله .فربما كان بإمكانك أن تقنعه بأن يفرض على كولين بعض المخالفات المرورية أو ما شابه ذلك بدلاً من اعتقاله."

وعلى الفور ، تغيرت تعابير وجه مارغوليس ، وظهر تعبير عدم التصديق على وجهه وهو يقول لها" :لماذا قد أفعل ذلك ؟ فحسب ما قالوه لي ، كان يقود

السيارة بسرعة ستين ميلاً في حي سكني ، وكاد يصدم شخصاً على بعد مربعين سكنيين من هنا ، وقد رفض إيقاف سيارته ."ثم هز رأسه قبل أن يتابع قائلاً: "وحالما وصل إلى هنا ، تحدّى تعليمات الشرطة بأن يتوقف .وبدلاً من ذلك ، جعل موقفاً متفجراً في الأصل يزداد سوءاً."

"لقد كنتُ في خطر !ولا شك لديّ في أنك كنت ستفعل الشيء نفسه لو ظننت أنّ شخصاً تحبه قد يتعرض للأذى."

"كان يجب عليه أن يدع رجال الشرطة يتولّون المسألة .فبالطريقة التي كان يقود فيها السيارة ، عرّض حياة الناس الآخرين للخطر."!

"حباً بالله !لقد كان ليستر يحمل مسدساً."!

"وهذا سبب إضافي ليترك للشرطة أمر تولّي الموضوع."

عندها ، صاحت ماريا بعد أن بدأت رباطة جأشها تنهار" :إنّ هذا ليس منصفاً لإطلاقاً ، وأنت تعرف ذلك !أعني أن ترسله إلى السجن لمجرد عدم تقيده بالسرعة ؟."

ففكر كولين في سرّه :لقد فعلت ما هو أكثر من ذلك بكثير ، ولكن الشرطة لم ترني إلا خلال الدقيقتين الأخيرتين من قيادتي سيارتي.

فقال مارغوليس" :لقد اتخذ قراراته بنفسه .ولا تنسي أنه قد توجّب على رجال الشرطة أن يشهروا أسلحتهم في وجهه ، وكان من الممكن أن تتعرضي وعائلتك للأذى."

"وحالما أدرك أنني أصبحت بأمان ، أذعن لهم واستسلم بكامل إرادته ،

ولم يرفع صوته ولم يقاوم على الإطلاق .هل تريد بالفعل أن تدمّر حياته لأنه أسرع لإنقاذ حياتي ؟."

عندها ، هزّ مارغوليس رأسه وقال" :هذا ليس قراري أنا."

"كلا .ولكنْ لديّ إحساس بأنهم سيصغون إليك ."ووضعت يديها على خصرها وهي تحثّ مارغوليس على النظر إلى عينيها ، ثم تابعت كلامها" :أعرف أنك لا تثق بكولين وتعتقد أنه ينتمي إلى السجن .ولو كان قد قاوم رجال الشرطة أو رفض الخضوع للاعتقال أو ارتكب أي حماقة لما طلبت منك التدخل ، ولكنّ هذه الأمور لم تحدث .وأنت لا تبدو لي غير منطقي ، أو محباً للانتقام بشكل لا داعي له ."وترددت قليلاً ثم أضافت" :إنني آمل أن يكون انطباعي عنك صحيحاً .من فضلك"...

مرت لحظة صمت طويلة للغاية ، راح خلالها مارغوليس يحدق إليها بصمت .وبعد ذلك ، ومن دون أن يتفوّه بكلمة ، توجّه نحو الباب.

* * *

بعد دقائق ، وقف كولين قرب الأريكة شارد الذهن ، وراح يفرك معصميه بيديه حيث كانت الأصفاد تضغط عليهما.

قال لها" :شكراً لك لأنك دافعت عني."

"على الرحب والسعة."

"لا أصدق أنه وافق على الاستماع إليك."

"أما أنا فأستطيع ذلك .فقد أدرك أن هذا هو الشيء الصواب لكي يفعله ،

والشرطي الذي اعتقلك لم يكن مستاء .وبعد أن استمع إلى القصة كاملة ، لا أعتقد أن قلبه قد طاوعه على ذلك أيضاً."

أشار كولين نحو الباب وقال" :إنني آسف جداً لأنني كسرت الباب ، ويسرني أن أدفع مقابل تصليحه."

"إن والدي لا يأبه لذلك .وبصراحة ، إنه غاضب جداً من فكرة تجسس ليستر على أفراد العائلة برمتها ؛ حيث لم يعد هناك أي مجال لديه للقلق حيال باب مكسور."

"ما رأيك في أن أساعده على إغلاق الباب الليلة ؟."

وعندما أومأت برأسها موافقة ، تبعها إلى المرأب ، وعاد ومعه بضعة ألواح خشبية ومطرقة ومسامير .ساعدته ماريا في تثبيت الألواح في مكانها .وعندما أصبحت مثبتة أخيراً ، اقتربت من كولين لتشكره على مساعدته ، وسألته" :ما الذي ستفعله الآن ؟."

فأجاب" :سأتصل برئيستي في العمل لأعلمها بمكاني ، ولأعرف إن تم صرفي من الوظيفة أم لا .وبعد ذلك ، أظن أنني سأبقى في الخارج لمراقبة البيت طوال الليل .فأنا أريد أن أكون هنا إن ظهر ليستر مجدداً."

فأومأت برأسها وقالت" :ما الذي تظنّ أن مارغوليس كان يعنيه عندما قال إنه يستكشف زوايا مختلفة ؟ فقد اعترف ليستر بأنه فعل كل شيء تقريباً"...

عندها ، هز كولين كتفيه وقال" :ليست لدي أية فكرة .ربما كان يقصد شيئاً ما يتعلق بمارك صديق كاسي ؟ أعني بما أنه مختفٍ ."وأطلع كولين ماريا على المعلومات القليلة التي توصّل إليها في وقت مبكر.

ومن خلفهما ، دخل فيلكس غرفة المعيشة ترافقه كارمن ، وقدّمت كارمن لكولين كأساً من الماء المثلج ، بينما تفحّص فيلكس ما فعله كولين لتثبيت الباب.

قال كولين بشيء من الخجل" :إنني آسف بشأن ذلك .لقد قلت لماريا إنني سأدفع ثمن تصليحه."

غير أنّ فيلكس أومأ برأسه وقال" :هذا عمل جيد ومتين ."وتقدّم من كولين خطوة ، ونظر إلى عينيه وتعبير وجهه يصبح أكثر نعومة ثم قال" :لقد أردت أن أشكرك لأنك أسرعت إلى هنا عندما عرفت أن ماريا واقعة في ورطة ، ولأنك اتصلت بالشرطة."

وقفت كارمن إلى جانب زوجها فيما تابع كلامه ، ومن خلفه ، استطاع كولين تمييز شكل سيرينا في المطبخ وهي تستمع إليهم .قال فيلكس" :عندما التقينا أول مرة ، أعتقد أنني أسأت الحكم عليك ؛ رغم أن ماريا قالت لي إنها تشعر بالأمان معك .والآن ، أستطيع فهم السبب."

ولدى سماعها هذه الكلمات ، وضعت ماريا يدها في يد كولين.

وتابع والدها كلامه قائلاً" :لقد سمعتك وأنت تقول لماريا إنك تريد أن تسهر الليلة في الخارج لتحرس البيت في حال عاد ليستر مجدداً."

"نعم."

"لدي مشكلة حيال هذا الأمر."

فنظر إليه كولين من دون أن يقول أي شيء.

عندها ، تابع فيلكس كلامه قائلاً" :ينبغي أن تكون داخل البيت وليس خارجه ، فأنت ضيفنا."

وعلى الفور ، شعر كولين بماريا وهي تضغط على يده .ورغم كل شيء ، لم يستطع أن يمنع نفسه من الابتسام.

وقال كولين" :حسناً."

* * *

راح كولين يذرع غرفة الجلوس وهو يسترق النظر من خلال ستائر النافذة الأمامية ، ثم فعل الشيء نفسه من خلال نوافذ المطبخ.

لا أثر لليستر.

اكتشف كولين أن مارغوليس قد وفى بوعده ، فقد مرّت سيارة دورية قرب المنزل أربع مرات .مرت مرتين عندما كان أفراد العائلة لا يزالون مستيقظين ، ومرتين أخريين بعد أن أوى الجميع إلى أسرّتهم .بقيت ماريا مستيقظة لوقت أطول من الجميع ، وظلّت جالسة مع كولين إلى ما بعد الساعة الواحدة بقليل. وقبل أن يأوي فيلكس إلى غرفته ، أخبر كولين بأنه سيستيقظ عند الساعة الرابعة ليتولى الحراسة بنفسه ويسمح لكولين بنيل قسط من النوم.

شعر كولين بأن الوقت الذي حظي به لنفسه نعمة ؛ لأنه سمح له باستيعاب كل ما حدث خلال الأمسية .فقد ظلت لديه أسئلة أكثر من الأجوبة ؛ إذ لم يجد أي شيء مما جرى منطقياً .فعلى سبيل المثال ، لو كان ليستر مضللاً إلى درجة أنه يعتقد أن ماريا تسعى للقبض عليه ، إذاً كان ينبغي أن يبقيه خوفه بعيداً عن ماريا بدلاً من أن يدفعه للحاق بها بشكل متكرر.

ولكن ، ألم يعترف ليستر بشكل أساسي بأنه ظل يطارد ماريا طوال الوقت ؟!

ولماذا قال مارغوليس لماريا إنه يستكشف زوايا مختلفة للموضوع ؟!

راحت أسئلة أخرى تقضّ مضجعه أيضاً :لماذا اعترف ليستر بأنه أرسل الزهور وكأس الشراب ، ولكنه لم يعترف بأنه ثقب العجلات ؟ ترى ، هل قاد ليستر سيارته بالفعل ؟ ولو فعل ذلك ، فمن أين أحضر السيارة ؟ ولو كان قد ترك سيارته في المتنزه ، فلماذا ركض بالاتجاه المعاكس ؟ وإلى أين ذهب ؟ ولماذا لم يتمكن رجال الشرطة من العثور عليه ؟ ومجدداً ، كيف عرف ليستر أن ماريا ستكون في البيت في حين أن ماريا نفسها نسيت أمر ذكرى ميلاد أمها ؟

كلما عرف كولين معلومات أكثر ، ازداد حيرة وارتباكاً.

قالت ماريا" :إنك تجعلني أصاب بالتوتر .لا بد أنك حفرت أخدوداً في أرضية البيت لكثرة ما مشيت عليها."

استدار كولين نحو مصدر الصوت ، وشاهدها واقفة في الممر مرتدية "بيجامتها."

"هل أيقظتك ؟."

"كلا ، لقد حظيت بقسط من الراحة."

"كم الساعة الآن ؟."

فأجابت ماريا" :إنها تتجاوز الثالثة من بعد منتصف الليل بقليل ."ومشت نحو الأريكة ، وربتت على الوسادة بجانبها .وعندما جلس كولين عليها ، قالت

له" :على الأرجح ، ينبغي لك أن تأوي إلى فراشك."

"لا تزال هناك ساعة واحدة فقط قبل أن يستيقظ أبوك."

"لا أظن أنه نائم ؛ فهو على الأرجح يتقلب في فراشه كما فعلت أنا .إنني مسرورة لأنك هنا ، ووالداي أيضاً مسروران .فقبل أن يأويا إلى فراشهما ، اعتذار لي عن طريقة معاملتهما لك في بداية تعارفنا."

"ليس هناك أي سبب يدعو للاعتذار .فقد كانا في غاية الكرم معي ، ولا سيما بعد أن ركلت باب بيتهما."

عندها ، هزت كتفيها وقالت" :لأكون صريحة معك ، وجدت ذلك مثيراً للإعجاب إلى حد ما .فالأبواب عادة تُبقي الناس خارج البيت ، ولكنّها أيضاً لم تستطع إبطاء سرعتك .إنهما يشعران بأنهما بحال أفضل بسبب وجودك هنا."

أومأ برأسه ، وحين تكلّم كان ضوء القمر يتسرب من فتحة في الستائر غامراً غرفة المعيشة بوميض فضي" :أردت أن أخبرك بأن الطريقة التي تعاملتِ بها مع ليستر مدهشة .فليس كل إنسان قادراً على المحافظة على هدوئه في موقف رهيب كذلك."

"لم أكن هادئة بل مرعوبة ، لدرجة أنني كلما أغمضت عينيّ الليلة ، تخيّلت وجهه أمامي .وكان ذلك ...غريباً جداً وحسب .وظل ينتابني ذلك الشعور بأنه بدا لي خائفاً مني أكثر من خوفي منه ؛ رغم أنه هو من كان يحمل السلاح."

"وأنا أيضاً لا أفهم هذا."

"أتمنى لو أن الشرطة تمكنت من العثور عليه .فأنا أكره أن أعرف أنه لا يزال هناك يتابع ويراقب ويختبئ .أي فائدة سأجنيها من أمر التقييد إن كانوا لا يستطيعون تبليغه به؟ وماذا إن ظهر مجدداً قبل أن يفعلوا ذلك؟ فكرت في مغادرة المدينة ، ولكن ماذا إن لحق ب.ي أو تعقبني بشكل ما؟ أعني ، أنا نفسي ما كنت أعرف أنني سآتي إلى هنا الليلة ، فكيف عرف هو ذلك؟ وكيف عرف أنني سأكون في النادي أيضاً؟."

"إنني أتساءل عن هذه الأمور أيضاً."

"وماذا بعد؟ ما الذي يفترض ب.ي فعله الآن؟ إنني أريد وحسب أن أشعر ...بالأمان."

"لدي فكرة .قد يكون مبالغاً بها قليلاً ، ولكن"...

"ما هي؟."

فأخبرها إياها.

الفصل السادس والعشرون

ماريا

كانت ماريا نائمة على الأريكة عندما شعرت بكولين يهمس لها قائلاً إنه سيعود في غضون الساعة الثامنة صباحاً .وانتبهت إليه بشكل غامض وهو يتسلل خارجاً من باب المرأب .وما فاجأها هو أنها تمكّنت من نيل بضع ساعات من النوم قبل أن تبدأ أصوات الحركة في البيت بإيقاظها.

وأثناء تناول القهوة ، شاطرت ماريا عائلتها الخطط التي أطلعها كولين عليها ، فأصغوا إليها بدهشة .وكان والداها يفضّلان أن تبقى في مكان يمكنهما فيه مراقبتها ، ولكنهما تفهّما المنطق الذي تحدّث به كولين ، وتقبّلا قرارها ، وطلبا منها فقط أن تبقى على تواصل معهما.

وصل كولين إلى بيت والديها حوالي الساعة الثامنة صباحاً وبحوزته هاتف محمول جديد ، وتبع ماريا عائداً معها إلى شقتها .وهناك ، استحمت وغيرت ملابسها ؛ فارتدت بنطال جينز وكنزة قطنية بيضاء وانتعلت حذاء أسود ، وحزمت حقيبة ملابس تكفيها ليوم واحد .وبحلول الساعة التاسعة ، وصلا إلى دار العدل ، حيث قدّمت ماريا كل الأوراق الضرورية لأمر التقييد .وجدا أن مارغوليس قد وفى بوعده مجدداً ، فقد قال الموظف إنهم سيوصلونها إلى القاضي ليوقّعها قبل أن تجتمع المحكمة اليوم.

استخدمت ماريا الهاتف الجديد لترسل رسالة نصية إلى مارغوليس وتعطيه رقمها الجديد وتطلب منه أن يبقيها على اطلاع بأي تطورات جديدة

تتعلق بليستر مانينغ.

وتفاجأت عندما اتصل بها مارغوليس بعد أقل من نصف ساعة ، وطلب أن يلتقيها في أحد المقاهي .وقال لها بإيجاز" :إنه يبعد عن دار القضاء بضعة مربعات سكنية ، وسنتمكّن هناك من التحدث على انفراد ."شعرت أنها بحال جيدة ما إن قدّمت الأوراق ، وقررت أن توافق على فكرة كولين .وللمرة الأولى منذ بدأ كل ذلك ، بدأت تبادر بالفعل بدلاً من تكتفي بمجرّد القيام برد الفعل. ورغم عدم وجود ضمان بأنهم سيتمكنون من تبليغ ليستر مانينغ بأمر المحكمة ، إلا أن القيام بالمبادرة جعلها تشعر بشيء ما يشبه السيطرة.

وفي المقهى ، جلست وكولين إلى طاولة في الزاوية ؛ حيث يستطيعان مراقبة الباب وملاحظة وصول مارغوليس.

وأخيراً ، عندما دخل من الباب بعد نصف ساعة ، استغرق الأمر منه أقل من ثانية ليلاحظ وجودهما .وفيما كان يشق طريقه متّجهاً نحوهما بشكل متعرج بين الطاولات ، لاحظت ماريا أن قماش السترة التي لا تناسب قياسه ضيقاً حول عضلات ذراعيه .وبدا بشكل جليّ أن مارغوليس يقضي الكثير من وقته في الصالة الرياضية ؛ تماماً مثل كولين.

توقّف ليطلب فنجاناً من القهوة ، ثم توجّه إلى الطاولة التي يجلس إليها كولين وماريا .وعندما ألقى نظرة خاطفة على كولين ، ظنّت أنها لاحظت أثراً أقل للعداوة المعتادة بينهما.

أو ربما تخيّلت ذلك ليس إلا.

"هل عانيت من أية مشاكل في التقدم بطلب التقييد صباح اليوم ؟."

أجابت ماريا" :كلا، وشكراً لك على مساعدتك .فمن الواضح أنهم كانوا يتوقعون حضوري."

أومأ برأسه وقال" :سيتولى القاضي كارسون المحكمة اليوم .وقد تركت له خبراً مع موظفه، لذا لا ينبغي أن تكون هناك أي عراقيل .وإن لم تسمعي منهم أي خبر فأعلميني."

فقالت" :بكل تأكيد."

وصل النادل ووضع فنجان القهوة أمام المحقق، فانتظر مارغوليس إلى أن غادر قبل أن يتكلم مجدداً.

سأل ماريا" :كيف أمضيت الليلة الماضية؟."

"لم يغمض لي جفن؛ إن كان هذا ما تسأل عنه .ولكن على الأقل، ليستر لم يعد."

فأومأ برأسه وقال" :لقد تفقّدت الأمر صباح اليوم .لم يتم العثور عليه في أي من الدوريات على حد سواء، ولكنه سيعود .إذ إن رجلاً مثله يميل إلى التصرف بشكل غريب، ويصيب الناس بالتوتر، وهذا يعني أن الاتصالات ستأتينا في وقت لاحق .إنني واثق من أن شخصاً ما سيعلمنا عندما يظهر."

فقالت" :إن كان لا يزال في المدينة فعلاً .فربما عاد إلى تشارلوت، أو قصد مكاناً لا يعلمه إلا الله وحده."

"إن كان موجوداً هناك، فهو ليس في المستشفى .فقد تفقّدت الأمر صباح اليوم أيضاً، ولا أثر له فيه .وينبغي أن تعرفي أنني طلبت من صديقي المرور

ببيت آل مانينغ صباح اليوم، ولكن لا أثر له هناك أيضاً؛ لا في الشقة فوق المرأب، ولا في المنزل."

فأومأت ماريا برأسها.

وتابع مارغوليس كلامه قائلاً" :ومن ناحية أخرى، لقد تحدّثت إلى قسم المأمور، وهم موافقون على أن أقوم بتبليغ ليستر في حال تم العثور عليه .وفي الواقع، هذا خبر جيد .ليس هذا سهلاً دائماً، ولكنني كنت سأكره أن يتم تحديد موقعه من دون أن يتم تبليغه بسبب عدم وجود مأمورين جاهزين لأداء تلك المهمة، ليختفي مجدداً قبل أن يتمكن أحد من تبليغه."

فسألته ماريا قائلة" :إذاً، ما هي الخطة؟ هل سننتظر إلى أن يظهر من تلقاء نفسه؟."

"لست واثقاً من أن هناك خياراً آخر .فأنا أحاول الاستفادة قدر المستطاع من وضع سيئ."

"ألهذا السبب أردت أن تقابلني صباح اليوم؟ ألتخبرني بأنك لم تستطع العثور عليه؟."

فأجاب مارغوليس" :كلا، لقد اكتشفت بضع معلومات مثيرة للاهتمام، وأردت أن أعرف رأيك فيها."

"ظننت أنك لا تتمتع بالحرية المطلقة للتحدث عن مجريات التحقيق."

فقال" :إنك محقة، وهذا يعني أنه يجب عليّ أن ألتزم حدوداً معيناً في ما أخبرك إياه .ومع ذلك، أردت أن أخبرك بذلك لأنني بحاجة إلى مساعدتك."

"لماذا؟."

"لأنني كلما بحثت في هذا الوضع ، بدا لي أنه يزداد غموضاً .ولكنني آمل أن تساعديني في تركيب بعض القطع معاً."

ففكرت ماريا في سرّها :مرحباً بك في عالمي.

تابع مارغوليس كلامه" :على اعتبار الموقف الذي حصل ليلة الأمس ، أخبرتك أنني سأبحث عن انتهاكات محتملة للأسلحة .ولكن تماماً مثل كل شيء آخر في هذه القضية ، ما يبدو واضحاً ليس كذلك .إذاً ، دعينا نبدأ بهذا :لا يملك ليستر أي رخصة بامتلاك سلاح ناري ، ولم يشترِ سلاحاً بشكل قانوني ، وهذا ما ظننت أنه خبر رائع بالنسبة إليك .ومع ذلك ، اتضح لي لاحقاً أن الأب آفري مانينغ يملك بالفعل رخصة لحمل سلاح ناري اشتراه قبل عام."

"وماذا؟."

"المشكلة هنا هي أن ليستر وآفري -أعني الابن وأباه -يسكنان في العنوان نفسه .واستعارة سلاح شخص ما إن كان السلاح مرخصاً بشكل ملائم ليس أمراً غير قانوني .وهكذا ، لا يمكنني أن أبني قضية على هذا الأمر ما لم يكن آفري مانينغ لم يمنح الإذن بهذا .ولكن ، هناك المزيد من التعقيدات أيضاً."

"مثل ماذا؟."

"لقد جاء آفري مانينغ لمقابلتي صباح اليوم ."وترك هذه الكلمات معلقة في الهواء بضع لحظات قبل أن يتابع كلامه قائلاً" :وبالمناسبة ، لهذا السبب تأخرت قليلاً في الوصول إلى هنا .فقد وجدت أنه من الأفضل لي أن أقابله قبل أن أتحدث إليك .وقد اتخذت القصة منعطفاً آخر."

"ماذا ؟."

"قد لا يكون المسدس حقيقياً."

"أرجو المعذرة ؟."

أمسك مارغوليس ملعقته وحرك بها قهوته وهو يتابع كلامه قائلاً" :دعيني أبدأ من البداية ، هل اتفقنا؟ لقد جلسنا معاً ، وكان أول ما لاحظته هو أن الدكتور مانينغ بدا بحالة سيئة جداً ، وهذا ما وجدته منطقياً حالما أخبرني أنه وصل بسيارته للتو من ولاية تينيسي .لقد بدا مستاء بشكل واضح .ولا بد أنه استهلك علبة كاملة من العلكة بينما كنا نجلس هناك ، إذ راح يمضغ العلكة ويبصقها الواحدة تلو الأخرى .ورغم ذلك ، لم يحاول أن يسيطر على المحادثة ، وهذا ما أدهشني على اعتبار ما قلته لي عنه .وعلى أية حال ، لقد سألته عما يمكنني فعله من أجله ، فقال لي في الحال إن ليستر قد غادر بلينفيو ، وإنه قلق من أنه قد يأتي ليراك .وتوسّل إليّ كي أحذرك وأخبرك أنه إن ظهر فيجب عليك أن تتصلي بالشرطة .وتابع كلامه قائلاً إن ليستر في حالة ضلالية حادة ، وإنه يعاني من هذا المرض لسنوات ...إلخ .وهذا إلى حد كبير الكلام نفسه الذي أخبرني إياه من قبل."

"ولكنه بالأمس فقط لم يكن حتى واثقاً من أن ابنه موجود في المستشفى."

ارتشف مارغوليس رشفة من قهوته وقال" :لقد قال إن المستشفى قد اتصلت به حالما أدرك أفراد طاقمها أن ليستر مفقود .فهو الشخص الذي يتصلون به في حالات الطوارئ .فعلى ما يبدو ، لم يأتِ ليستر إلى موعده مع

الموظف الاجتماعي .لذا ، أمضى أفراد الطاقم بضع ساعات وهم يبحثون عنه في المستشفى قبل أن يدركوا أخيراً أنه لا بد أن يكون قد غادر أراضي المستشفى. وعندها ، اتصلوا بالدكتور مانينغ."

"أيعقل هذا الكلام؟ !إنه مستشفى للأمراض النفسية؟ ألا يراقبون مرضاهم؟."

"حسب ما قاله الدكتور مانينغ ، أمضى ليستر الكثير من الوقت هناك بشكل منتظم؛ بما يكفي لكي يفهم الروتين ، وبات على معرفة بأفراد الطاقم. وقد أكّد المدير أنه ليس هناك أي سبب يدعو لعدم الثقة بليستر .فقد دخل ليستر المستشفى بشكل طوعي ، ولم يهرب منه من قبل قطّ .وهكذا ، ظنّوا أن ليستر قد خرج بشكل عادي .وبعد ذلك ، إما أن يكون قد استخدم سيارة شخص ما ، أو أن شخصاً ما قد أقلّه إلى مكان ما فتوجّه بعد ذلك في طريقه إلى وليمنغتون .ومن الواضح أنه كان قد خبأ المسدس مسبقاً في مكان ما على طول الطريق ."وهزّ مارغوليس كتفيه وقال" :ما الذي يسعني قوله؟ إنه مصاب بجنون الاضطهاد."

"إن أراد الدكتور مانينغ أن يحذرك ، فلماذا لم يتصل بك حالما اكتشف ما جرى؟."

فقال مارغوليس" :لقد فعل هذا حقاً ."وبدا تعبير وجهه موحياً بأنه متفاجئ مثلها تماماً ، وتابع شارحاً" :لقد ترك لي في الليلة الماضية رسالة صوتية ، ولكنني لسوء الحظ لم أتمكن من الاستماع إليها حتى صباح اليوم بعد أن التقيته شخصياً .وحتى عندئذ ، لست واثقاً من مدى الفائدة التي كنا سنجنيها

منها .فقد أتى الاتصال بعد أن وصل ليستر إلى بيتك وانتهى الأمر."

فأومأت ماريا برأسها.

"على أية حال ، بعد أن ناقشنا تلك الأمور ، قلت للدكتور مانينغ إن ليستر لم يكتفِ بالذهاب إلى منزل والديك في الليلة الماضية ، ولكنه واجهك وأشهر سلاحه في وجهك .وعندما قلت له هذا الكلام ، أصبح الدكتور مانينغ أكثر استياء .وبعد ذلك ، بدا عليه الهدوء ، وأصر على أن سلاح ليستر لا يمكن أن يكون حقيقياً."

"بالطبع سيقول هذا الكلام."

"هذا هو ما فكرت فيه أيضاً .لذا ، سألته عن السبب الذي يجعله واثقاً من ذلك .فقال إنه يملك مسدسين فقط ؛ أحدهما مسدس خردق اشتراه في طفولته وربما لم يعد يعمل ، والثاني مسدس عادي أخبرتك عنه من قبل ، وهو يحتفظ به في خزنة مقفلة في صندوق سيارته .وأضاف أنه من المستحيل أن يكون قد تركه في البيت حيث يستطيع ليستر الاستحواذ عليه."

"إنني مدركة تماماً لما رأيته."!

فقال مارغوليس" :لا شك لديّ في ذلك .ولكن ، دعيني أنهي كلامي .فقد أخبرني الدكتور مانينغ أنه رغم أن ليستر لا يملك مسدساً حقيقياً ، إلا أنه يملك مسدساً هوائياً اشتراه له وهو في سن المراهقة .وقال إنه يفترض أن يكون موجوداً في أحد الصناديق في العلية مع بقية أغراض ليستر .وقال إنه من الممكن أن يكون ابنه قد أخرجه في وقت ما من الماضي .والآن ، سؤالي هو التالي :هل هناك احتمال بأن يكون ليستر قد حمل البارحة مسدساً هوائياً ؟."

حاولت ماريا أن تتذكر شكل المسدس ، ولكنها لم تستطع أن تستحضر التفصيل الضروري ، واعترفت قائلة" :لست أدري ، فقد بدا لي حقيقياً."

"هذا لا يفاجئني .فهو بالحجم نفسه واللون نفسه .وقد كان المكان مظلماً ، وأنت كنتِ خائفة .من يدري ؟ !ولكنّ هذا قد يفسر السبب الذي جعل ليستر لا يرفعه إطلاقاً ، أي لأنه ظنّ أنك قد تلاحظين صغر حجم الفوهة."

فكرت ماريا في الأمر قليلاً قبل أن تهز رأسها أخيراً وتقول" :ولكنّ ما أخبرتني إياه لا يعني أن مسدس ليستر لم يكن حقيقياً .فمن الممكن أن يكون قد اشتراه من محل لبيع المسدسات أو من الشارع .وهذا الاحتمال غير مستحيل."

فأذعن مارغوليس قائلاً" :هذا معقول بما فيه الكفاية .أما الآن ، فأنا أحاول استبعاد كل ما يمكن استبعاده."

"وكيف تعرف أن الدكتور مانينغ يقول الحقيقة حيال موضوع المسدس في المقام الأول ؟."

"لأنه أراني إياه بعد المقابلة وهو يهم بالمغادرة .وأؤكد لك أنه مقفل عليه في خزنة حديدية في صندوق سيارته ."وعندما لم تجب ماريا ، تابع مارغوليس قائلاً" :هناك شيء آخر ينبغي لك معرفته."

"وما هو ؟."

عندها ، مد مارغوليس يده إلى الملف ، وأخرج منه استمارة قبول في مستشفى بلينفيو للأمراض النفسية ، وقرّبها من ماريا من فوق الطاولة.

وقال" :لقد كان ليستر مانينغ في المستشفى في الليلة التي تم فيها ثقب إطارات سيارتك .فقد تلقيت هذه الرسالة عبر الفاكس من بلينفيو صباح اليوم ، ويمكنك أن تري التاريخ الذي دخل فيه المستشفى."

ورغم أن ماريا راحت تحدق إلى الوثيقة الموضوعة أمامها ، إلا أنها لم تستطع أن تصدق ما تراه عيناها.

"هل أنت واثق من أن هذه الوثيقة حقيقية ؟."

"نعم .فقد قام الدكتور مانينغ بطلبها وأنا موجود هناك ، ووصلت الرسالة بعد بضع دقائق من المستشفى مباشرة."

"ألم يكن من الممكن أن يتسلل ليستر إلى الخارج كما فعل بالأمس ؟."

"ليس في تلك الليلة .فبحسب سجلاتهم ، ظل ملازماً غرفته طوال الليل ، وكان أفراد الطاقم يتفقّدونه كل ثلاثين دقيقة ."فلم تقل ماريا أي شيء .وخلال فترة الصمت التي تلت ، أخذ مارغوليس رشفة من قهوته ثم قال" :وهذا جزء من السبب الذي جعلني أرغب في مقابلتك اليوم .فإن كان شخص آخر هو من ثقب إطاراتك ، فمن قد يكون ؟ عندما طرحتُ هذا السؤال على الدكتور مانينغ ، طلب مني أن أبحث في أمر مارك آتكينسون."

"لماذا ؟."

"لأن آتكينسون ربما كان يحاول التهرب من القضية وجعل ليستر المسؤول عنها."

"هذا ليس منطقياً على الإطلاق."

"ربما ...ما لم يكن آتكينسون يعرف ليستر ولديه سبب وجيه .وقد يصادف أن يكون الوضع هكذا .فليستر هو الذي عرّف كاسي على آتكينسون في المقام الأول."

استغرق الأمر هنيهة لتدرك ماريا ما يجري" :أتعني أن ليستر وآتكينسون يعرفان بعضهما ؟."

"إنهما يعملان في الشركة نفسها ، أو بالأحرى كانا يعملان معاً .فبحسب ما قاله مانينغ ، بعد موت كاسي ، وقع شجار بين ليستر وآتكينسون .فقد واجه ليستر آتكينسون واتهمه بأنه فشل في حماية كاسي عندما ظهر لوز ، ودعاه بالجبان ، ونشب بينهما عراك .ليس هناك سجل يثبت هذا الشجار ، ولكنّ هذا لا يعني أي شيء .ففي معظم الأوقات ، في مواقف من هذا النوع ، لا يتم الاتصال بالشرطة إطلاقاً .وبحسب ما قاله مانينغ كان آتكينسون غاضباً."

"كيف تستطيع التأكد من هذا الأمر ؟."

"ليس بشأن الشجار ، ولكنّ ما أخبرني إياه عن أن ليستر وآتكينسون كانا يعملان معاً صحيح .وبعد أن تحدثنا بالأمس ، تحدثت إلى والدة آتكينسون مجدداً ، ثم تحدثت إلى أحد المشرفين في الشركة حيث كانا يعملان. وبالمناسبة ، هذا ما عنيته حين قلت إنني أبحث في زوايا مختلفة .إذ إن شيئاً ما حيال الطريقة التي اختفى بها آتكينسون من المدينة أزعجني حالما عرفت به. ربما كنت سأتقبل نوعاً ما أنه هرب ليقابل فتاة أحلامه أو ما شابه ذلك ؛ فالشبان قد يكونون أغبياء بهذا الشكل ، ولكنني لم أتقبل قيامه بذلك من دون أن يتصل بأمه إطلاقاً ؛ عدا عن رسالتين أرسلهما إليها فقط ، وتمت طباعتهما

على الكمبيوتر !إذ إن عدم قيامه بأي اتصال ، أو عدم إرساله أية رسالة نصية لأمه أو أصدقائه ، وحدوث كل هذا بالتزامن مع ما يجري معك ؛ هذا كله لا يبدو مناسباً في نظري."

"مع ذلك ، ما زلت لا أفهم السبب الذي قد يجعل آتكينسون يسعى ورائي ؟ فقد قلت لك إنني لا أعرف ذلك الرجل ولم ألتقه قط."

"ألا يعقل أنه غاضب منك للسبب نفسه الذي تظنين أن ليستر غاضب منك لأجله ؟ أعني لأن لوز خرج من السجن وقتل كاسي ، ولأنه يلومك."

فقالت ببطء" :ربما .ولكنّ ليستر هو من كان يطاردني من قبل .وقد أرسل لي الزهور والشراب .وليستر هو الذي ظهر قرب بيتي في الليلة الماضية"...

وافقها مارغوليس الرأي قائلاً" :بالضبط .لذا ، كل هذا جعلني أتساءل عمّا إذا كان الدكتور مانينغ مخطئاً حيال العلاقة بين ليستر وآتكينسون .فإن كان محقاً ، وكان آتكينسون يحاول جعل التهمة تثبت على ليستر ، فكيف استطاع إذاً جعل ليستر يجاريه بهذا الشكل المثالي ؟ ولا سيما عندما نأخذ ما جرى في الليلة الماضية بعين الاعتبار ؟ ومع ذلك ، إن استثنينا هذه الفكرة ، فهذا يتركنا مع احتمالين آخرين ؛ أولهما أن ليتسر عرف بشكل ما أن آتكينسون يطاردك وقرر الانضمام إليه ، وهذا بالطبع يطرح تساؤلاً آخر وهو :كيف عرف ليستر بما يخطط له آتكينسون ؟ وهو بدوره ما يفتح أمامنا باباً آخر غامضاً .ومع ذلك ، إن استثنينا هذه الفكرة أيضاً ، فهناك احتمال ثالث."

عندها ، نظرت ماريا عبر الطاولة إلى مارغوليس وهي شبه خائفة من سماع ما يوشك على قوله.

وأخيراً ، اقترح قائلاً" :ماذا إن كان ليستر وآتكينسون يعملان معاً؟ ماذا إن كان كل منهما يتدبر حجة غياب لشريكه ؟."

حاولت ماريا أن تستوعب أسئلة مارغوليس ، فلم تقل أي شيء.

قال مارغوليس" :أعرف ما تفكرين فيه ، فهذا يبدو جنونياً بالنسبة إليّ أيضاً .ولكن من بين الاحتمالات الثلاثة ، يبدو لي هذا الاحتمال الوحيدَ الذي ينطوي على شيء من المنطق."

"ما زلت غير واثقة من السبب الذي يجعلك تظنّ أن آتكينسون متورط في المقام الأول .فربما طلب ليستر من أحد الشبان المشردين أو من ولد ما أن يثقب إطارات سيارتي أو أن يترك لي الرسالة ؛ لأنه يعرف أنه سيحظى بأفضل حجة غياب .فكل شيء آخر يشير إلى حقيقة أن ليستر على الأرجح يعمل وحده."

قال مارغوليس" :ليس كل شيء .استمعي إليّ ، إن الحقيقة هي أنني راجعت سجلات السيارات التي كانت متوقفة قرب المتنزه ، بالضبط كما اقترح كولين ، وإحدى السيارات عليها إشارة حمراء خطيرة للغاية."

"لماذا ؟."

"لأن السيارة المعنية مسجّلة باسم مارك آتكينسون."

* * *

بعد أن غادر مارغوليس سألت ماريا كولين" :هل ترى أي منطق في ما قاله ؟ أي حول ليستر وآتكينسون وعملهما معاً ؟."

فاعترف كولين قائلاً" :لست أدري."

عندها هزت رأسها وقالت" :إن ليستر يعمل وحده ، لا بد من ذلك." وشعرت بأنها تحاول إقناع نفسها ، فتابعت" :إن كانا يعملان معاً ، فما هو سبب وجود سيارة آتكينسون في المتنزه ؟ وكيف هربا ؟ إن ليستر لا يملك سيارة."

"كما خمّن مارغوليس في الليلة الماضية ، ربّما سرق إحدى السيارات."

غير أنها هزّت رأسها وقالت" :إن هذا محير وحسب .فالأمر برمته أشبه بإحدى تلك الدمى الروسية .فما إن تفتح دمية ، حتى تجد أخرى داخلها ، وهكذا دواليك ...ما الذي يفترض ب.ي فعله الآن ؟ ماذا إن وجد المفتش شيئاً يورط آتكينسون ؟ هل يفترض ب.ي أن أتقدم بطلب تقييد ضد آتكينسون أيضاً ؟."

"قد يصل الأمر إلى هذا الحد."

"وماذا إن لم يتمكنوا من العثور على آتكينسون أيضاً؟ فحتى أمه لا تستطيع العثور عليه .ما الذي يمكن لأمر التقييد فعله إن لم يتمكنوا من تبليغه به في الحال ؟."!

عجز كولين عن الرد ، ولكنه شعر أن ماريا ليست بحاجة إلى أن يرد عليها ، فقد ظلت أفكارها تدور وكلماتها تتدفق بلا معنى ، وقالت" :الله وحده يعلم مكان ليستر الآن ، ولكنّ الوضع سيان .فأي فائدة سأجنيها من أمر التقييد إن لم يتمكنوا من العثور عليه أيضاً ؟."!

"سيعثرون عليه."

"كيف ؟."

بدلاً من أن يرد على سؤالها ، مدّ كولين يده إليها وقال" :في الوقت الحاضر ، أعتقد أن أفضل خيار لدينا هو أن نلتزم بالخطة التي اتفقنا عليها ؛ ولا سيما لأنه من المتحمل أن يكون هناك رجلان يعملان معاً."

"ألأنك تظن أنه من الأسهل أن يطاردني شخصان ؟."

"نعم .ولأن الحفاظ على سلامتك هو الشيء الوحيد الذي يسعنا فعله إلى أن نعرف بالضبط ما يجري."

بعد أن أوصلا سيارة ماريا إلى منزلها ، انطلق كولين وماريا بسيارة كولين إلى المركز التجاري أنديبندنس مول متخذين طريقاً متعرجاً ، وسالكين طرقاً جانبية ومنعطفات مفاجئة .ورغم أن أياً منهما لم يرَ أحداً عبر مرآة الرؤية الخلفية ، إلا أنهما لم يخاطرا بعدم أخذ جانب الحيطة والحذر.

وفي السوق ، أمضيا أربعين دقيقة وهما يتمشيان بين العديد من المتاجر ممسكين يدَي بعضهما بعضاً ، ومتفحصين عدة أشياء .وراحا يتراجعان بين الحين والآخر ويتفحصان وجوه الناس الذين خلفهما ، ولكن ماريا لم تكن واثقة إلى أي حد شكّل لهما هذا الأمر أية فائدة .فبينما كانت تعرف شكل ليستر ، ظل شكل آتكينسون لغزاً بالنسبة إليها .وفي صباح ذلك اليوم ، دخل كولين كمبيوترها مستخدماً كلمة السر الخاصة بها ، وفتح موقع بينتريست ، فوجدت نفسها تتفحّص صور الإعلان عن فقدان آتكينسون وتتساءل عن مدى دقتها. لاحظت أنه يتّصف بوجه لا تميزه أي علامات خاصة ؛ أي كان من نوع الأشخاص الذين قد يندمجون مع الحشود بكل سهولة .وعلى حد علمها ، كان بإمكانه أن يغيّر لون شعره أو أن ينبت شاربه أو أن يحلق شعره رأسه .وأثناء

ذلك كله ، ظلت نظريات مارغوليس تتسارع في ذهنها وتطارد بعضها بعضاً.

آتكينسون يحاول أن يثبت التهمة على ليستر .ليستر يحاول أن يثبت التهمة على آتكينسون .ليستر وآتكينسون يعملان معاً .أو ليستر يعمل بمفرده بينما هرب آتكينسون مع إحدى الفتيات .وفي هذه الحالة ، هل يعتبر وجود السيارة مجرد مصادفة ؟

من يدري ؟ فكل من تلك الاحتمالات عندما تتم ملاحقتها بشكل منطقي تفتح باباً آخر على طول الطريق.

وفي نهاية المطاف ، توجّها في طريقهما إلى متجر للملابس النسائية حسب الخطة المتفق عليها .وهناك ، حملت ماريا بضع كنزات أخذتها عن الرفوف من دون أن تكترث بالفعل لشكلها ، ولكنها تظاهرت بذلك .ووقف كولين بجانبها وهو يعلق عليها بعدم مبالاة .وعند الظهر بالضبط ، أخبرت كولين بأنها تريد أن تجرب الملابس وتوجّهت نحو غرف القياس.

ونادته من خلفها قائلة" :سأخرج في غضون بضع دقائق يا كولين." وحالما دخلت غرفة تبديل الملابس ، أخرجت ليلي رأسها من إحدى الغرف ، فذهبت ماريا إليها ، ولاحظت الملابس التي ترتديها ، إذ كانت تنتعل حذاء أحمر ذا كعب عالٍ ، وترتدي بنطال جينز وكنزة حمراء ، فيما زيّنت شعرها بزهرة قرنفل .وكانت تمسك بيدها نظارة شمسية كبيرة الحجم ومفاتيح ، بينما وضعت على الأرض حقيبة كحلية كبيرة الحجم وكيس تسوق.

قالت ليلي وهي تمد يدها إليها" :آه يا حبيبتي ، باركك الله .أعرف أنك الآن في وضع رهيب ، ولا أستطيع أن أتخيل كيف تستطيعين المحافظة على قواك

العقلية ؛ ناهيك عن أن تظلي مذهلة كما كنت في المرة الأولى التي التقيتك فيها .فلو كنت مكانك لبدأت شتى أنواع الحبوب تظهر على بشرتي منذ الآن."

فكرت ماريا في سرها بأنها تشك في ذلك .إذ إن ليلي من نوع الفتيات اللواتي لم تظهر على وجوههن حبة واحدة طوال حياتهن ، ولكنّ ما قالته كان كلاماً لطيفاً.

قالت ماريا" :شكراً لك .وأعرف أنني أطلب الكثير"...

غير أن ليلي قاطعتها قائلة" :إنك لا تفعلين شيئاً من هذا القبيل .ولا أريد أن أسمع كلمة واحدة في هذا الموضوع .إنني صديقتك ، وهذا ما تفعله الصديقات لبعضهن ؛ ولا سيما في موقف مخيف كهذا."

فعلّقت ماريا قائلة" :لم أرَ إيفان."

"لقد ذهب إلى صالة الطعام قبل بضع دقائق ، وهو على الأرجح يتناول طعاماً غير صحي على الإطلاق .ولكن على اعتبار أنه شخص لطيف حيال كل هذا ، فقد عاهدت نفسي بألاّ أدلي بأي تعليق على الإطلاق حول عاداته الغذائية."

"هل تظنّين أن الخطة ستنجح ؟."

فأجابت ليلي" :بالطبع ستنجح .فالناس عادة يرون ما يتوقعون رؤيته ؛ هذا ما تعلمته في منهج الدراما الذي كنت أدرسه .وبالمناسبة ، كان لدي أروع أستاذ على الإطلاق ، ولكننا سنتحدث عن هذا في وقت لاحق .لنبدأ ، هل أنت مستعدة؟ فكولين وإيفان يراقبان الساعة بينما نحن نتحدث ."وقدّمت لماريا الحقيبة الكحلية بالإضافة إلى النظارة الشمسية ومفاتيح سيارتها ، وتابعت قائلة:

"إنّ شعرك المستعار وثيابك موجودة هنا .وأنا واثقة من أنها ستناسبك بشكل مثالي .فأنا أظن أن مقاسينا متماثلان."

ففكرت ماريا :ليس بالضبط ، ولكنهما قريبان من ذلك .وقالت" :من أين حصلت على الشعر المستعار بهذه السرعة ؟."

"من محل لبيع الشعر المستعار .من أين تظنين ؟ !ورغم أنه ليس مثالياً ، إلا أن شيئاً من هذا القبيل يستحيل الحصول عليه بسرعة ؛ غير أنه سيكون ملائماً للغرض الذي نريده لأجله."

فتشت ماريا داخل الحقيبة ثم قالت" :أستطيع أن أدفع لك ثمن هذه الأشياء في وقت لاحق"...

"كلا .من المؤكد أنك لن تفعلي ذلك .ورغم أن ما سأقوله قد يبدو على الأرجح مريعاً جداً ، إلا أن كل النشاط المحموم الذي حدث صباح اليوم مثير إلى حد ما ، وهذا ما يذكّرني بحفلات الأقنعة التنكرية في نادي والدي الريفي .والآن ، لنبدأ ...ولا تنسي زهرة القرنفل ، فهي من نوع التفاصيل التي يركز عليها الناس. سأرسل رسالة نصية لإيفان ، وسيكون هنا في غضون بضع دقائق."

غادرت ماريا غرفة الملابس التي تقف فيها ليلي ودخلت الغرفة المجاورة لها .وفي الحقيبة ، وجدت ملابس مماثلة لتلك التي ترتديها ليلي ، بالإضافة إلى شعر مستعار أشقر اللون وقرنفلة حمراء .فارتدت ماريا الملابس ، ووضعت الشعر المستعار ، وأمضت دقيقة وهي تعدّلها حسب مزاجها ، ثم دسّت القرنفلة في الشعر المستعار بطريقة مماثلة تقريباً للطريقة التي كانت ليلي تضع بها زهرتها .وبعد ذلك ، وضعت النظارة الشمسية.

من قريب ، لم يكن هناك أي شبه بينها وبين ليلي على الإطلاق ، ولكن من بعيد ربما...

انتعلت الحذاء الأحمر .وعند الساعة الثانية عشرة والربع تماماً ، غادرت غرفة الملابس ، فتقدّم منها إيفان ، وقال لها وهو يقترب منها" :مرحباً يا ليلي ، هل عثرت على أي شيء يعجبك؟ ."وشاهدت كولين في الزاوية يتظاهر بأنه مهتم بشيء موجود على هاتفه.

فهزت ماريا رأسها نافية ، فيما انحنى إيفان ليسلّم عليها قبل أن يمد لها يده .وخرجا من المتجر على مهل ، ثم اجتازا المركز التجاري متوجهين نحو الباب الخارجي.

عثرت ماريا على سيارة ليلي على بعد سيارتين ، فضغطت على الزر في سلسلة مفاتيح ليلي وفتحت الأبواب .ركبت في السيارة خلف المقود ، بينما ركب إيفان إلى جانبها .وتفقّدت ساعتها.

وفي متجر الملابس النسائية ، أدركت ماريا أن ليلي ستخرج بعد دقيقتين مرتدية ملابس ماريا ، وواضعة شعراً مستعاراً داكن اللون .وعندها ، سيأخذها كولين من يدها ويقودها إلى متجر آخر وغرفة ملابس أخرى ، حيث ستغير ليلي ملابسها مجدداً وترتدي طقمها الأول .وبعد ذلك ، ستخرج ليلي في نهاية المطاف من المركز التجاري مع إيفان ، بينما سيتوجّه كولين إلى سيارته وحده كما لو أن ماريا لم تكن في المركز التجاري على الإطلاق.

فكرت ماريا في أن كل ذلك غير ضروري على الأرجح ، ولكنها أدركت أن الكلمة المفتاحية هنا هي" على الأرجح ."فبوجود احتمال أن تكون مراقبة من

قبل رجلين ، لم تكن تريد هي أو كولين المغامرة بأي شيء .وأرادا كلاهما أن تكون في مكان ما حيث لا يخطر على بال أحد أن يبحث عنها ؛ في مكان لم تذهب إليه من قبل.

منزل ليلي.

شغلت ماريا محرّك السيارة وسارت في موقف السيارات ، فلم يخرج أحد خلفها ، ولم تخرج أية سيارة أخرى من الموقف .قامت بدورة في أرجاء موقف المركز التجاري حسب تعليمات إيفان .وبعد ذلك ، توقفت عند مدخل آخر للمركز التجاري ، وترجّل إيفان من السيارة.

قالت له" :شكراً لك."

فقال إيفان" :يسرّني فعل ذلك .تذكري أنك بأمان تام .سأحضر أنا وليلي بعد قليل ومعنا أغراضك .هل اتفقنا ؟."

فأومأت برأسها وهي لا تزال تشعر بالتوتر .وبعد دقيقة ، خرجت من موقف سيارات المركز التجاري .وكما فعلت كثيراً مؤخراً ، قامت ببعض الالتفاتات العشوائية وهي تلقي باستمرار نظرات خاطفة على مرآة الرؤية الخلفية .وشيئاً فشيئاً شعرت بأن توترها بدأ ينحسر أخيراً.

لم يكن من الممكن أن يكون هناك أحد يتبعها .وباتت متأكدة من ذلك.

حسناً ، إنها متأكدة على الأغلب.

ففي الآونة الأخيرة ، لم يعد أي شيء يبدو أكيداً على الإطلاق.

* * *

لم تكن شقة ليلي تبعد أكثر من ميل واحد عن كراب‌ي بيتس ، وكان لديها موقف سيارات خاص له بوابة ، ونوافذ غرفة معيشة ذات إطلالة مدهشة على منظر المحيط .وكانت مزينة بطريقة أنيقة بألوان الأبيض والأصفر والأزرق ، وهذا لا يدعو إلى المفاجأة إطلاقاً .جعلتها الشقة تشعر بأنها مرحب بها ومرتاحة في الوقت نفسه ، فأمضت بضع دقائق وهي تحدق إلى الشاطئ من دون أن تخرج .وأخيراً ، أغلقت الستائر قبل أن تتوجه نحو الأريكة.

تمددت على الأريكة وهي تتنهد وتفكر في أن قيلولة قصيرة هي بالضبط ما تحتاج إليه .وفي تلك اللحظة ، رنّ الهاتف الذي أعطاها إياه كولين ، فردت عليه وميّزت صوت مارغوليس على الخط.

"هناك بضعة أشياء .لقد اتصلت بصديقي المفتش الموجود في تشارلوت وتركت له رسالة أطلب منه فيها أن يجد بعض المعلومات عن آتكينسون ؛ سواء أحصل عليها من أمه أو من بيته .لذا ، هذه المسألة قيد العمل الآن .والأهم من ذلك هو أنني أردت أن أعلمك بأنني ضمنت لك أمر التقييد ، وأنني أنتظر الآن المعاملات الورقية فقط لا غير."

فقالت له" :شكراً لك ."وآثرت السكوت عن الشيء الواضح ؛ وهو أنه لا يزال يتوجّب عليهم العثور على ليستر ليتم تبليغه بالأمر ، وربما أن يحصلوا على أمر آخر بتقييد آتكينسون .وعندما أنهت المكالمة ، اتصلت بكولين لتخبره بذلك ، ثم أطلعت والديها على المستجدات .واستغرقت بضع دقائق لتبعد أمها القلقة عن الهاتف .وعندما أنهت المكالمة أخيراً ، أدركت أنها تشعر بأنها خائرة القوى ؛ وكأنها كانت تجري لأيام بلا توقف .وهذا ما شعرت بأنه صحيح فعلاً.

أغمضت عينيها مجدداً ، ولكنّ النوم جافاها .فالمكالمة التي وردتها من مارغوليس رغم قصرها ، حفّزت ذهنها ، وولّدت لديها مجموعة أخرى من التساؤلات .ولكن ، في النهاية انتصر الإرهاق عليها ، ولحسن الحظ غفت.

الفصل السابع والعشرون

كولين

بعد أن أنهى كولين المكالمة مع ماريا ، أخذ حقائبها من السيارة ، ووضع سمّاعتَي الأذنين وشغل الموسيقى ، ثم أخرج جهاز الكمبيوتر ووضعه على طاولة الطعام .فقد كان هناك شيء ما يريد تفقّده .ورغم أنه كان بوسعه أن يذكر الفكرة لماريا أو لمارغوليس أثناء تناولهم القهوة ، إلا أنه آثر عكس ذلك .فقد ظن أن فرص النجاح في هذا الأمر ضئيلة .ولكن الآن بعد أن بات أمر التقييد موجوداً ، أدرك أنه ليس هناك ضرر من تفقد ذلك .وسواء أكان آتكينسون متورطاً أم لا ، فذلك أمر خارج عن السياق .ففي الوقت الحالي ، إن القبض على ليستر يشكل أولوية.

خطرت الفكرة بباله صباح اليوم بعد أن ودّع ماريا .فبينما كان في طريقه إلى سيارته ، حاول أن يجد منطقاً في الحقائق الموجودة بين يديه ؛ أي أن أمر المحكمة لن يكون ذا فائدة ما لم يتم العثور على ليستر ، وأن الوقت أمر جوهري ، وأن ليستر شخص خطير ، وأنه ظهر ومعه مسدس وأخاف ماريا وبالطبع أخذ منها هاتفها...

هاتفها...

وعندئذ ، خطرت بباله ذكرى الليلة التي قابل بها ماريا للمرة الأولى.

ففي تلك الليلة العاصفة ، أوقف هو سيارته ...فبدت هي متوترة منه بسبب شكله بعد المباراة القتالية التي خاضها ....وطلبت منه أن تستعير هاتفه لأنها

نسيت أين وضعت هاتفها ، وراحت تتمتم قليلاً .ولكن ، ما الذي قالته بالضبط ؟

أوقف سيارته قليلاً محاولاً أن يتذكر كلامها.

لم أفقده بالفعل ...فهو إما في المكتب أو نسيته في بيت والدي ، ولكنني لن أكون واثقة من ذلك تماماً إلى أن أصل إلى جهاز الكمبيوتر المحمول ...فأنا أستخدم ذلك البرنامج المسمى" اعثر على هاتفي "أو ما شابه ...وأستطيع أن أقتفي أثره لأنه مرتبط بجهاز الكمبيوتر.

وهذا يعني بالطبع أنه باستطاعة كولين أيضاً اقتفاء أثر الهاتف.

وفاجأه أن مارغوليس لم يفكر في هذا الاحتمال من قبل .ولكن ، ربما تفقّد الأمر من قبل ولم يصل إلى أية نتيجة لأن ليستر تخلص من الهاتف ربما ، أو أطفأه ، أو لأن البطارية قد فرغت ، أو ربما توصّل إلى معلومات معينة لا يسمح له بمشاطرتهما إياها .وفي الوقت نفسه ، كان هناك الكثير مما يجري ، ولم يكن من غير الوارد بشكل كامل أن مارغوليس قد تغاضى عن الفكرة بشكل مؤقت.

لم يرغب كولين في أن يرفع سقف آماله كثيراً ، فالفرصة ضعيفة وقد لا تنجح ، وهذا ما أدركه تماماً .ولكنّ بضع نقرات على جهاز الكمبيوتر جعلت قلبه ينبض بعنف عندما استوعب ما يراه .فقد اكتشف أن الهاتف لا يزال شغالاً ، وأن البطارية فيها ما يكفي من الشحن لتدعه يعرف أن الهاتف موجود في جادة روبنز في شالوت ؛ وهي بلدة صغيرة في جنوب غرب وليمنغتون قرب شاطئ هولدن ، وتبعد حوالي خمس وأربعين دقيقة بواسطة السيارة .فراح كولين يحدق إلى الموقع ليتأكد إن كان الهاتف يتحرك.

غير أنه لم يكن كذلك .وسمح له الموقع بتعقب المواقع السابقة التي انتقل إليها الهاتف على حد سواء .وبعد بضع نقرات أخرى ، عرف أن الهاتف تم حمله من منزل آل سانشيز إلى المنزل في جادة روبنز من دون أي انعطافات.

هذا أمر مثير للاهتمام بكل تأكيد ، ولكنه ليس دليلاً .فربما أدرك ليستر أن الهاتف سيتم تعقبه فألقى به في سيارة شخص ما أو في شاحنة ما أثناء هربه ، وربما رمى به في مكان ما وصادف أن شخصاً آخر قد عثر عليه.

أو ربما كان ليستر مضللاً حيث لم يخطر بباله قط التفكير في تلك الأمور.

ليست هناك طريقة للتأكد من ذلك ، ولكنه فكر في أن الأمر يستحق أن يتفقد صحته...

وراح يفكر في سرّه في ما إذا كان يجب عليه الاتصال بمارغوليس أم لا ، قبل أن يقرر أخيراً أنه على الأرجح من الأفضل أن يكون متأكداً قبل أن يفعل ذلك .فشالوت ليست حتى في المقاطعة نفسها .ولم يرغب في إضاعة وقت مارغوليس إن لم تكن هناك نتيجة من ذلك...

شعر بشخص ما ينقر على كتفه ، فأجفل بشكل تلقائي .وعندما التفت ، وجد إيفان يقف خلفه ، فنزع كولين السماعتين.

سأله إيفان قائلاً" :إنك تنوي أن تفعل ما أظن أنك ستفعله ، أليس كذلك ؟."

"ما الذي تفعله هنا ؟ لم أسمعك وأنت تدخل ؟."

"لقد نقرت على الباب ، ولكنك لم تجب .وعندها استرقت النظر إلى

الداخل ، فوجدتك جالساً أمام كمبيوتر ماريا ، فتساءلت عمّا إذا كنت تنوي القيام بشيء ما غبي .لذا ، فكرت في أن أسألك عن ذلك."

"ليس غبياً ، إنني أتعقب هاتف ماريا."

فقال إيفان" :أعرف ذلك ."وأشار إلى الكمبيوتر ثم قال" :أستطيع أن أرى الشاشة .متى خطر ببالك أن تفعل هذا ؟."

"صباح اليوم ، بعد أن غادرت بيت والدَي ماريا."

فقال إيفان" :هذا بارع تماماً .هل اتصلت بمارغوليس أم لم تفعل بعد ؟."

"كلا."

"لم لا ؟."

"لأنك دخلت الآن ، فلم تتح لي الفرصة للقيام بذلك."

فقال إيفان" :إذاً ، اتصل به الآن ."وعندما لم يمد كولين يده إلى هاتفه ، تنهد إيفان وقال" :هذا هو ما أعنيه بأنني قلق من أنك تنوي الإقدام على فعل غبي ، أي أنك لا تنوي الاتصال به في المقام الأول ، أليس كذلك ؟ ستتفقد الأمر بنفسك قبل أن تتصل به."

"قد لا يكون ليستر."

"وماذا في ذلك ؟ دع مارغوليس يتفقد الأمر بنفسه .فعلى الأقل ، هاتف ماريا هناك ، لذا سيذهب ويستعيده .وهل يجب عليّ أن أذكرك مجدداً بأن هذا عمل الشرطة ؟ يجب عليك أن تُخبر مارغوليس بما عرفته ليؤدي واجبه بنفسه. يجب أن تتصل به."

"سأتصل به حالما أعرف إن كان الأمر صحيحاً."

فقال له إيفان" :أتعرف ما أفكر فيه ؟ أنك تكذب."

"لا ، أنا لا أكذب."

"ربما ليس عليّ أنا ، ولكنني في الوقت الحاضر أعتقد أنك تكذب على نفسك .إذ إن الأمر لا يتعلق بعدم إضاعة وقت مارغوليس .فالحقيقة كما أعتقد هي أنك تريد أن تحتل المركز والواجهة في الأمر برمته .وأعتقد أنك تريد أن ترى ليستر لتربط بين الوجه والاسم ، كما أعتقد أنك غاضب لأنك معتاد على تولي الأمور بنفسك وبطريقتك الخاصة .وأعتقد أنك تريد أن تثبت أنك البطل كما فعلت عندما التقطت الصور من سطح المبنى ، أو كما حدث في الليلة الماضية عندما اقتحمت بيت والدَي ماريا لتفتحه ؛ رغم أنك تعرف أن الشرطة موجودة هناك من قبل."

اعترف كولين لنفسه بأن إيفان محق في ما يقوله ربما ، وقال" :وماذا في ذلك ؟."

"إنك ترتكب خطأ."

"سأكتشف إن كان ليستر هو من رمى الهاتف هناك ، ثم سأتصل بمارغوليس."

"وكيف ستفعل ذلك ؟ هل ستطرق على الباب وتسأل إن كان ذلك بيت ليستر أم لا ؟ أم ستتسلل إلى الداخل وتحاول أن تسترق النظر عبر النوافذ ؟ أم تراك تأمل أن يخرج من البيت ليغسل سيارته ؟ أو ربما ستدس له رسالة من تحت الباب ؟."

"سأكتشف ما سأفعله عدما أصل إلى هناك."

فصاح إيفان قائلاً" :آه ، يا لها من خطة رائعة !لأنك عندما تتولى الأمور بنفسك ، فهي تنتهي دائماً على النحو الأفضل ، أليس كذلك؟ هل يصادف أنك تتذكر أن ليستر لديه مسدس؟ وأنك قد تجد نفسك عالقاً في موقف بإمكانك أن تتجنبه؟ أو أنك قد تجعل الأمور أسوأ بكثير؟ ماذا سيحصل إن لاحظ ليستر وجودك؟ فقد يتسلل من المكان خلسة ، ثم سيصبح العثور عليه في المستقبل أصعب بكثير."

"أو ربما كان يخطط للهرب الآن ، وسأتمكن من اللحاق به وإيقافه."

أسند إيفان يديه على مسند كرسي كولين وقال" :لن أتمكن من إقناعك بالعدول عن الفكرة ، أليس كذلك؟."

"نعم."

"إذاً ، انتظر إلى أن أحضر ليلي إلى البيت ، وبعد ذلك سأرافقك."

"كلا."

"ولم لا؟."

"لأنه ليس هناك سبب يدعوك للمجيء معي."

ابتعد إيفان عن الكرسي ، ووقف بشكل مستقيم مجدداً ، وقال أخيراً" :لا تفعل ذلك .ومن أجل مصلحتك ، اتصل بمارغوليس ."وقد أراد بلا شك أن يؤكد على فكرته ، فمدّ يده إلى كمبيوتر ماريا ودسه في حقيبتها الموضوعة قرب الباب ، ثم أخذ أغراض ماريا الأخرى وغادر شقة كولين وأغلق الباب خلفه بقوة.

شاهده كولين وهو يذهب من دون أن يتفوه بكلمة.

* * *

وبعد مرور خمسين دقيقة على حديثه مع إيفان ، وفيما كان في طريقه إلى شالوت ، فكر كولين ملياً في الأشياء التي قالها له صديقه.

لماذا صمّم على الذهاب وحده؟ ولماذا لم يتصل بمارغوليس؟ وما الذي كان يأمل تحقيقه؟!

لأنّ الوضع -كما لمّح إيفان -بات شخصياً .فقد أراد أخيراً أن يربط بين الاسم والوجه ، وأراد أن يرى بأم عينيه شكل ذلك الرجل ، وأن يرى ليستر وهو يتم تبليغه بالقرار على يد مارغوليس .وبعد ذلك ، أن نأنيعثر على طريقة ليُبقي عينيه عليه حتى لو لم يخبر مارغوليس بذلك أيضاً .وفكّر في أن الوقت قد حان بالنسبة إلى ليستر لكي يبدأ بالنظر من فوق كتفه بدلاً من النظر إلى الاتجاه الآخر.

بالطبع ، لو أنه ليستر...

ومع ذلك ، لقد ذكّر إيفان كولين أن مخاطر الهاجس قد تتحول إلى حقيقة .فلطالما برع إيفان في أشياء من هذا القبيل .وأدرك كولين أنه عليه أن يتوخى جانب الحيطة والحذر ، فقد كان على بعد خطأ واحد من دخول السجن. ووعد نفسه بأن كل ما سيفعله هو المراقبة لا غير .وحتى إن مرّ ليستر من أمامه بسيارته ، فقد قرر أنه لن يفعل أي شيء ؛ ولو كان ذلك مجرد لمسه .ومع ذلك ، ظل كولين يشعر بالتوتر ، وراح الأدرينالين منذ تلك اللحظة يتدفق في جسده.

أجبر نفسه على أخذ أنفاس طويلة وثابتة.

ثم شقّ طريقه عبر وليمنغتون ، وراح يقف عند الإشارات الحمراء الواحدة تلو الأخرى ، إلى أن وصل في نهاية المطاف إلى الطريق السريع رقم .17 وضع عنوان جادة روبنز على نظام تحديد المواقع في هاتفه ، وراقب بهدوء بينما بدأت الإرشادات تظهر على الشاشة ، ثم تبع الإرشادات الصوتية .وبعد الساعة الثانية عصراً بقليل ، وجد نفسه ينعطف في آخر المنعطفات ، ويمرّ عبر حيّ سكني هادئ خاص بالطبقة المتوسطة ذكّره نوعاً ما بالحي الذي يقطن فيه والدا ماريا ، ولكن بشكل ظاهري فقط .بدت البيوت أصغر حجماً وأقل ترتيباً ، كما أن عدة بيوت كانت لديها مروج مزروعة بأعشاب طويلة وغير مشذبة .وهنا وهناك ، شاهد لافتات تعلن عن بيوت للإيجار ، ما جعل المنطقة تبدو موحية بالانعزال ؛ أي من نوع الأحياء حيث ينعزل الناس بأنفسهم ولا يمكثون لوقت طويل.

أو ربما حيث يريدون الاختباء.

ربما.

ركن سيارته أمام كوخ صغير على بعد عنوانين من العنوان الذي يبحث عنه ؛ وهو أحد بيوت الإيجار خلف عربة نقل بضائع كانت من قبل بحالة جيدة. كانت هناك شرفة صغيرة في المقدمة ، فاستطاع أن يرى الباب وجانب المنزل حيث توجد نافذة لها ستائر مسدلة تطل على البيت المجاور .وعندما استرق النظر من الجانب البعيد من البيت ، استطاع أن يرى مقدمة سيارة زرقاء ، ولكنه لم يستطع تمييز طرازها.

هل هناك شخص ما في البيت ؟

لا بد من ذلك .فقد كانت سيارة آتكينسون مركونة في المتنزه ، أو على

الأقل -حسب قول مارغوليس -كانت هناك قبل بضع ساعات.

تمنى لو أنه على الأقل تمكن من الاحتفاظ بكمبيوتر ماريا معه .فقد كان سيساعده كثيراً في الحرص على أن الهاتف لا يزال موجوداً في مكانه .خطر بباله أن يتصل بإيفان ويسأله ، ولكنّ إيفان سيستغل هذه الفرصة من دون شك لإلقاء محاضرة أخرى عليه .ولم يكن في مزاج ملائم لسماع ذلك .وبالإضافة إلى ذلك ، لا بد أن إيفان وليلي قد توجّها عائدين إلى شقة ليلي وأخذا معهما أغراض ماريا .وهذا يعني أن كل ما عليه فعله هو المراقبة ؛ على أمل أن يغامر ليستر في نهاية المطاف في الخروج من البيت.

ومجدداً ، وكما ذكره إيفان من قبل ، لم يكن كولين حتى واثقاً من شكل ليستر.

* * *

ألقى كولين نظرة خاطفة على هاتفه ، وشاهد أن الساعة تقارب الثالثة عصراً .لقد مضت عليه ساعة من الوقت وهو يراقب ، ولم يلاحظ أثراً لأية حركة خلف الستائر في الكوخ ، كما لم يخرج منه أحد .وظلت السيارة الزرقاء ملازمة مكانها.

ومن الناحية الإيجابية ، لم يبدُ على أحد من الجيران أنه يلاحظ وجوده. وساد في الشارع نفسه هدوء شديد .مر عدد من الناس من أمام سيارته ، وركض بعض الأطفال وهم يركلون كرة قدم ، ووصل ساعي البريد ، فارتفعت آمال كولين بشكل مؤقت ؛ إذ أمل أن يلمح اسم الشخص الذي يقطن في هذا البيت أياً يكن عن طريق تفقّد عنوانه البريدي .ولكنّ ساعي البريد مرّ من أمام البيت

من دون أن يوصل له أي رسائل على الإطلاق.

ووجد ذلك غريباً ؛ فقد توقّف الساعي عند كل البيوت الأخرى في المربع السكني.

ولكن ، قد لا يعني هذا أي شيء بتاتاً.

أو ربما كان يعني أن الشخص الذي يقطن في ذلك البيت لا يتلقى عادة أي بريد ؛ لأن البريد يتم إرساله إلى مكان آخر.

وجعله هذا يتعجب.

* * *

راحت الدقائق والساعات تمضي ، وصارت الساعة الرابعة .عندها ، بدأ كولين يشعر بالتوتر ، وقاوم الرغبة في داخله التي تحثّه على أن يفعل شيئاً ما... أي شيء .وتساءل مجدداً عمّا إذا كان عليه أن يتصل بمارغوليس .خطر بباله أن يغامر ويطرق على الباب ، وكان واثقاً بأنه لن يبالغ برد فعله ، أو على الأغلب لن يفعل ذلك.

بقي جالساً في سيارته وهو يأخذ أنفاساً طويلة وبطيئة ، وأجفل عندما سمع نغمة هاتفه .إيفان.

"ما الذي تفعله ؟."

فرد عليه كولين برسالة" :لا شيء."

* * *

مرت ساعة أخرى ، وحلت الساعة الخامسة ، وبدأت الشمس تميل نحو المغيب ، وظلت ساطعة كما لو أنها تنذر بحلول الظلمة بشكل تدريجي. عندئذ ، تساءل كولين عمّا إذا كانت الأضواء ستضاء داخل البيت أم لا .فمنذ وصوله إلى هنا ، بات من السهل بالنسبة إليه أن يتخيل أن أحداً ما لا يعيش في ذلك الكوخ بأي حال من الأحوال.

صدرت نغمة عن الهاتف مجدداً .إيفان من جديد.

وقالت الرسالة :سأصل إليك في غضون دقيقة ، أكاد أصل إلى سيارتك.

فقطّب كولين حاجبيه ، ثم نظر من فوق كتفه ورأى إيفان يقترب من خلفه .صعد إيفان إلى السيارة وأغلق الباب ، ثم رفع زجاج النافذة ، ففعل كولين الشيء نفسه.

"عرفت أنك هنا .فحالما تركتك ، أدركت بالضبط المكان الذي تنوي الذهاب إليه .وبعد ذلك ، كذبت عليّ برسالتك عندما قلت لي إنك لا تفعل أي شيء ؟."

"لم أكذب .فأنا لا أفعل أي شيء."

"لقد أتيت إلى هنا ، وها أنت تراقب البيت .إنك تراقب ليستر ، وهذا شيء ما بالتأكيد."

"ليس إن لم أره بالفعل."

"إذاً ، ما هي الخطة الآن ؟."

فأجاب كولين" :ما زلت أعمل عليها .كيف حال ماريا ؟."

"وجدناها نائمة على الأريكة عندما وصلنا إلى هناك .ولكنها حالما استيقظت ، بدأت ليلي تحدثها عن ترتيبات زواجنا ، ففكرت في أنني أستطيع أن آتي وأتفقد أمرك لأن ليلي تستطيع التحدث عن ذلك الموضوع لساعات"...

وفي تلك اللحظة ، لمح كولين حركة أمام الكوخ .فقد انفتح الباب ، وبدأ رجل ما يخطو إلى الشرفة حاملاً علبة تحتوي على شيء ما.

فهمس كولين" :انخفض ."وانخفض هو أيضاً على حد سواء ، ثم أضاف قائلاً" :وابقَ منخفضاً."

ففعل إيفان ما طلبه منه بشكل تلقائي وسأله" :لماذا ؟."

غير أنّ كولين مدّ رأسه إلى الأعلى ببطء من دون أن يردّ ؛ بسبب حاجته إلى إلقاء نظرة أخرى عن كثب .وجد أن الرجل قد تحرك داخل الشرفة ، ولاحظ أن الباب الأمامي مفتوح خلفه .حدّق إليه كولين أكثر محاولاً استحضار شكل آتكينسون .من المؤكد أنه ليس هو ؛ هذا ما قرره .وحاول أن يتذكر ما قالته ماريا عن شكل ملابس ليستر في الليلة الفائتة .هل قالت إنه كان يرتدي قميصاً أحمر باهتاً ، وبنطال جينز ممزقاً ؟

ففكر كولين في سره :نعم ، إنه الآن يرتدي الملابس نفسها.

ليستر!

لا بد أنه هو .وشعر كولين بدفقة أخرى من الأدرينالين ؛ فقد كان ليستر في الكوخ ، حتّى إنه لم يغير ملابسه...

وبعد لحظات ، استدار ليستر ومشى إلى الداخل ، وأغلق الباب الأمامي

خلفه.

فهمس إيفان قائلاً" :هل هذا هو؟."

فأجاب كولين" :نعم ، إنه هو."

"ستتصل بمارغوليس الآن كما قلت إنك ستفعل ، أليس كذلك؟."

فقال كولين" :حسناً."

* * *

أثناء حديثهما عبر الهاتف ، وبعد أن شتم مارغوليس كولين مطولاً لكتمه هذه المعلومة المهمة ، قال له بغضب إنه في طريقه إليه ، وإنه سيصل حالما يتمكن من ذلك .وأمرهما بعدم اللحاق بليستر أو أي شخص آخر على الإطلاق إن غادر ذلك المنزل ، وأن يتركا الأمر له ليتولى القضية بنفسه .وقال لكولين إنه إن فعل أي شيء ، حتى لو كان ذلك مجرد الترجل من سيارته ، فسيعثر على سبب ليزج به في السجن ؛ لأنه سئم وضجر من كثرة تظاهره بأنه يعرف ما يفعله .وتفوّه بالمزيد من الكلمات اللطيفة الأخرى .وعندما أنهى كولين المكالمة أخيراً ، نظر إليه إيفان ، ثم علق قائلاً" :لقد حذّرتك من أنه لن يكون سعيداً."

"حسناً."

"وأنت ، ألا تأبه لذلك؟."

"ولماذا ينبغي لي ذلك؟."

"لأنّه قادر على تحويل حياتك إلى حياة حتى أكثر بؤساً."

"فقط إن فعلتُ شيئاً يوقعني في المتاعب."

"أتعني مثل التدخل في عمل الشرطة ؟."

"إنني جالس في سيارتي بعد أن اتصلت به وأعطيته معلومات يحتاج إليها .وها أنا لا أتدخل في عمله .إنني شاهد محتمل ، وقد أخبرني بما يجب عليّ فعله وسأفعله."

عندها ، تحرّك إيفان في مكانه وقال" :هل يمكنني الجلوس الآن ؟ فقد أصبت بتشنجات."

"لا أفهم السبب الذي يجعلك لا تزال منحنياً في المقام الأول."

* * *

وبعد أربعين دقيقة ، مرت سيارة مارغوليس من أمام سيارة كولين وتوقفت .وراحت سيارة السيدان تمشي متمهلة على الطريق ونافذة السائق فيها مفتوحة.

قال مارغوليس" :لقد ظننت أنني طلبت منك أن تخرج من هنا."

فقال كولين" :كلا ، لم تفعل ذلك ، بل أمرتني بعدم الخروج من السيارة أو ملاحقته."

"هل تتعمد محاولة الظهور بمظهر الذكي الوغد ؟."

"كلا."

"لأنك تبدو وغداً متذاكياً .لقد خرجت عن طبيعتي وأسلوبي لأمنعك من

التعرض للاعتقال ليلة أمس .ورغم ذلك ، نسيتَ أن تذكر لي فكرتك هذه صباح اليوم !لكي تتمكن من لعب دور السيد الذي يفرض القوانين مجدداً ؟."

"لقد أخبرتك ماريا أن ليستر قد أخذ هاتفها الآيفون ، ومن السهل تعقّب هذا النوع من الهواتف .لذا ، ظننت أنك على الأرجح لا بد أن تكون قد بحثت في الأمر من قبل."

أظهر التعبير المرتسم على وجه مارغوليس أنه تغاضى عن أمر واضح.

وعندما استعاد وعيه ، صاح قائلاً" :صدّق أو لا تصدّق ، إن عالمي لا يدور حول صديقتك دون غيرها فحسب ، فلديّ قضايا أخرى .وهي قضايا كبيرة أتولى التحقيق فيها."

عندها ، فكّر كولين في سره :بالطبع هذا صحيح .وقال" :هل ستستعيد هاتف ماريا ؟."

"إن اتضح أنه يملكه بالفعل ، فليس لديّ دليل يثبت أنه معه باستثناء كلامك أنت."

وفي تلك اللحظة ، تدخّل إيفان قائلاً" :لقد كان كذلك قبل بضع ساعات. فقد تفقّدت الأمر قبل أن آتي إلى هنا."

حدّق مارغوليس إلى إيفان والانزعاج بادٍ عليه ، قبل أن يهز رأسه أخيراً ويقول" :سأعيد لها هاتفها .والآن ، اذهبا من هنا كلاكما .فأنا لا أريدكما هنا ، ولست بحاجة إليكما .سأتولى الموضوع بنفسي."

ثم أغلق النافذة وحرّر المكابح وترك السيارة تسير إلى الأمام قبل أن

يوقفها أخيراً مباشرة أمام الكوخ .فشاهد كولين مارغوليس وهو يترجل من السيارة ، ويأخذ دقيقة ليتفحص المكان ، قبل أن يدور حول السيارة ويتوجّه نحو المدخل.

وفيما كان يصعد الدرج المؤدي إلى الشرفة ، التفت نحو كولين وأشار إليه بإصبعه ليذكّره بأن الوقت قد حان لكي يغادر المكان في الحال.

عندها ، فكّر كولين في أن هذا منصف بما فيه الكفاية .وكان المفتاح لا يزال في المشعل فأداره ، غير أنه لم يسمع شيئاً سوى الصمت .فالمحرّك كان متوقفاً عن العمل بالكامل ، ولم يصدر عنه أي صوت ، ولو كان مجرّد صوت طقطقة بسيطة .جرّب كولين مجدداً ، غير أنه حصل على النتيجة نفسها ؛ فالمحرك معطل!

قال إيفان" :دعني أخمن ، سيارتك رهيبة."

"اليوم فقط ربما."

"لن يكون مارغوليس سعيداً بما يجري."

"ليس هناك أي شيء أستطيع فعله."

وكان يتحدث إلى إيفان وهو يُبقي انتباهه مركزاً على مارغوليس الذي لم يكن قد دقّ على الباب بعد .وبدلاً من ذلك ، وصل المفتش إلى آخر الشرفة ، وراح يسترق النظر إلى السيارة المركونة في مدخل السيارات .وعندما التفت ، ظن كولين أنه شاهد نظرة ارتباك على وجه مارغوليس عندما اقترب من الباب. تردد قليلاً قبل أن يدق على الباب ، وبعد فترة ، مد يده إلى مقبض الباب وفتحه قليلاً.

هل نادى شخص من الداخل وطلب من الطارق أن يدخل لأن الباب مفتوح ؟

تحدث مارغوليس من خلال شق الباب ، وأخرج شارته وهو يتسلل عبر الباب المفتوح ، ثم اختفى عن الأنظار.

قال إيفان" :دعنا نذهب إلى سيارتي .فبوسعنا أن ننطلق قبل الوقت الذي سيخرج فيه مارغوليس من هناك .أعرف أنه يكرهك ، ولا أريد له أن يكرهك أكثر من ذي قبل ، أو أن يكرهني أنا أيضاً .فهو يبدو بغيضاً."

لم يقل كولين أي شيء .وبدلاً من ذلك ، راح يفكر في التعبير الذي رآه على وجه مارغوليس قبل أن يدق على الباب مباشرة .لا بد أن مارغوليس قد شاهد شيئاً ما ...شيئاً لا يمت إلى المنطق بصلة ، شيئاً فاجأه ، أو شيئاً ربما لم يتوقع رؤيته.

لماذا سيدعوه ليستر إلى الدخول مباشرة إن كان مصاباً بجنون الاضطهاد ويخشى الشرطة ؟!

فقال كولين" :هناك خطأ ما ."وخطرت الفكرة بباله بشكل تلقائي حتى قبل أن يدرك ما قاله.

عندها ، نظر إليه إيفان وقال" :ما الذي تتحدث عنه ؟ ."وفي تلك اللحظة ، سمع كولين صوت طلقات نارية عالياً ومتفجراً ؛ طلقات بتتابع سريع صادرة عن مسدّس.

وعلى الفور ، أمسك كولين بمقبض باب سيارته ، في اللحظة التي خرج فيها مارغوليس من الكوخ ، وسترته وقميصه مبللان بالدماء ويده على عنقه.

خرج من الشرفة متعثراً، وسقط إلى الخلف على الدرجات، وتدحرج نحو المدخل.

وبحلول ذلك الوقت، كان كولين قد ترجّل من السيارة بشكل فطريّ، وراح يركض نحو مارغوليس ويزيد سرعته مع كل خطوة يخطوها، وهو يشاهده يتلوى على الأرض من شدة الألم.

خرج ليستر إلى الشرفة وهو يصيح بكلام غير مترابط، ممسكاً بمسدس رفعه وسدده نحو مارغوليس .وبدت ملامحه موحية بكل من الخوف والغضب، فيما يده التي تمسك بالمسدس ترتجف .راح ليستر يصرخ مجدداً وهو يخفض المسدس ثم يرفعه أكثر...

وفي تلك الأثناء، ظل كولين يهرول باتجاه الكوخ، ويقطع طريقه فوق مرج بيت الجيران، مزيحاً شجيرة صغيرة من طريقه، ومقترباً من الشرفة في طريقه إلى ليستر .راح يقترب منه أكثر فأكثر، بضع ثوان أخرى.

ظل ليستر يسدد المسدس نحو مارغوليس من دون أن يضغط على الزناد. وكان وجهه محمراً وعيناه محمرتين .خارج عن السيطرة !وراح يصيح على مارغوليس" :ليس الذنب ذنبي !لم أفعل أي شيء !ولن أعود إلى السجن! وأعرف ما الذي تفعله ماريا."!

اقترب ليستر من درج الشرفة مقلّصاً المسافة بينه وبين مارغوليس، وهو مستمر بتسديد المسدس نحو المحقق ويده ترتجف .وعندما أدرك ليستر وجود غشاوة في زاوية عينه، التفت بسرعة وأدار المسدس باتجاه كولين...

ولكنّ الأوان كان قد فات.

فقد انطلق كولين قافزاً من فوق سياج الشرفة ، وذراعاه مفتوحتان على وسعهما ، واصطدم بليستر بعنف .فطار المسدس من يد هذا الأخير ، وراح يتشقلب في الهواء حتى سقط على أرض الشرفة.

كان وزن كولين يفوق وزن ليستر بأربعين رطلاً ، فشعر بأضلاع ليستر تتكسر وهما يسقطان على الأرض .صاح ليستر متألماً ، وبات مشلول الأطراف بشكل مؤقت.

وعلى الفور ، تحرّك كولين بسرعة ونهض مبتعداً عن ليستر ، ولفّ ذراعه في الحال حول عنق ليستر ثم أغلق على ذراعه بذراعه الأخرى ، فبدأ ليستر يتقلب ويحرك عنقه المحشور بين عضلات عضدي كولين وذراعه .مارس كولين ضغطاً كبيراً على الشرايين السباتية ، بينما حاول ليستر أن يهرب من قبضته باهتياج.

وفي غضون ثوانٍ ، بدأت عينا ليستر تنقلبان إلى الوراء وتصبحان بيضاوين .وفجأة ، توقف عن الحركة.

ظل كولين يمارس ضغطه بما يكفي لكي يبقي ليستر فاقداً الوعي لأكثر من بضع ثوانٍ .وبعد ذلك ، نهض متعثراً على قدميه وتوجه نحو مارغوليس.

وجد أن مارغوليس لا يزال يتنفس ، ولكنه لم يعد يحرك ساكناً ، وبدا وجهه شاحباً كالأموات .حاول كولين أن يتبيّن ما جرى ، واكتشف أنه تم إطلاق النار على مارغوليس مرّتين ؛ إحدى الرصاصتين أصابته في بطنه ، فيما أصابته الأخرى في عنقه .وكان ينزف بغزارة ويفقد الدماء بسرعة.

وبسرعة ، مزّق كولين قميصه وشقه إلى نصفين ، بينما وصل إيفان جرياً

وهو يبدو مرعوباً.

"يا للهول !ما الذي يجب أن نفعله ؟."

صاح كولين محاولاً أن يجعل شعوره بالهلع يتلاشى" :اتصل بالطوارئ." وأدرك أنه يحتاج أكثر من أي شيء آخر إلى التفكير بشكل واضح ، فقال: "استدعِ سيارة إسعاف !الآن حالاً."!

لم يكن كولين يعرف أي شيء عما يجب القيام به بالنسبة إلى جروح طلقات الرصاص ، ولكن إن ظل مارغوليس ينزف فلن تكون لديه أية فرصة للنجاة على الإطلاق .ولأن جرح العنق بدا أسوأ حالاً ، بدأ كولين بالضغط على عنق مارغوليس ، وفي الحال بدأ الدم يتسرب من خلال القميص الممزق .وفعل الشيء نفسه في الجرح الآخر عند معدة مارغوليس ، حيث كان الدم لا يزال يتدفق بغزارة مشكلاً بركة تحت المحقق.

بدأ وجه مارغوليس يتحوّل إلى لون رمادي.

استطاع كولين أن يسمع صوت إيفان وهو يصيح عبر الهاتف قائلاً إن شرطياً قد تعرض لإطلاق النار ، وإنهم بحاجة إلى سيارة إسعاف في الحال.

صاح كولين" :أسرع يا إيفان .فأنا بحاجة إلى مساعدتك."!

وعلى الفور ، أنهى إيفان المكالمة ، وراح يحدق إلى مارغوليس وكأنه سيغمى عليه .وبزاوية عينه ، شاهد كولين ليستر وهو يدير رأسه إلى الجانب وقد بدأ يصحو ويستعيد وعيه.

فقال" :أمسك بالأصفاد !واحرص على ألا يتمكن ليستر من الهرب."!

وبدا على إيفان وهو يحدق إلى مارغوليس أنه مسمر في مكانه من شدة الرعب .واستطاع كولين أن يشعر بالدم الذي استمرّ بالتدفق من خلال قماش قميصه ، كما استطاع أن يشعر بدفئه على يديه ، فيما صارت أصابعه حمراء وزلقة.

صاح كولين" :إيفان ، الأصفاد !على حزام مارغوليس !الآن."!

هز إيفان رأسه وراح يعبث بالأصفاد.

فصاح كولين" :وعد إلى هنا بأقصى سرعة ممكنة .فأنا بحاجة إلى مساعدتك."!

أسرع إيفان نحو ليستر ، ووضع أحد الأصفاد حول معصمه ، ثم جر جسده ليقرّبه من السياج ، وثبّت الآخر إلى أحد الأعمدة .راح ليستر يئن ، واستعاد وعيه فيما كان إيفان يسرع بالعودة .سقط إيفان على ركبتيه قرب مارغوليس وعيناه مفتوحتان على وسعهما.

"ماذا أفعل ؟."

"تولَّ أنت أمر جرح معدته حيث أضع يدي الآن ، واضغط عليه بقوة."!

ورغم أن تدفّق الدم بات أكثر بطئاً بشكل مؤكد ، إلا أن تنفّس مارغوليس بدأ يصبح سطحياً...

فعل إيفان ما طلبه منه كولين بالضبط ، فاستخدم كولين كلتا يديه للضغط على جرح العنق .وبعد ثوانٍ ، سمع كولين صوت أول صفارات سيارة الإسعاف .وبعد ذلك ، سمع مجموعة من الصفارات .وفيما كان يحثها في سرّه

على الوصول بسرعة أكثر ، كان كل ما استطاع التفكير فيه هو :لا تمت بين يديّ .افعل ما تريده ، ولكن لا تمت...

وعلى الشرفة ، راح ليستر يئن مجدداً وعيناه تنفتحان أخيراً وهما غير مركزتين.

كان نائب المأمور أول الواصلين ، وتبعه بسرعة شرطي من قسم شرطة شالوت .توقّف كل منهما وقوفاً مفاجئاً في وسط الشارع ، فيما راحت أضواء سيارتيهما تومض .قفز كلا الرجلين من سيارتيهما ، وأسرعا باتجاههم وهما يحملان مسدسيهما غير واثقين مما يفعلانه.

صاح بهما كولين وهما يقتربان" :لقد تعرض المفتش مارغوليس لإطلاق النار !الرجل المقيد هناك إلى السياج هو الذي أطلق الرصاص عليه ."فنظر كل من نائب المأمور والشرطي إلى الشرفة ، فيما أجبر كولين لهجته على الثبات وهو يقول" :إن المسدس لا يزال هناك مرمياً على أرض الشرفة !لا نستطيع أن نترك هذين الجرحين فهما ينزفان .احرصا على أن تصل سيارة الإسعاف بسرعة ، فقد خسر الكثير من الدماء ، ولست واثقاً إلى كم من الوقت يستطيع الصمود."!

على الفور ، اقترب الشرطي من الشرفة ، بينما هرع النائب عائداً إلى سيارته وصاح عبر جهاز اللاسلكي بأن هناك شرطياً مصاباً ، وطالب سيارة الإسعاف بالإسراع في الوصول .ظل كل من كولين وإيفان محافظين على تركيزهما على الجرحين ، واستعاد إيفان شيئاً من وعيه ؛ بما يكفي لكي يعود بعض اللون إلى وجنتيه.

وبعد دقائق قليلة ، وصلت سيارة الإسعاف ، وقفز اثنان من المسعفين

منها وأخرجا النقالة .ووصل عدد آخر من نائب.ي المأمور إلى موقع الحادث ، بالإضافة إلى المزيد من رجال الشرطة .وصار الشارع الآن محتشداً بالسيارات.

وعندما تولى المسعفين أخيراً مهمة كولين وإيفان ، كان مارغوليس يبدو بحال أسوأ ، إذ لم يعد يتجاوب .وأصبح بالكاد يتنفس بحلول الوقت الذي تم وضعه فيه على النقالة .كان المسعفان يتحركان بسرعة ، فوضعا النقالة داخل السيارة ، وقفز أحدهما خلف المقود بينما بقي الآخر مع مارغوليس .وبحلول الوقت الذي انطلقت فيه السيارة في طريقها ، رافقها شرطي ومأمور .ظلت الصفارات تدوي .وعندئذ فقط ، بدأ العالم يعود إلى تركيزه شيئاً فشيئاً.

استطاع كولين أن يشعر بالارتجاف في أطرافه ، وبدأت أعصابه تسترخي ، فيما بدت يداه ومعصماه مغطاة بالدماء التي بدأت تجف .وبدا قميص إيفان وكأنه مغمس بوعاء من الصباغ الأحمر ، فابتعد قليلاً وتقيأ.

ذهب أحد نواب المأمور إلى سيارته ، وعاد ومعه قميصان أبيضان نظيفان وأعطاهما لكولين وإيفان .وقبل أن يتمكن كولين من إعطاء إفادته ، مد يده في الحال إلى هاتفه ليتصل بماريا ويعلمها بما حدث.

ولكن ، فيما كان يتحدث ، كان كل ما استطاع التفكير فيه هو مارغوليس.

* * *

خلال الساعة التالية ، وبينما بدأ الظلام يسود إلى أن بات حالكاً ، تجمّع حشد أكبر من رجال الشرطة ونواب المأمور في المكان ودخلوا الكوخ ، بالإضافة إلى مفتش من وليمنغتون ومأمور المقاطعة.

وكان ليستر مضللاً وجدلياً ؛ فقد راح يصيح بأعلى صوته ويقاوم الاعتقال ،

إلى أن تم الزج به أخيراً في مؤخر سيارة الشرطة ، وأرسل في طريقه إلى السجن.

قدّم كولين إفادته للمأمور ولشرطي من شالوت وللمفتش رايت من وليمنغتون ، وراح ثلاثتهم يطرحون عليه الأسئلة في أوقات مختلفة .وفعل إيفان الشيء نفسه .اعترف كل منهما بأنه ليست لديه أية فكرة عما حدث حالما دخل مارغوليس البيت ، باستثناء أنه لم يمضِ عليه وقت طويل هناك حتى سمعا صوت طلقات الرصاص .وأخبرهم كولين أيضاً أن ليستر كان بوسعه أن يقضي على مارغوليس ولكنه لم يفعل ذلك.

وفي وقت لاحق ، وبعد أن تم السماح لكولين وإيفان بالمغادرة ، اتصل كولين بماريا ليخبرها بأنه سيتوجه إلى البيت ليغير ملابسه ، ولكنّه أراد أن توصلها ليلي إلى المستشفى ليقابلها هناك .وفيما كان يتحدث إليها ، سمع أحد رجال الشرطة بالقرب منه يخبر المفتش رايت والمأمور بأن البيت يبدو خلافاً لذلك فارغاً ، وأن ليستر على ما يبدو كان يعيش فيه وحده.

وبعد أن أنهى المكالمة مع ماريا ، حدّق كولين إلى الكوخ متسائلاً عن مكان آتكينسون ، وعن سبب قيام ليستر في المقام الأول إن كان مصاباً بجنون الاضطهاد بالسماح لمارغوليس بدخول البيت.

سأل إيفان مقاطعاً أفكاره" :هل أنت جاهز للذهاب؟ إنني بحاجة إلى الاستحمام ، وتغيير ملابسي والخروج من هنا وحسب."

فقال كولين" :نعم .حسناً."

"ما الذي تريد فعله بسيارتك؟."

نظر كولين إليها وقال" :لنتولَّ أمرها في وقت لاحق .أما الآن ، فليست

لدي الطاقة الكافية للاهتمام بأمرها."

لا بد أن إيفان قد لاحظ شيئاً ما في تعبير وجهه ، فقد قال له" :هل أنت واثق من أن الذهاب إلى المستشفى فكرة حسنة ؟."

بالنسبة إلى كولين ، شعر أن ذلك ليس خياراً بقدر ما هو شيء متوجّب عليه ، فقال" :أريد أن أعرف إن كان مارغوليس على ما يرام."

الفصل الثامن والعشرون

ماريا

بعد أن تحدّثت ماريا إلى كولين ، راحت أفكارها تتسارع محاولة أن تركب كل ما جرى من أحداث في سياق واحد.

كولين يطارد ليستر .وليستر يطلق الرصاص على مارغوليس ، ثم يسدد المسدس نحو كولين .كولين يصرع ليستر أرضاً .كولين وإيفان يحاولان إنقاذ حياة المحقق .مارغوليس يوضع في سيارة إسعاف .ليستر يقاوم الاعتقال وهو يصيح بأنه يعرف ما فعلته ماريا.

ليستر.

لقد عرفت طوال الوقت بأن الفاعل هو ليستر ، وبأنه هو من يجب عليها أن تشعر بالقلق منه .وظلت تذكر نفسها بأنه أصبح خلف قضبان السجن الآن. وهذه المرة ، لم يختفِ أو يهرب ببساطة ، بل ألقي القبض عليه .فقد أطلق الرصاص على أحد رجال الشرطة ، ولم يعد هناك مجال لكي يطاردها بعد الآن.

ولكنّ صوتاً في داخلها سألها :وماذا عن آتكينسون ؟

لم تعد تريد التفكير في هذا الأمر .فهي لم تكن واثقة بعد مما تفهمه منه. إذ لم يبدُ عليه أنه يناسب...

كان كل ما حدث حتى تلك اللحظة ساحقاً بما فيه الكفاية .وحقيقة أن كولين وإيفان قد تورطا في العملية كلها ، كانت فكرة صعب عليها تقريباً استيعابها.

فكّرت ماريا في أن ليلي تمر أيضاً بتدفق المشاعر الجامح نفسه .فبعد أن وصلتا إلى المستشفى في وقت مبكر ببضع دقائق ، لم تقل أي شيء ، بل ظلت تتفحص موقف السيارات بانتظار وصول سيارة إيفان .وتولّد لدى ماريا إحساس بأن ليلي بحاجة إلى رؤية خطيبها ولمسه ولو لتثبت لنفسها أنه بخير فعلاً.

وكولين...

بالطبع ، لقد عثر على ليستر بنفسه .وبالطبع ، اندفع نحو ليستر بينما المسدس مصوّب باتجاهه .وبالطبع ، صرع ليستر أرضاً من دون أن يتعرض للأذى في تلك الأثناء .والآن ، بات ليستر رهن الاعتقال .وبينما شعرت بالراحة بفضل ذلك ، سيطر عليها الغضب على حد سواء ، وتملكها القلق على حال مارغوليس ، وعانت من صعوبة في فهم كيفية تمكّن ليستر من مباغتته .فقد أخبرت مارغوليس أن ليستر خطير ، وأنه يملك مسدساً .لماذا لم يصغِ مارغوليس إليها ؟ لماذا لم يتوخَّ المزيد من الحيطة والحذر ؟ كيف تعرض لإطلاق النار ؟ لم تكن ماريا تعرف الحقيقة ولا كولين أيضاً كان يعرفها .وعندما تحدّثا في وقت مبكر ، قال لها كولين إنه ليس واثقاً من أن مارغوليس سيصمد طوال الطريق لحين وصوله إلى المستشفى .ولكن ، لا بد أن مارغوليس قد نجا ؛ هذا ما فكّرت فيه .وبينما كانت تنتظر مع ليلي ، دخل عشرات رجال الشرطة المستشفى وخرج منه المزيد ، وهذا يعني أنه ما زال على قيد الحياة ، أليس كذلك ؟

كانت خائفة جداً حيث لم تتجرأ على طرح أي سؤال.

وبحلول الوقت الذي وصلت فيه سيارة إيفان وتوقفت في موقف

السيارات ، بالكاد استطاعت ماريا أن تبقي أفكارها سوية .فقد تبعت ليلي إلى الخارج نحو السيارة .وحالما ترجّل كولين منها ، هرعت نحوه لتطمئن عليه.

توجّه الأربعة في طريقهم نحو المستشفى ، وحصلوا على الإرشادات ، ثم استقلّوا المصعد إلى الطابق الثاني .وهناك ، تم إرشادهم إلى ممر في غرفة الانتظار في قسم الجراحة ، فوجدوه محتشداً بشخصيات من حفظ النظام ، بالإضافة إلى أشخاص بدوا من أفراد عائلته وأصدقائه .التفتت نحوهم بشكل مؤقت وجوه عابسة ومثقلة بالقلق والأسى.

خطا إيفان نحو كولين وقال له" :ربما ما كان ينبغي لنا أن نأتي إلى هنا."

غير أنّ ملامح كولين لم يظهر عليها أي تعبير وهو يقول" :ما كان ليتعرض للطلق الناري لو أنني لم أتصل به."

فقال إيفان" :إن الذنب ليس ذنبك أنت."

وأضافت ليلي قائلة" :إنه محق يا كولين .فليستر هو الذي فعل ذلك ، وليس أنت."

وعلى الرغم من كلماتهما ، شعرت ماريا أن كولين لا يزال يحاول إقناع نفسه بالشيء ذاته ، ولكنه لم يستطع أن يجبر نفسه على تصديقه.

قال إيفان" :حسناً .هل ترى أحداً يمكننا أن نسأله عن حال مارغوليس؟ لا أرى أية ممرضة"...

فقال كولين" :هناك "...وأشار إلى رجل في العقد الرابع من عمره ذي

شعر رمادي .لاحظ الرجل وجودهم حين توجّهوا في طريقهم إليه.

فهمست ماريا قائلة" :من هذا ؟."

أجاب كولين" :إنه المفتش رايت .إنه من بين الناس الذين أخذوا إفادتي وإفادة إيفان في وقت مبكر."

وعندما اقتربوا من رايت ، صافح رايت كلاً من كولين وإيفان ثم علّق قائلاً" :لم أتوقع أن أراكما هنا."

فقال كولين" :لقد أردت أن أطمئن إلى حاله."

"لقد وصلت إلى هنا قبل بضع دقائق فقط .ولكن حتى هذه اللحظة ، لم أسمع أي أخبار جديدة من الجراح بعد ، بخلاف أنه لا يزال صامداً .وكما تعرف ، كان في حالة سيئة للغاية عندما وصل إلى هنا ."فأومأ كولين برأسه .أشار رايت نحو جهة أخرى من الغرفة وقال" :أعرف أنك مررت بالكثير من المصاعب اليوم ، ولكنني أتساءل إن كان بوسعك أن تنتظر بضع دقائق ، فهناك من يريد أن يتحدث إليك."

فسأل كولين قائلاً" :من ؟."

"إنها ريتشل ؛ زوجة بيت."

لاحظت ماريا تعبير وجه كولين وهو يصبح حيادياً ، ثم قال" :لست واثقاً من أن هذه فكرة حسنة."

فقال رايت" :من فضلك ، فمن الواضح أن الأمر مهم بالنسبة إليها."

استغرق الأمر من كولين دقيقة ليجيب فقال" :حسناً."

عندها ، استدار رايت وتوجّه نحو الزاوية البعيدة من الغرفة ، وتوقّف عندما وصل إلى امرأة جذابة ذات شعر بني محاطة بعدد من الناس ، ثم أومأ مشيراً نحو كولين وإيفان .عندها ، استأذنت ريتشل مارغوليس من مجموعتها في الحال وتوجّهت نحوهما .وفيما كانت تقترب منهم ، بدا واضحاً لماريا أن المرأة تبكي .فقد بدت عيناها محمرتين ، ولطّخ الكحل عينيها ووجهها .وبالكاد بدت قادرة على الصمود في ذلك الموقف الصعب.

قدّم رايت ريتشل لكولين والآخرين ، فابتسمت ابتسامة لا تحمل سوى معاني الحزن والأسى.

قالت ريتشل" :لقد قال لي لاري إنك ساهمت في إنقاذ حياة زوجي."

فقال كولين" :إنني أشعر ببالغ الأسى لما حدث له."

قالت" :وأنا أيضاً .شكراً لك ، إنني "...وتنشّقت قبل أن تجفّف عينيها وتقول" :أريد فقط أن أقدّم شكري لكما كليكما لتفكيركما السليم ، ولعدم إصابتكما بالهلع ، ولاتصالكما بسيارة الإسعاف ، وضغطكما على جرحَي زوجي. فقد قال لي المسعفون إنكما لو لم تفعلا ما فعلتماه لما كانت لدى بيت أية فرصة في النجاة .لولا وجودكما هناك "...وبدت على وشك أن تجهش بالبكاء ، وكلماتها في غاية الإحساس حيث شعرت ماريا بضيق في حنجرتها" :مرة أخرى "....وأخذت نفساً عميقاً محاولة أن تصمد ، ثم قالت" :أريدك أن تعرف أنه قوي ، لذا سوف يكون على ما يرام .إنه من أقوى الرجال على الإطلاق"...

فوافقها كولين الرأي قائلاً" :إنه كذلك ."ولكن ، تولد لدى ماريا إحساس بأن ريتشل مارغوليس بالكاد سمعت ما قاله كولين لأنها كانت بالفعل تتحدث

إلى نفسها.

* * *

مضت ساعات الأمسية متثاقلة ، بينما جلست ماريا بجانب كولين وهما ينتظران وصول أي خبر .وكان إيفان وليلي قد خرجا إلى المقهى قبل بضع دقائق .أصغت ماريا إلى المحادثات وهي تتحول شيئاً فشيئاً إلى همسات قلقة ، فيما أخذ الناس في غرفة الانتظار يخرجون ويعودون.

ظل كولين ملتزماً الهدوء أكثر من المعتاد .وبين الحين والآخر ، راح رجال الشرطة أو المفتشين يدخلون ويشكرونه ويصافحونه .ورغم أن ردوده اتسمت بالتهذيب ، إلا أن ماريا أدركت أن هذا جعل كولين يشعر بعدم الارتياح لأنه ما زال يلوم نفسه على ما حدث ؛ رغم أن الجميع لم يبدُ عليهم أي شيء يدل على ذلك.

ومع ذلك ، فاجأها عمق شعوره بالذنب .فقد كان من الواضح لها طوال الوقت أن كولين ومارغوليس لا يكنان لبعضهما سوى الاحتقار .لذا ، وجدت أن الأمر ينطوي على شيء من التناقض .ورغم أنها أرادت أن تجرّ كولين إلى الخارج وتجعله يبوح لها بمكنونات صدره ، إلا أنها أدركت أنه بحاجة إلى إمضاء هذه الفترة بمفرده .وأخيراً ، اقتربت منه.

"هل تمانع بأن أخرج إلى الممر؟ أريد أن أتصل بوالديّ وسيرينا .فأنا واثقة من أنهم يتساءلون عما يجري معنا الآن."

وعندما أومأ كولين برأسه ، خرجت من غرفة الانتظار واتجهت نحو الممر ، أو إلى مكان أكثر هدوءاً حيث يمكنها الحصول على شيء من الخصوصية .وعلى

الهاتف ، بدا والداها قلقين كالجميع في غرفة الانتظار .وطرحا عليها عشرات الأسئلة .وبعد ذلك ، قالت والدتها إنها ستعد العشاء ، وطلبت من ماريا أن تأتي إلى البيت برفقة كولين بالإضافة إلى إيفان وليلي .كما طلبت منها ذلك بطريقة جعلت الرفض أمراً صعباً عليها ، ولكنها لم تمانع ذلك .فبعد كل ما حدث ، أرادت أن ترى عائلتها أيضاً.

وعندما عادت إلى غرفة الانتظار ، وجدت كولين لا يزال في المكان الذي تركته فيه .لم يتفوّه بالكثير ، ولكنها حالما جلست إلى جانبه ، مد يده إلى يدها وأمسكها بإحكام .وكانت ليلي وإيفان قد عادا من المقهى .وبعد ذلك بقليل ، دخل الجراح أخيراً.

ومن مكان جلوسها ، شاهدت ماريا ريتشل مارغوليس تقترب منه والمفتش رايت إلى جانبها .وفجأة ، ساد الهدوء الغرفة ؛ إذ كان الجميع قلقين وبحاجة إلى معرفة أي شيء .وكان من المستحيل عدم سماع الطبيب حتى من بعيد.

أعلن الطبيب" :لقد نجا من العملية الجراحية ، ولكن اتضح أن الضرر الحاصل أوسع من توقّعاتنا .وازداد تعقيد العملية بسبب فقدانه الكثير من الدم .ولبعض الوقت ، كانت العملية خطيرة .ولكن في الوقت الحالي ، إن مؤشراته الحيوية ثابتة .ربما هي الآن في حالة منخفضة ولكنها ثابتة."

سألت ريتشل مارغوليس الجرّاح" :متى يمكنني أن أراه ؟."

فراوغها الطبيب قائلاً" :أريد أن أراقبه لبضع ساعات أخرى .فإن ظلت الأمور تسير بالشكل الذي آمله ، عندها قد أتمكن من السماح لك بالدخول

لبضع دقائق في وقت متأخر من هذه الليلة."

"وبعد ذلك سيكون على ما يرام ، أليس كذلك ؟."

ففكرت ماريا في أن هذا هو مربط الفرس .وبدا على الجراح أنه توقع هذا السؤال ، فقد استمر بالكلام بالنبرة المهنية نفسها.

"كما قلت ، إنه الآن في حالة مستقرة ، ولكن يجب عليك أن تدركي أن زوجك لا يزال في وضع حرج .والساعات القليلة القادمة ستكشف عن المزيد. آمل أن أمنحك جواباً حاسماً أكثر غداً."

عندها ، ابتلعت ريتشل مارغوليس لعابها وقالت" :إنني أريد وحسب أن أعرف ما ينبغي لي قوله لولدينا عندما أعود إلى البيت."

ففكرت ماريا :ولدان !لدى مارغوليس ولدان!

رقت ملامح الجراح وهو يقول" :أخبريهما بالحقيقة ، أي أن والدهما قد نجا من العملية الجراحية ، وأننا سنعرف المزيد عما قريب ."وظل مركزاً عليها وهو يتابع" :من فضلك ، يجب أن تفهمي يا سيدة مارغوليس أنه تعرض لأذى كبير في القصبة الهوائية ، وأنه الآن يتنفس بمساعدة جهاز التنفس الاصطناعي."

لم تعد ماريا تستطيع أن تحتمل شرح الجراح بالتفصيل عن إصابة مارغوليس .وعندما أشاحت بوجهها ، سمعت صوت كولين.

فقد خطر له بلا شك الشيء نفسه ، إذ همس لها قائلاً" :هيا بنا ، فالتفاصيل ليست من شأننا .دعينا نمنحهم بعض الخصوصية."

نهض كولين وماريا ، وتبعهما كل من إيفان وليلي ، وغادروا جميعاً الغرفة.

وعندما أصبحوا في الخارج ، توقفت ماريا وأخبرت الجميع عن مكالمتها مع والديها وعن طلبهما.

"أعرف أنكم جميعاً على الأرجح خائرو القوى ، وأنكما أنتما الاثنين كنتما لتوكما في المقهى ، ولكن أمي أعدت لنا العشاء"...

فقال كولين" :حسناً ، ما زال يجب عليّ أن أعيد سيارتي .ولكن ، يمكن لذلك أن ينتظر لبعض الوقت."

فيما قال إيفان" :لا يجب عليك أن تشرحي ذلك ، فنحن نفهم."

* * *

ركبت ماريا مع كولين في سيارة إيفان ، وتبعهما إيفان وليلي في سيارة ليلي .وعندما توقفوا أمام بيت عائلة سانشيز ، وجدوا سيرينا بانتظارهم أمام البيت برفقة والديها .وحالما دخلت ماريا ، أحاطتها سيرينا بذراعيها معانقة إياها.

"لقد كاد والدي ووالدتي يجنان لشدة قلقهما عليك طوال الليل .ولم تغادر أمي المطبخ لساعات ، وظل والدي يتفقد النوافذ والأبواب .هل تصمدون جميعاً بشكل جيد؟."

فاعترفت ماريا قائلة" :بالكاد."

"أعتقد أنك ستحتاجين إلى إجازة طويلة فعلاً بعد كل ما جرى."

فضحكت ماريا رغم كل شيء وقالت" :على الأرجح."

وبعد سيرينا ، عانقت ماريا والديها ، ثم عرفتهما على إيفان وليلي .وما فاجأ

ماريا -بالإضافة إلى والديها وسيرينا -هو أن ليلي تحدثت معهما باللغة الإسبانية بلهجة جنوبية .وبما أن الباب الأمامي كان لا يزال مثبتاً بالألواح الخشبية ، دخلوا المطبخ عبر المرأب ، ثم جلسوا إلى الطاولة التي سرعان ما أصبحت محملة بأطباق الطعام الشهية المختلفة.

وفيما هم يتناولون عشاءهم ، أخبرت ماريا أفراد عائلتها عن مقابلتها السابقة مع مارغوليس في وقت مبكر ، ثم حدّثهم كولين عن كل المجريات التي وقعت بعد ذلك .وظل يتوقف كل بضع جمل لكي تتمكن ماريا من الترجمة لأمها .وأضاف إيفان بضعة تفاصيل أخرى ، ولاسيما عندما وصلت القصة إلى المواجهة مع ليستر.

سأل فيلكس عندما أنهى كولين كلامه" :لا يزال ليستر في السجن ، ولن يخرج ، أليس كذلك ؟."

أجاب إيفان" :إن كان مجنوناً أم لا ، فقد أطلق النار على رجل من رجال الشرطة .ولست واثقاً من أنه سيخرج من السجن."

فأضاف فيلكس قائلاً" :جيد."

تدخلت سيرينا قائلة" :وماذا عن آتكينسون؟ لقد قلت إنه يعمل مع ليستر ؟."

فأجابت ماريا" :لا أدري .فذلك أمر كان مارغوليس يبحث فيه .من المفترض أنهما يعرفان بعضهما بعضاً ، ولكن رغم ذلك ، هذا لا يضيف أي شيء."

عندها ، ألحّت سيرينا مستوضحة" :إذاً ، من الذي ثقب الإطارات ؟."

"لا بد أن ليستر قد دفع النقود لأحد الفتيان ليفعل ذلك لأنه أدرك أن المستشفى سيمنحه حجة غياب مقبولة."

"وماذا عن السيارة التي في المتنزه؟."

فهزّت ماريا كتفيها وقالت" :ربما كان ليستر قد استعارها .لست أدري."

"وإن كان آتكينسون موجوداً ، فما الذي ستفعلينه؟."

كررت ماريا" :لست أدري ."ولاحظت الإحباط في نبرة صوتها ؛ فقد أدركت أن هناك الكثير من الأسئلة التي لا جواب لها حتى بعد كل ما حدث ، ولكن...

قالت" :إن ليستر هو من أثار قلقي ، وهو من أخافني .وسواء أكان يعمل مع آتكينسون أم لا ، فالشيء الوحيد الذي أعرفه بشكل مؤكد الآن هو أن ليستر لن يتمكن من الوصول إليّ بعد الآن .و"...

وأمسكت ماريا عن الكلام ، فيما هزّت سيرينا رأسها وقالت" :إنني آسفة لطرحي الكثير من الأسئلة ، ولكنني ما زلت فقط"...

فأنهى فيلكس كلامها قائلاً" :قلقة."

فكرت ماريا في سرّها :وأنا أيضاً .وكولين قلق بدوره ، ولكن...

قاطعت أفكارها رنة هاتف مكبوتة صادرة من هاتف سيرينا .وعلى الفور ، أخرجت سيرينا الهاتف من حقيبتها ، وحوّلت المكالمة إلى البريد الصوتي ، فيما تعبير وجهها يدل على كل من الأمل والقلق.

سأل فيلكس" :من المتصل؟."

فأجابت سيرينا" :إنه تشارلز ألكسندر."

عندها قال فيلكس" :إن الوقت متأخر لكي يتصل بك الآن، أليس كذلك؟ ربما كان الأمر مهماً."

"أستطيع الاتصال به غداً."

فقالت ماريا وهي تشعر بالامتنان لتشتيت انتباههم" :كلا، هيّا اتصلي به الآن .فكما قال والدي، قد يكون الأمر مهماً ."إذ لم تعد تريد أن تفكر في آتكينسون أكثر مما تفكر في ليستر .حتى إنه لم تكن لديها الطاقة الكافية للرد على الأسئلة المستحيلة الآن .وكل ما كان بوسعها فعله الآن هو أن تستوعب ما حدث خلال الساعات القليلة الفائتة...

تردّدت سيرينا للحظة متسائلة عمّا إذا كان ذلك مناسباً بالفعل، قبل أن تضغط على زر إعادة الاتصال .وساد الصمت حول الطاولة فيما ذهبت إلى المطبخ والهاتف على أذنها.

همس كولين" :تشارلز ألكسندر !لماذا أشعر بأنني سمعت هذا الاسم من قبل؟."

فهمست له ماريا رداً عليه" :إنه مدير المنحة الدراسية الذي أخبرتك عنه."

سأل إيفان" :ما الذي يجري؟ ."وعندما اقتربت ليلي بما يكفي لكي تسمع، زوّدتهما ماريا بالمعلومات .وفي تلك الأثناء، بدأت سيرينا تومئ برأسها. وعندما التفتت أخيراً، استطاعت ماريا رؤية ابتسامتها.

سألت سيرينا" :هل أنت جاد!؟ هل فزتُ؟."!

وشاهدت ماريا أمها وهي تمد يدها فجأة إلى يد أبيها.

وفي تلك الأثناء ، ظلت سيرينا مستمرة بالحديث غير قادرة بعد الآن على إخفاض صوتها ، وقالت" :بالطبع ، ليست هناك مشكلة ...ليلة الغد ...السابعة مساء .شكراً جزيلاً لك."

وعندما أنهت سيرينا المكالمة ، كان والداها يستمعان إلى ابنتهما بترقب.

"أظن أنكم سمعتم بما جرى ، أليس كذلك ؟."

فقال فيلكس وهو ينهض عن الطاولة" :تهانينا !هذا مدهش ."!وهرعت كارمن نحوها وهي تتحدث عن مدى شعورها بالفخر طوال الدقائق التالية ، وراحوا جميعاً يعانقون بعضهم بعضاً .وفجأة ، حلّ محل القلق مما حدث مع ماريا إحساس رائع ؛ وهو شعور لم تكن ماريا ترغب في انتهائه قط.

* * *

بعد العشاء ، ودّع كولين وإيفان وليلي العائلة ، وذهبوا لإحضار سيارة كولين .فيما خرج كل من كارمن وفيلكس في نزهة مع الكلب حول المربع السكني ، وبقيت ماريا وسيرينا في المطبخ لتنظّفا أطباق العشاء.

سألت ماريا أختها" :هل تشعرين بالتوتر حيال المقابلة ؟."

فأومأت سيرينا برأسها وهي تجفف أحد الأطباق ثم قالت" :قليلاً .فمن المفترض أن يُحضر المراسل الصحفي معه مصوراً .وأنا أكره أن يلتقط أحد صورتي."

"هل تمزحين ؟ إنك ملكة صور" السيلفي.""

"إنّ صور" السيلفي "التي ألتقطها لنفسي مختلفة تماماً، فهي لي وللأصدقاء، ولن تنشر في الجريدة."

"متى ستنشر القصة؟."

فأجابت سيرينا قائلة" :أظن أن ذلك سيحصل يوم الاثنين، وعندئذ سيتم الإعلان عنها بشكل رسمي."

"هل هناك وليمة أو عرض؟."

قالت سيرينا" :لست واثقة من ذلك .فقد نسيت أن أسأل نظراً إلى شدة انفعالي."

عندها، ابتسمت ماريا وهي تغسل أحد الصحون، ثم أعطتها إياه وهي تقول" :عندما يبلغونك بالموعد، أخبريني بذلك .فأنا أود أن أكون موجودة، كما أنني واثقة من أن والدي ووالدتي سيرغبان في الحضور أيضاً."

وضعت سيرينا الطبق المجفف مع الأطباق الأخرى وقالت" :طرحت عليك الكثير من الأسئلة في وقت مبكر ...إنني آسفة لأنني كنت لحوحة قليلاً حيال الأمر .فأنا لم أشعر بأنني أفكر بشكل سليم."

قالت ماريا" :لا بأس بذلك .أتمنى لو كانت لدي كل الأجوبة، ولكنها ليست لديّ."

"هل ستبقين هنا لبعض الوقت؟ فأنت تعرفين أن أبي وأمي يرغبان في بقائك هنا."

أجابت ماريا" :نعم، أعرف ذلك .لذا سأبقى، ولكن سيتوجّب عليّ أن

أعود إلى بيتي لأحضر بعض الأشياء."

"ظننت أنك سبق لك أن حزمت جميع أغراضك لأنك ستمكثين في بيت ليلي."

"كنت أنوي البقاء هناك لليلة واحدة فقط .لذا ، سأحتاج إلى المزيد من الملابس .وأريد أيضاً أن أحضر سيارتي."

"هل تريدين أن أوصلك إلى هناك الآن ؟."

"كلا ، لا بأس .سيفعل كولين ذلك عندما يعود."

"ومتى سيكون ذلك ؟."

"لا أدري .ربما عند الساعة الحادية عشرة والنصف ، أو الحادية عشرة وخمس وأربعين دقيقة."

"هذا وقت متأخر .ألست متعبة ؟."

فاعترفت ماريا قائلة" :بل أنا خائرة القوى."

وبدأت سيرينا تقول" :إذاً ، لم لا آخذك أنا "...غير أنها صمتت ، ثم ألقت نظرة خاطفة نحو ماريا وقالت" :آه ...لا تبالي بذلك ، فقد فهمت."

"ما الذي فهمته ؟."

"أوافقك الرأي .فبكل تأكيد ، أنت تريدين أن يوصلك كولين .انسي أنني سألتك .يا لها من فكرة غبية مني."!

"ما الذي تتحدثين عنه ؟."

"حسناً ، بسبب معرفتك أنك ستكونين تحت أعين والدينا القلقين المراقِبة خلال الأيام القليلة التالية ...ولمعرفتك أن كولين لم يعثر على ليستر فقط بل ساهم في القبض عليه ؛ وليس هناك شيء مثير أكثر من ذلك... ولمعرفتك أنك بحاجة إلى الاسترخاء بعد يوم مليء بالتوتر ...دعيني أقل لك إنني أتفهم سبب رغبتك في قضاء بعض الوقت معه بمفردكما."

"قلت لك إنني أريد أن أحضر بعض الأغراض وحسب .ارتقي بتفكيرك قليلاً."!

عندها ، ضحكت سيرينا وقالت" :إنني آسفة .فأنا عاجزة عن ذلك .ولكن ، اعترفي بأنني محقة ، أليس كذلك ؟."

لم تجب ماريا .ولكن مجدداً ، لم يتوجّب عليها ذلك ؛ إذ كانتا كلتاهما تعرفان الجواب مسبقاً.

الفصل التاسع والعشرون

كولين

عندما توجّهت ليلي عائدة إلى منزلها الواقع عند الشاطئ ، ذهب كولين مع إيفان في بداية الأمر إلى متجر وولمارت ، وهو مكان مفتوح بشكل دائم ويحتوي على كل ما يحتاج إليه ، ثم إلى شالوت حيث ركن إيفان سيارته خلف سيارة كولين .فتح كولين غطاء المحرك وبدأ يفك ملازم البطارية.

"لماذا تظن أن البطارية هي السبب؟ فسيارتك تعاني من مشكلة في إقلاع المحرك منذ وقت طويل."

"لا أعرف أي سبب محتمل آخر .فقد غيّرت مفتاح الإشعال ومولد التيار المتردد."

"أما كان ينبغي لك أن تجرب تغيير البطارية أولاً؟."

فأجاب كولين" :فعلت ذلك .فقد وضعت بطارية جديدة قبل بضعة أشهر ، ولكنها ربما مجرد بطارية سيئة."

"للعلم بالشيء فقط ، لن أوصلك إلى هنا مجدداً غداً إن لم تعمل هذه السيارة .فأنا ذاهب إلى ليلي ، وغداً سنقضي اليوم برمته معاً بمفردنا .فأنا أريد أن أرى نتيجة هذا الوضع الذي يشبه البطولة معي .وأظن أنها ستراني أكثر جاذبية مما كنت عليه في نظرها من قبل."

عندها ، ابتسم كولين وهو يفك أشرطة البطارية ، ثم نزع البطارية القديمة ووضع الجديدة مكانها.

تابع إيفان كلامه قائلاً" :كنت أريد أن أطرح عليك سؤالاً .وتذكّر أن هذا السؤال يأتيك من شخص شاهدك وأنت تقوم بالكثير من التصرفات الغبية. ولكن اليوم ، ليست لديّ أية فكرة عن كيفية تمكنك من الوصول إلى ليستر في المقام الأول !من المرج ، ثم من فوق السياج ؛ أي أن تطير وأنت تفعل ذلك!! وفي تلك الأثناء ، سدّد المسدس إلى وجهك ؛ وهذا ما يجعلني أشكك في سلامة قواك العقلية .ما الذي كنت تفكر فيه بحق الله ؟."

"لم أكن أفكر."

"ذلك ما ظننته ؛ وهذا بالضبط إحدى مشاكلك الكثيرة .إذ ينبغي لك فعلاً أن تبدأ بالتفكير قبل أن تتصرف .لقد قلت لك هذا من قبل ، وحذّرتك من الذهاب في المقام الأول."

عندها ، رفع كولين نظره وقال" :ما الذي تقصده ؟."

"ما أقصده هو أنني على الرغم من غبائك واحتمال جنونك ، فقد شعرت بالفعل أنني فخور بما فعلته اليوم ؛ وليس فقط لأنه انتهى بك المطاف وأنت تنقذ حياة مارغوليس."

"إذاً ، لماذا ؟."

"لأنك لم تقتل ليستر رغم أن الفرصة قد سنحت لك .إذ كان بإمكانك أن تحطمه أو تخنقه وتقضي عليه ، ولكنك لم تفعل."

انتهى كولين من تثبيت البطارية ، فسأل إيفان" :أتقول إنك فخور بي لأنني لم أقتله ؟."!

فقال إيفان" :هذا بالضبط ما أعنيه .ولا سيما لأنه كان بوسعك على الأرجح أن تنجو بجلدك من تلك الفعلة؛ فقد أردى شرطياً، وكان مسلحاً وخطيراً .ولا أرى أنّ أي أحد كان بإمكانه أن يوجّه إليك أية تهمة لو انجرفت في رد فعلك قليلاً .وسؤالي الآن هو :لماذا لم تقتله؟."

فكّر كولين في السؤال قبل أن يهز رأسه ويقول" :لا أدري."

"حسناً، عندما تعرف الإجابة أخبرني بها .فبالنسبة إليّ، الجواب واضح: لأنني لم أقتل أحداً في حياتي، فهذا ليس من طبيعتي .وما كنت لأقدر على فعل ذلك .أما أنت فمختلف .وإن كنت تشعر بالفضول، يجب عليّ أيضاً أن أخبرك بأنني أحترم هذه النسخة من كولين أكثر من النسخة القديمة."

"لطالما كنت تحترمني."

فقال إيفان" :لطالما كنت معجباً بك، ولكنني لطالما شعرت بالخوف منك أيضاً .وهناك فرق ."وأشار إلى البطارية رغبة منه في التخلص من الموضوع وقال" :هل أنت مستعد لمحاولة تشغيل المحرك."!

عندها، استدار كولين حول السيارة وجلس خلف المقود .لم يكن واثقاً مما يتوقعه، لذا فوجئ عندما وجد أن السيارة قد أقلعت من أول استدارة للمفتاح .وفي تلك اللحظة، عاد بصره إلى الكوخ، ولاحظ أن نصف الباحة محاط بالشريط المخصص للشرطة وكذلك الشرفة.

فقال إيفان" :ها أنت ذا !إنك تدرك أنها ستتعطل حين تكون في منتصف طريقك إلى ماريا؛ لتغيظك فقط .حاول أن تبقى بعيداً عن المشاكل، هل اتفقنا؟ إذ يبدو أنها تتبعك مؤخراً إلى كل مكان."

لم يرد كولين عليه ، وبدلاً من ذلك ظل يحدّق إلى الكوخ .واستغرق بضع ثوانٍ ليدرك أن هناك شيئاً قد تغير منذ الوقت الذي غادر فيه .أو بالأحرى ، لاحظ أن هناك شيئاً مفقوداً .فكر في إمكانية حجزه من قبل الشرطة لأنه يعتبر من الأدلة الجنائية .فربما كانت هناك دماء متناثرة عليه ، أو ربما أصابته إحدى الطلقات فاحتاجت الشرطة إلى الطلقات لإجراء الاختبار البالستي...

سأل إيفان قائلاً" :هل تصغي إلي ؟."

"كلا."

"ما الذي تحدق إليه ؟."

فأجابه كولين متجنباً السؤال" :أتعرف تلك الأسئلة التي طرحتها سيرينا اليوم ؟ تلك التي تتعلق بتورط آتكينسون من عدمه ؟."

"أتذكرها .لماذا ؟."

"أظن أن هناك إمكانية كبيرة بأنه متورط."

"ألأن سيارته كانت قرب المتنزه ، ولم يكن بوسع ليستر أن يثقب إطارات سيارتها ؟."

"ليس لذينك السببين .إنني أفكر في السيارة التي رأيتها في وقت مبكر عند مدخل الكوخ."

فاستدار إيفان ، ثم تراجع خطوة إلى الوراء ليدقّق النظر أكثر ، وأخيراً سأله" :أية سيارة ؟."

فقال كولين" :هذا ما أعنيه بالضبط ."واستمر بتأمل المكان ثم قال" :لقد

اختفت."

* * *

عاد كولين إلى منزل آل سانشيز قبل منتصف الليل ببضع دقائق ، ووجد ماريا جالسة مع والديها في غرفة المعيشة .شاهدها كولين وهي تنهض ، ثم قالت شيئاً ما لأمها بالإسبانية ؛ وهو على الأرجح أنها ستعود بعد قليل ، ومشت مع كولين إلى السيارة.

"أين سيرينا ؟."

"لقد أوت إلى فراشها."

"ستبيت هنا هي أيضاً ، أليس كذلك ؟."

"هذه الليلة فقط .وقد أخبرني والداي أنك موضع ترحيب إن أردت أن تبيت عندهما .ولكن ، بما أنك بالطبع ستضطر إلى النوم على الأريكة ، فقد أخبرتهما أنك على الأرجح تفضّل المبيت في بيتك."

"يمكنك الانضمام إليّ."

فقالت" :إنها فكرة مغرية ، ولكن"...

غير أنه قاطعها قائلاً" :لا داعي للقلق ."وعندما وصلا إلى سيارته ، فتح لها الباب.

فسألته وهي تجلس على مقعد الراكب" :بالمناسبة ، ما كانت مشكلة سيارتك ؟."

فأجاب" :البطارية."

"إذاً ، لقد كنت محقة ، أليس كذلك ؟ أظن أن هذا يعني أنه ينبغي لك أن تصغي إليّ أكثر."

"حسناً."

* * *

وفيما كانا في سيارته متوجّهين إلى شقتها ، أخبرها عن السيارة المفقودة.

"ربما أخذها رجال الشرطة."

"ربما."

"هل تظن أن آتكينسون قد عاد ليأخذها."

"لا أدري .بكل الأحوال ، أظن أنني سأتصل بالمفتش رايت لأخبره عنها غداً .قد لا يخبروننني شيئاً ، ولكن على اعتبار أنني حافظت على حياة مارغوليس لحين وصول سيارة الإسعاف ، آمل أن يفعلوا ذلك .وفي كلتا الحالتين ، ينبغي أن يعرفوا بأمرها."

التفتت نحو النافذة فيما كانت السيارة تجتاز الشوارع الخالية وقالت" :ما زلت لا أصدق أنه أطلق النار عليه."

"لو كنت موجودةً هناك لصدّقت .فقد كان خارجاً عن السيطرة كما لو أنه يتصرّف بشكل لا إرادي."

"هل تظن أنهم سيحصلون على أجوبة منه ؟."

فكّر كولين في الأمر ملياً وقال" :نعم .حالما يعود إلى حالته الهادئة مجدداً .ومع ذلك ، ليست لديّ أية فكرة عن الوقت الذي سيستغرقه الأمر."

"أعرف أنه لا يستطيع الوصول إليّ ، ولكن"...

صمتت ماريا قبل أن تذكر اسم آتكينسون .ولكن مجدداً ، لم يتوجّب عليها ذكره .لم يكن كولين مستعداً للمخاطرة ، لذا جال بالسيارة حول شقة ماريا ، وهو متيقظ بحثاً عن أي سيارات مثيرة للريبة .وأدركت ماريا ما يفعله ، فلم تدلِ بأي اعتراضات.

وبعد منتصف الليل بقليل ، توقّفا في مسافة محجوزة للزوار في بناء شقتها السكنية .وبقي كولين متيقظاً لأية حركة ، ولكن كل شيء بدا هادئاً ، فصعدا الدرج متّجهين إلى باب شقتها.

ومع ذلك ، عندما وصل كل من كولين وماريا إلى هناك ، وقفا مسمّرين في مكانيهما من فرط الدهشة.

فقد شاهدا في اللحظة نفسها مقبض الباب المكسور ، والباب الموارب.

* * *

ووجدا المكان في حالة فوضى عارمة.

وبينما شاهد كولين ماريا وهي تتجول في أنحاء الشقة مذهولة ، وتبكي بلا توقف وهي تقدّر حجم الضرر الذي حصل في البيت ، أخذ غضبه يتفاقم ويتنامى في داخله.

كانت الأرائك والكراسي والوسائد كلها ممزقة ، وطاولة الطعام مقلوبة رأساً

على عقب .أما كراسي غرفة الطعام ، فقد بدت مائلة على قوائم مكسورة .ووجدا المصابيح مهشمة ، والصور الفوتوغرافية ممزقة ، ومحتويات الثلاجة كلها مبعثرة على أرضية المطبخ بالكامل .بدت ماريا مفجوعة بعد رؤيتها أغراضها المنتهكة والممزقة والمدمرة.

وفي غرفة نومها ، وجدت الفراش ممزقاً ، وطاولة المكتب مكسورة ومرمية على الأرض ، والأدراج محطمة ، كما رأت مصباحاً آخر مهشماً .وكانت هناك علب طلاء فارغة تلوث الأرض ، وتلطّخ كل قطعة في خزانة ملابسها بطلاء أحمر.

فكّر كولين في سره في أن هذا هو ما يبدو عليه الغضب المتفجر .فأياً يكن من فعل تلك الفعلة ، فقد كان خارجاً عن السيطرة ؛ تماماً مثل ليستر وربما أكثر منه .عندها ، بات من الصعب على كولين السيطرة على الغضب الذي شعر به ؛ فقد أراد أن يؤذي ذلك الرجل ويقتله...

وقفت ماريا إلى جانبه فاغرة فمها ، وتحوّل نحيبها إلى بكاء هيستيري ، فوضع كولين ذراعيه حولها .وفي تلك اللحظة بالذات ، انتبه إلى الكلمات المطلية على جدار غرفة النوم.

ستعرفين كيف هو الشعور.

* * *

اتصل كولين بالطوارئ ثم بالمفتش رايت .ورغم أنه لم يتوقع رداً ، إلا أن رايت ردّ على المكالمة عند الرنة الثانية .وبعد أن أخبره كولين بما حدث ، قال رايت إنه سيتوجه إلى هناك في الحال ؛ لأنه يريد أن يعاين الضرر الحاصل في الشقة بنفسه.

وبعد ذلك ، اتصل كولين بوالدَي ماريا بناء على طلبها .ورغم أنهم أصروا على الحضور بأنفسهم ، إلا أن ماريا ظلّت تهز برأسها لتؤكد له عدم رغبتها في مجيئهم ، ففهم كولين ما تعنيه .إذ شعرت ماريا في تلك اللحظة بأنها غير قادرة على التعامل مع مخاوفهم وقلقهم بالإضافة إلى كل ما جرى لها .فقد كانت بالكاد تستطيع الصمود بعد كل ما رأته .لذا ، أخبر كولين والديها أنها بحاجة إلى التحدث إلى الشرطة ، ووعدهما بالمحافظة عليها وحمايتها.

وصل رجلا شرطة إلى البيت في غضون بضع دقائق وأخذا إفادة ماريا ، ولم يكن لديها الكثير مما تقوله .ومع ذلك ، فقد حالفهم المزيد من الحظ عندما أتى أحد الجيران الذين يقطنون في الشقق المجاورة ليرى ما يجري .واستمع إليه كولين وهو يقول إنه عاد إلى بيته قبل بضع ساعات فقط ، وأكد أن الباب لم يكن مفتوحاً حينها ؛ لأنه لو كان الأمر كذلك فلا بد أنه كان سيرى الأضواء .كما أنه لم يسمع أي صوت باستثناء صوت الموسيقى ؛ وهو ما لاحظ أنه مرتفع جداً. وقال إنه فكر حينها في أن يأتي إلى بيت ماريا ويطلب منها إخفاض الصوت ، غير أن الصوت توقف بعد قليل من تلقاء نفسه.

وبعد أن استعادت ماريا شيئاً من الهدوء ، راجع رايت إفاداتها وإفادة الجار مع رجال الشرطة الآخرين .وبعد ذلك ، تحدّث إلى ماريا وكولين .وقد عانت ماريا من صعوبة في إبقاء أفكارها مترابطة .كرر كولين معظم ما قاله لرايت في وقت مبكر في شالوت ، وكان طوال ذلك الوقت يقاوم الرغبة المتزايدة في داخله لضرب شيء ما.

والآن ، أصبح مصمماً على العثور على آتكينسون أكثر مما كان سابقاً مصمّماً على العثور على ليستر.

فقد أراد أن يقتله.

* * *

كانت الساعة تشير إلى حوالي الثانية من بعد منتصف الليل عندما قال رايت إنه بوسعهما الذهاب ، ومشى معهما إلى سيارة كولين .لم تبدُ ماريا في حالة تساعدها على القيادة ، ولم تجادل كولين حين أخبرها أنه من سيقود. وعندما وصلوا إلى السيارة ، رفع رايت يده ، وراح يحدق إلى كولين بالطريقة نفسها التي اعتاد بها مارغوليس التحديق إليه.

وقال" :توقف قليلاً .لا أدري لماذا لم أدرك ذلك من قبل ، ولكنني أخيراً اكتشفت من أنت."

"من أنا ؟."

"أنت الرجل الذي يعتقد بيت أنه يجب أن يكون في السجن ؛ الرجل الذي يتورط في شجارات ويوسع الناس ضرباً."

"ليس بعد الآن."

"قد يكون لدى ليستر مانينغ رأي آخر حيال ذلك ، وهذا لا يعني أنني أهتم البتة لما يظنه."

فسألت ماريا" :هل تعرف متى ستنتهي الشرطة من العمل في بيتي ؟ ومتى سيُسمح لي بالعودة إليه ؟."

أجاب رايت" :باستثناء التخريب ، فهو ليس مسرح جريمة ، ولكن خبراء الأدلة الجنائية يأخذون وقتهم في العمل ، لذا أظن أنك لن تتمكني من العودة

إلى البيت حتى منتصف فترة الصباح غداً على أقل تقدير .سأعلمك قريباً بشكل مؤكد عن موعد عودتك ، هل اتفقنا ؟."

فأومأت ماريا برأسها ، وتمنى كولين لو كان بوسعه أن يفعل المزيد من أجلها ، ولكن مع ذلك...

سأل كولين المفتش" :هل تعلم إن كان قد تم الحجز على السيارة التي كانت قرب الكوخ ؛ ذلك الكوخ الذي تعرض فيه مارغوليس لإطلاق النار ؟."

عبس رايت وقال" :ليست لدي أية فكرة .لماذا تسأل ؟."

فأخبره كولين.

عندها ، هز رايت كتفيه وقال" :يبدو لي أنهم على الأرجح قد يحجزونها. ومع ذلك ، سأرى ما يمكنني معرفته ."والتفت نحو ماريا ثم نحو كولين وقال: "أعرف أنكما خائرا القوى ، وأعرف أنكما تريدان الخروج من هنا ، ولكن هل يصادف أنكما تعرفان اسم المفتش الذي اعتاد بيت أن يتعاون معه في تشارلوت ؟."

فأجاب كولين" :كلا ، لم يذكر اسمه."

"لا بأس .سأقوم ببعض البحث ، ولن يكون من الصعب العثور على الجواب .سؤال أخير :أين تنوين أن تبيتي الليلة ؟."

فأجابت ماريا" :في بيت والديّ ، لماذا ؟."

قال رايت" :لقد خمّنت ذلك ، ولهذا السبب سألتك .إذ بعد أن يقع حادث من هذا النوع ، يذهب الناس عادة إلى بيوت أصدقائهم أو ذويهم .وإن

أردتِ رأيي ، لست واثقاً من أنها فكرة حسنة."

"لم لا؟."

"لأنني في الوقت الحاضر لا أعرف ما الذي قد يكون ذلك الرجل المدعو آتكينسون قادراً على فعله ، وهذا يصيبني بالتوتر .فمن الواضح أنه يسعى وراءك .وحسب ما لاحظته في الداخل ، هو ليس خطيراً وحسب ، بل إنه غاضب وفي حالة هياج .لذا ، أقترح عليك أن تفكري في الذهاب إلى مكان آخر الليلة."

"أين تقترح عليّ الذهاب؟."

"ما رأيك بمكان مثل فندق هيلتون؟ أعرف بعض الناس هناك ، ومن المؤكد أنني أستطيع أن أحصل لك على غرفة ، بالإضافة إلى حماية من الشرطة ، ولو كان ذلك لهذه الليلة فقط .فقد مضى يوم عصيب ، وأنتما كلاكما بحاجة إلى نيل قسط من الراحة .لا أقول إن شيئاً ما سيحدث بالتأكيد ، ولكن من الأفضل توخي الحيطة والحذر."

قالت ماريا بصوت هادئ" :لقد قال مارغوليس إنهم لن يتمكنوا من تأمين حماية الشرطة."

"كنت أتحدث عن نفسي .سأراقب غرفتك الليلة بنفسي .فأنا لا أنام ليلاً ، لذا فالأمر ليس صعباً."

عندها ، سأله كولين" :وما الذي يجعلك تفعل ذلك؟."

فالتفت رايت نحوه وأجاب ببساطة" :لأنك أنقذت حياة صديقي."

الفصل الثلاثون

ماريا

بينما هي في السيارة ، اتصلت ماريا بوالديها لتطلعهما على الأخبار .وبعد ذلك ، شاهدت وهي شاردة اللب سيارة المفتش تسير أمامهما ، وتقود الطريق إلى الفندق الذي لم يكن يبعد عن شقتها أكثر من بضعة مربعات سكنية.

لا بد أن رايت قد قام بالترتيبات اللازمة خلال الوقت القصير الذي قضوه في الطريق ؛ لأنها وجدت المفتاح بانتظارها في مكتب الاستقبال .استقلّ معهما المصعد ، ثم مشى برفقتهما إلى آخر الممر ، حيث كان هناك كرسي يمكن طيه موضوع بجانب الباب .وأخيراً سلّمهما مفتاح الغرفة قائلاً لماريا:

"سأبقى طالما أنّكِ هنا ، لذا لا تقلقي."

لم تدرك ماريا مدى تعبها وإرهاق جسدها إلا بعد أن أوت إلى الفراش. فقبل بضع ساعات ، كانت تفكر في إمضاء سهرة ممتعة مع كولين ، ولكنها الآن شعرت بأنها مستنزفة ؛ حيث لا يمكن لشيء كهذا أن يحدث .وتملك كولين الشعور نفسه .وبدلاً من ذلك ، استرخت على سريرها ، وشعرت بالدفء يدب في أوصالها إلى أن استغرقت في نوم عميق.

وعندما فتحت عينيها أخيراً ، وجدت أن ضوء الشمس قد بدأ يتسرب من الفتحات في الستائر ، التفتت إلى جانبها فلاحظت أن كولين غير موجود بالقرب منها .وشاهدته ينظف أسنانه في الحمام .ألقت نظرة خاطفة على الساعة ، وفوجئت حين رأت أنها تكاد تشير إلى الحادية عشرة صباحاً .وعلى الفور ،

جلست على فراشها مجفلة ظناً منها أن والديها سيجن جنونهما.

مدت يدها إلى هاتفها ، فوجدت رسالة نصية من سيرينا.

لقد اتصل ب.ي كولين وقال إنك مستغرقة في النوم وأخبرنا بما حدث. تعالي إلى البيت عندما تستيقظين من النوم .فقد تولى أب.ي كل شيء!

جعدت ماريا جبينها ونادت كولين.

فدمدم قائلاً" :انتظري قليلاً ."ومد رأسه من خلال الباب ، فشاهدت فمه المليء بمعجون الأسنان ولاحظت وجود القليل منه على إصبعه .غسل فمه ، ثم خرج نحو القسم الرئيس من الغرفة وتوجّه نحو السرير.

"هل تستخدم إصبعك لتنظيف أسنانك بالمعجون ؟."!

فجلس إلى جانبها وقال" :لم أحضر فرشاة أسناني."

"كان بإمكانك أن تستخدم فرشاتي."

فقال وهو يغمزها" :وماذا عن الجراثيم؟ لقد نمتِ متأخرة ، لذا اتصلت بوالديك."

"أعرف ، فقد أرسلت لي سيرينا رسالة .ما الذي يجري ؟."

"سأتركك تتفاجئين."

"لست واثقة من أنني مستعدة للمزيد من المفاجآت."

"ستحبين هذه المفاجأة."

"منذ متى وأنت مستيقظ ؟."

"منذ بضع ساعات، ولكنني لم أنهض من السرير إلى ما قبل عشرين دقيقة."

"ماذا كنت تفعل؟."

"أفكر."

ولم تكن هناك حاجة لكي تسأله عمّا يفكر فيه، فقد عرفت الجواب مسبقاً .وبعد أن استحمّت، ارتدت ملابسها وحزمت حقيبتها .وعندما خرجت من الباب برفقة كولين، شاهدت رايت لا يزال جالساً على الكرسي.

سألهما" :هل تمانعان بأن نتناول معاً فنجاناً من القهوة؟."

* * *

بدأ رايت كلامه قائلاً" :أولاً، تم إخلاء شقتك في حال أردت الذهاب إليها. فقد غادر الخبراء الجنائيون في وقت مبكر من الصباح بعد أن أنهوا عملهم. وفكرت في أنك تريدين أن تعرفي ذلك في حال أردت إحضار شيء ما من هناك؛ مثل الملابس أو أدوات الزينة أو ما شابه ذلك."

ففكرت ماريا في أنه لم يبقَ شيء تريده على الأرجح وقالت" :هل عثروا على أي شيء؟."

"ليس هناك دليل واضح متروك في الشقة باستثناء علب الطلاء .وليست هناك بصمات أصابع عليها .لذا، لا بد أن آتكينسون كان يرتدي قفّازين .أما بالنسبة إلى عينات الشعر، فهذه ستستغرق وقتاً أطول، ولكن لا ضمانات .إذ إن تحليل عينات الشعر صعب دائماً، ما لم نحصل على حمض نووي من

الجذور."

أومأت ماريا برأسها محاولة إجبار الصور العالقة في ذهنها من أحداث الليلة الفائتة على الرحيل.

تابع رايت وهو يحرّك السكر والكريما في قهوته" :وقد أجريت بعض الاتصالات صباح اليوم ."لاحظت ماريا الهالتين السوداوين حول عينيه المحمرتين بسبب قلة النوم" .حتى الآن، لم يتمكن أحد من التحدث إلى ليستر .إذ لم تكن قد مضت عليه عشر دقائق في المخفر حتى وصل محاميه. وبعد ذلك بوقت قصير، حضر والده أيضاً .وكانت لديه الطلبات نفسها التي طلبها المحامي .ولم يتمكّنا هما أيضاً من التحدث إليه على حد سواء .وبحلول ذلك الوقت، كان ليستر مانينغ مربوطاً على نقالة في المستشفى، ثم تم إدخاله إلى قسم الحجز النفسي، ولا يزال مخدراً .والجميع متّفقون على أنه أكثر جنوناً مما يتصور أحد .وبحسب الشرطة، حالما شاهد الزنزانة، جن جنونه."

"كيف؟."

"راح يصيح ويقاوم رجال الشرطة، كما حاول أن يعضّهم .وحالما أدخلوه إلى هناك، راح يركل الأبواب ويخبط رأسه على الجدار، وقام بتصرفات جنونية أخرى من هذا القبيل .حتى إنه أخاف السجناء الآخرين، لذا تم نقله، واستُدعِي طبيب لمعاينته، فأعطاه شيئاً مهدّئاً .وتطلب الأمر خمسة رجال شرطة لتقييده. وفي تلك اللحظة وصل المحامي، وراح يدّعي كل أنواع انتهاكات الحقوق المدنية، ولكنّ كل شيء مصور على الكاميرا، ولن يحدث أي شيء مهما قال المحامي؛ فقد أطلق الرصاص على شرطي .وعلى أية حال، المقصد هنا هو أن

أحداً لم يتمكن من التحدث إليه بعد."

فأومأت ماريا برأسها وهي تشعر بأنها مخدرة وقالت" :كيف حال"...

فقاطعها رايت قائلاً" :أتقصدين بيت؟ لقد نجا الليلة الماضية .ولا يزال في حالة حرجة ، ولكن حالته مستقرة الآن ، وأجهزته الحيوية في تحسّن .إن زوجته تأمل في أن يستعيد وعيه في وقت ما خلال اليوم .فقد قال الجراح إن ذلك ممكن ، ولكننا لا نزال ننتظر .وقد تمكنت ريتشل من أن تمضي معه بعض الوقت صباح اليوم ، وكذلك الطفلان .بالطبع ، كان ذلك مخيفاً بالنسبة إليهما. فهما في التاسعة والحادية عشرة من العمر فقط ، ويعتبرانه بطلهما .وبعد القهوة ، سأتوجه إلى هناك لأرى إن كان بوسعي الجلوس معه لبعض الوقت أو على الأقل سأجلس مع ريتشل ."وعندما لم تجب ماريا ، راح رايت يدير فنجان قهوته في مكانه وقال" :وقد بحثت أيضاً في أمر السيارة التي شوهدت في الكوخ. أتذكر أنني رأيتها أيضاً .ولأجيب عن السؤال الذي طرحه كولين في الليلة الماضية ، شرطة شالوت لم تحجز السيارة ، وقسم المأمور لم يفعل ذلك أيضاً. وهذا يعني أن آتكينسون قد عاد ليستعيدها بعد أن غادرت الشرطة."

فقال كولين" :ربما."

عندها سأل رايت" :ماذا تقصد؟."

"ربما كان هناك طوال الوقت .فربما اختبأ في مؤخر البيت لبعض الوقت بينما كنتُ وإيفان نحاول إنقاذ حياة مارغوليس ، ثم خرج بعد مغادرة الجميع. وهذا أيضاً قد يفسّر سبب تعرض مارغوليس لإطلاق النار في المقام الأول .فقد دخل متوقعاً رؤية شخص واحد ، وفوجئ لدى رؤيته شخصين."

تفحّص رايت كولين وقال" :عندما يتحدث عنك بيت ، لا يتولد لديّ شعور بأنه معجب بك كثيراً."

"وأنا أيضاً لست معجباً به."

فرفع رايت حاجبه وقال" :إذاً ، لماذا أنقذت حياته ؟."

"لأنه لا يستحق الموت."

عندها ، التفت رايت نحو ماريا وسألها" :هل هو هكذا دائماً!؟."

فأجابت بابتسامة ساخرة" :نعم .ولكنني ما زلت لا أفهم كيف أو لماذا يعمل كل من ليستر وآتكينسون معاً لاستهدافي"...

فقال رايت وهو يرفع يده ليمنعها من متابعة الكلام" :هناك المزيد .وهذا هو الشيء الآخر الذي أردت التحدث إليك عنه .فقد تحدثت مع المفتش في تشارلوت ؛ ذلك المفتش الذي كان بيت يعمل معه ، واسمه طوني روبرتس. وعندما أطلعته على كل ما حدث لبيت ، قال لي إن بيت قد اتصل به بالأمس ولكنه لم يتمكن من تفقد أمر آتكينسون بعد .وبالطبع ، لقد وضع ذلك الطلب في قمة أولوياته الآن .فاتصل بوالدة آتكينسون وذهبا معاً إلى شقة ابنها ، وقد تمكنت من إقناع المدير بإدخال المفتش إليها .إذ لا يزال هناك تقرير بأن ابنها مفقود ؛ حتى لو لم يصدقها أحد رغم صلة القربى التي تجمعها به .وما أقصده هنا هو أنها بدت مسرورة للغاية ومتلهّفة لمساعدة روبرتس في العثور على ابنها. وأظنّ أن روبرتس قد وصل إلى هناك وحقق اكتشافاً هائلاً، ولكن ليس بالطريقة التي أرادتها الأم .فقد اتضح أن كمبيوتر آتكينسون المحمول لا يزال هناك ، فتمكن روبرتس من الاطلاع عليه."

"وما الذي وجده ؟."

فنظر إلى ماريا وتابع" :لديه ملفات تتعلق بك ، تتضمن الكثير من المعلومات عنك وعن خلفيتك ؛ كتقارير المدرسة ومعلومات عن عائلتك ، والمكان الذي تعيشين فيه ، وجدول حياتك اليومية .وقد اكتشف أيضاً أن لديه معلومات حتى عن كولين ، بالإضافة إلى صور له أيضاً."

"ألديه صور ؟."

"المئات منها .لديه صور لك وأنت في المتجر ، وأخرى وأنت تركبين على لوح التزلج ، وحتى وأنت تعملين .إذ يبدو أنه ظل يراقبك ويتبعك لوقت طويل ، بل كان يتجسس عليك أيضاً .أخذ روبرتس الكمبيوتر كدليل ؛ رغم اعتراضات السيدة آتكينسون الشديدة .إذ حالما شاهدت ما يوجد فيه ، حاولت أن تتراجع عن موافقتها على دخوله المكان ، ولكن بحلول ذلك الوقت ، كان قد فات الأوان على ذلك ؛ إذ وضع روبرتس يده عليه .على الأرجح ، سيعترض محامو الدفاع على ذلك ، ولكنّ هناك تقريراً عن شخص مفقود ، كما أنها منحت موافقتها ، والدليل واضح .ورغم ذلك ، أثبت روبرتس أنه أكثر براعة ؛ فقد أخبرني بأنه سجّل صوتها وهي تقول له إنها تريد أن يطّلع على محتويات الكمبيوتر .لذا ، حالما نتمكن من إجبار ليستر على الكلام ، سيشكّل ذلك نقطة تحوّل .فبوجود المحامي أو عدم وجوده ، سينتهي به المطاف وهو يبوح بكل شيء .فعادة ، ينتهي المطاف بالمجانين وهم يكشفون عن كل شيء ، ولا سيما حالما يصبحون هادئين ؛ لأن الشعور بالذنب يسيطر عليهم."

لم تكن ماريا واثقة من أن ذلك صحيح ، ولكنها قالت" :لماذا يرغب

آتكينسون في إلحاق الأذى ب.ي ؟."

لا أملك جواباً عن هذا السؤال بشكل مؤكد .وأستطيع أن أخبرك بأن هناك معلومات تتعلق بكاسي مانينغ في الكمبيوتر على حد سواء ، ولكنك على دراية مسبقة بتلك الصلة بينهما."

"هل لديك أية فكرة عن مكان وجود آتكينسون الآن ؟."

"كلا .لقد أصدرنا مذكرة خاصة للبحث عنه الآن ، ولكن بما أنه لا أحد يعرف مكان وجوده ، فأنا لست واثقاً من الفائدة التي سنجنيها من ذلك. ومجدداً سأقول إنني آمل أن يتمكن ليستر من إخبارنا بالمزيد .ولكن ، لا أحد يدري متى سيحدث ذلك .فقد يستغرق هذا الأمر يوماً ، وقد يستغرق بضعة أيام ، وقد يستغرق أسبوعاً .وعندئذ سنظل مضطرين إلى التعامل مع المحامي ومع والد ليستر ؛ والاثنان سيطلبان منه عدم الرد على أي سؤال على الإطلاق ، وهذا الأمر يرفع علامات الاستفهام حول المكان الذي ترغبين في المكوث فيه خلال الأيام القليلة القادمة .لو كنت مكانك ، فأنا واثق من أنني سأبقى قريباً من ويلمنغتون."

قالت" :يفترض ب.ي الذهاب إلى بيت والدي اليوم .إنني واثقة من أنني سأكون على ما يرام."

بدا رايت متردداً ، ثم قال" :إن الأمر عائد لك ، ولكن توخّي الحذر وحسب .فحسب ما أخبرني إياه روبرت ، آتكينسون ليس خطراً وحسب ، بل هو على الأرجح أكثر جنوناً من ليستر .لذا ، دعيني أعطيك رقم هاتفي .منك أن تتصلي ب.ي إن صادفك أي شيء غير طبيعي أو غير مألوف ، هل أنت

موافقة ؟."

* * *

لو كانت نية رايت أن يرعبها بما قاله ، فقد نجح في ذلك .ولكن منذ تلك الليلة فصاعداً ، ستبقى ماريا خائفة مهما حدث إلى أن يتم إلقاء القبض على آتكينسون.

ركبا في السيارة ، وبينما انطلق كولين في طريقه إلى بيت والديها ، مدّ يده إلى هاتفه.

"بمن تتصل ؟."

"بإيفان .أريد أن أعرف إن كان مشغولاً اليوم."

"لماذا ؟."

"لأنني بعد أن أوصلك إلى بيت والديك ، أريد العودة إلى شقتك بعد أن سمحت الشرطة بالدخول إليها .إذ أريد أن أنظفها وربما أقوم بطلائها."

"ليس عليك أن تفعل ذلك."

"أعرف ذلك ، ولكنني أريد فعله .فلا ينبغي أن تظل ذكرى ما حدث ماثلة أمامك عندما تعودين إلى البيت .فلو كنت مكانك ، قد ينتهي ب.ي المطاف بأن أصبح مجنوناً لمجرد الجلوس فيها وهي على هذه الحال."

"ولكنّ القيام بهذا الأمر سيستغرق منك اليوم برمته"...

"ليس إلى هذا الحد .قد يستغرق الأمر ربما بضع ساعات .فشقتك ليست

كبيرة جداً."

"ربما ينبغي لي الذهاب معك .فهذه ليست مسؤولية ملقاة على عاتقك."

"لست بحاجة إلى هذا النوع من التوتر .وبالإضافة إلى ذلك ، ينبغي أن تكوني مع عائلتك."

كانت لديه وجهة نظر منطقية .ووجدت عرضه لطيفاً .ولكن ، بينما كانت على وشك أن ترفض عرضه التفت إليها وقال" :من فضلك ، إنني أريد أن أفعل هذا."

كانت نبرة صوته هي ما جعلها توافق على مضض .اتصل كولين بصديقه ، ووضع الهاتف على مكبر الصوت .وعلى الأرجح ، لم يكن ينبغي لها أن تتفاجأ لأن ليلي ردت على هاتف إيفان.

أخبرها كولين بما حدث في الليلة الفائتة ، وسألها إن كان إيفان قادراً على مساعدته في حمل بعض الأثاث الثقيل .وقبل أن ينهي كلامه ، قاطعته قائلة: "سنكون كلانا هناك .إياك حتى أن تفكر في الطلب منا ألا نأتي .ليس لدينا شيء في دفتر مواعيدنا لعصر هذا اليوم على أية حال .وسنكون في غاية السرور لتقديم المساعدة."

سمعت ماريا صوت إيفان وهو يقول" :نساعد بماذا ؟."

"سنقوم بتنظيف شقة ماريا .لديّ ذلك البنطال القصير الجديد الذي أتوق لارتدائه منذ أن اشتريته ، فهو قصير وضيق نوعاً ما ، ولكنّ هذه تبدو فرصة مثالية لارتدائه."

ظل إيفان صامتاً لبرهة ، ثم قال" :متى سنذهب ؟."

وعندما انتهى الاتصال ، نظرت ماريا إلى كولين وقالت" :يعجبني صديقاك."

فوافقها الرأي قائلاً" :إنهما رائعان."

* * *

قبل مربعين سكنيين على الوصول إلى حيّ والدي ماريا ، بدأ معنى رسالة سيرينا يتضح.

فقد شاهدت عمها تيتو في المتنزه يركل كرة قدم مع عمها خوسيه ، كما رأت عدداً من أبناء عمومتها وعماتها .لوّح لها كلا عميها ، فأدركت أن ما يفعلانه هناك بالضبط هو المراقبة.

وفي تلك الأثناء ، شاهدت أبناء عمومتها بيدرو وخوان وآنجيلو متمركزين على كراسٍ في المرج الأمامي ، بينما يلعب عدد من أبناء عمومتها الصغار بالكرة في الشارع .وكانت سياراتهم مصفوفة على طول الشارع من كلا الجانبين حتى الناصية.

ففكرت في سرّها :يا إلهي !كل عائلتي هنا ؛ من أقصاها إلى أدناها .ورغم أنها مرّت بحياة كالجحيم خلال الأيام القليلة الفائتة ، إلا أنه لم يسعها إلا أن تبتسم وهي تشعر بالسعادة.

* * *

على الرغم من معارضة كولين ، إلا أنها جرته جراً إلى داخل البيت .وكان

هناك ثلاثون أو أربعون شخصاً يتجولون في الأنحاء بالداخل ، وعشرون آخرون في الباحة الخلفية ، وكلهم رجال ونساء وصبية وفتيات.

أتت سيرينا مسرعة نحوهما ، وقالت" :هذا جنوني ، أليس كذلك؟ لقد أغلق والدي المطعم اليوم ، هل تصدقان ذلك؟."

"لا أظن أننا كنا بحاجة إلى حضور الجميع"...

فقالت" :لم يطلب منهم أن يحضروا .فقد أتى الجميع من تلقاء أنفسهم عندما اكتشفوا أنك واقعة في مشكلة .إنني واثقة من أن الجيران يتساءلون عما يحدث هنا ، ولكنّ والدي شرح لهم بأننا نقيم احتفالاً بلم شمل العائلة .واعتباراً من اليوم ، هناك دورية مراقبة من العائلة ستتجول في الحي إلى أن يصبح آتكينسون خلف قضبان السجن ، ولكنهم سيكونون أكثر هدوءاً حيال ذلك. فسوف ينظمون المراقبة في مناوبات."

"أمن أجلي أنا؟."

ابتسمت سيرينا وقالت" :هكذا تسير الأمور في عائلتنا."!

* * *

استغرق الأمر نصف ساعة تقريباً إلى أن تمكن كولين من التملص من المكان؛ لأن الجميع أرادوا مقابلته .وكان الكثير من المقابلات يتم باللغة الإسبانية .وبينما كانت ماريا توصله إلى سيارته ، فكرت في أنها على الرغم من كل شيء موفورة الحظ.

قالت" :ما زلت أعتقد أنه ينبغي لي الذهاب معك."

"أشك في أن والديك سيسمحان لك بالمغادرة."

فوافقته الرأي قائلة" :لن يوافقا على الأرجح .إنني واثقة من أن والدي يراقبني من النافذة الآن تحسباً لحصول أي شيء."

"إذاً ، أظن أنه لا يُسمح لي بمغازلتك على مرأى منه."

فقالت" :من الأفضل ألا تفعل .واحرص على أن تحضر إيفان وليلي لتناول العشاء اليوم ، هل اتفقنا ؟ أريد لبقية أفراد عائلتي أن يقابلوهما أيضاً."

* * *

لم يتمكن كولين من العودة إلى البيت إلى ما بعد الساعة الخامسة ، فوجد أن بعض أفراد العائلة قد غادروا قبل مجيئه ، ولكن معظمهم ظلّوا في بيت آل سانشيز .بالنسبة إلى ليلي ، بدت في غاية الاسترخاء منذ اللحظة التي ترجلت فيها من السيارة ؛ رغم أن كولين وإيفان بدا عليهما شيء من القلق.

أعلنت ليلي قائلة وهي تعانق ماريا حالما دخلت" :يا له من مثال رائع عن التعاضد والمحبة بين أفراد العائلة .إنني ببساطة لا أطيق صبراً لمقابلة كل فرد من أفراد عائلتك الرائعة."!

أبهجت لهجة ليلي الإسبانية الجنوبية جميع الناس الذين قابلتهم بالطريقة نفسها التي سحرت بها ماريا ، بينما احتشد الأقارب حولها وحول إيفان. عندها ، شدت ماريا كولين من يده وخرجا معاً إلى الشرفة الخلفية.

وسألته قائلة" :كيف مضى الأمر ؟."

"سأحتاج إلى طلاء الجدار بطبقة ثانية من الطلاء ، ولكنني تمكنت من

تغطية الطلاء الرشاش ، كما تخلصنا من كل الأشياء المكسورة .ووضعنا الأشياء التي يمكن تنظيفها جانباً .ومع ذلك ، لست واثقاً مما يمكننا فعله حيال ملابسك ."وعندما أومأت برأسها ، تابع كلامه قائلاً" :هل سمعت أية أخبار جديدة عن مارغوليس ؟ أو أي شيء جديد عن آتكينسون ؟."

فأجابته قائلة" :كلا .فقد ظللت أنظر إلى هاتفي طوال الوقت لأتفقد وصول أي رسائل."

نظر حوله وسألها" :أين سيرينا ؟."

"لقد غادرت قبل بضع دقائق على وصولك إلى هنا ، فلديها مقابلة اليوم ، ويجب عليها أن تستعد لها ."مدّت ماريا يدها إليه وقالت" :تبدو متعباً."

"إنني بخير."

"لقد تطلب الأمر عملاً أكثر مما توقعت ، أليس كذلك ؟."

فقال" :كلا ، ولكن يصعب عليّ السيطرة على غضبي."

فقالت" :نعم ، وأنا أيضاً."

* * *

بعد إجراء الكثير من الأحاديث مع أفراد العائلة ، انضم كل من ليلي وإيفان إلى كولين وماريا على الشرفة.

فقالت ماريا" :شكراً لكما على مساهمتكما في تنظيف منزلي."

أجابت ليلي قائلة" :لا مشكلة على الإطلاق .ويجب عليّ القول إن شقتك

تقع في مكان ساحر للغاية .إنني وإيفان نفكر في الانتقال إلى وسط المدينة على حد سواء ، ولكن إيفان يصر على أنه لا يستطيع العيش بدون وجود مرج يشذب أعشابه كل يوم."

فقال إيفان" :لم أعد أفعل ذلك بعد الآن بل كولين ، فأنا أكره تشذيب الأعشاب."

قالت" :صه الآن .إنني أمازحك وحسب ، ولكن ينبغي لك أن تعرف بأن العمل الجسدي يضفي الكثير من الجاذبية على الرجل."

"ما الذي تظنين أنني كنت أفعله اليوم ؟."

فقالت" :هذا هو بيت القصيد .فقد تمرنت بشكل جيد اليوم وأنت تنقل الأثاث."

في تلك اللحظة ، انفتح باب الشرفة ودخلت كارمن حاملة عدة أطباق من الطعام للجميع ملأت معظم الطاولة .لم يكن المطبخ يعمل على قدم وساق طوال اليوم وحسب ، ولكنّ معظم الأقارب أحضروا معهم طعاماً على حد سواء.

قالت كارمن باللغة الإنكليزية" :أرجو أن تكونوا جائعين."

كان الطعام كثيراً جداً كالمعتاد .ورغم أن كولين توقع ذلك ، إلا أنّ إيفان وليلي بدوَا مبهورين.

فقالت ماريا بعد أن شعرت فجأة بالامتنان لتعبير أمها الرائع عن حبها ، وقالت لها" :هذا رائع جداً يا أمي .أحبك."

الفصل الحادي والثلاثون

كولين

بعد العشاء ، ذهب كولين إلى الباحة الأمامية سعياً وراء الخلوة بنفسه لبعض الوقت ، فوجد اثنين من أعمام ماريا جالسين على كرسيين على العشب في مكان يطلّ على الشارع .أومآ برأسيهما رداً على تحية كولين المهذبة .وبشكل تلقائي ، عادت إلى ذاكرته مظاهر الدمار التي شاهدها في بيت ماريا ، وراح يركّب قطعة الأحجية معاً ليجد الرابط بين ذلك المشهد وبين آتكينسون وليستر.

في الماضي ، كان ليستر وآتكينسون يعملان معاً .فقد قام ليستر بنفسه بتعريف آتكينسون على أخته .ورغم اعتقاد ماريا بأن ليستر هو الذي اعتاد على إرسال رسائل التهديد لها ، إلا أن الدكتور مانينغ اقترح أن آتكينسون هو المسؤول عن تلك الرسائل.

وقد صادف اختفاء آتكينسون توقيتاً غريباً يسبق بداية تعرّض ماريا للتعقب بوقت قصير .وعلى افتراض أن آتكينسون هو من عمد إلى ثقب إطارات ماريا ، فمن منهما الذي قتل كوبو؟ ليستر أطلق النار على مارغوليس. وآتكينسون أخرج السيارة من باحة الكوخ ، ثم ذهب لاحقاً لتخريب منزل ماريا. وعلى اعتبار المعلومات التي تم اكتشافها على كمبيوتر آتكينسون ، إن تورّطه في تعقب ماريا يبدو واضحاً وضوح الشمس .ولكنّ بعض التفاصيل المحدّدة ظلت تؤرق كولين.

فقد ذكر الدكتور مانينغ من قبل أنّ جدالاً قد نشب بين ليستر

وآتكينسون ، وقال إنهما تشاجرا ، إذاً متى استعادا الثقة ببعضهما بعضاً؟ أي منهما هو الذي يتولى المسؤولية؟ ولماذا أصر الدكتور مانينغ على أن آتكينسون يحاول أن يثبت التهمة على ليستر في حين أنه يبدو من الواضح تماماً أنهما يعملان معاً؟ وإن كانا يعملان معاً ، فلماذا قادا سيارتين مختلفتين إلى منزل آل سانشيز في الليلة التي هاجم فيها ليستر ماريا؟

ومع ذلك ...بينما كان كولين ينظف شقة ماريا ، عاد بذاكرته إلى المحادثة المبكرة التي جرت مع المفتش رايت ، وأدرك أنه ليس هناك أي دليل مقنع يربط آتكينسون بحادثة تخريب الشقة بعد .وليس هناك دليل مقنع أيضاً يدعم الفكرة بأنه هو من ثقب إطارات سيارة ماريا على حد سواء .وعلى الرغم من المحتوى الموجود على كمبيوتره ، فماريا لم تتواصل معه أو تقابله على الإطلاق. وظلت تردد طوال الوقت بأن تورط آتكينسون لا يبدو منطقياً بالنسبة إليها ، وهذا يعني...

ماذا؟

على افتراض أن آتكينسون قد هرب مع امرأة بالفعل .ماذا إن عرف ليستر بأن آتكينسون سيغادر المدينة؟ أيمكن أن يكون ليستر قد وضع تلك المعلومات في كمبيوتر آتكينسون وأخذ سيارته وهو غائب عن البلدة .ويستطيع ليستر -كما أشارت ماريا في الليلة السابقة -بكل سهولة أن يدفع النقود لشخص ما ليثقب إطارات سيارتها ، وربما حتى أن يخرب شقتها .لا بد أنها خطة محكمة... ولكن ذلك ممكن فقط إن كان بالإمكان التصديق أن ليستر قادر على الإقدام على هذا التخطيط المعقد .وبناء على السلوك الذي شهده كولين في الكوخ ، والطريقة التي وصف بها رايت تصرفات ليستر في مخفر الشرطة ، بدا هذا

الاحتمال غير وارد على الإطلاق .وبما أن آتكينسون على ما يبدو قد أقلّ ليستر حين عاد إلى شالوت بعد أن هاجم بيت آل سانشيز، إذاً لا بد أن يكون آتكينسون قد تواجد بالقرب منه .وهكذا، لا بد أنهما يعملان معاً .وافترض كولين أن ليستر لا بد أن يكون قد أجفل من صوت صفارات سيارات الشرطة. ولا بد أن آتكينسون قد سمعها على حد سواء؛ ما أشعل خوفه أيضاً؛ فأخذ ليستر وأسرعا كلاهما خارجين من الحي .ولا بد أنهما انطلقا بسيارتهما بسرعة وتهور بالضبط كما فعل كولين ولكن بالاتجاه المعاكس.

بالضبط، مثل السيارة التي كاد كولين يصطدم بها على بعد مربعين سكنيين فقط من منزل آل سانشيز!

شعر كولين بأن الفكرة تضيء في ذهنه .وراح يبذل جهداً ليتذكر بالضبط ما رآه حينها .السيارة تتقدم نحوه بسرعة وتنحرف في اللحظة الأخيرة .السيارتان تمران بجانب بعضهما بعضاً من على بعد مسافة سنتمترات قليلة .رجلان جالسان على المقعدين الأماميين .أي طراز من السيارات كانت؟

طراز كامري.

زرقاء.

مد كولين يده إلى هاتفه ليتصل بالمفتش رايت الذي رد عليه مباشرة عند الرنة الثانية.

سأله كولين فوراً" :هل سمعت أي خبر عن مارغوليس؟."

"إنه يتحسن على حد قولهم، ولكنه لا يزال في العناية المركزة وفاقداً الوعي .كيف الأمور لديك؟."

"بخير .ماريا بأمان."

"وماذا عن الليلة ؟."

"ستبقى هنا .إنها محمية."

"كما تشاء .ما الذي تحتاج إليه ؟."

"إنني أفكر في أن آتكينسون ربما كان يقود سيارة زرقاء من طراز كامري ، وهي جديدة نوعاً ما."

"ما الذي يجعلك تظن ذلك ؟."

فشرح له كولين الفكرة التي توصل إليها.

"لا أظن أنه يصادف أنك قرأت رقم لوحة السيارة ، أليس كذلك ؟."

"كلا."

"حسناً ، هذا ليس كافياً ، ولكنني سأنشر الخبر .فالجميع يريد العثور على هذا الرجل .وكلما عثرنا عليه في وقت مبكر ، كان ذلك أفضل."

أنهى كولين المكالمة وهو شبه متأكد بأن ليستر كان في السيارة الزرقاء تلك الليلة .وشعر بأنه متأكد من ذلك رغم أنه لم يستطع أن يشرح السبب ؛ باستثناء الفرضية القائلة إن عقله الباطن يسبق نوعاً ما عقله الواعي في فهم أن الأجوبة موجودة في مكان ما ، ولكن ليته فقط يستطيع العثور عليها.

* * *

سأل إيفان وهو ينضم إلى كولين في الباحة الأمامية" :ما الذي تفعله

هنا ؟."

فأجاب كولين" :أفكر ."وكانت الساعة قد تجاوزت السادسة والنصف مساء ، وبدأت ظلمة الليل تنشر وشاحها .وكان هواء الخريف يوحي بدرجات حرارة أكثر برودة بمرور تلك الأمسية.

"خمّنت ذلك .فقد رأيت الدخان يتصاعد من أذنيك."

عندها ، ابتسم كولين وشرح قائلاً" :لقد أغلقت الهاتف مع المفتش رايت لتوّي ."ولخّص له مجريات المحادثة ثم قال" :ما الذي تفعله أنت هنا ؟."

"على الرغم من شدة لطف كارمن ، إلا أن طعامها حار بعض الشيء .لذا ، طلبت مني ليلي أن أشتري لها بعض العلكة لتساعدها في تبريد فمها .وإن سألتني عن رأيي ، إن ليلي تريد فقط أن تكون رائحة أنفاسها منعشة كالنعناع لأن عدم انتعاش أنفاسها لا يليق بالسيدات المهذبات ."وهز كتفيه ثم تابع: "بالمناسبة ، ما رأيك بكل هذا ؟ أقصد عائلة ماريا."

"أعتقد أنهم رائعون."

"الأمر مدهش نوعاً ما ، أليس كذلك ؟ أي أن ترى عائلتها الممتدة كلها تأتي إلى هنا لحمايتها ؟."

فأومأ كولين برأسه وقال" :إنني أشك حتى في أن أفراد عائلتي المقربين قد يهبون لنجدتي."

عندها ، رفع إيفان حاجبه وقال" :لا تكذب على نفسك .فعندما كانت الأمور سيئة للغاية ، حتى عائلتك قامت بمساعدتك."

وقال كولين" :والأصدقاء أيضاً .شكراً لك على مساعدتك اليوم .أعرف أنك أردت أن تمضي يومك مع ليلي."

هز إيفان كتفيه وقال" :أنت على الرحب والسعة ، ولكن لم يكن ذلك سينجح على أية حال .إذ لم أستطع الكف عن التفكير في مارغوليس ، وهذا ما أفسد مزاجي .إذ ما زلت لا أفهم كيف سمح لليستر بالتغلب عليه."

عندها قال كولين" :عندما كان في الشرفة ، ألم يبدُ لك مرتبكاً ؟."

قال إيفان" :بدا غاضباً ؛ لأنه لاحظ أننا لم نغادر بعد."

"كيف بدا قبل ذلك ؟."

فقال إيفان وهو يهزّ رأسه" :ليست لدي أية فكرة يا صاحب.ي .كل شيء يبدو مختلطاً ببعضه بالنسبة إليّ .حتى إنني لست واثقاً مما جرى .أتذكر سماعي صوت إطلاق النار ، ورؤيتك وأنت تقوم بأفعالك الجنونية .ولكن بعد ذلك... كل شيء أصبح ملطخاً بالدماء .إن أفكاري مشتتة ، ولا أستطيع حتى أن أتذكر سبب مجيئي إلى هنا في المقام الأول."

فذكّره كولين قائلاً" :لقد أتيت إلى هنا لتحضر لليلي بعض العلكة."

"آه ، هذا صحيح .انتعاش النعناع ."وهمّ إيفان بالتوجه نحو السيارة ، ثم التفت إلى كولين مجدداً وقال" :هل تريد أن أبتاع لك العلكة ؟."

فأجاب كولين" :كلا."

ولكنّ الدكتور مانينغ ربما سيود ذلك...

لم يكن كولين واثقاً من السبب الذي جعل وصف مارغوليس للدكتور

مانينغ ولاستهلاكه المفرط للعلكة يقفز إلى ذهنه .ولكنه بعد أن فكّر في الأمر قليلاً ، هز رأسه وقرر أن يتوجه عائداً إلى الداخل مع إيفان ، ويعاود الانضمام إلى عائلة ماريا .اضطر إلى الاعتراف بأنها عائلة مثيرة للدهشة ؛ ولا سيما عند الحديث عن مساعدة الآخرين .ففي وقت الأزمات ، إن العائلة هي كل ما يحتاج إليه المرء .فحتى الدكتور مانينغ قدّم الدعم لابنه !فقد تحدث إلى مارغوليس ، وذهب إلى المخفر ، ووكل محامياً في الحال بما أن ليستر لم يكن في حالة تساعده على فعل ذلك بنفسه.

ولكن ...كيف عرف الدكتور مانينغ بأمر اعتقال ليستر .فقد قال رايت إن المحامي حضر بعد وصول ليستر إلى المخفر بعشر دقائق .وكان كولين يعرف انطلاقاً من خبرته بأنه من المستحيل تقريباً توكيل محامٍ بتلك السرعة ، ولا سيما في ليلة الجمعة بعد نهاية ساعات العمل بوقت طويل .هذا يعني أن الدكتور مانينغ كان يعرف بأن ليستر قد تم اعتقاله قبل وصوله إلى المخفر .وبدا الأمر وكأنه كان هناك...

هل ركن سيارته في مدخل السيارات ؟

فكر كولين في سره :كلا ، فقد كان مارغوليس سيميّز السيارة لو شاهدها. فقد شاهد سيارة الدكتور مانينغ البارحة صباحاً عندما أراه هذا الأخير المسدس الموجود في صندوقها .ولو كانت سيارة الدكتور مانينغ قرب الكوخ ، فربما كان ذلك هو سبب تصرف مارغوليس على الأرجح...

بارتباك!

توقف كولين عن التفكير .كلا ، هذا غير ممكن ، ولكن...

العائلات تساعد أفرادها ...الابن وأبوه ...ليستر والدكتور مانينغ ...الدكتور مانينغ يمضغ العلكة وهو متوتر فيما هو يتحدث إلى مارغوليس...

راح كولين ينقب في ذهنه عن الجواب ...تفصيل منسي ...ما هو ؟

ألم يلاحظ وجود كومة من قشور العلكة مرمية على سطح المبنى المقابل لمبنى مكتب ماريا ؟

شعر كولين أنه بالكاد قادر على التنفس .فقد اكتشف الآن أن الشريكين ليسا آتكينسون وليستر ، بل الأب وابنه يدعمان بعضهما بعضاً .وفجأة ، بدأت الأجوبة تنهال على ذهنه كالشلال.

لماذا لم يتوخَّ مارغوليس المزيد من الحيطة والحذر في الكوخ ؟

لأنه عرف أن آفري مانينغ الأب موجود هناك.

وماذا عن مسدس ليستر ؟

لقد أخبر الدكتور مانينغ مارغوليس بأن المسدس على الأرجح ليس حقيقياً.

لماذا دخل مارغوليس الكوخ ؟

لأن الدكتور مانينغ قد دعاه إلى الدخول مؤكداً له أن كل شيء على ما يرام.

فكر الآن في أن كل التفاصيل باتت واضحة وتتلاءم مع بعضها أخيراً.

ولكن ليستر معتقل الآن.

وذلك فقط لأن كولين كان هناك وقبض عليه بنفسه .ولولا ذلك ، لتمكن ليستر من اللوذ بالفرار أيضاً.

ولكنّ ليستر قد يتكلم.

المحامي الذي وكّله الدكتور مانينغ سيحرص على ألا يتفوه بكلمة.

ولكنّ الدكتور مانينغ أرسل رسالة إلى مارغوليس ليحثّه فيها على تحذير ماريا...

بعد أن تأخر الوقت وفات الأوان.

وماذا عن آتكينسون ؟

ماذا عن الرجل الذي فشل في التدخل عندما اختطف لوز كاسي؟ الشخص الذي يعتقد الدكتور مانينغ أنه يستحق العقاب على حد سواء ؟

ولكن كمبيوتر آتكينسون ..والصور والملفات!

كل ذلك يجعل من آتكينسون الشخص المناسب لإثبات التهمة عليه.

بحلول ذلك الوقت ، مد كولين يده إلى هاتفه في الحال بعد أن باتت الحقيقة واضحة تماماً بالنسبة إليه ؛ حيث لم يكن واثقاً من كيفية إغفاله إياها.

من لديه المعرفة والمهارة اللازمة لاستغلال ليستر ؟

الدكتور مانينغ ؛ الطبيب النفسي.

وكيف خطر اسم آتكينسون على بالهم في المقام الأول ؟

الدكتور مانينغ هو من ذكره.

وماذا عن طريقة لوز في تعقب كاسي ؟

الدكتور مانينغ يعرف كل التفاصيل.

سمع كولين صوتاً على الجانب الآخر من الخط ؛ صوت رايت وهو يبدو مشغولاً ومتوتراً.

قال رايت" :أنت مجدداً !ما الأمر ؟."

"تأكد إن كان الدكتور مانينغ يملك سيارة زرقاء من طراز كامري."

تردد رايت وقال" :تمهل قليلاً ، لماذا ؟."

فقال كولين" :اطلب من أحد ما أن يتفقد الأمر بينما أتحدث إليك .افعل ذلك وحسب .إنه أمر مهم للغاية."

وبعد أن سمع رايت وهو ينادي طالباً مجيء رجل شرطة آخر ، أخبره كولين بكل شيء .وعندما أنهى كلامه ، التزم رايت الصمت هنيهة.

ثم قال" :إن هذا يبدو بعيد الإمكانية بعض الشيء ، ألا تظن ذلك؟ ولكن ، إن كنت محقاً ، فمارغوليس سيتمكن من توضيح كل هذا لنا عندما يستيقظ من غيبوبته .وبالإضافة إلى ذلك "...وبدا على رايت أنه يصارع شكوكه الخاصة.

"ماذا ؟."

"الدكتور مانينغ لا يحاول الاختباء .فهو أبعد ما يمكن عن ذلك .فقد حضر إلى المخفر في الليلة الماضية .وحضر إلى المستشفى اليوم."

عندها ، سأل كولين وهناك إحساس متصاعد بالخوف في صوته" :هل حضر إلى المستشفى ؟."

"لقد تحدّث إلى ريتشل ، وأراد أن يعتذر عما فعله ابنه .كما طلب الإذن للتحدث إلى بيت كي يستطيع الاعتذار منه أيضاً."

وعلى الفور ، صاح كولين بعد أن تفجر خوفه وتحوّل إلى رعب" :لا تدعه يقترب من مارغوليس."!

فقال رايت" :هدّئ من روعك .لم يتمكن مارغوليس من مقابلته .وحتى أنا لم أقابله .فأفراد العائلة فقط هم من يُسمَح لهم بالدخول إلى غرفة العناية المشددة."

غير أنّ كولين قاطعه قائلاً" :لقد ذهب مانينغ إلى هناك ليقتله !إنه طبيب ، وهو يعرف بالضبط ما يجب عليه فعله ليجعل الوفاة تبدو طبيعية."

"ألا تظن أنك تستبق الأحداث وتتوصل إلى استنتاجات قبل أوانها ؟."

"لم يطلق ليستر الرصاص على مارغوليس !بل الدكتور مانينغ هو من فعل ذلك !فقد كان مارغوليس على مرمى بصر ليستر ، ولكنه لم يضغط على الزناد. وإن لم تصدقني ، أجرِ اختباراً على يدي ليستر بحثاً عن بقايا بارود من المسدس."

"هذا لا يدل على أي شيء .وقد فات الأوان ، فالاختبارات تصبح أقل فعالية بمرور كل ساعة"...

"أعرف أنني محق في ما أقوله."

التزم رايت الصمت للحظة ثم قال" :حسناً ...ولكن ، ماذا عن كمبيوتر آتكينسون ؟."

فقال كولين بشعور مفاجئ بالثقة في ما يقوله" :إن آتكينسون ميت .فقد قتله الدكتور مانينغ ، ولفق الأمر ليبدو كما لو أنه غادر في رحلة في سيارته ، وقد وضع الدليل في الكمبيوتر ليجعله المشتبه به الرئيس ، واختلق القصة برمتها."

لم يقل رايت أي شيء .وبعد لحظة من الصمت ، سمع كولين صوتاً مكبوتاً للمفتش وهو يتحدث إلى شخص آخر ، فشعر كولين بإحباطه يتصاعد إلى أن عاد رايت إلى الخط وهو يبدو مصعوقاً بعض الشيء.

قال رايت ببطء" :إن الدكتور مانينغ يملك سيارة زرقاء من طراز كامري... يجب أن أذهب في الحال .أريد أن أتحقق من أنها السيارة نفسها التي كانت قرب الكوخ."

وأنهى رايت المكالمة فوراً.

* * *

أسرع كولين إلى الداخل ليطلع ماريا على الأحداث الجديدة ، ووجدها لا تزال في الشرفة الخلفية مع إيفان وليلي ووالديها وعدد من العمات والأعمام. وعندما روى لهم كولين ما اكتشفه ، أصغت إليه ماريا بصمت مطبق .وفي نهاية المطاف ، أغمضت عينيها .ورغم أن أقاربها بدوا خائفين عليها بشكل واضح ، إلا أنه تولّد لديه إحساس بالسلام في العائلة لمعرفتهم الحقيقة أخيراً .وظل أقاربها في تلك الأثناء صامتين ؛ وكلهم ينتظرون ردها على ما سمعته.

فقالت ماريا أخيراً" :حسناً ، ما التالي ؟."

"أظن أن رايت سيُصدر مذكرة للبحث عن الدكتور مانينغ ، وسيفعل ما يتطلبه الأمر للبحث عن أحد المشتبه بهم وبناء قضية."

فكرت ماريا في الأمر قليلاً ، وأخيراً غامرت قائلة" :وماذا عن النمط ؟ أعني لو أن الدكتور مانينغ أراد لي أن أعيش كل شيء فعله لوز بكاسي ، فلماذا خرب بيتي في الليلة الماضية ؟ كان يجب عليه أن يعرف بأن هذا سيجعل وصوله إليّ أكثر صعوبة .ولماذا لم يقبض عليّ ليستر عندما سنحت له الفرصة لكي"...

يضربني ثم ربما يحرقني وأنا حية ثم ينتحر ، ولكنها لم تشعر بالحاجة إلى إكمال كلامها .فقد تذكر كولين ما فعله لوز ، ولكنه أدرك أن الدكتور مانينغ لم يخطط قطّ للانتحار ، بل أراد وجود جثة آتكينسون في الرماد ما يقفل القضية إلى الأبد ، ويتركه رجلاً حراً .وكل ما استطاع كولين فعله هو أنه راح يهز رأسه.

وأخيراً ، اعترف قائلاً" :لا أدري."

* * *

عند الساعة السابعة ، وبينما بدأت الليلة تزداد حلكة وسواداً ، لاح هلال القمر الفضي الرفيع في الأفق.

أما العائلة ، فقد بدأت بقيادة فيلكس بوضع خطط إضافية لحماية ماريا. في حين أن كولين دخل المطبخ وأخذ كأساً من الخزانة ؛ إذ شعر بأنه عطشان ، ولكنه أراد أيضاً أن يختلي بنفسه ليفكر ملياً في الأسئلة التي طرحتها ماريا.

وعندما اقترب من الثلاجة ، وضع الكأس جانباً ليملأها بالماء .ثم شرب الماء بجرعة واحدة ، وأعاد ملأها مجدداً وعيناه تتأملان باب الثلاجة وذهنه شارد .كانت الثلاجة مليئة بصور لماريا وسيرينا على مر السنوات ، وقصائد ،

وشهادة تثبيت ماريا ، ورسم قوس قزح بالألوان الخشبية ، واسم سيرينا منقوش بعناية في الزاوية .بدت تلك الأشياء مهترئة عند حوافها .وكانت الإضافة الحديثة الوحيدة على ما يبدو هي الرسالة التي تلقتها سيرينا من مؤسسة تشارلز ألكسندر. وكانت ملصقة في الزاوية العليا ، وتغطي بشكل جزئي على بطاقة بريدية تعرض صورة دار العبادة الكبيرة في مدينة ميكسيكو ستي .وعندما ألقى كولين نظرة خاطفة على الرسالة فوقها ، استولى عليه مجدداً ذلك الشعور بأن الاسم مألوف بشكل غريب.

ومع ذلك...

تركته أسئلة ماريا يشعر بأنه غير مستقر .فلماذا سيُقدم الدكتور مانينغ على تخريب شقتها؟ فإن أراد لماريا أن تجرب كل ما شعرت به كاسي ، إذاً لماذا انحرف عن النمط الآن؟ ولماذا كتب على جدار غرفة نومها عبارة" :ستعرفين كيف هو الشعور" ؛ رغم أن قيامه بذلك سيجعلها تصبح بعيدة المنال أكثر؟ فكر في أنه من المحتمل أن يكون الدكتور مانينغ قد أصيب بالهلع أو فقد السيطرة بعد أن اعتقل ليستر .أراد كولين أن يصدّق هذا الاحتمال ، وحاول أن يجبر نفسه على ذلك ، ولكنه لم يستطع فعلاً جعل ذلك يصبح منطقياً .وبدلاً من ذلك ، شعر بأنه يغفل تفصيلاً ما .فهو إما قد فقد جزءاً من الأحجية ، أو أن الدكتور مانينغ لم يعد يأبه إن كان بوسعه الوصول إلى ماريا أم لا.

ولكن ، لم لن يأبه بذلك؟

استدار كولين بعيداً عن الثلاجة ، وتناول كأس ماء أخرى وهو يعزّي نفسه بالتفكير في أن ماريا ليست فقط بأمان ، بل ستظل بأمان إلى أن يتم إلقاء

القبض على الدكتور مانينغ .فكولين وأفراد عائلتها سيحرصون كل الحرص على حمايتها ، وهذا ما منح فكرة تعاضد الأسرة معنى جديداً .فالجميع هنا الآن يشاهدون...

ولكنه في تلك اللحظة فقط أدرك أنه مخطئ .إذ لم يكونوا جميعاً موجودين .فهناك شخص ما مفقود .ولم يعد الدكتور مانينغ يأبه إن كان بوسعه الوصول إلى ماريا على الإطلاق...

لأن ماريا لم تكن جزءاً من لعبة النهاية التي خطط لها الدكتور مانينغ منذ البداية.

في ذهن كولين ، بدأت الأفكار تتسارع ، وحلّ الوضوح مكان التشتت... الاسم على الرسالة ، والسبب الذي جعله يبدو له مألوفاً للغاية ...والسبب الذي تم لأجله تخريب منزل ماريا ...وكيف عرف ليستر بذكرى ميلاد كارمن ...والمعنى الحقيقي وراء الكلمات المكتوبة على جدار غرفة النوم...

ستعرفين كيف هو الشعور...

وعلى الفور ، ألقى كولين كأس الماء ، واندفع خارجاً من المطبخ ، ثم عبر غرفة المعيشة ، وسار على طول الممر القصير متّجهاً إلى غرفة نوم ماريا .بحث عن حقائبها ، ثم أخرج منها كمبيوترها المحمول ، وفتح الشاشة بسرعة وهو يفكر :كلا ، كلا ، كلا .أرجوك يا إلهي ، اجعلني مخطئاً حيال هذا...

فتح برنامج البحث ، وطبع اسم المؤسسة التي كافأت سيرينا بالمنحة الدراسية .فقد أراد أن يراها بنفسه .وراح يتضرّع لكي يظهر اسمها على الشاشة.

غير أنه لم يجد أي موقع إنترنت متاح بهذا الاسم ، وكل ما وجده هو مجرد

رسالة تقول إن الموقع قد تمت إزالته ، وإن اسم المجال متاح.

كلا ، كلا ، كلا...

فطبع اسم الدكتور آفري مانينغ ، وميّز الروابط نفسها التي اطلع عليها بعد أن قابل وماريا مارغوليس للمرة الأولى .وتذكّر الرابط الذي كان يتضمّن صورة آفري مانينغ ، فنقر عليه وهو يهرع عائداً إلى غرفة المعيشة .وعندما رفع نظره ، وجد كارمن ولكنه لم يجد فيلكس.

صاح قائلاً" :كارمن ."وكان يأمل أن تتمكن من فهم ما أراد أن يقوله لها.

وعلى الفور ، التفت الأقارب باتجاهه وهم مذعورون ، غير أنه تجاهلهم وتجاهل أيضاً تعبير وجه كارمن المفاجئ والموحي بالرعب .ومن زاوية عينه ، شاهد الباب الجانبي ينفتح وماريا على وشك أن تدخل.

بحلول ذلك الوقت ، وصل إلى كارمن ، ورفع جهاز الكمبيوتر أمامها ، وأشار إلى الصورة ، وصاح بسرعة قائلاً" :هل تميّزين هذا الرجل؟ ."وتصاعد الخوف في داخله وتحوّل إلى رعب وهو يقول" :أهذا هو الرجل الذي أتى إلى البيت لتناول العشاء؟ أهذا هو مدير المؤسسة؟."

بدأت كارمن تهز رأسها وقالت بالإسبانية" :لا أعرف ...لا أفهم شيئاً... تحدّث ببطء من فضلك."

فصاحت ماريا" :ما الذي يجري؟ !ما الذي تفعله يا كولين؟ إنك تخيفها؟."

عندها ، صاح كولين قائلاً" :إنه هو."

فصاحت ماريا بعد أن أصابتها عدوى خوفه" :من؟ ما الذي يجري؟."
وبحلول ذلك الوقت ، كان فيلكس قد وصل مسرعاً ، وتبعه كل من إيفان وليلي والمزيد من الأقارب...

قال كولين لكارمن وهو يشير إلى الصورة مُخفضاً صوته ، ومحاولاً أن يبدو هادئاً ولكن بلا جدوى" :انظري إليه !انظري إلى الصورة !المدير !أهذا هو؟ أهذا هو الرجل الذي أتى إلى بيتكم لتناول العشاء؟."

فترجمت ماريا الكلام لأمها وهي تقترب منها.

انتقل بصر كارمن برعب بين كولين وماريا ، ثم اقتربت من الشاشة لتتفحص الصورة عن كثب .وبعد لحظة ، بدأت تومئ برأسها بسرعة ، وقالت بالإسبانية وهي تبدو على وشك أن تجهش بالبكاء" :نعم ، إنه تشارلز ألكسندر! إنه المدير ؛ إنه الرجل نفسه الذي أتى إلى هنا."!

فصاحت ماريا وهي تمسك بيديه" :كولين ."!التفت إليها ونظرة عينيه مليئة بالرعب.

وصاح قائلاً" :أين سيرينا؟ أين هي؟."

"في المقابلة .وأنت تعرف ذلك ...ما الخطب؟."

"أين المقابلة؟ أين ستحدث؟."

"لا أدري .أظن أنها في مكتب المؤسسة"...

صاح كولين" :أين يقع ذلك المكتب؟."

راحت ماريا تتلعثم قائلة" :في مركز المدينة ...في ووترفرونت ...في

المنطقة التجارية القديمة ، وليس في المقاطعة التاريخية .أخبرني بما يجري."

فكّر كولين في سرّه :مبانٍ مهجورة ...مبانٍ مغلقة ...حريق ...وراحت الأفكار تتسارع في ذهنه كالشلال ...الدكتور مانينغ لم يعد يأبه إن كان بوسعه الوصول إلى ماريا ...يجب على ماريا أن تعرف كيف هو الشعور ...لأن نيته لم تكن جعل ماريا تجرّب شعور الرعب الذي شعرت به كاسي ، بل معاقبة ماريا بإجبارها على تجربة الشعور نفسه الذي شعر به الدكتور مانينغ وليستر بعد أن تعرضت فتاة يحبانها للقتل.

يا إلهي!

صاح كولين قائلاً" :اتصلوا بالطوارئ حالاً."!

صاحت ماريا قائلة" :كولين !أخبرني."!

راح كولين يشرح وهو يشعر بأن الساعة تتكتك والثواني تمضي ، وأنه لم يعد هناك وقت للشرح" :لقد تظاهر آفري مانينغ بأنه تشارلز ألكسندر !الدكتور مانينغ كان لديه طفل يدعى ألكسندر تشارلز .وليست هناك مؤسسة ولا منحة دراسية .فقد اختلق الدكتور مانينغ الأمر برمته ."وراح يهمس قائلاً" :أنت لست هدفه ، بل سيرينا هي الهدف الحقيقي .وهي معه الآن .وأريد أن أعرف أين هي بالضبط قبل أن"...

فهمت ماريا كل شيء في غمضة عين ، وبدا تعبير وجهها مصدوماً ، بينما أمسك كولين بيدها وشدها معه وهو يسرع نحو الباب المؤدي إلى المرأب. وسمع بشكل غامض ماريا وهي تصيح بالإسبانية متحدّثة مع أهلها من فوق كتفها" :اتصلوا بالطوارئ فوراً."!

ركبت ماريا السيارة ، وفيما كان كولين يدور حولها سمع إيفان يصيح قائلاً له إنهما قادمان معهما أيضاً.

قفز كولين وجلس خلف المقود ، وراح يصيح بالتعليمات لماريا طالباً منها أن تتصل بالمفتش رايت .أدار المفتاح بقوة وشغّل المحرك ، فراحت العجلات تصيح وهو ينطلق في طريقه بعنف مبتعداً عن المنزل .وعبر مرآة الرؤية الخلفية ، لاحظ بشكل غامض أضواء سيارات أخرى بعد أن أتى إيفان وليلي وبعض الأقارب في أعقابهما.

سأل كولين بينما كانت ماريا تنتظر أن يرد رايت على مكالمتها" :متى قالت سيرينا إن موعد المقابلة سيكون ؟."

"لا أستطيع أن أتذكر ...عند السابعة ربما."

"ما هو العنوان ؟."

"لقد أوصلتها من المكتب مرة ، ولكنني لا أتذكر"...

ضغط كولين على دواسة الوقود حتى لامست أرضية السيارة ، وأخذ المحرك يزمجر والسيارة ترتجف ، وفيما كانت تنعطف عند أول منعطف ، كان كولين يقاوم فكرة أن الأوان قد فات ...ولعن نفسه لأنه لم يفهم حقيقة الأمر في وقت مبكر .أصبحت الأضواء التي تظهر عبر مرآة الرؤية الخلفية أصغر ، بينما كاد مؤشر السرعة يصل إلى السبعين ثم الثمانين.

ضغط على المكابح بقوة ، وانعطف بسرعة نحو الشارع الرئيس ، وسمع أصوات إطارات السيارات القادمة .وبعد ذلك ، أسرع مجدداً وهو لا ينوي على شيء ، مدركاً بشكل غامض أن ماريا تصيح وهي تتكلم عبر الهاتف ليسمعها

المفتش رايت.

ظل كولين يسرع في قيادة السيارة ، وكاد يصل بها إلى سرعة مئة ميل في الساعة ، وتملكه شعور باستباق الأحداث وهو يدخل في مسار الدراجات ويخفف من سرعته ، ولكنه لم يتوقف لرؤية الإشارات الحمراء .ضغط على بوق السيارة ، وأنار المصابيح وهو يجتاز الطريق داخل مواقف السيارات ، بينما راحت الثواني الغالية تمر بسرعة.

أنهت ماريا المكالمة مع المفتش رايت ، ثم راحت تتصل بسيرينا ، وتعاود الاتصال بها وأفعالها تدل على فزعها المتزايد.

"إن سيرينا لا تجيب على هاتفها."!

صاح كولين" :حاولي أن تعرفي متى غادرت السكن الطلاب.ي."!

"ولكن كيف ؟."

"لا أعرف."

غيّر كولين مساره وتخطى إشارة حمراء أخرى ، ثم تفقد مرآة الرؤية الخلفية .فوجد أن سيارة إيفان أصبحت خلف سيارته بمسافة طويلة حيث لم يعد يراها .ضغط كولين على عجلة القيادة وهو غاضب من نفسه لأنه كان غبياً حيث أغفل الحقيقة الواضحة .وفيما كان يفكر في سيرينا ، راح يؤكد لنفسه أنه سيصل إلى هناك في الوقت المناسب لينقذ حياتها.

سيصل إلى هناك .لا بد أن يصل.

تشارلز ألكسندر .تشارلز ألكسندر .لقد شاهد الاسم على الكمبيوتر ، وكان

الرابط موجوداً مباشرة على الثلاجة في تلك الرسالة اللعينة !وقد ذكرت سيرينا اسمه على العشاء !كان ذلك واضحاً .لم يفهم كولين سبب استغراقه كل ذلك الوقت ليربط الأمور ببعضها .وفكّر في أنه إن حدث أي مكروه لسيرينا ، فهو لأنه شديد الغباء...

سمع كولين بشكل غامض ماريا وهي تصيح باسم ستيف عبر الهاتف ، وسمعها تطلب منه إخبارها بموعد مغادرة سيرينا ، كما سمعها تقول إن سيرينا قد تأخرت في الخروج ، وإنها قد غادرت عند السادسة وأربعين دقيقة...

صاح كولين قائلاً" :كم الساعة الآن!؟ ."إذ كان يزيد سرعته كثيراً ، حيث لم يعد بإمكانه إبعاد عينيه عن الطريق ولو لثانية واحدة" :تفقدي الهاتف."!

"إنها السابعة واثنتا عشرة دقيقة."

ربما لم تصل سيرينا إلى هناك بعد...

وربما هي هناك الآن...

صرّ كولين أسنانه ، وتشنّجت عضلات فكيه وهو يفكر :إن تعرّضت لأي مكروه...

وعاهد نفسه على مطاردة الدكتور مانينغ إلى أقاصي الأرض .فذلك الرجل يستحق الموت .وفي تلك اللحظة بالذات ، بدأت أفكار كولين تتسارع إلى أن شعر بحافز غريزي وشبه ملموس يحثه على قتله.

وفي غمرة غضبه المتنامي ، وصلت سرعة السيارة إلى مئة وعشرين .وكل ما استطاع كولين التفكير فيه هو :أسرع ...أسرع ...أسرع...

الفصل الثاني والثلاثون

ماريا

كان كولين يقود بسرعة كبيرة ، حيث إن الصور المتلاحقة من خلف النوافذ أصبحت ضبابية ومبهمة .وعلى الرغم من حزام الأمان ، ظلت ماريا تندفع من جانب إلى آخر مع كل منعطف أو ضغطة مكابح أو زيادة سرعة .رغم ذلك ، كل ما استطاعت التفكير فيه هو سيرينا ، وأن المجرم كان يستهدفها طوال الوقت ، وأنه كان يتلاعب بها...

المنحة الدراسية المزيفة ، والمقابلات ، واكتساب ثقتها ببطء.

ولكنه كان يخطط طوال الوقت ؛ كان يتبع سيرينا ويتعقبها ، ليس شخصياً فقط ، وإنما على وسائل التواصل الاجتماعي أيضاً .وقد ذهب لتناول العشاء مع والديها لأنه عرف أن ماريا ليست موجودة .فقد أخبرت سيرينا العالم كله أن ماريا خارجة في موعد .كما عرف أن ماريا ستحتفل بذكرى ميلاد أمها لأن سيرينا نشرت الخبر على صفحتها أيضاً .وبينما بدأت حقيقة ما جرى تتوضح في ذهنها ، شعرت ماريا بإحساس متزايد بالهلع .وبات من الصعب عليها أن تلتقط أنفاسها ، بينما بدأت عضلات صدرها تنقبض .حاولت أن تجبر هذا الإحساس على الرحيل .واستناداً إلى تجارب سابقة ، أدركت أنها تعاني من نوبة هلع ، ولكنها لم تستطع الكف عن التفكير في سيرينا .ماذا إن فات الأوان؟ ماذا سيفعلون إن كان الدكتور مانينغ قد اختطف سيرينا ليفعل بها ما فعله لوز بكاسي ؟

لمعت في ذهن ماريا صور من مسرح جريمة لوز ، فبدأت رئتاها تنقبضان أكثر من ذي قبل ؛ ما جعل تنفّسها شبه مستحيل .أخبرت نفسها مراراً بأن هذه مجرد نوبة هلع بسيطة ، ولكنها حاولت وفشلت حتى في أن تأخذ نفساً ، وأدركت أنها مخطئة .فهذه لم تكن نوبة هلع مثل المرة الماضية .ومن دون سابق إنذار ، شعرت بألم حاد في صدرها راح ينتقل إلى ذراعها اليسرى.

فكرت في سرها :يا إلهي !إنني أصاب بنوبة قلبية...

ضغط كولين على المكابح ، وجعلت قوة الدفع ماريا تندفع بعنف نحو اليسار .ثم اندفعت مجدداً بعد لحظات عندما دار حول منعطف آخر ، وارتطم رأسها بالنافذة بعنف .ولكنّ ماريا بالكاد شعرت بالألم ؛ فكل ما استطاعت التفكير فيه هو الضغط الذي تشعر به في صدرها وعجزها عن التنفس .حاولت أن تصرخ ، ولكن لم يخرج أي صوت من فمها .وفي تلك اللحظة ، أدركت بشكل غامض أن هاتفها رن فجأة واهتز بعد وصول رسالة .وتلاشت الفكرة في الحال بينما بدأ العالم حولها يتحوّل إلى سواد.

نادها كولين قائلاً" :ماريا ، ما المشكلة ؟ هل أنت بخير ؟."

أرادت ماريا أن تقول له :إنني أصاب بنوبة قلبية .غير أنها أغمضت عينيها وهي تقول لنفسها :إنني أموت .ولكن الكلمات لم تخرج من فمها .ولم تعد تستطيع التنفس ، وكاد قلبها يتوقف .ورغم أنها سمعت كولين يناديها باسمها ، إلا أن صوته بدا بعيداً جداً ؛ كما لو أنه آتٍ من أعماق البحر .ولم تستطع أن تفهم سبب عدم قيام كولين بأي شيء ، وعدم مساعدته إياها .إذ يتوجّب عليه أن يستدعي سيارة إسعاف وينقلها إلى المستشفى.

انقطعت أفكارها عندما شعرت بيد تجلسها على كرسيها ، وشعرت بضغط على كتفيها .وبعد لحظة ، اهتز كل جسدها.

أمرها كولين قائلاً" :سيطري على هذا يا ماريا .إنك تمرين بنوبة هلع."!

إنها ليست نوبة هلع !وراح عقلها يصيح وهي تكابد لتأخذ نفساً ، وتتساءل باهتياج عن سبب عدم مساعدته إياها .إنها حقيقية هذه المرة ، ألا ترى ذلك ؟

صاح كولين" :أصغي إليّ يا ماريا !إنني بحاجة إلى مساعدتك لأعرف إلى أين ذهبت سيرينا !إن مانينغ معها الآن !أحتاج إلى مساعدتك !سيرينا بحاجة إلى مساعدتك."!

سيرينا...

وفتحت ماريا عينيها بشكل فطري لمجرد ذكره اسم أختها ، وتشبّثت بالصوت وركزت عليه ، ولكن بعد فوات الأوان...

"ماريا."!

هذه المرة ، نبّهها صوته وهو يذكر اسمها .وفكرت في أن كولين يتحدث إليها ، كما فكرت في سيرينا والدكتور مانينغ .ونوعاً ما ، تمكنت من إبقاء عينيها مفتوحتين ؛ رغم أنها ما زالت لا تستطيع التنفس .وشعرت بالدوار .ولكنّ... سيرينا ...يا إلهي ...سيرينا بحاجة...

إلى المساعدة.

كانت كل خلية من خلايا جسدها تعلن نبأ وفاتها لماريا ، وتوضّح لها حقيقة الموقف .كابدت لاستعادة الوضوح ، وأجبرت نفسها على التفكير في

سيرينا ، وأدركت أنهما ذاهبان إلى ووترفرونت لإنقاذ أختها ، وأن هاتفها اهتز عندما وصلتها رسالة.

كل ما كان بوسعها فعله هو قلب الشاشة نحو الأعلى والتركيز ، ولكنها كانت قادرة نوعاً ما على تمييز الكلمات...

آسفة ...فقد كان الهاتف مطفأ .إنني متوجهة إلى المقابلة الآن ...تمنّي لي الحظ!

أختها سيرينا لا تزال حية !وها هما يسرعان لإنقاذها !أجبرت ماريا نفسها على أخذ نفس عميق وثابت ، ثم أخذت نفساً آخر ، وفكرت في سرها في أنها مجرد نوبة هلع ، وأنها تستطيع أن تتخطاها...

ولكن جسدها ظل يقاوم محاولاتها رغم أن عقلها بدأ يصبح صافياً .وراحت أصابعها ترتجف ، فيما يداها لا تعملان بشكل صحيح .تمكّنت من الضغط على زر معاودة الاتصال ، ولكن المكالمة تحوّلت إلى البريد الصوتي .وفي تلك الأثناء ، ظل كولين يصيح من مقعد السائق وهو ينعطف حول زاوية أخرى.

"ماريا ، هل أنت بخير؟ أخبريني أنك ستكونين على ما يرام."

ورغم أن الأمر استغرق منها لحظة ، إلا أنها أدركت أنهما وصلا إلى شارع ساوث فرونت ، وأنهما يتوجهان في الاتجاه الصحيح.

تمتمت قائلة وهي لا تزال تلتقط أنفاسها" :إنني بخير ."واندهشت لأنها استطاعت أن تتكلم على الإطلاق ، وأدركت أن التنفس لم يعد مستحيلاً بالنسبة إليها بعد الآن ، ثم قالت" :إنني بحاجة إلى دقيقة فقط."

ألقى كولين نظرة خاطفة نحوها بسرعة قبل أن يعاود النظر أمامه مجدداً وهو يضغط على دواسة الوقود ليزيد سرعته ، وسألها" :ما المسافة الباقية أمامنا ؟ يجب أن أعرف أين هي."

أجابت ماريا وصوتها لا يزال ضعيفاً وجسدها يكابد ليتعافى" :لا أعرف. على بعد بضعة مربعات سكنية أخرى ."وشعرت بالدوار.

"هل أنت متأكدة ؟."

هل هي متأكدة فعلاً؟ نظرت إلى الشارع لأنها أرادت أن تكون واثقة ، ثم قالت" :نعم."

"إلى اليسار أم إلى اليمين ؟."

فأجابت ماريا" :إلى اليسار ."وكابدت لتجبر نفسها على الجلوس على مقعد السيارة بشكل مستقيم بينما ظل جسدها يرتجف.

أسرع كولين أكثر عابراً التقاطع التالي .وبينما كانت ماريا تحدق من النافذة ، لاحظت بشكل غامض بضعة أكواخ وبيوت قوارب قريبة من النهر تبدو مظلمة وداكنة .وكانت مصابيح الشارع بالكاد تخترق الظلام .بدأت سرعة السيارة تنخفض عندما رفع كولين قدمه عن دواسة الوقود .مرّا قرب المربع السكني التالي ، ثم اجتازا تقاطعاً آخر .وبدءاً من هنا ، اختلف فن العمارة تماماً. فقد باتت البيوت ذات السطوح المسطحة محشورة إلى جانب بعضها بعضاً ، وبدت بعض الأبنية في حال أفضل من غيرها .سطعت أضواء من المكاتب في بعض الطوابق ، ولكن معظمهما بدا مظلماً .وكانت السيارات على طول الطريق تفصل بينها فراغات كبيرة .لم يشاهدا أية حركة مرور على كلا الجانبين .وبينما

كانا يتجهان عبر مربع سكني آخر ، بدأت المنطقة تصبح مألوفة أكثر .وأدركت ماريا أنهما اقتربا من المكان ؛ رغم أن شعوراً ساحقاً بالغضب وتأنيب الضمير قد غمرها لأنها عانت من نوبة هلع في أسوأ لحظة ممكنة ؛ عندما كانت سيرينا تحتاج إليها فيها أكثر من أي وقت مضى.

ذكّرت نفسها بأنها أتت إلى هنا من قبل .وعلى الرغم من تمرد جسدها المستمر ، إلا أنها أجبرت نفسها على أخذ أنفاس طويلة وهي تتفحص الأبنية .كان من الصعب عليها أن تعرف بشكل مؤكد البناء الذي يبحثان عنه بما أنها لم تعر الأمر الكثير من الانتباه في المرة الأولى التي أتت فيها إلى هنا .وتذكرت بشكل غامض أنها شاهدت سيرينا واقفة عند أحد التقاطعات ، وكان هناك عمال بناء يحدقون إليها من الجانب الآخر من الشارع .فأمعنت النظر ، ولاحظت وجود سقالات على أحد الأبنية عند الزاوية .وعندئذ ، لاحظت على الجانب الآخر من الشارع ...سيارة سيرينا...

قالت وهي تشير بيدها" :هناك !المبنى القرميدي عند الناصية المكون من أربعة طوابق."!

توجّه كولين إلى هناك في الحال ، وركن السيارة محدثاً صوت ضجيج ، ثم قفز وجرى بأقصى سرعة من دون أن ينتظر ماريا التي راحت تكابد لتفتح الباب وهي غاضبة لأن جسدها تمرد عليها .وشعرت أنها بحاجة إلى انتظاره ريثما يتعافى ، ولكن لم يكن لديها وقت لهذا ...ليس الآن ...بالتأكيد ليس الآن. وأخيراً ، تمكنت من دفع الباب وفتحه ، وأجبرت نفسها على النهوض والبدء بالتحرك.

بحلول ذلك الوقت ، كان كولين قد وصل إلى باب الردهة .فشاهدته وهو يقاوم ليفتحه ، ولكنه وجده مقفلاً .وبعد ذلك ، راح يضرب شيئاً ما بجوار المقبض .وعندما رفعت ماريا نظرها ، وجدت أن هناك سبعة أو ثمانية مكاتب لا تزال مضاءة في عدة طوابق .وشاهدت كولين وهو يضرب على الزجاج ، واستطاعت أن تدرك من لغة جسده أنه يفكر ملياً إن كان عليه أن يحطم الباب ويقتحم المكان .ولكن ماريا أدركت بشكل فطري أن سيرينا والدكتور مانينغ ليسا موجودين في مبنى المكاتب .فقد كان شديد الحرص حتى تلك اللحظة ، حيث لا يمكنه أن يرتكب ذلك الخطأ الآن .إذ كان شديد العناية بالتفاصيل ، حيث لا يمكنه أن يرتكب جريمته هنا بوجود عدد كبير من الناس في المبنى ، والكثير من الشهود المحتملين .لا بد أن الدكتور مانينغ قد وقف بانتظار سيرينا على الرصيف أمام المبنى ، ثم اختلق لها على الأرجح قصة ما عن أنبوب صرف صحي منفجر أو ما شابه ذلك ، وأخبرها أن المقابلة ستتم في مكان آخر .وأدركت أنه سيكون بحاجة إلى مكان يحظى فيه بالخصوصية ، ولا يمكن القبض عليه فيه ؛ إلى مكان يمكن إحراقه.

حاولت أن تصيح قائلة" :كولين ."!ولكنها شعرت بالدوار مجدداً ، فتعثرت وصاحت مرة أخرى" :كولين ."!وهذه المرة ، سمع صوتها وركض نحوها.

"إن للباب أحد تلك الأقفال ذات الرموز السرية !وليست هناك قائمة للمؤسسة ، لذا قمت بمجرد الضغط على كل الأزرار ؛ غير أن أحداً لم يفتح."

عندها ، أجبرت ماريا نفسها على الكلام وقالت" :سيرينا ليست هنا .لقد أخذها مانينغ إلى مكان آخر بلا شك .فهناك الكثير من الناس في الداخل. وهناك الكثير من الناس الذين لا يزالون يعملون."

"إن ركبت سيارته"...

"لقد أرسلت لي رسالة أخبرتني فيها أنها ستذهب إلى المقابلة مشياً."

"إذاً ، أين سيارته ؟ لا أراها."

تمتمت ماريا وهي لا تزال تقاوم موجات الدوار" :تفقّد المكان حول الناصية ، فقد ركنها هناك على الأرجح .إن أراد أن يبحث عن مكان ناء ، فلا بد أنه أخذها إلى أحد الأكواخ ، أو إلى أحد بيوت القوارب قرب النهر .أسرع."! وشعرت أنها على وشك السقوط وقالت" :هيا اذهب !سآخذ هاتفي وأتصل بالشرطة "...وبوالدي وأقاربي وليلي والجميع الذين ركبوا سياراتهم للحاق بنا.

وبحلول ذلك الوقت ، راح كولين يتراجع نحو التقاطع وهو غير متأكد .أراد أن يصدقها ، ولكن...

"كيف تعرفين أنهما سيكونان هناك ؟."

فأجابت وهي تتساءل عن الوقت الذي ستصل فيه الشرطة" :لأن"... وتذكرت الكوخ بجوار البحيرة حيث قتل لوز كاسي ، وتذكرت الأكواخ وبيوت القوارب المنتشرة في هذا القسم من نهر كيب فير ، ثم تابعت" :لأن هذا هو المكان الذي كان لوز سيذهب إليه."

الفصل الثالث والثلاثون

كولين

أثبت حدس ماريا أنه في محله ، فقد عثر كولين على سيارة الكامري الزرقاء مركونة في الشارع المحاذي للبناء .هرول نحوها ، ووجد على طول الشارع حقلاً غير مشذب يمتد نحو ضفة نهر كيب فير الطينية .امتدّ أمامه فراغ أسود خالٍ تماماً في هذه الليلة التي غاب عنها القمر.

امتد الشارع نحو طريق مكسوّ بالحصى يتفرع نحو اليسار واليمين ؛ نحو ضفة النهر .وكان أحد الطريقين يؤدي إلى حوض لرسو السفن فيه بناء معدني صدئ يأوي عدداً من القوارب ويحميه سياج منخفض .وفي الاتجاه الآخر ، كان هناك مبنيان متداعيان يشبهان الحظائر قرب ضفة النهر ، ويبعدان عن بعضهما حوالي خمسين ياردة .بدا ذانك المبنيان مهجورين ، وفيهما ألواح خشبية متصدعة وطلاء متقشر وباهت ، فيما الأعشاب تحيط بهما من كل مكان .خفّف كولين من سرعته ، وحاول باهتياج أن يكتشف المكان الذي يحتمل أن يكون مانينغ قد أخذ سيرينا إليه .وفي تلك اللحظة ، رأى شعاعاً من ضوء يتسرب بشكل متقطع من بين الألواح الخشبية في المبنى المهجور إلى اليسار .كان يختفي ويعاود الظهور مرة أخرى.

شعاع ضوء كشاف ؟

وعلى الفور ، غادر كولين الطريق المرصوف بالحصى وشق طريقه بين الأعشاب التي وصل طولها إلى ساقيه في بعض الأماكن ، وأجبر نفسه على

التحرك بسرعة أكثر على أمل ألا يكون قد وصل بعد فوات الأوان .وكان لا يزال غير واثق مما يجب عليه فعله أو مما سيعثر عليه هناك.

وعندما وصل إلى المبنى الذي رأى فيه الضوء ، ألصق جسده بالجدار. ومن قرب ، أدرك أن المبنى كان في الماضي عبارة عن مكان للتبريد استُخدم على الأرجح من قِبل صيادي السمك لتخزين مكعبات كبيرة من الثلج في قواربهم لحفظ السمك الذي يصطادونه من الفساد.

لم يكن هناك باب في ذلك الجانب من المبنى ، بل نافذة مغطاة بالألواح الخشبية يتسرب منها ضوء مرتعش .بدأ يتحرك على طول الجدار الأبعد عن النهر على أمل أن يعثر على الباب ، عندما سمع صرخة صادرة من الداخل.

سيرينا.

جعله الصوت يصاب بالصدمة ، فأسرع حول الزاوية ، ولكنه وجد الباب في ذلك الجانب مغطى بألواح خشبية أيضاً .عندها ، تجاوزه بسرعة حتى وصل إلى الجانب الثالث حيث عثر على نافذة أخرى مسدودة بالألواح الخشبية .لم يبقَ لديه إلا خيار واحد ، فاسترق النظر من حول الزاوية ، وعثر فوراً على الباب الذي يبحث عنه .وعندما مد يده إلى مقبض الباب وجده مقفلاً .وفي تلك اللحظة ، سمع صوت سيرينا وهي تصرخ مجدداً.

عندها ، تراجع إلى الوراء ورفع عقب قدمه ليركل به الباب قرب المقبض. كانت ضربة مثالية سريعة وقوية .وعلى الفور ، ظهرت في إطار الباب المتشظي فتحة صغيرة ، فركله كولين مجدداً وانفتح الباب بالكامل .وفي لحظة واحدة ، شاهد سيرينا مقيدة على كرسي في وسط تلك الغرفة المضاءة بضوء خافت ،

ورأى الدكتور مانينغ واقفاً بجانبها وبحوزته ضوء كشاف في يده .ميّز كولين شكل شخص جالس في الزاوية تحيط به علب طلاء صدئة .وكان وجه سيرينا مليئاً بالكدمات والدماء .صاح كل من سيرينا ومانينغ من الدهشة عندما اقتحم كولين الغرفة .وفجأة ، تم تسليط شعاع ضوء قوي ومفاجئ على عيني كولين مباشرة.

بُهر بصره ، وفقد توازنه ، واندفع إلى الأمام ماداً يديه في الاتجاه الذي شاهد فيه الدكتور مانينغ آخر مرة .مدّ ذراعيه أمامه ، ولكنّ مانينغ بات يحظى بالأفضلية عليه ، لذا باغته من الخلف .شعر كولين بضربة مصباح الكشاف المعدني الثقيل على مؤخر رأسه ، وسمع صوت تكسر عظم الجمجمة .منعه الإحساس بكل من الصدمة والألم الحاد من التصرف بشكل سريع بما يكفي. وعندما صرخت سيرينا مرة أخرى ، استدار كولين محاولاً أن يدفع الدكتور مانينغ بكتفيه ، ولكنّ الأوان فات على ذلك .فقد ضرب المصباح الكشاف صدغه ، وجعلت تلك الضربة المفاجئة كل شيء حوله يتحول إلى اللون الأسود. وهكذا ، ارتخى جسده وتخاذلت ساقاه ، فسقط على الأرض ؛ رغم أن عقله ظل يحاول استيعاب ما جرى .حثّته فطرته وخبرته على النهوض في الحال .وبعد سنوات من التدريب ، توجّب أن تأتي حركاته شكل تلقائي ، ولكن جسده لم يتجاوب معه .وشعر بضربة قوية أخرى على رأسه ، ما سبب له ألماً حاداً في سائر أنحاء جسده ، وراح عقله يتأرجح على حافة التفكير المنطقي .ولم يعد يستوعب أي شيء سوى الألم والارتباك.

شعر أن الوقت يتبعثر ويتحطم .ومن فوق الطنين المستمر في أذنيه ، استطاع أن يسمع بشكل غامض صراخ شخص ما يتوسل ...صوت امرأة...

هبط الظلام فجأة ، وباغته الألم كما لو أنه موجة بحرية.

فجأة ، اخترق صوت النحيب الغشاوة التي أحاطت به بشكل غامض. وعندما ميّز اسمه ، تمكن أخيراً من فتح إحدى عينيه .شاهد العالم حوله مكسواً بغشاوة ؛كما لو أنه في حلم مليء بالضباب .ولكنه عندما ظن أنه شاهد ماريا مربوطة إلى كرسي ، كان ذلك كافياً لجعله يفهم أخيراً ما جرى وأين هو.

كلا ، إنها ليست ماريا بل سيرينا.

غير أنه ظل غير قادر على الحراك أو على التركيز بشكل كامل .واستطاع من بعيد أن يميز الدكتور مانينغ وهو يتحرك على طول الجدار البعيد ، ويحمل شيئاً أحمر ومربعاً بيديه .سمع سيرينا تستمر بالصياح ، ووصلت إلى منخريه فجأة رائحة بنزين .واستغرق لحظة ليربط كل الأحداث معاً .ثم شاهد مانينغ بشكل مبهم وهو يرمي علبة البنزين بعيداً ، وشاهد شرارة ضوء ، فأدرك أنه عود ثقاب .راقبه وهو يشكّل قوساً في الهواء ثم يتّجه نحو الأرض .وسمع صوت شرارة الاشتعال ، ثم رأى ألسنة اللهب وهي تبدأ بالتصاعد على الجدران .كانت الألواح الخشبية جافة وسريعة الاشتعال ، وبدأت الحرارة تتصاعد والدخان يزداد كثافة.

حاول أن يحرك يديه وساقيه ، ولكنه لم يشعر إلا بالخدر والشلل .ثم شعر بطعم معدني ونحاسي في فمه .ولاحظ حركة غامضة عندما ركض مانينغ من أمامه متّجهاً إلى الباب الذي اقتحمه كولين ودخل منه.

بدأت ألسنة اللهب تصل نحو السقف ، بينما دلّت صرخات سيرينا على الرعب الصرف .وسمعها تسعل مرة ثم مرة أخرى .حاول كولين إجبار جسده على التحرك ، وتساءل عن سبب عدم تجاوبه .وأخيراً ، شعر بذراعه اليسرى

تتحرك ببطء نحو الأمام .حاول أن يدخل كلتا ذراعيه تحته لينهض ، ولكن عظم يده المكسور تحرك من مكانه .عندها ، صاح كولين من شدة الألم وارتطم صدره بالأرض .حوّل الشعور بالألم غضبه إلى غيظ هائل ؛ ما أشعل رغبته في العنف والانتقام.

اتكأ على قدميه ويديه ، وتمكّن من النهوض ببطء ، فانتابه الدوار ، وشعر بأن توازنه غير سليم .تقدّم خطوة إلى الأمام غير أنه تعثر ، وشعر بلسعة في عينيه بسبب الدخان المتصاعد .تحولت صرخات سيرينا إلى سعال لا يمكن السيطرة عليه .وشعر كولين أنه لا يستطيع التنفس على الإطلاق .امتدت ألسنة اللهب إلى الجدران الأخرى محيطة بهما ، وباتت الحرارة شديدة ، فيما اخترق الدخان الأسود رئتيه .مشى كولين بضع خطوات متعثراً حتى وصل إلى سيرينا ، تأمل الحبال الكثيرة التي تقيدها بالكرسي ، وأدرك أنه ليس هناك أي مجال لكي يتمكن من فكها بيد واحدة في الوقت المناسب .تفحّص المكان المحيط به على أمل أن يعثر على سكين أو فأس أو أي شيء حاد.

وفي تلك اللحظة ، سمع صوت تصدع ، تبعته ضجة قوية عندما بدأ سقف البيت يتهاوى ، مرسلاً شرارات في جميع الاتجاهات .وفجأة ، انهارت إحدى العوارض على بعد بضع أقدام منهما ، ثم سقطت واحدة أخرى على مقربة أكثر من السابقة .وعلى طول ثلاثة جدران ، بدت ألسنة اللهب تتضاعف ، والحرارة تشتد ؛ لدرجة أن كولين شعر بأن ملابسه تكاد تشتعل .وعندما بدأ الشعور بالهلع يسيطر عليه ، أمسك بالكرسي الذي تجلس عليه سيرينا ورفعه ، فشعر بألم مباغت في يده المكسورة .اشتعل الغضب المتفجر في داخله أكثر من ذي قبل .لقد كان يستطيع أن يتحمل الألم ، ويعرف كيف يسيطر عليه .حاول أن

يمسك بالكرسي ، ولكن يده لم تعد قادرة على القبض على شيء.

لم يعد لديه خيار آخر ؛ لأنه لا يستطيع أن يحمل سيرينا .كانت هناك خمس خطوات كبيرة أو ست تفصله عن الباب ، فأمسك بمسند الكرسي بيده السليمة ، وأداره ، وراح يجره نحو الباب .إذ يتوجّب عليهما الخروج من هناك قبل أن تصل إليهما ألسنة اللهب .راح يسحب الكرسي ويجره بصعوبة ، وكانت كل حركة يقوم بها تسبب له ألماً حاداً في يده ورأسه.

اندفع خارجاً من الباب ، وتبعته الحرارة والدخان إلى الخارج .أدرك أن عليه أن ينقل سيرينا إلى أبعد مسافة ممكنة بعيداً عن الدخان .ولكن لم يكن بإمكانه جرّها عبر الحقل الموحل ، غير أنه لاحظ وجود حصباء إلى اليمين ، فاتجه إلى هناك نحو المبنى الآخر .ومن خلفه ، أصبح البيت الخشبي شبه مغلف بألسنة اللهب ، وتصاعد صوت حسيس النيران معززاً صوت الرنين في أذنيه .غير أنه واصل التحرك ، وارتاح فقط عندما شعر بالحرارة المنبعثة من النيران تضعف.

طوال ذلك الوقت ، لم تكفّ سيرينا عن السعال .وفي الظلام ، بدت بشرة وجهها شبه زرقاء ، فأدرك أنها بحاجة إلى سيارة إسعاف وجهاز أوكسجين. كان لا يزال يتوجّب عليه أن يحررها من الكرسي .ولكنه لم يرَ أي شيء يمكنه استخدامه لقطع الحبل .تساءل إن كان بإمكانه العثور على شيء ما في المبنى المجاور .وبينما هو يهم بالتقدم نحوه ، شاهد شخصاً يخرج من الزاوية ويتحرك نحوه في وضعية إطلاق النار .وعكست ماسورة المسدس ضوء النار.

المسدس الذي ذكره مارغوليس ؛ ذلك الذي قال مانينغ إنه ربما لا يعمل.

أسقط كولين سيرينا بكرسيها على الأرض ، وقفز فوقها ليحميها في الثانية نفسها التي سمع بها صوت إطلاق النار .تم إطلاق الرصاصة من على بعد أربعين ياردة ، ولكن تسديد مانينغ كان عالياً قليلاً .أما الطلقة الثانية ، فقد أتت أكثر دقة بقليل .إذ شعر كولين بالطلقة تخترق كتفه وأعلى ظهره ، كما شعر بالدم يتدفق من جسده ، فأصابه الدوار مجدداً ، وكابد ليبقى واعياً وهو يشاهد مانينغ يجري نحو سيارته.

لم يكن هناك أي شيء يساعد كولين على الإمساك به .وراح ظل مانينغ يتراجع ، فتساءل كولين عن سبب استغراق الشرطة كل هذا الوقت الطويل لتصل .وتمنى أن يتمكنوا من إلقاء القبض عليه.

وفجأة ، قاطع أفكاره صوت ضجيج عندما اخترقت النيران سقف البيت. وكان الصوت يصم الآذان ؛ فقد انفجر جزء من الجدار ، وانتهى به المطاف قطعاً من الخشب المحترق ، وراحت الشرارات تنطلق باتجاههما .بالكاد استطاع سماع صوت بكاء سيرينا وسط نوبات سعالها .وأدرك أنهما لا يزالان معرّضين للخطر وقريبين من النار كثيراً .ولم يكن هناك ما قد يساعد كولين على جرها إلى مسافة أبعد ، ولكنه فكر في أنه باستطاعته طلب المساعدة .لذا ، أجبر نفسه على النهوض ؛ إذ كان بحاجة إلى الوصول إلى مكان يراه فيه أحد .راح يتعثر وهو يسير إلى الأمام بضع خطوات ، ويفقد الكثير من الدماء ، ويده اليسرى عديمة الفائدة الآن بسبب شدة الألم.

وبحلول ذلك الوقت ، وصل مانينغ إلى سيارته .فشاهد كولين مصابيحها وهي تضاء ، ثم ابتعدت السيارة عن الرصيف متجهة نحوه مباشرة.

ونحو سيرينا.

أدرك كولين أنه ليس بوسعه أن يسبق السيارة ، وأنه ليس بإمكان أي شيء أن يساعده على تجنبها ، ولكن سيرينا كانت حتى أكثر عجزاً منه ، وكان مانينغ يعرف بالضبط أين هي.

صرّ كولين أسنانه ، وراح يمشي متعثراً بأقصى سرعة يستطيعها ليضع مسافة بينه وبين سيرينا ؛ على أمل أن يتبعه مانينغ أو يهرب ، ولكن أضواء السيارة ظلت متوجهة تماماً باتجاه سيرينا .عندها ، شعر كوبين بالعجز ، ولم يعرف ما يجدر به فعله غير ذلك ، فوقف وبدأ يلوّح بيده اليسرى محاولاً لفت انتباه مانينغ.

فجأة ، انحرفت سيارة الكامري مباشرة نحوه مبتعدة عن سيرينا ، وازدادت سرعتها ؛ ما جعل المسافة الفاصلة بينهما أصغر شيئاً فشيئاً .واستمر البيت الخشبي بإصدار ضجة عالية غريبة ، بينما أخذت النيران تلتهمه وتأتي عليه. ترنح كولين بسرعة قدر الإمكان مبتعداً عن سيرينا ، ومدركاً أن لديه بضع ثوان أخرى ، وأنه على وشك أن يموت .وكانت السيارة على وشك الوصول إليه عندما رأى الأرض أمامه ساطعة فجأة بعد أن غمرها ضوء سيارة أخرى جاءت مسرعة من مكان ما خلفه.

وبالكاد استطاع كولين رؤية سيارة إيفان البيروس وهي تصطدم بسيارة الكامري بقوة ، مصدرة ضجة تصم الآذان .ثم اندفعت كلتا السيارتين نحو النيران ، فتحطمت سيارة الكامري في زاوية البيت الخشبي ، بينما راحت سيارة البيروس تدفعها إلى الأمام .وفي تلك اللحظة ، بدأ السقف يتداعى وألسنة

اللهب تقفز إلى الأعلى نحو السماء.

حاول كولين أن يندفع إلى الأمام ، ولكنّ ساقيه تخاذلتا ، وظلت الدماء تتدفق من جراحه وهو مستلق على الأرض ، وشعر بنفسه يصاب بالدوار مجدداً. وفي تلك الأثناء ، سمع صوت صافرات سيارات الشرطة تتنافس مع حسيس النيران المتصاعدة من الكوخ .شكّ في أن الأوان قد فات ، وأنه لن ينجو ، ولكن هذا لم يعد مهماً بالنسبة إليه .لم يستطع أن يبعد ناظريه عن سيارة البيروس. وترقب أن يرى الباب يفتح أو النافذة .فقد كان لا يزال بوسع إيفان وليلي الهرب من النار إن تحركا بسرعة ، ولكن الفرص في حدوث ذلك بدت ضعيفة.

صممّ على الوصول إليهما ، وحاول النهوض مجدداً .غير أن رفعه رأسه إلى الأعلى ولو قليلاً جعله يكاد يفقد وعيه .وفكر في أنه رأى أضواء حمراء وزرقاء على جانب الشارع ، وأضواء سيارات ساطعة تتقدم نحوه .وسمع أصواتاً مرعوبة تنادي باسمه واسم سيرينا .أراد أن يصيح بهم طالباً منهم الإسراع لأن إيفان وليلي بحاجة إلى المساعدة ، ولكن لم تصدر عنه أكثر من همسات مبحوحة الصوت.

سمع ، عندئذ صوت ماريا تصرخ باسمه ثم تصل إليه.

صاحت ماريا قائلة" :إنني هنا .اصمد ، يا كولين !سيارة الإسعاف قادمة."!

حتى عندئذ ، لم يستطع كولين أن يرد .وبدأ كل ما حوله يدور ، وأصبحت الصور ضبابية ، وما عاد أي شيء يبدو منطقياً .وخلال ثانية واحدة ، ابتلعت النيران سيارة البيروس ، وأحاطت بها ألسنة اللهب .وعندما فتح عينيه مجدداً ، كان نصف السيارة فقط قد اختفى .وظنّ أنه شاهد باب الراكب ينفتح قليلاً ،

ولكن كان هناك الكثير من الدخان ، ولم يكن هناك ما يدل على الحركة .لم يستطع أن يتأكد من أي شيء ، وشعر بنفسه يفقد وعيه والظلام يحيط به .وفي آخر لحظة واعية له ، تضرّع إلى الله كي يتمكن أفضل صديقين حظي بهما في حياته من النجاة بحياتيهما.

الخاتمة

لم يكفّ شهر نيسان عن مفاجأة ماريا .ورغم أنها نشأت في الجنوب وتعرف ما يجب عليها أن تتوقعه ، إلا أنه لطالما كانت هناك أيام رائعة ومثالية يبدو فيها كل شيء ممكناً .إذ كانت السماء زرقاء صافية ، فيما المروج التي ظلت بنية وقاحلة طوال الشتاء اكتست باللون الأخضر .كان كل شيء يتفجر بالألوان والحياة ، فيما عادت كل الأشجار في المدينة إلى الحياة ، ونبتت أزهار التوليب في الحدائق المشذبة بعناية .إن فترات الصباح باردة ، ولكن الطقس يصبح دافئاً عندما تسطع الشمس في السماء.

كان هذا اليوم أحد تلك الأيام سريعة الزوال من أيام الربيع ، وكانت ماريا واقفة في المرج المشذب بعناية .استطاعت ماريا أن ترى سيرينا وهي تثرثر بحيوية مع مجموعة من الناس الذين لم تميزهم ، وبدت الابتسامة على وجهها عريضة ومرحة .عندما تراها الآن ، تجد صعوبة كبيرة في تصديق أنها حتى وقت قريب فقط ظلت تكابد لتتمكن من مجرد رسم الابتسامة على وجهها .فقد ظلت تعاني من الكوابيس عن محنتها لأشهر .وحين تنظر إلى المرآة ، لم تكن تشاهد سوى الكدمات والجروح التي تسبب لها بها مانينغ بعد أن قيّدها إلى الكرسي. ترك اثنان من الجروح ندبتين ؛ إحداهما قرب عينها والأخرى على فكها ، ولكنهما بدأتا تختفيان شيئاً فشيئاً .وبعد سنة أخرى ، تشك ماريا في أن يلاحظهما أحد على الإطلاق ؛ ما لم يعرف بالضبط إلى أين ينظر .ولكنّ هذا أيضاً يعني أنه سيتوجّب عليهم أن يتذكروا تلك الليلة الرهيبة باستمرار .ومع تلك الذكريات ، هناك ألم دائماً.

بعد مضيّ أسبوعين على الحادثة ، تمكّن المفتش رايت والمفتش بيت مارغوليس -الذي كان لا يزال يتعافى من إصابته -من مقابلة ماريا ، والاعتراف لها بأن كولين كان محقاً حيال كل شيء .فبقايا جثة آتكينسون تم العثور عليها في ما تبقى من رماد بيت الجليد المحترق .وربطت التحاليل المخبرية في نهاية المطاف بين الرصاصة الموجودة في رأس آتكينسون والمسدس الذي كان ليستر يحمله .ولكنّ النيران جعلت تحديد وقت وفاته بشكل دقيق أمراً مستحيلاً؛ رغم أن التحقيقات توصلت إلى افتراض أن هذا قد حدث في الوقت الذي اختفى فيه تقريباً .واكتشفت الشرطة أن جثته تم حفظها في ثلاجة كبيرة فارغة في مرأب الدكتور مانينغ في تشارلوت؛ وذلك بسبب بضع خصل من شعر آتكينسون ظلت متجمدة على جوانبه .وأظهر البحث في حسابات مانينغ المصرفية عدة حالات إنفاق بالمال النقدي ، وأرقامها تماثل مبالغ تم تحويلها إلى حساب آتكينسون لدفع فواتيره ، وتؤكد على استئجاره الكوخ الموجود في شالوت.

تم العثور على بصمات أصابع ليستر في سيارة آتكينسون .وبقي المحققان يأملان أن يزودهما ليستر بالمزيد من الأجوبة ، ولكنّ ذلك لم يحدث .فبعد أن أمضى ثلاثة أيام في المستشفى تحت المراقبة المستمرة ، تم تقدير حالته من قبل طبيب نفسي ، وتم اعتباره ملائماً للعودة إلى زنزانته ليكون خاضعاً للمراقبة المستمرة .وفي وقت لاحق من عصر ذلك اليوم ، قابل ليستر محاميه الذي قدم تقريره بأن ليستر رغم أنه تعرض للكثير من الأدوية والصدمات بسبب فقدانه والده إلا أنه بدا صافي الذهن بشكل لا بأس به .ووافق ليستر على أن يتم التحقيق معه من قبل التحريين في اليوم التالي طالما أن محاميه موجود.

عندها ، تمت إعادته إلى زنزانته ، وأنهى صينية الطعام التي قدمت إليه .وأظهرت تسجيلات الفيديو أن الحراس كانوا يتفقدون أمره كل خمس عشرة دقيقة ، ولكن ليستر مع ذلك تمكن من شنق نفسه مستخدماً شرائط قماش صنعها من ملاءة سريره .وبحلول الوقت الذي عثر فيه الحراس عليه ، كان الأوان قد فات على إنقاذه.

تساءلت ماريا في بعض الأحيان عمّا إذا كان ليستر شريكاً فعلياً في الجريمة ، أم هو مجرد ضحية أخرى من ضحايا الدكتور مانينغ ، أو كلا الأمرين معاً .واعترف بيت مارغوليس بعد أن استيقظ من غيبوبته بأنه غير واثق من هوية الشخص الذي أطلق النار عليه .فقد ناداه الدكتور مانينغ وطلب منه أن يدخل ، ولكن مارغوليس بالكاد لمح بسرعة فوهة مسدس ناتئ من خلال فتحة في باب الخزانة قبل أن تصيبه الطلقة النارية .وكان الشيء الوحيد الذي عرفته ماريا بشكل مؤكد هو أن ليستر والدكتور مانينغ قد ماتا كلاهما ، وأن أحداً منهما لن يعود أبداً ليلاحقها .ولكن ، على الرغم من كل ما تم ارتكابه بحقها وحق أختها سيرينا ، فقد شعرت في بعض الأحيان بشيء من الحزن والشفقة لما حل بعائلة مانينغ ؛ فالابن الشاب مات بحادث سيارة ، والأخت الكبرى تم قتلها ، والأم عانت من الاكتئاب لفترة طويلة ثم انتحرت .وتساءلت عما كان ليحل بها لو أن هذه الأشياء قد حدثت لها ، أو لو أن سيرينا قد ماتت في تلك الليلة في البيت الخشبي.

ألقت نظرة خاطفة من فوق كتفها ، وتفحصت الحشد المتجمع على المرج ، وراحت بصمت تحصي الأشياء التي تعد نفسها محظوظة بها .فأمها وأبوها يحاولان أن يبقيا أسلوبها في المبالغة بحمايتها ضمن الحدود .وكان عملها

مع جيل مرضياً إلى حد هائل .واستخدمت مبلغاً من حسابها المصرفي لإعادة تأثيث شقتها وشراء خزانة ملابس جديدة .ومع ذلك، تبقى لديها ما يكفي لادخاره للمستقبل .وفي العطلة الأسبوعية الفائتة، تجوّلت داخل متجر كاميرات، ووقعت في حب عدسة كاميرا باهظة الثمن .وكانت المياه الدافئة ولوح التزلج يدعوانها للعودة...

* * *

كان الزفاف أسطورياً .ومع إدارة ليلي وتدبيرها، لم تتوقع ماريا شيئاً أقل من ذلك .ورغم أن وليمنغتون لطالما شكلت بالنسبة إليها وطناً، إلا أن ماريا استطاعت أن تدرك أن تشارلستون لها سحرها الخاص .بدت ليلي فاتنة في فستان زفافها المصنوع من الساتان الناعم المحلى بحبات اللؤلؤ الصغيرة والقماش المخرم الرقيق .وبدا إيفان حالم العينين وهو يتأملها فيما كانا يتلوان عهودهما في دار عبادة سانت مايكل؛ البناء الأقدم في تشارلستون، والمكان المفضل لإقامة الأعراس بالنسبة إلى العائلات الأرستقراطية في تشارلستون. ولكن عندما قالت ليلي" :لم أستطع ببساطة أن أتخيل سبب رغبة الجميع في الزواج هنا ."جعلت الأمر يبدو سحرياً وصادقاً، وليس دالاً على الغرور والتباهي.

في تلك الليلة الفظيعة، نجت ليلي من الحادث بأعجوبة من دون أن تصاب بأي أذى .ولكنّ إيفان كان أقل حظاً منها؛ فقد خرج من الحادث بحروق من الدرجة الثانية في ظهره، وبضعة كسور في ساقه .وظل في الجبس لحوالي الشهرين .ومؤخراً فقط صار بإمكانه المشي من دون أن يعرج؛ وذلك بفضل برنامج تمارينه الجديد .لم تكن تمارينه ترقى إلى مستوى تمارين كولين، ولكنه أفضى إلى ماريا بأنه أضاف المزيد من التمارين إلى ذراعيه؛ على أمل أن تلاحظ

ليلي ذلك أثناء شهر عسلهما في جزر الباهاما.

اعتقدت ماريا أثناء الحادث أنها شاهدت ليلي وإيفان وهما يخرجان من سيارة البيروس ؛ ورغم أن البعض قد يضحك من تلك الفكرة ، إلا أنها لم تأبه لذلك.

فقد كانت تعرف.

* * *

ومن خلفها ، بلغ الاحتفال بالزفاف أوجه عندما تحوّلت مراسم الزفاف التقليدية إلى مراسم احتفالية .وأرادت ليلي أن يتم حفل الاستقبال في منزل والديها الواسع على ضفة نهر آشلي .وعلى حد علم ماريا ، لم يتم توفير أي نفقات .فقد أضيئت خيمة بيضاء فخمة بمصابيح مزخرفة ومعلقة ، وراح الضيوف يرقصون على أرضية من خشب الباركيه أمام الفرقة الموسيقية ، وتم طلب الطعام من أفخم المطاعم في المدينة ، كما كانت تنسيقات الزهور الربيعية عملاً فنياً رائعاً .أدركت ماريا أنها لن تحظى بزفاف مثله أبداً ؛ فهو لم يكن مناسباً لذوقها وأسلوبها .وفكرت في أن وجود عائلتها وأصدقائها من حولها هو ما سيجعلها أسعد الناس.

وهذا لا يعني أنها بدأت تفكر في الزواج في القريب العاجل ؛ فذلك الموضوع لم يتم فتحه بعد .ولم تكن لدى ماريا النية لكي تسأل كولين عنه بشكل مباشر .وفي معظم الأيام ، كولين لم يتغير على الإطلاق .فقد ظل يخبرها بالحقيقة ، ولم تكن دائماً مستعدة لسماع الجواب .ربما كانت ستميل إلى سماع تلميح بذلك إن سنحت لها الفرصة ، ولكن حتى مجرد التفكير في ذلك جعلها

متوترة.

تمكّن كولين مؤخراً فقط من استئناف روتين تمارينه، ولكنه شعر بالإحباط في بعض الأحيان لأنه لم يعد يستطيع القيام بأشياء اعتاد على القيام بها من قبل؛ مثل تمرين الفنون القتالية .فقد كان بحاجة إلى ستة أشهر أخرى على الأقل ليفعل ذلك؛ وهذا ما أصر عليه الأطباء .فقد تسببت الطلقة النارية في تمزيق جزء من عضلة كتفه؛ ما ترك ندبات وضعفاً قد يستمر بشكل دائم. كما خضع من قبل لعملية جراحية في يده، وكان من المخطط إجراء عملية أخرى في غضون بضعة أشهر .أما الإصابة التي أثارت قلق الأطباء أكثر من أي شيء آخر، فهي الكسر في الجمجمة، والذي أمضى بسببه أربعة أيام في قسم العناية المركزة إلى جوار بيت مارغوليس.

كان مارغوليس أول من تحدث إلى كولين بعد أن استعاد وعيه.

وقد قال له" :لقد أخبروني أنك أنقذت حياتي .ولكن، إياك أن تظن أن هذا سيغير شيئاً في ما يتعلق بصفقتك .فما زلت سأبقي عينيّ عليك."

وبالكاد تمكّن كولين من أن يتمتم قائلاً" :حسناً."

"أخبروني أيضاً أن الدكتور مانينغ قد أوسعك ضرباً، وأنه انتهى المطاف بإيفان وهو يتخلّص منه أخيراً .أجد صعوبة في تصديق هذا."

فقال كولين مجدداً" :حسناً."

"قالت لي زوجتي إنك أتيت لتتفقد حالي، وإنك كنت في غاية التهذيب. ويظن صديقي لاري إنك على الأرجح ذكي للغاية."

وبعد أن صارت حنجرته جافة ، لم يفعل كولين هذه المرة أي شيء سوى الأنين.

هزّ مارغوليس رأسه وتنهد قائلاً" :أسدِ إليّ صنيعاً وابقَ بعيداً عن المشاكل .وهناك شيء آخر "...وابتسم أخيراً وقال" :شكراً لك."

ومنذ ذلك الحين ، لم يعد مارغوليس ليتفقد حال كولين ولو لمرة واحدة.

* * *

شعرت ماريا بكولين يقترب منها من خلفها ، وبيديه تحيطان بها ، فاقتربت منه.

قال لها" :ها أنت هنا .إنني أبحث عنك."

فقالت" :إن المكان جميل قرب الماء ."والتفتت لتنظر إليه.

فهمس لها قائلاً" :ماريا ، هلا تسدين لي صنيعاً ."وعندما تراجعت قليلاً إلى الخلف وحدقت إليه متسائلة ، تابع كلامه قائلاً" :أريد منك أن تقابلي والديّ."!

عندها ، فتحت عينيها على وسعهما ، وقالت" :هل هما هنا؟ لماذا لم تخبرني بهذا من قبل ؟."

"أردت أن أتحدث إليهما أولاً ، وأن أتأكد من رأيك ؟."

"وماذا ؟."

"إنهما طيبان .وقد أخبرتهما عنك ، وسألاني إن كان بوسعهما مقابلتك ،

ولكنني قلت لهما إنني سأناقش الموضوع معك أولاً."

"بالطبع أرغب في مقابلة والديك .لماذا يجب عليك أن تناقش الأمر معي ؟."

"لم أكن واثقاً مما يجب عليّ قوله ، فأنا لم أعرفهما على أية فتاة من قبل."

"إطلاقاً !هذا رائع !فهو يشعرني بأنني مميزة للغاية."

"ينبغي أن تشعري بذلك ؛ فأنت مميزة بالفعل."

"إذاً ، دعني أقابل والديك .وبما أنني مميزة إلى هذا الحد ، وبما أنك مجنون ومتيم بـي ولا تتخيل حياتك من دوني بكل تأكيد ، فربما بدأت تفكر في أنني المرأة المناسبة لك ، أليس كذلك ؟."

فابتسم ونظراته لا تفارق عينيها وقال" :حسناً."

* * *

النهاية